

الشموتون

تاريخهم وخصائصهم



تأليف
محمّد بن نوح كرم
تدقيق
الدكتور فيصل الوائلي

السومريون

السُّومَرِيُّونَ تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم

تأليف
صموئيل نوح كبريم

ترجمة
الدكتور فيصل الوائلي
بجامعة الكويت

الناشر
وكالة المطبوعات
شارع فهد السالم - الكويت

دار غریب للطباعة
۱۲ شاع نوبار (دہلی)

محتويات الكتاب

ص	مقدمة المترجم
ب	توطئة المؤلف
ك	التعريف بالمؤلف
س	الفصل الأول علم الآثار وفك رموز الكتابة
١	الفصل الثاني التاريخ : الأبطال ، الملوك ، الأمراء ، الأنسى
٤٣	الفصل الثالث المجتمع : المدينة السومرية
٩٧	الفصل الرابع الدين : اللاهوت ، الطقوس ، الأسطورة
١٤٧	الفصل الخامس الأدب : الفنون الأدبية
٢٢٣	الفصل السادس الثقافة : المدرسة السومرية
٣٢٧	الفصل السابع الخصائص : الاتجاهات ، البواعث ، القيم
٣٥٧	الفصل الثامن تراث سومر
٣٨٧	الملاحق :
٤٢٩	(١) أصل نظام الكتابة السومرية وتطوره
٤٣٢	(ب) اللغة السومرية
٤٣٨	(ج) الكتابات النذرية
٤٤٠	(د) أمثلة من الصيغ التاريخية
٤٧٢	(هـ) الرسائل
٤٧٣	(ز) ال « دتيلاهات » ؛ (أحكام قضائية)
٤٨٤	(ح) شريعة « لبث - عشتمار »
٤٨٦	(ط) تقويم الفلاح
٤٩٢	مراجع مختارة :
٤٩٧	فهرست الأعلام
٥٠٤	

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المنحجم

تشير الدلائل العديدة التي تم الكشف عنها في بقاع مختلفة من العالم إلى أن الإنسان ظل دهوراً طويلة يعيش على الالتقاط والصيد ، ويتخذ من الكهوف ملاجئ يأوى إليها إثناء البرد أو الحر وإحتماء من الوحوش المفترسة . وكانت الحجارة مادته الرئيسية في صنع أدواته المحدودة الساذجة ، كما استخدم على ما يرجح مواد أخرى كالأخشاب والجلود ؛ إلا أن مواد كهذه تفتى مع الزمن بتأثير عوامل الطبيعة المختلفة فلم يعثر على بقايا منها . وتعارف أكثر الباحثين على تسمية هذا الطور من أطوار حياة الإنسان بـ « العصر الحجري القديم » لأن استعمال الحجر كان السمة البارزة فيه ؛ وكانت صناعة الحجر بدائية ساذجة بالقياس إلى صناعة ما يعرف بـ « العصر الحجري الحديث » ، وأطلق آخرون على ذلك الطور القديم إسم « عصر جمع القوت » لأن الإنسان عاش معتمداً على كرم الطبيعة وما تجده به من غذاء نباتي وحيواني قبل تعلمه أساليب الزراعة وطرق التدجين وتحوله إلى ما يسمى بـ « عصر إنتاج القوت » . ويفضل فريق آخر من الباحثين تسمية ذلك الطور بـ « عصر التوحش » ؛ وذلك لأن هذه التسمية أكثر شمولاً وتوحى بمعنى البدائية في أوجه الحياة المختلفة .

ومع أن قصة الإنسان ووجوده على وجه الأرض ما زالت غامضة وما زالت الآراء حولها متباينة ؛ وقد تكون أحياناً متناقضة ، وخاصة فيما يتصل منها بتحديد تأريخ ظهور الإنسان على الأرض ؛ وفيما يتعلق بعلاقة الإنسان العاقل « الحديث » بالأجناس « البشرية » القديمة ، أى فيما إذا كان الإنسان العاقل « الحديث » يمثل بداية البشر ، وأن ما تسمى بالأجناس البشرية القديمة ما هي إلا « طلائع بشرية » أقرب إلى القرود العليا منها إلى البشر أو إن الإنسان العاقل الحديث ما هو إلا آخر

(ج)

حلقة في سلسلة التطور البشرى الطويلة ، نقول مع غموض كل هذه الجوانب وتباين الآراء حولها ، فإن هناك حقائق تكاد تكون ثابتة . من هذه الحقائق أن الاجناس القديمة ، أو لنقل الطلائع البشرية ، قد تركت آثاراً في أما كن مختلفة من العالم تكشف عن قدرات عقلية لاتدانيها قدرات أى فصيلة من فصائل الحيوانات العليا وأنها تشترك مع الإنسان العاقل « الحديث » بانتصاب القامة ، وأن وجودها على الأرض يعود ، وفقاً لحدث الآراء ، إلى ما قبل مليونى عام ، وكانت مناطق شرق إفريقيا (تنزانيا و كينيا) مهد تلك المخلوقات . أما بالنسبة للإنسان العاقل « الحديث » فإن ظهوره بدأ ، وفقاً لأحداث النظريات أيضاً ، قبل حوالى خمسين ألف سنة فقط ، وبذلك يكون الإنسان أحدث المخلوقات وأصغرها سناً .

ومن الحقائق الأخرى الثابتة أن الإنسان ، مهما كان عمره ، قد عاش ٩٥٪ من حياته على جمع القوت واستخدام الحجارة بأبسط أشكالها ، وبعبارة أخرى ، قضى ٩٥٪ من حياته متوحشاً بكل ما تعنيه هذه الكلمة وما توحى به من أفكار اجتماعية واقتصادية وفكرية وفنية وتقنية . وإذا انتقلنا إلى العراق الذى يتحدث كتابنا هذا عن شعب من شعوبه القديمة ، فإن البقايا الأثرية التى اكتشفت في غضون الثلاثين سنة الماضية تكشف بصورة لاتدع مجالاً للشك عن وجود جنس واحد على الأقل من الاجناس البشرية القديمة ، أو الطلائع البشرية ، في المناطق الجبلية الواقعة في الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من العراق قبل ما يقرب من مائة ألف سنة (١) وربما كانت بيئة هذه المنطقة عاملاً مهماً في ظهور ذلك الجنس القديم ، فهى بيئة تتوافر فيها كل مستلزمات الحياة البدائية في عصر التوحش من كهوف وحجارة وأشجار مثمرة وأعشاب وحبوب برية وحيوانات وفيرة ومياه غزيرة . وبقي ذلك الجنس محبوب في هذه المنطقة تاركاً آثاره تراكماً في طبقات متعاقبة في الكهوف التى كان يأوى إليها إلى أن ظهر الإنسان العاقل

(١) أنظر: Ralf S. Solecki, Prehistory in Shanidar Valley Northern: Iraq, in Science. January 18, 1963, Vol. 139, No. 1551, Pages 179-193

(د)

« الحديث » قبل حوالي ١٢٠٠٠ سنة . وليس هناك ما يؤكّد فيما إذا كان ظهور الإنسان « الحديث » سبباً في اختفاء الجنس القديم الذي كان عاجزاً عن مجابهة الإنسان « العاقل » نظراً لتفوقه العقلي . أو أن عوامل طبيعية أخرى عملت على إفنائه وانقراضه .

وظلت الحياة في المناطق الجبلية العراقية خلال عصر التوحش الطويل على ما هي عليه دون أن يطرأ عليها تغيير يذكر وكأنها كانت تنتظر قوة دافعة جديدة لتخرجها من حدود ذلك العصر والإنطلاق بها في طريق التطور . وما كاد الإنسان يتعلم أساليب الزراعة ويهتدى إلى طرق تدجين الحيوانات حتى قفز أولى قفزاته الواسعة على طريق التطور وخرج من عصر جمع القوت ليدخل عصر إنتاج القوت ، وبدأ التغيير يعم مظاهر الحياة الأساسية كلها . ففي الحياة الاقتصادية تحرر الإنسان من عبودية الاعتماد على كرم الطبيعة ، وهو كرم لا يعتمد عليه دائماً ، ومن الناحية الاجتماعية خرج الإنسان من ظلام الكهوف ليستقر في بيوت صغيرة بسيطة بناها من الطين ، وظهرت المجتمعات القروية الزراعية الصغيرة وما يستتبع ذلك من تطورات اجتماعية وبروز الأسرة كوحدة أساسية في المجتمع ، وفي مجال الصناعة تطورت صناعة الأدوات الحجرية وتنوعت ، حتى إن العلماء أطلقوا على هذا العصر اسم « العصر الحجري الحديث » تمييزاً له عن « العصر الحجري القديم » . ثم اهتدى الإنسان إلى صناعة الفخار التي كان لها دور بارز جداً في دفع عجلة التطور نحو التقدم . ثم أدت كل هذه التطورات الاقتصادية والاجتماعية إلى تطورات فنية وروحية . ويسمى بعض الباحثين عصر الزراعة والاستقرار « العصر البربري » تمييزاً له عن « عصر التوحش » .

إذن ، كانت « الثورة » الزراعية عاملاً حاسماً في تطوير حياة الإنسان ، وكانت حداً فاصلاً بين نمطين مختلفين من الحياة . على أنه لا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه « الثورة » لم تشمل العالم المأهول في ذلك الوقت بأكمله ، واقتصرت آثارها في بادئ الأمر على مناطق محدودة في الشرق الأدنى القديم ، وكانت المناطق الشرقية والشمالية

(هـ)

الشرقية من العراق من أولى المناطق التي شهدت تلك الثورة وما أدت إليه من تحول الإنسان من حياة جمع القوت إلى حياة إنتاج القوت ، أو لنقل من عصر التوحش إلى عصر البربرية ، وما نتج عن ذلك من استقرار وظهور المجتمعات القروية الزراعية .

وعلى الرغم مما كان للزراعة من أثر عميق في تطور مظاهر الحياة ، فإن الإنسان لم يصل إلى ما يسمى بمرحلة المدنية ، ولم تتم مؤسساته الاجتماعية كما لم تظهر مؤسساته السياسية ، ولم ينطلق الفكر في آفاق المعرفة الخلاقة إلا بعد أن حدثت (ثورة) أخرى قد تكون نتيجة من نتائج (الثورة) الزراعية الأولى ، إلا أنها كانت على أية حال ضرورية جداً لدفع عجلة التطور . يقول الأستاذ جاكسون ، وهو من العلماء البارزين في حقل الدراسات القديمة : « لقد مرت آلاف السنين على دخول الإنسان وادي الرافدين لأول مرة ، وتوالت عليه الثقافات التي كانت متشابهة من حيث الأساس ، ليست فيها واحدة تبين أية ثقافة في أي مكان آخر من العالم عندئذ . وكانت الزراعة في أثناء تلك الآلاف من السنين هي عماد الحياة ، وكانت الأدوات تصنع من الحجر ونادراً من النحاس . ويبدو أن القرى المؤلفة من عائلات كبيرة كانت هي النمط في الإستيطان . والتباين البارز الوحيد الذي نشاهده بين ثقافة وأخرى في هذه الفترة (التي استمرت أكثر من خمسة آلاف سنة) هو في كيفية صنع الفخار وزخرفته بالنقوش وهو ليس بالتباين الشديد الأهمية » . ولكن ما كاد الإنسان يخترع الكتابة ويستخدمها في تدوين أفكاره وإحساساته وأساطيره وأخباره وخبراته حتى تغيرت الصورة . فكأنما حضارة وادي الوافدين قد تبلورت بين عشية وضحاها . وإذا بالشكل الأساسي أو الهيكل الذي ستعيش البلاد في ضمنه وتحت سيطرته ، والذي سيثير فيها أعمق أسئلتها ، وقيم نفسه كما يقيم الكون لكل العصور اللاحقة ، ينبثق فجأة تام النمو في سماته الرئيسية^(١) .

(١) أنظر : ما قبل الفلسفة ، تأليف هـ. فرانكفورت ، و هـ. أ. فرانكفورت ، وجون ولسن ، وثور كايلد جاكسون . وترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، (١٩٦٠) ، ص ١٤٩ .

(و)

إذن ، كانت الكتابة (ثورة) ثانية بعد الزراعة في حياة الإنسان ، وعاملاً حاسماً
نقل الإنسان من حياة البربرية إلى حياة التمدن ، ومن حياة القرى الصغيرة والمجتمعات
الضيقة إلى حياة المدن الواسعة والمجتمعات الكبيرة ، واعتبرت الكتابة حداً فاصلاً
بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية ، وكانت القوة الدافعة العنيفة التي أطلقت
الإنسان في طريق النمو والإزدهار الذي شمل مؤسساته الاجتماعية والدينية والسياسية
وحياته الفنية والتقنية .

وإذا كانت الزراعة قد ظهرت في بقاع مختلفة من الشرق الأدنى القديم في أوقات
متقاربة حتى أصبح من العسير تحديد موطنها الأول ومعرفة روادها الأوائل الذين
كان لهم فضل البدء بها ، فإن الأمر مختلف تماماً بالنسبة إلى [الثورة] الثانية ، لأنه
ثبت بشكل لا يترك مجالاً للشك بأن الكتابة اخترعت واستخدمت لأول مرة في
تاريخ الإنسان في القسم الجنوبي من العراق [أى في بلاد سومر] ؛ وكان ذلك في
الثلث الأخير من الألف الرابع ق. م. ومن هذه البقعة انتشرت إلى بقية أنحاء الشرق
القديم ، أو كانت عاملاً في الإيحاء على الأقل إلى الشعوب الأخرى لتطوير كتابات
خاصة بها . هذا هو رأى جبهة العلماء والباحثين بالنسبة لموطن الكتابة الأولى . ولما
كانت أقدم الألواح الطينية [الكتب القديمة] مدونة باللغة السومرية ، فقد أجمع العلماء
أيضاً على أن الشعب السومري ، صاحب هذه اللغة ، كان مخترع أول نظام للكتابة
معروف حتى الآن .

إن هذه المقدمة الموجزة تقودنا إلى أهمية كتاب « السومريون » الذي بين أيدينا ،
لأنه كتاب كرّس لدراسة تاريخ الشعب السومري الحضارى والسياسى ، ذلك
الشعب العبرى الذى كان له الفضل الأول في نقل الإنسان من عصور البربرية إلى
عصور التمدن ، بكل ما توحي به عبارة « تمدن » من معان إنسانية سامية . ولم تكن
الكتابة إنجاز هذا الشعب الوحيد ، وإن كانت هى أهم إنجازاته ، كما لم تكن دليلاً
الوحيد على عبقرية السومريين . لقد وضع هذا الشعب أسس كل مظهر من مظاهر الحياة

(ز)

المتطورة . فهو الذى شرع أولى القوانين حماية لحقوق الفرد ومنعاً للتجاوز عليها ؛ وهو الذى أسس أول مدرسة لأنه أدرك أهمية التربية والتعليم . وكان أول من اهتم بالطب وأول من وضع دستوراً للأدوية خالياً من الشعوذة وأعمال السحر . وكان أول من فكر بالكون فى محاولة للكشف عن خفايا الطبيعة وأسرارها ، وكان أول شعب مارس الديمقراطية المستندة إلى مجلسين : مجلس من العامة وآخر للشيوخ ؛ وهى ، وإن كانت ديمقراطية « بدائية » ، إلا أنها لا تخلو من دلالات هامة بالنسبة للعلاقة بين الحاكم والمحكوم قبل أكثر من خمسة آلاف عام . ونكتفى بهذا القدر من الإنجازات الرائعة ، ونقتصر لمن أراد المزيد من ذلك الرجوع إلى كتاب « من ألواح سومر » للعلامة كريم وترجمة الأستاذ طه باقر .

← وما يكشف عن مدى عبقرية الشعب السومرى وحدة ذكائه أن البيئة التى اتخذ منها موطناً له وأتم على تربتها كل هذه الإنجازات الرائعة وجعل منها مهداً لأولى المدنيات الراقية ، كانت ، خلافاً لما يراه أغلب الناس ، بيئة قاسية لا تيسر للإنسان وسائل الرقى والإزدهار دون عناء وجهد كبيرين . يقول المؤلف عن هذه البيئة : كان مناخها حاراً وجافاً للغاية ، وتربتها إذا ما أهملت قاحلة تعصف بها الرياح وغير منتجة ... خالية من المعادن والأحجار ... ولا توجد فيها أشجار يستحصل منها على الخشب الجيد النافع للبناء » ؛ لقد كانت « يد الله عليها » ، أرضاً لا أمل فيها ، حكم عليها فى الظاهر بالفقر والإفقار .

— لقد كانت عبقرية السومريين ، إذن ، ودأبهم على العمل ، وقواهم الخلاقة المبدعة ، هى العوامل الحاسمة التى جعلت من جنوب العراق مهداً لأولى المدنيات القديمة وينبوعاً من ينابيع العلم والمعرفة فى العالم القديم .

— ولعل مما يثير الدهشة والإستغراب أن شعباً بهذه القدرة على الخلق والإبداع اختفى من مسرح التاريخ فجأة حتى إنه ما كاد يطل منتصف الألف الثانى ق . م . حتى بدأت ذكرياته تمحى من ذاكرة الإنسان واختفت معالم حضارته المادية تحت أكوام من

(ح)

التراب وأسدل الستار على تاريخه . وإذا صح الرأى القائل بأن عبارة « شنعار » التي وردت في التوراة ما هي إلا تحريف للإسم « سومر » ؛ فإن هذه تكون آخر إشارة مدونة معروفة لبلاد سومر .

— ولم يكن إكتشاف السومريين أمراً مقصوداً لذاته ؛ إذ لم يخطر ببال أحد طلائع الباحثين في الحقول الآثارية واللغوية أن شعباً بهذا الإسم قد عاش في يوم من الأيام . — وإذا كان البابليون والآشوريون والمصريون والإيرانيون ، وغيرهم من شعوب العالم القديم قد ورد ذكرهم في مصدر أو آخر من المصادر الكلاسيكية أو في الكتب المقدسة ، فإن السومريين لم يذكروا على الإطلاق . ولكن ما كاد العلماء يكتشفون الكتابة السامرية ويفكون رموزها ويقرأون النصوص المدونة باللغة الأكديّة السامية حتى لاحظوا وجود نصوص غامضة اللغة ، ولاحظوا أيضاً أن بعض النصوص كانت مدونة باللغة الأكديّة السامية ، وبذلك اللغة العربية الأخرى مما دفعهم إلى الإقتناع تدريجياً بوجود لغتين استخدمتا في آن واحد : لغة سامية شبيهة باللغات السامية المعروفة في الوقت الحاضر ، ولغة أخرى لا علاقة لها باللغات السامية . ولحسن الحظ كان الكتاب البابليون القدامى يفسرون بعض الكلمات السومرية بكلمات أكديّة ، وكانت بعض النصوص السومرية تترجم إلى اللغة الأكديّة وهذا ساعد الباحثين على إكتشاف اللغة السومرية ومعرفة خصائصها وبذلك أصبح الطريق ممهداً للكشف عن أروع صفحة من صفحات التاريخ الإنساني القديم .

ولم يكن الكشف عن السومريين وتاريخهم عملاً هيناً كما قد توحى به هذه المقدمة الموجزة وإنما كان عملاً استغرق ما يقرب من نصف قرن من الجهد المضى المتواصل الذي كان في بعض الأحيان مشبهاً بالعزائم ومخيباً للأمل ، كان عملاً أسهم فيه عدد كبير من الباحثين من أقطار مختلفة من العالم . وإذا كان الفضل في حل رموز الكتابة السامرية يعود إلى الرواد الأوائل أمثال رلنسن وجروتفند وهنكس

(ط)

فإن الفضل في دراسة قواعد اللغة السومرية وترجمة النصوص المدونة بتلك اللغة والكشف عن تاريخ السومريين يعود إلى أمثال بوبل وثيرو - وإدنجي وفلكنشتاين وجاكسون وإلى مؤلف هذا الكتاب الأستاذ كريم الذي كان له فضل كبير ، ليس فقط في دراسة اللغة السومرية وتاريخ السومريين وإنما في وضع النتائج التي وصل إليها العلماء بين يدي عامة القراء ممن لا يرتبطون بهذه الدراسات بأكثر من وجود الرغبة للأطلاع على قصة هذا الشعب . إن الأستاذ كريم ينفرد بين أقرانه جميعاً بإيمانه بضرورة الخروج بالمعرفة من نطاق حلقات التخصص القلائل ونشرها بين الجماهير عامة بلغة سهلة وأسلوب مبسط واضح . يقول الأستاذ طه باقر في مقدمته لكتاب « من ألواح سومر » : « الإغراق في التخصص وترفع المترقيين في التخصص من الأمور التي عابها غير واحد على الحضارة الغربية الحاضرة ، وأخذوه على أهل الاختصاص فيها ، متهمين إياهم بأنهم يسلكون في إخفاء نتائج بحوثهم ما كان عليه القدماء من أهل المعرفة في حرصهم على معرفتهم والضم بها على الجماهير بحيث كانت الأسرار المقدسة . ولكن مؤلفنا من المختصين القلائل الذين جادوا عن هذا الاتجاه . فإنه إلى جانب بحوثه المركزة والعالية في مستوى إختصاصها ، نشر على الملأ كتباً مبسطة عرف بها أخطار وأهم موضوع في تاريخ سير الحضارة البشرية وتطور الإنسان العقلي^(١) » .

والأستاذ كريم ليس جديداً على القارئ العربي المتابع للدراسات القديمة ، فقد ترجم من مؤلفاته إلى اللغة العربية حتى الآن كتابان : « من ألواح سومر » الذي قام بترجمته الأستاذ طه باقر و « الأساطير السومرية » الذي قام بترجمة الأستاذ يوسف داود عبد القادر (بندا - ١٩٧١) . ويسعدني أن أضع كتابه الثالث بين يدي القراء العرب الذي تهيأ لي فرصة القيام بترجمته أثناء عملي أستاذاً في جامعة الكويت ، وأود أن أشير هنا إلى أنني قد حاولت جهدي ، وأنا أترجم هذا الكتاب ، الذي يعتبر أفضل ما كتب عن السومريين وحضارتهم حتى الآن ، أن أتخذ موقفاً وسطاً بين الحرفية وبين الأخذ بالمعنى دون الالتزام الحرفي . ذلك لأنني كنت معنياً بنقل

(ى)

ما قصد إليه المؤلف بدقة ودون تشويه مع بذل ما فى الوسع من عدم الإبتعاد عن روح اللغة العربية او الإضرار بالاسلوب العربى . وأملى أن يجد القارئ الكريم فى هذا الكتاب ، الذى يلقى الضوء على أروع قصة من قصص تطور الإنسان ومسيرته الطويلة فى طريق التقدم والإزدهار والإرتقاء ، من الفائدة والمتعة الفكرية ما يبرر الجهد الذى بذل فى ترجمته . والله ولى التوفيق .

فصل الرائى

أستاذ تاريخ الشرق الأدنى القديم

فى جامعة الكويت

(مدير الآثار فى العراق — سابقاً)

الكويت فى ١ / ١١ / ١٩٧٣

توطئة المؤلف

لقد شهد عام ١٩٥٦ نشر كتابي « من ألواح سومر » الذي تقح وأعيد طبعه وترجم إلى لغات عديدة تحت عنوان « التاريخ يبدأ في سومر »^(١) . ويتألف الكتاب من عشرين مقالة يجمع بينها موضوع واحد ، وهو : إنها جميعاً تتحدث عن « أوائل » ما هو مدون في تاريخ الإنسان وحضارته . إلا أن ذلك الكتاب لم يعالج تاريخ السومريين ولم يبحث في طبيعة مؤسساتهم الاجتماعية والاقتصادية ، كما لم يعط القارئ أية فكرة عن الطريقة والأسلوب اللذين تم بهما الكشف عن لغتهم و « بعثها » مرة أخرى إلى الحياة ، ففكرت في هذا الكتاب والفن بصورة خاصة للء تلك الفراغات .

إن الفصل الأول من الكتاب ذو طبيعة تقديمية ، فهو يقدم بإيجاز صورة للجهود التي قادت إلى فك رموز الخط المسماري ، مع إشارة خاصة إلى السومريين ولغتهم ، وقدمت هذه الصورة بأسلوب يمكن القارئ المثقف المهتم بهذه الدراسات على ما نأمل ، من متابعة القراءة بتفهم وتبصرة .

ويتناول الفصل الثاني تاريخ بلاد سومر من عصور ما قبل التاريخ في الألف الخامس ق . م . إلى أوائل الألف الثاني ق . م . عندما أختفى السومريون كذاتية سياسية . وبقدر ما أعلم ، يقدم هذا الفصل أكمل معالجة مفصلة ظهرت حتي الآن لموضوع التاريخ السياسي السومري . وبسبب طبيعة المصادر غير الكاملة وغير الواضحة وبعدها أحياناً عن الدقة مما يدفعنا إلى عدم الثقة بما ورد فيها ، فإن عدداً

(١) لقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ طه باقر تحت عنوان « من ألواح سومر » في سنة ١٩٥٧ . ولا يسع المنزج إلا أن ينوه بالفائدة الكبيرة التي أفادها من هذا الكتاب وخاصة في مقارنة ترجمات النصوص القديمة التي ظهرت في الكتابين ، ومن ملاحظات الأستاذ طه باقر القيمة .
(المترجم)

(ل)

غير قليل من الأقوال التي وردت في هذا الفصل استندت إلى الافتراض والحدس ، وربما سيثبت في يوم ما على أنها غير صحيحة في جزء منها أو حتى كلها .

ولتمكين القارئ من تكوين أحكامه الخاصة وقراراته في أكثر الحالات غموضاً وإثارة للشك ، فإن أنواعاً مختلفة من المادة الأساسية الأولية المتيسرة للباحث قد لخصت وقيمت في بداية الفصل ، وأشير إلى نواقصها وما فيها من مشاكل ومزالق .

أما الفصل الثالث فإنه يعالج المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والتقنية لحياة المدينة السومرية . وهذا الفصل على ما هو عليه من الاختصار بسبب ندرة المصادر المتصلة بهذه المواضيع وغموضها ، فإنه ما كان بالإمكان أن يكتب على الإطلاق لولا إسهام « ديا كنفوف » و « فلكنشتاين » و « سيفيل » العلماء الثلاثة الذين عملوا كثيراً في سبيل توضيح مظهر أو آخر من مظاهر هذا الحقل من حقول البحث .

ويعالج الفصلان الرابع والخامس الديانة والأدب عند السومريين ، وهما حقلاً الحضارة السومرية اللذان كرستهما كل حياتي العلمية . وعلى حين أنها يحتويان على كثير مما يوجد في مؤلفاتي القديمة ، فإن هذين الفصلين يقدمان استعراضاً أكمل وأكثر شمولاً للمادة المتيسرة مما كان بالإمكان فعله حتى الآن ، هذا من دون أن نذكر الإضافات والتصحيحات العديدة التي قدمت ترجمات النصوص التي استشهد بها .

وأما الفصلان السادس والسابع المتعلقان بالتربية السومرية وخصائص السومريين ، فهما أحب فصول الكتاب إليّ ، إذا كان من الممكن السماح لأي مؤلف أن يفضل مواضيع على أخرى . فهنا يوجد مظهران من مظاهر الحضارة السومرية لم يعرف عنهما شيء تقريباً إلى عهد قريب جداً . بيد أنه أصبح من الممكن الآن ، كما يظهر الفصلان أن يوضحا ويبحث فيهما بتفصيل كبير . ففي الفصل الخاص بالتربية ، مثلاً ، سيجد القارئ أربع مقالات سومرية تتصل بجوانب من الحياة المدرسية كانت جميعها تقريباً غير معروفة قبل حوالى خمسة عشر عاماً . وفي الفصل السابع

محاولة لاتباع أسلوب جديد نسبيا في الدراسات الشرقية ، إذ فيه محاولة لتشخيص وتحليل وتقييم الدوافع والحوافز الداخلية التي ساعدت على خلق المدينة السومرية وتدميرها فيما بعد .

ويلخص الفصل الثامن ما يمكن تسميته بـ « تراث » سومر إلى العالم وحضارته . لقد بدأ الفصل باستعراض الأخذ والعطاء بين السومريين وشعوب الشرق الأدنى القديم الأخرى ، ثم يقدم ملخصاً لبعض من أكثر المظاهر الحديثة وضوحاً التي قد تعود إلى جذور سومرية . وينتهي الفصل بتلخيص عدد من أفكار السومريين الدينية والخلقية والأدبية التي لها فيما يبدو نظائر في التوراة — الكتاب الذي لعب دوراً كبيراً جداً في الحضارة الغربية — وهذه النظائر تشير إلى وجود صلة أقوى مما كان يظن سابقاً بين العبرانيين القدامى والسومريين .

وأخيراً توجد الملاحق التي أعدت بصورة خاصة لأولئك القراء الذين يفضلون الرجوع إلى المصادر الأصلية كلما كان ذلك ممكناً . وهي تضم ترجمات لعدد من أهم الوثائق التي أستفيد منها في الفصل الخاص بالتاريخ ، بالإضافة إلى مواضيع عديدة متفرقة تعتبر ذات أهمية خاصة بالنسبة لكتاب خاص ببلاد سومر وبالشعب السومري .

وأهدى هذا الكتاب إلى جامعة « بنسلفانيا » وإلى متحف الجامعة . وقد يبدو هذا في الواقع أمراً غير مألوف ، ولكن الحقيقة هي أنه لولا هاتان المؤسستان ما كان بالإمكان كتابة هذا الكتاب مطلقاً . فإدارة الجامعة وهيئة التدريس فيها لم تشجعا أبحاثي تشجيعاً كاملاً فحسب ، على الرغم من أبتعادها عن مواضيع عالمنا الحديث المألوفة واقتصار فهمها على فئة محدودة من المختصين ، بل أمدني متحف الجامعة ومجموعته البابلية بمادة أساسية أصلية غزيرة أستندت إليها في كتابة هذا الكتاب . إن أهداء هذا الكتاب إلى هاتين المؤسستين ماهو إلا تعبير عن أمتناني القلبى العميق إلى جميع الأشخاص المتصلين بهما الذين ساعدوني بطريقة أو أخرى وأتفعت منهم في أبحاثي عن السومريين خلال العديد من السنين .

وأود أيضاً أن أعبر عن شكري إلى دائرة الآثار في الجمهورية التركية وإلى مدير

(ن)

متحف الآثار في أسطنبول لتمكينى من الإلتحاق من الألواح الأدبية السومرية في متحف الشرق القديم في أسطنبول . وإننى ممن بصورة خاصة إلى أمنيى مجموعة الألواح في هذا المتحف ، معزز جيك وهاتيس كيزيلمايا لتعاونهما الذى كان بلا حدود وعن طيبة خاطر ، ذلك التعاون الذى كان مثمراً جداً في البحث السومرى . كما إننى مدين جداً إلى مديرية الآثار في الجمهورية العراقية لتعاونها الكريم في مناسبات عديدة . وإننى ممن بصورة خاصة لجامعة فردريش شيلر في « بينا » في ألمانيا الشرقية، التي مكنتنى من دراسة الألواح الأدبية السومرية الموجودة في مجموعة هلمبرشت بالتعاون مع أمنيى المساعد اينزير نهارت . وأود أن أقدم شكرى إلى سيريل جى . جاد . الذى كان من العاملين في متحف لندن سابقاً ، وأستاذ شرف في معهد الدراسات الشرقية (قبل وفاته) لتكرمه بوضعه تحت تصرفى نسخة من الوثائق الأدبية السومرية التي أكتشفت في مدينة « أور » ، تلك النسخ التي كرس لها الكثير من وقته وجهده . وأخيراً لا بد من تقديم شكرى إلى أكاديمية العلوم في روسيا و متحف بوشكين (في موسكو) لتمكينى من دراسة ونشر لوح دونت عليه مرثنتان من المراثى السومرية .

وأقدم إلى المجلس الأمريكى للجمعيات العلمية عميق شكرى لمنحه أياى أول منحة دراسية مكنتنى من الرحيل إلى العراق في سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ ، وإلى مؤسسة جون سيمون جوجنهام التذكارية وإلى الجمعية الفلسفية الأمريكية . وهنا لا بد من التأكيد ، كما فعلت في كتاباتى الأخرى ، على مدى ما أنا مدين به لها ، فقد كان « أصدقاء عند الحاجة » خلال فترة حرجة من فترات حياتى العلمية . وهذه فرصة مناسبة لذكر ما أدين به لويليم فوكسويل أولبرايت الذى كان شديد التمسك لأبحاثى - وهى ما زالت في مراحلها الأولى - في اجتماعات الجمعية الفلسفية الأمريكية ، رغم إننى لم ألق به أبداً . وكانت مؤسسة بولنجر في السنوات الأخيرة كريمة جداً بعدد من المنح التي مكنتنى من الحصول على حد أدنى من المساعدة العلمية والإستعانة ببعض الكتبة . وكانت مؤسسة بارث ذات فائدة أيضاً في هذا المجال إلى جانب منحة مكنتنى من العمل بعض الوقت في مجموعة هلمبرشت التابعة للجامعة .

التعريف بالمؤلف

* ولد الأستاذ كريم في روسيا سنة ١٨٩٧ وهاجر إلى الولايات المتحدة وعمره ١٩ عاماً ، واتجه لدراسة اللغة السومرية في جامعة بنسلفانيا . وفي سنة ١٩٣٠ أسهم في أعمال التنقيب في العراق مع البعثة التي أوفدها الجامعة المذكورة . وبعد أن عمل مدة قصيرة في معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو ، عاد إلى جامعة بنسلفانيا ليكون أميناً لقسم الألواح السومرية والبابلية إلى جانب قيامه بأعمال التدريس . يعتبر الأستاذ كريم من مشاهير العلماء في الدراسات السومرية ، كما يمتاز بخصب الإنتاج والدقة في البحث . وصدرت له مؤلفات عديدة ومقالات لا حصر لها تناولت تاريخ الفكر الإنساني القديم ، وكان السومريون في كل ذلك محور أبحاثه . أحيل على التقاعد بعد أن بلغ الثالثة والستين ولكنه مازال يواصل دراساتة العلمية في موضوع السومريين الذي عشقه وكرس له جل حياته .

* عرفه القراء العرب من طريق « من ألواح سومر » — ترجمة طه باقر —
١٩٥٧ - بغداد .

* وكتاب « الأساطير السومرية » — ترجمة يوسف داود عبد القادر —
١٩٧١ - بغداد .

الفصل الأول

علم الآثار وفك رموز الكتابة

1. The first part of the paper discusses the importance of the study of the history of the world, and the second part discusses the importance of the study of the history of the world.

سومر ، البلاد التي أصبحت تعرف في العصور الكلاسيكية ببلاد بابل ، تتكون من النصف الأسفل من بلاد ما بين النهرين ، الذي يطابق العراق الحديث من بغداد إلى الخليج العربي تقريباً . وتبلغ مساحة بلاد سومر حوالي عشرة آلاف ميل مربع ، أي أكبر بقليل من ولاية مسجوست الأمريكية . أما مناخها فحار وجاف للغاية وترتفع ، إذا ما أهملت ، قاحلة تعصف بها الرياح ، وغير منتجة . وأرضها مستوية ، وهي من صنع الأنهار ، ولذلك لا يوجد فيها أي نوع من أنواع المعادن ، وتفتقر إلى الحجر اقتصاداً تاماً وباستثناء كميات القصب الهائلة التي تنبت في مناطق الأهوار ، لا توجد فيها أشجار منتجة للخشب الصالح لأغراض البناء . هنا إذن منطقة كانت « يد الله عليها » ، أرض لا أمل فيها ، حكم عليها في الظاهر بالفقر والأفقر . ولكن الناس الذين استوطنوها ، وهم السومريون ، كما أصبحوا يعرفون خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، وهبوا فكرياً خلافاً إلى درجة غير اعتيادية ، وروحا مغامرة ذات عزيمته ثابتة وعلى الرغم من العقبات الطبيعية ، حولوا بلاد سومر إلى جنة عدن حقيقية وطوروا على ما يرجح أول مدنية راقية في تاريخ الإنسان .

لقد كانت لسكان بلاد سومر نزعة فذة نحو الاختراع التقني ، حتى إن أقدم المستوطنين توصلوا إلى فكرة الإرواء الاصطناعي الذي مكّنهم من جمع وتوجيه مياه نهري دجلة والفرات المليئة بالطمى واستعمالها لسقي وإخصاب حقولهم وبساتينهم . وللتعويض عن النقص في المعادن والأحجار تعلموا إحراق طين النهر ، الذي كانت كمياته لا تنضب في الواقع ، وتحويله إلى مناجل وقذور وأوان وجرار . واستعاضوا عن الخشب الصالح للبناء الذي يندري وجوده بالقصب الذي تنبت به الأهوار ، إذ كانوا بعد قطعه وتجفيفه يربطونه في حزم ويحكيكون منه خصرات ، ويقيّمون من تلك الخصر وحزم القصب أكواخ السكن وزرائب الأبقار بعد طليها بطبقة من الطين . ثم اخترع

السومريون بعد ذلك قالب الآجر^(١) لخدمة طين النهر الوفير وشبهه (ليتحول إلى آجر صلب) ، وبهذا لم تعد لديهم مشكلة بالنسبة للمواد البنائية . وابتدع السومريون آلات ومهارات وأساليب مفيدة ، كدولاب الفخار وعجلة العربة والمحراث والسفينة الشراعية والقوس والعقد والقبة ، وصب النحاس والبرونز والبرشمة والطلاء بالنحاس والاحام ونحت الحجر والنقش بالحفر والترصيع ، وأوجدوا نظاماً للكتابة على ألواح الطين ، ذلك النظام الذى استعير واستخدم فى جميع أنحاء الشرق الأدنى مدة ألفى عام تقريباً . وتأتى معلوماتنا عن تاريخ غرب آسيا القديم جميعها تقريباً من آلاف الوثائق الطينية المدونة بالخط المسارى الذى طوره السومريون وعثر عليه المنقبون فى غضون المائة والخمسة والعشرين سنة الماضية .

ولم تكن روعة السومريين مقتصرة على تقدمهم المادى ودهائهم التقنى فحسب ، وإنما تتجلى أيضا فى أفكارهم ومثلهم وقيمهم . فقد كانوا واضحين النظر متزنى العقل ، وكانوا ينظرون إلى الحياة نظرة واقعية ، ونادراً ما كانوا يخلطون بين الحقيقة والخيال ، وبين الرغبة وما يمكن إنجازه ، وبين اللغز والغموض . وطور حكماء السومريين خلال تتابع القرون ديناً وعقيدة «أعطيا» إلى حد ما « للآلهة ما كان للآلهة » ، وأدركوا ، كما بينا من قبل ، حدود البشر الفانى كأمر لا بد منه ، خاصة عجزه أمام الموت والغضب الإلهى . ومن الناحية المادية كانوا يضعون قيمة كبيرة على الثروة والممتلكات والغلات الزراعية الوفيرة وعناصر الحبوب المليئة ، وعلى الحظائر والمرايط المليئة بالماشية وعلى الصيد الناجح فى البر والصيد الموفق فى البحر . وكانوا من الناحية الروحية والنفسية يركنون بشدة على الطموح والنجاح ، والشهرة ، والمكانة العالية ، والشرف والتقدير . وكان السومرى يحس إحساساً عميقاً بحقوقه الشخصية ويكره أى تجاوز عليها سواء أكان المتجاوز ملكاً أو رئيساً ، أو مواطناً من نفس منزلته . فلا عجب

(١) لقد كشفت التنقيبات فى تل الصوان القريب من مدينة سامراء عن جدران مبنية بالإجر الطينى (الابن) المهندم مما يشير إلى استعمال قالب الإجر فى عهد سامراء وهو عهد أقدم من العمود السومرية .

إذن ، أن يكون السومريون أول من سنّ القوانين والشرائع ليعرف كل فرد حقوقه وواجباته بوضوح لتجنب عدم الفهم وسوء التفسير والتصرف الاعتباري . وفي الوقت الذي وضع فيه السومريون قيمة عالية للفرد وإنجازاته ، كان هناك عامل بارز يعزز روح التعاون بين الأفراد وبين المجتمعات على السواء ، وهو اعتماد بلاد سومر السكّاني على الري من أجل تحقيق الرخاء فيها — بل في الواقع من أجل وجودها ذاته . إن الري عملية معقدة تتطلب جهداً وتنظيماً ، فالقنوات يجب أن تحفر ويحافظ عليها بالرعاية المستمرة ، والمياه يجب أن توزع بالتساوي بين كل من يعينهم الأمر . ولتحقيق هذا كان لابد من وجود سلطة أقوى من المالك الفرد أو حتى أقوى من المجتمع الواحد . وكان هذا سبباً قوياً في نمو المؤسسات الحكومية وقيام الدولة السومرية . ولما كانت بلاد سومر تفتتح ، إذا ما سقيت تربتها الخصبة ، كميات فائضة من الحبوب ، ولكنها تفتقر في الواقع إلى المعادن ولا تمتلك الا قليلاً من الحجر والخشب ، فقد كانت الدولة مضطرة للحصول على المواد الضرورية لنمو اقتصادها إما عن طريق الإتجار أو بالقوة العسكرية . وعلى هذا فإن هناك سبباً وجيهاً للاعتقاد بأنه حوالى الألف الثالث ق . م . تغلغلت الحضارة والمدنية السومريتان ، إلى حد ما على الأقل ، إلى مناطق تمتد من ناحية الشرق إلى البحر المتوسط ، ومن ناحية الجنوب إلى الحبشة ومن ناحية الشمال إلى بحر قزوين .

حقاً إن ذلك كله حصل قبل خمسة آلاف سنة ، ولعله يبدو ضعيف الصلة بدراسة الإنسان الحديث وبالحضارة الحديثة . ولكن الحقيقة هي أن بلاد سومر شهدت بداية أكثر من مظهر واحد مهم من مظاهر مدنية العصر الحاضر . إن الرجل الحديث ، سواء أكان فيلسوفاً أم معلماً ، مؤرخاً أم شاعراً ، محامياً أم مصلحاً ، رجل دولة أم سياسياً مهندساً أم نحّاتاً ، سيجد على الأغلب نموذجاً سابقاً منه ونظيراً له في بلاد سومر القديمة . ونعترف بأنه لم يعد بالإمكان الوصول إلى الأصل السومري لكل ما هو حديث لأن طرق الانتشار الحضاري متعددة الجوانب وصعبة ومعقدة ، ولستها السحرية رقيقة وسريعة الزوال . مع ذلك فهي مازالت واضحة في قانون من قوانين

موسى ، أو فى حكمة من حكم سليمان ، أو فى بكاء أيوب ، أو فى مرثية من مرثى القدس ، أو فى القصة الحزينة للرجل — الإله وهو على فراش الموت ، أو فى نظريات « هيسود » فى نشأة الكون^(١) ، أو فى أسطورة هندوسية ، أو فى خرافة من خرافات ايسوب^(٢) ، أو فى نظرية من نظريات « أفليدس » ، أو فى علامة من علامات أبراج السماء ، أو فى معيار « المنا »^(٣) ، أو فى درجة الزاوية ، أو فى كتابة عدد من الأعداد . إن تاريخ هذه المدنية التى خلقت فى بلاد سومر القديمة وتركبها الاجتماعى ، وأفكارها الدينية وعاداتها التقليدية ، وإنتاجها الأدبى ، وبواعث قيمها وعاداتها هى التى ستوصف باختصار فى الصفحات التالية ، على أننا سنبدأ باستعراض مختصر يتناول « البعث » الآمارى للسومريين وفك رموز كتاباتهم وقراءة لغتهم .

إن مما يشبر الدهشة بصورة خاصة هو أنه قبل أقل من قرن واحد لم تكن الحضارة السومرية مجهولة فحسب ، بل إن وجود شعب سومرى ولغة سومرية بالذات لم يكن يحظر ببال أحد . إن الباحثين والمتقنين الذين بدأوا التنقيب قبل مائة سنة تقريباً فى بلاد ما بين النهرين لم يبحثوا عن السومريين وإنما كانوا يبحثون عن الآشوريين ، لأن هؤلاء هم الشعب الذى كان يعرف عنه الباحثون معلومات جديرة بالاعتبار ، وإن كانت بعيدة عن الدقة ، أستمدت جميعها من المصادر الإغريقية والعبرانية . أما بالنسبة للسومريين فلم يكن هناك أثر من البلاد أو شعبها ولغتها يمكن تمييزه فى الآداب التوراتية والكلاسيكية وما بعد الكلاسيكية المتيسرة كلها (أو على الأقل كان يعتقد هكذا . انظر الفصل الثامن عن احتمال ذكر بلاد سومر فى التوراة فى صيغة

(١) كان « هيسود » شاعراً من أقدم الشعراء الإغريق المعروفين ، وغالباً ما يقارنه الباحثون مع « هومروس » . وربما عاش « هيسود » حوالى سنة ٧٥٠ ق . م . وله آراء فى نشأة الكون ظهرت فى كتابه « ثيوغونيا » ، الذى يعنى الإلهيات أو تاريخ الآلهة وأصلها ويسمى أن عدداً من آرائه ترجع إلى أصول سومرية وأكادية . (المترجم)

(٢) اشتهر « ايسوب » (Aesop) كراوية للفصص الجرافية التى يتصدى لها توضيح أمور من الأمور الأخلاقية . عاش عبداً فى جزيرة « ساموس » فى بداية القرن السادس ق . م . (المترجم)

(٣) « المنا » وزن قديم يعادل زهاء نصف كيلو غرام . (المترجم)

تختلف اختلافاً بسيطاً) . إن اسم « سومر » نفسه قد يحى من فكر الإنسان وذاكرته مدة تزيد على ألفي عام . ولم يكن اكتشاف السومريين ولغتهم أمراً قصداً لذاته على الإطلاق ، وإنما حصل بصورة غير متوقعة ، وقد أدت تلك المعلومات التي لم تكن متصلة بالهدف المقصود من البحث إلى الاختلافات التي كانت مسؤولة إلى حد كبير عن البطء الواضح والتقدم المضطرب في الأبحاث السومرية .

← إن معرفة اللغة السومرية حدثت في الواقع من خلال قراءة اللغة الأكديّة السامية ، التي كانت تعرف في الأيام الأولى بالآشورية أو البابلية والتي كانت كاللغة السومرية ، قد دونت بالخط المسماري . أما بالنسبة للغة الأكديّة فقد عثر على مفتاح قرائتها في اللغة الفارسية القديمة ، وهي لغة هندية - أوروبية تكلم بها الفرس والميديون الذين حكموا إيران خلال القسم الأعظم من الألف الأول ق . م . ، ذلك لأن بعض ملوك السلالة الفارسية الأخمينية ، التي يرجع اسمها إلى « أخمينس » مؤسس السلالة الذي عاش حوالي سنة ٧٠٠ ق . م ، وجدوا من السياسة الحكيمّة أن تدون نصوصهم المسمارية بثلاث لغات ، وهي : الفارسية ، وهي لغتهم الخاصة ، والعليلية ، وهي لغة تنصف بخاصية الالتصاق^(١) ، كان يتكلم بها سكان إيران الذين قهرهم وأخضعهم الفرس ، والأكديّة وهي اللغة السامية التي تكلم بها البابليون والآشوريون . إن هذه المجموعة من النصوص المسمارية ذات اللغات الثلاث ، التي كانت تقابل حجر رشيد المصري تقريباً ، لم تأت من العراق وإنما جاءت من إيران على الرغم من أن العراق كان موطن الكتابة المسمارية . وهذا الأمر يقودنا إلى قصة التحريات والتنقيبات التي قادت إلى فك رموز الكتابة المسمارية واكتشاف مدنيّات بلاد ما بين النهرين . إننا سنقدم هذا الموضوع باختصار لأنه تردد كثيراً وبالتفصيل

(١) تتميز بعض اللغات بخاصة تعرف بالالتصاق (Agglutination) ، وهي عبارة عن القدرة على تكوين ألفاظ ذات معان جديدة بلمصق كلمتين أو أكثر مع بعضها البعض : مثلاً تصاغ كلمة (لوجال) السومرية التي تعني (ملك) من كلمة (لو) (أي رجل) وكلمة (جال) (أي عظيم) . ومن اللغات التي تنصف بهذه الميزة اللغة السومرية ، ومن اللغات الحديثة التركية والمجرية والفنلندية .

خلال العقود الماضية ، (انظر قائمة المصادر للوقوف على الأعمال الخاصة بهذا الموضوع) وذلك لتمكين القارئ من إلقاء نظرة عاجلة على الأقل على الصورة ككل ، وللقيام في نفس الوقت بالحناءة مليئة بالتبجيل والشكر لأولئك الرواد والمثقفين الذين توفوا قبل زمن طويل ، والعلماء الباحثين الذين بدون علم أو تعمد ساعدوا كل بطريقته الخاصة ، على جعل تأليف كتاب عن السومريين أمراً ممكناً .

— إن بحث الشعوب الآشورية والبابلية والسومرية ، التي دفنت زمننا طويلاً تحت تلال مدنهم المفقرة إنجاز بليغ وعظيم من إنجازات القرن التاسع عشر في البحوث والعلوم الإنسانية . لقد كانت هناك بلا شك تقارير متفرقة عن خرائب بلاد ما بين النهرين القديمة في العصور الماضية ، ففي وقت مبكر من القرن الثاني عشر في الواقع زار حاخام من « تيودلا » من مملكة « تقارا » اسمه « بنيامين بن يونس » يهود مدينة الموصل واستطاع أن يعرف تعريفاً صحيحاً للخرائب الواقعة بالقرب من تلك المدينة وبين بأنها تمثل خرائب مدينة « نينوى » على الرغم من أن تقريره لم ينشر حتى القرن السادس عشر . ومن الجهة الأخرى لم تعرف مدينة بابل إلا في سنة ١٦٩٦ عندما زار « بتروديلافالي » (Pitro Della Valle) ، من مدينة روما ، التلال الواقعة بجوار مدينة الحلة الحديثة . إن هذا الرجل الحاد النظر لم يقدم وصفاً جديراً بالإعتبار لخرائب بابل فحسب ، بل حمل معه أيضاً إلى أوروبا آجرات عليها نقوش كتابية كان قد عثر عليها هناك وعلى التل الذي يعرف من قبل السكان في الوقت الحاضر باسم تل المغير ، أي « تل المغير » الذي يغطي مدينة « أور » القديمة ، وعلى ذلك كانت هذه الكتابة أول مثل من الكتابات السامرية وصل إلى أوروبا .

ورحل إلى بلاد ما بين النهرين خلال بقية القرن السابع عشر وأغلب القرن الثامن عشر عدد كبير من الرحالة ، كان لكل منهم رأيه المختلف حول تعريف المواقع والآثار والخرائب المختلفة ، ولكنهم كانوا جميعاً يحاولون تفسير ما يرونه في إطار المعلومات المستمدة من المصادر التوراتية . وتمت فيما بين سنة ١٧٦١ رحلة من أثنى تلك الرحلات وهي رحلة « كارستن نيبهور » (Carsten Niebuhr) عالم الرياضيات

الدنماركي الذي كان أول من قدم لمعاصريه فسكرة ثابتة عن خرائب مدينة « فنبوى » بمساعدة المخططات والرسوم الهندسية إلى جانب ما قام به في مدينة « پرسپوليس » من استئناس للنصوص قاد أخيراً إلى فك رموز الكتابة السامرية . وبعد بضعة سنوات باع عالم النبات الفرنسي « أى . ميشو (A. Michaux) إلى دار الوثائق الوطنية في باريس حجراً من أحجار الحدود^(١) وجد بالقرب من مدينة « طيفسون » الواقعة على مسافة ثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب من بغداد ، وثبت فيما بعد على أنه يحمل أول نص حقيقى ثمين وصل إلى أوروبا . وظهرت بعض الترجمات المضحكة لهذا النص البسيط الذى يحتوى فى الواقع على اللغة المألوفة على من يتلاعب بعلامه الحدود هذه ، وجاءت إحدى هذه الترجمات ، على سبيل المثال ، وبالشكل التالى :

« إن جيش السماء سيروينا بالخل وذلك ليجود علينا بالأدوية لتحقيق علاجنا » .

وكان حوالى ذلك الوقت نفسه « آبى بوشام (Abbé Beauchamp) النائب الأسقفى فى بغداد ومراسل أكاديمية العلوم ، يبدى ملاحظات تتسم بالحذر والدقة عما كان يراه حوله ، وعلى الأخص خرائب مدينة بابل ، وقام فى الواقع بأول تنقيبات أثرية معروفة فى بلاد ما بين النهرين ، مستخدماً فى ذلك بضعة عمال محليين تحت إشراف رئيس بنائين ، وذلك عند منحوتة تعرف بصورة عامة فى الوقت الحاضر باسم « أسد بابل » الذى ما زال بالإمكان مشاهدته من قبل السائح الحديث . وكان أول من وصف أجزاء من بوابة « عشتار » ، التى يمكن مشاهدة نموذج جميل منها فى الوقت الحاضر فى قسم الشرق الأدنى من متحف برلين (الشرقية) . وما ذكره أيضاً أنه حصل على أسطوانة صلبة عليها كتابات دقيقة أحس بأنها كانت شبيهة بالكتابات التى جاءت من مدينة « پرسپوليس » ، وترجمت مذكرات رحلاته التى نشرت فى سنة ١٧٩٠ فى الحال تقريباً إلى اللغتين الإنكليزية والألمانية وأثارت ضجة كبيرة فى عالم البحث .

(١) عبارة عن أحجار هرمية الشكل توضع على حدود المقاطعات الزراعية ويدون عليها اسم المالك وحدود المقاطعة واسم مالكها . انتشر استعمال أحجار الحدود فى العراق وخاصة فى العهد السكاشى وكان اسمها القديم « كودورو » (المترجم)

إن إحدى نتائج الشرارة التي أوقدها « آبي بوشام » كانت قيام شركة الهند الشرقية في لندن بتحويل وكلائها في بغداد بإجراء بعض التنقيبات والاستطلاعات الآثارية. ففي سنة ١٨١١ نجد « كلاوديوس جيمس ريج » (Claudius James Rich) الممثل المقيم لشركة الهند الشرقية في بغداد ، يقوم بفحص خرائب بابل ورسم الخرائط لها ، بل حتى بالتنقيب مدة قصيرة في بعض أجزائها . وتحول « ريج » بعد حوالى تسع سنوات شمالاً نحو مدينة الموصل حيث قام بتنقيش تلال مدينة « نينوى » ورسم المخططات لها . كما جمع عدة ألواح طينية وأجرات وأحجار حدود وأسطوانات ذات نقوش كتابية من بينها أسطوانات الملك « نبوخذ نصر »^(١) والملك « سنحاريب »^(٢) الشهيرة التي استنسخها بعناية سكرتيره « كارل بيلينو » (Karl Bellino) وأرسلت النسخ إلى المتخصص بالنقوش الكتابية « جروتفند » (Grotefend) للعمل على فك رموزها . وكوبت مجموعة « ريج » نواة مجموعة الآثار العراقية الكبيرة الموجودة في المتحف البريطاني في الوقت الحاضر .

توفي « ريج » في سنة ١٨٢١ عن عمر يبلغ أربعة وثلاثين عاماً ، ولكن مذاكراته عن خرائب بابل والمعلومات الطوبوغرافية والكتابية عاشت من بعده ، ومن الجائز القول بأنها حددت ولادة علم الآشوريات والدراسات المسارية المتصلة به . وأعقب « ريج » « روبرت كيرپورتر » (Robert Ker Porter) الذي وضع رسوماً فنية لعدد من خرائب بلاد ما بين النهرين ، كما رسم مخططاً لمنطقة الخرائب في بابل بأكملها . وفي سنة ١٨٢٨ نقب « روبرت مينان » (Robert Mignan) مدة قصيرة في نفس المكان الذي حفر فيه « ريج » سنة ١٨١١ ، واستخدم إلى حد ثلاثين عاملاً وكشف

(١) أعظم ملوك الإمبراطورية الكلدانية ، تولى الحكم سنة ٦٠٥ ق . م . واشتهر بانتصاراته العسكرية في فلسطين ونهجر اليهود إلى بلاد بابل ، واشتهر أيضاً بأعماله العمرانية وخاصة في مدينة بابل ، ومن أعماله الجنائز المعلقة التي كانت تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع وهي ضريح الملك « موصول » في « هليكرناس » وأهرامات مصر ونارة الإسكندرية وتمثال رودس الكبير والجنائز المعلقة في بابل وتمثال « زيوس » وهيكل أرتيمس في أفسس . (المترجم)

(٢) من ملوك الإمبراطورية الآشورية الحديثة تولى الحكم بعد وفاة أبيه « سرجون » سنة ٧٠٥ ق . م . (المترجم) ،

عن بقعة تبلغ مساحتها ١٤ قدماً مربعاً وعمقها ٢٠ قدماً ، وكان أول من عثر على طريق التنقيب على اسطوانة ذات نقوش كتابية . وأخيراً زار في الثلاثينات من القرن التاسع عشر الإنجليزيان — وهما « جيه . بيلي فريسر » (J. Baillie Fraser) و « وليم أف . اينسورث » (William F. Ainsworth) عدداً من المواقع الآثرية في جنوب العراق ، ولكن لم تكن ليهما أية فكرة بأن هذه المنطقة كانت جزءاً من بلاد سومر القديمة .

وَنَتَقَلَّ الآنَ إلى الحفائر الواسعة المنتظمة تقريباً في العراق التي بدأها في سنة ١٨٤٢ « بول أميل بوتا » (Paul Emil Botta) ، القنصل الفرنسي في مدينة الموصل ، واستمرت بصورة متقطعة إلى يومنا هذا . لقد كانت أقدم هذه الحفائر تجري في شمال العراق في المنطقة المعروفة بصورة عامة باسم بلاد « آشور » وكانت آلاف النصوص التي استخرجت من تحت التراب هناك مدونة باللغة الأكديّة ، ولكن هذه اللغة لم تكن معروفة في الوقت الذي استخرجت فيه تلك النصوص للمرة الأولى وكل ما كان بالإمكان قوله آنذاك هو أن الخط كان شبيهاً بخط « الصنف » الثالث من النصوص الثلاثية اللغة التي عثر عليها في إيران ، وعلى الأخص في مدينة « پرسپوليس » والمناطق المحيطة بها . وفي « پرسپوليس » كانت الخرائب قصر رائع مع عدد كبير من الأعمدة الطويلة الجميلة لا تزال قائمة في أماكنها ، كما انتشرت النصب المنحوتة المتنوعة في كل مكان . وكانت المدينة محاطة بقبور مزينة بروعة نحتت في الصخور . وكان عدد كبير من آثار « پرسپوليس » مغطى بخط لوحظ حوالي نهاية القرن الثامن عشر بأنه مشابه لخط النصوص التي وجدت على الحجر الذي عثر عليه في مدينة بابل . أضف إلى ذلك أن إحدى كتابات النصوص الثلاثية اللغة فكت رموزها حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، فأمدت هذه الكتابة الباحثين بمجموعة من أسماء الأعلام التي كان بالإمكان الاستفادة منها في فك رموز الكتابة الثالثة ، الأمر الذي جعل من الممكن قراءة ألواح الطين « الآشورية » التي استخرجت من تحت الأنقاض في العراق . وعلى ذلك يجب أن تكون لدينا فكرة عن فك رموز الصنف الأول من كتابات نصوص « پرسپوليس »

الثلاثية اللغة وعن طبيعة المعلومات التي أمدتها بها إذا ما أردنا تتبع عملية فك رموز الكتابات المدونة باللغة الأكديّة .

لقد أصبحت خرائب مدينة « پرسپولیس » معروفة لدى العالم الأوروبي في القرن السادس عشر عندما نشرت في البندقية سنة ١٥٤٣ مذكرات رحلة سفير البندقية في بلاد فارس « جيوسوفات برباروس » (Geosofat Barbaros) . وذكر في الكتابة الموجودة على النصب الآثارية لأول مرة من قبل « انطونيو دي جويكا » (Antonio de Goueca) ، أول سفير لأسبانيا والبرتغال في بلاد فارس ، في كتابه الذي نشر في لشبونة في سنة ١٧١١ ، ووصفها بأنها تختلف عن كتابات الفرس والعرب والأرمن واليهود . وكان خليفته « دون جاريشا سيلفا فيجورا » (Don Garcia Silva Figueroa) أول من عرف آثار « پرسپولیس » في كتاب نشر في مدينة « أنترب » في سنة ١٦٢٠ ، مستفيداً في ذلك من وصف « ديودوروس الصقلي »^(١) ، بأنها قصر الملك الأخميني « داريوس » . وذكر أيضاً الكتابة على الآثار قائلاً بأنها لا تشبه الكلدانية أو العبرانية أو العربية أو الإغريقية ، ووصف علامتها بأنها طويلة ومثلثة على شكل هرم ، وإن العلامات لا تختلف عن بعضها البعض في مواضعها في الكلمات المختلفة .

وأفاد « بتروديلافالي » في رسالة مؤرخة في الواحد والعشرين من شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٦٢١ بأنه قد قام بفحص خرائب مدينه « پرسپولیس » بل قام باستنساخ خمس من العلامات التي وردت في الكتابات . ولو أن الاستنساخ لم يكن صحيحاً — ورأى بأن النصوص كانت تقرأ من الشمال إلى اليمين . وفي سنة ١٦٧٣ نشر الفنان الفرنسي الشاب « أندريه دوليه ديسلاند » (Audre Daulier Deslandes)

(١) عاش « ديودوروس » أيام قيصر أوغسطين وألف كتاباً في تاريخ العالم ابتداء من عهد قيصر إلى الحروب الغالية (سنة ٥٢ ق.م .) . ويتألف الكتاب من أربعين مجلداً . وكان المجلد الأول منها عن مصر والمجلد الثاني عن بلاد ما بين النهرين والهند وسجيتيا وبلاد العرب ، والمجلد الثالث عن شمال إفريقيا . والمجلدات ٤ — ٦ عن اليونان وأوروبا . (المترجم)

أول نقش محفور من نقوش قصر « پرسپولیس » ، ولكنه لم يستنسخ إلا ثلاث علامات من النصوص ووضعها في نقشه المشار إليه بشكل يوحى بأن الكتابة لم تكن سوى زخرفة ، وهي نظرية سادت بشكل واسع خلال القرن الثامن عشر . وفي سنة ١٦٧٧ نشر السير « توماس هربرت » (Thomas Herbert) ، وهو إنكليزي كان في خدمة السفير البريطاني في بلاد فارس قبل خمسين سنة تقريباً من ذلك التاريخ ، نسخة سيئة في الواقع لما كان يبدو بأنه قطعة مؤلفة من ثلاثة أسطر ظهر فيما بعد أنها مجموعة أسطر من نصوص تختلف عن بعضها اختلافاً تاماً . إلا أن وصفه للخط لم يكن بلا فائدة تاريخية ، فقد قال : « إن العلامات ذات هيئة غريبة وغير اعتيادية ، فهي لا تشبه الحروف ولا تشبه العلامات الهيروغليفية ، نعم ، إننا حتى في هذه المرحلة من محاولة قراءة رموزها لم نستطع التوصل إلى أى حكم قاطع فيما إذا كانت كلمات أو علامات ، ولو أننى أميل على الأكثر إلى رأى الأول ، وأنها كلمات أو مقاطع مفهومة ، كما في الكتابات المختصرة أو المختزلة التي نمارسها عادة » .

وفي سنة ١٦٩٣ نشرت نسخة من نص وجد في مدينة « پرسپولیس » مكون من سطرين يثمان عشرين علامة قام باستنساخها « صمويل فلاور » (Samuel Flour) أحد وكلاء شركة الهند الشرقية : وقد اعتبر هذا نصاً أصيلاً على الرغم من أنه كان في الواقع مؤلفاً من ثلاث وعشرين علامة أُنْتُخِبَتْ من نصوص متعددة ، وهو خطأ أدى إلى إرباك غير قليل وإلى خيبة أمل بالنسبة لأولئك الذين كانوا يحاولون فك رموز الكتابة . وفي سنة ١٧٠٠ أعطى الخط لأول مرة اسماً لازماً منذ ذلك الحين ، وذلك من قبل « توماس هايد » (Thomas Hyde) الذي ألف كتاباً في تاريخ ديانة الفرس القدامى أعاد فيه كتابة نص « فلاور » ووصف العلامات بأنها « مسبارية » الشكل ، ومن المحزن جداً أنه لم يعتقد بأنه كان يقصد بالعلامات أن تنقل كلاماً ذا معنى وإنما لتستخدم على الأكثر كزخارف وزينات .

ولم ينشر أول نص كامل من نصوص « پرسپولیس » إلا في سنة ١٧١١ . وكان الناشر « جين شاردان » (Jean Chardine) ، وهو إنكليزي بالتجنس قام بزيارة

« پرسپویلیس » ثلاث مرات خلال سنوات شبابه ، وبعد ثلاث سنين نشر « كلرنيل لبروم » « Carneille Lebroum » نسخة دقيقة جداً لثلاثة نصوص مدونة بثلاث لغات . ولكن « كلارستن نيهور » الدانماركي كان هو الذي مهد الطريق لفك رموز النصوص الفارسية . في سنة ١٧٧٨ نشر نسخاً دقيقة ومضبوطة لثلاثة نصوص ثلاثية اللغة التي عثر عليها في « پرسپويلیس » . وقد أظهر بأنهم كانت تبدأ من الشمال إلى اليمين ، وأن كل نص من النصوص الثلاثة كان يحتوى على ثلاثة نماذج مختلفة من الكتابات صنفها إلى (صنف ١) و (صنف ٢) و (صنف ٣) . وأظهر أخيراً أن (صنف ١) يمثل طريقة هجائية من طرق الكتابة وذلك لأنه كان يضم اثنين وأربعين علامة فقط وفقاً لجداوله . ولسوء الحظ ، إنه كان يرى بأن الأصناف الثلاثة من الخط لم تمثل ثلاث لغات مختلفة ، وإنما كانت تستعمل في كتابة نفس اللغة في ثلاثة أشكال مختلفة . وفي سنة ١٧٩٨ لاحظ دانماركي آخر ، وهو « فردريش مونتر » (Friedrich Munter) بأن (صنف ١) من أصناف (نيهور) كان كتابة هجائية بينما كان (صنف ٢) و (صنف ٣) يحتويان بالتتابع على كتابة مقطعية وصورية (أيديوغرافية)^(١) ولاحظ أيضاً بأن كل صنف يمثل لغة مختلفة كما كان يمثل شكلاً من أشكال الكتابة .

وهكذا تيسر الآن الأساس لفك رموز الكتابة : فقد أصبحت في متناول الباحثين نسخ دقيقة لعدد من النصوص يضم كل منها ثلاثة أصناف من الخط المسماة بـ ثلاث لغات مختلفة ، أضف إلى ذلك أنه لوحظ بشكل صحيح بأن الصنف الأول من الأصناف الثلاثة كان هجائياً في طبيعته . بيد أن فك رموز الكتابة نفسه استغرق ما يقرب من نصف قرن . وكان من المحتمل أن يكون أمراً مستحيلاً تماماً لولا ما قدمه عالمان من خدمات رائعة ، وإن لم تكن متعمدة ، إلى تلك العملية وذلك بنشر دراسات برهنت على أنها كانت عيوباً أساسية إلى الذين كانوا يعملون في ميدان فك رموز الكتابة ، على الرغم من أنها لم

(١) الكتابة الـ «أيديوغرافية» هي التي تمثل فيها كل علامة كلمة أو جملة . وتسمى أحياناً بالكتابة الصورية . (المترجم: د. محمد عبد الحليم)

تتكون متصلة بالنصوص السامرية التي وجدت في « پرسپولیس » لقد كان أحد العالمين « أ. أ. أنجواتيل — دپرون » (A.H. Anguétil-Dupeyron) الذي قضى وقتاً طويلاً في الهند يجمع مخطوطات « الأفيستا » كتاب الزرادشتية المقدس . وكان يتعلم قراءة وتفسير الفارسية القديمة ، اللغة التي كتب بها ذلك الكتاب . وظهرت مؤلفاته التي تتصل بالموضوع في سنة ١٧٦٨ وسنة ١٧٧١ وقدمت لأولئك الذين كانوا يحاولون فك رموز كتابة نصوص « پرسپولیس » « السامرية » فسكرة عن الفارسية القديمة برهنت على أنها ذات فائدة كبيرة في فك رموز كتابة الصنف الأول من النصوص الثلاثية اللغة ، الذي افترض بأنه فارسي قديم وذلك لموقعه البارزين النصوص الأخرى . وكان العالم الثاني « أ. إ. سيلفستري ساكي » (A. I. Silvestre de Sacy) الذي نشر في سنة ١٧٠٣ ترجمته للنصوص الفهلوية التي عثر عليها في المناطق المحيطة بمدينة « پرسپولیس » والتي وإن كان تأريخها يعود إلى فترة متأخرة عن فترة نصوص « پرسپولیس » السامرية ؛ كشف عن نموذج ثابت تقريباً . يمكن أن يفترض بأنه كان يشكل أيضاً أساساً لكتابات النصب الآثرية التي تعود إلى تأريخ أقدم من ذلك ؛ لقد كان هذا النموذج على الصورة التالية : (فلان) ؛ الملك العظيم ؛ ملك الملوك ، ملك ... ، ابن (فلان) ، الملك العظيم ، ملك الملوك (١).

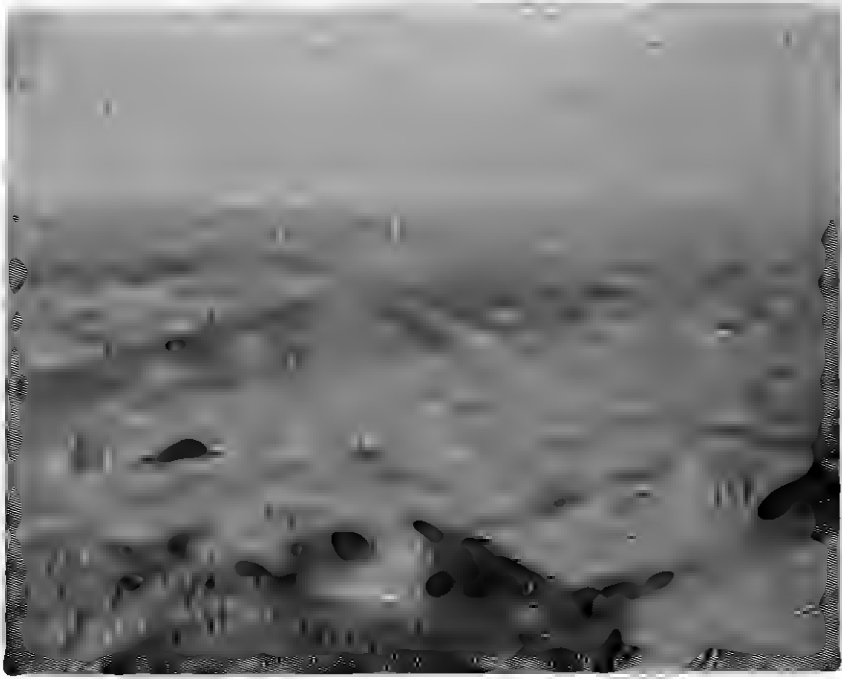
وبعدتنا الآن إلى العملية الحقيقية في فك رموز كتابة نصوص « پرسپولیس » نجد أن أول محاولة جديّة فيها هي التي قام بها « أولوف جيرهارد تيشسن » (Oulf Gerhard Tychsen) الذي عرف بصورة صحيحة خلال دراسته للصنف الأول من النصوص أربع علامات ثم لاحظ أن إحدى العلامات تكرر ظهورها عدة مرات فعرف بأنها كانت تستخدم لفصل الكلمات عن بعضها البعض — مما جعل بالامكان تحديد بداية ونهاية كل كلمة . كما لاحظ عدة ملاحظات أخرى دقيقة ، ولكنه افترض خطأ بأن تأريخ النصوص يعود إلى عهد السلالة البابائية وهو تأريخ

(١) أي أن النص يتبع أسلوباً واحداً فهو يبدأ باسم الملك صاحب النص ثم تلي الاسم القابلية الملكية ويأتي بعد ذلك أبيه مع أبوه الملكية .

متأخر عن زمنها الحقيقي بأكثر من خمسمائة عام ، وكانت ترجماته مجرد تسكيمات
وكالها غير صحيحة .

لقد نشر « تيشسن » نتائج أبحاثه في سنة ١٧٩٨ ، وفي نفس السنة قدم
« فريدريش مونتر » من كوبنهاجن مقالين إلى الجمعية المسكية الدانمركية للعلوم برهن
فيهما على أن وثائق « پرسپوليوس » تعود إلى السلالة الأخمينية ، وهي حقيقة كانت
ذات أهمية أساسية في عملية فك رموز كتابات النصوص إلا أن « مونتر » نفسه لم
يحقق تقدماً أكثر في جهوده الرامية إلى فك رموز الكتابة . وكان « جورج
فريدريش جروتفند » (George Friedrich Grotefend) ، مدرس اللغة الأغريقية
في مدرسة « جوتنجن » هو الذي نجح حيث فشل الآخرون واشتهر بأنه هو الذي
نجح في فك رموز كتابة النصوص السامرية الفارسية وهي الصنف الأول من أصناف
« نيبهور » . لقد بدأ « جروتفند » بدراسة تلك العلامات التي تكرر استعمالها
أكثر من غيرها وافترض بأنها كانت حروف علة . ثم استرشد بالنموذج النصي
المتبع في الفهلوية الذي أشار إليه « دي ساسي » وعن طريقه وجد المواضع التي يبدو
بأنها كانت على ما يرجح المواضع التي يظهر فيها اسم المالك الذي أقام النصب الآثاري
واسم أبيه وكذلك الكلمات من أمثال (ملك) و (ابن) ، ومن ثم بدأ يستخدم
أسماء ملوك السلالة الأخمينية المعروفة منتقياً منها بالدرجة الأولى ما يناسب طولها مع
المواضع الملائمة في النص ، واستخدم التعابير ذات الصلة بالموضوع التي ظهرت في
أبحاث « أنجواتيل - دويرون » في اللغة الفارسية القديمة ليتوصل إلى قراءات بعض
الكلمات الأخرى في النصوص ، وبهذا توصل إلى تعريف صحيح لعشر علامات
وثلاثة أسماء إعلام وإلى ترجمة فيها أخطاء عديدة ولكنها مع ذلك قدمت فكراً جيدة
عن محتويات النصوص .

← لقد ظهر ملخص لمحاولة « جروتفند » في فك رموز الكتابة في سنة ١٨٠٢ وبعد
ثلاث سنوات من هذا التاريخ نشر تقرير أكثر شمولاً . وقد استحسن جهوده
ووافق عليها كل من « تيشسن » و « مونتر » وعلى الأخص « ريج » الذي ظل



البيئة التي تحيط بمدينة « نَقَر » كما هي عليه في الوقت الحاضر — كثبان من الرمال وأرض قفراء — (من صور بعثة معهد الدراسات الشرقية والمدارس الأمريكية للبحث الشرق المشتركة في « نقر ») .



زقورة «أريدو» ، مدينة الإله «أنكى» . ومن الممكن رؤية بقايا المعبد عند قاعدة الزقورة . (من صور المتحف العراقي) .



« أور - نانشه » ، ملك « لجش » مع أولاده ورجال الحاشية (قطعة من حجر الكلس) . يشاهد الملك في القسم الأعلى حاملاً على رأسه سلة مليئة بمادة لبناء معبد ، ويشاهد في القسم الأسفل الملك وهو يحتفل بالإنهاء من البناء . (الصورة من متحف الوقر) ،



مسلة النسور ، (من حجر الكاس) ، يشاهد فيها الملك « أيا ناتم » وهو يقود جنود « لجش » إلى المعركة . وتسجل الكتابة الظاهرة فوق رؤوس الجنود أخبار انتصاره على جيش مدينة « أوما » . (الصورة من متحف اللوفر) .



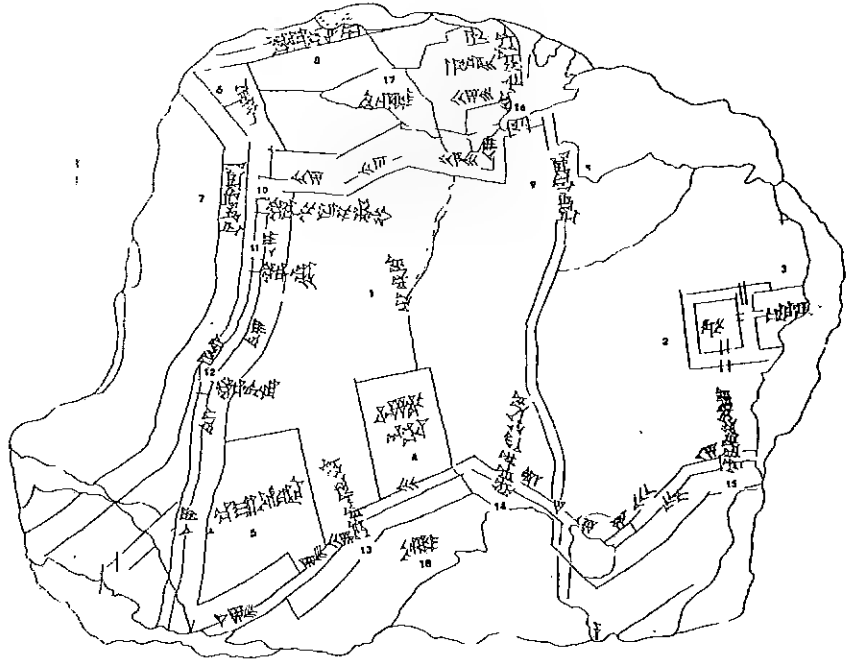
رأس الملك « أور — نامو » وقد
كبر من تمثال نحاسي صغير كان من بين
محتويات صندوق وجد في أساس معبد
« إينانا » في مدينة « نقر » (من صور
المدارس الأمريكية للبحوث الشرقية) .



« جوديا » أمير « لجش » (من حجر الديورايت) . (من صور متحف الجامعة
في بنسلفانيا) .



خريطة مدينة « نقر » رسمت على لوح طيني يعود تاريخه إلى سنة ١٥٠٠ ق.م .
تقريباً . وتبين الكتابة عليها أسماء أبنية مختلفة وأنهار وبوابات باللغتين السومرية
والأكادية . (من صور مجموعة هلمبرشت في جامعة فردريش شيلر في يينغار في ألمانيا
الشرقية) .

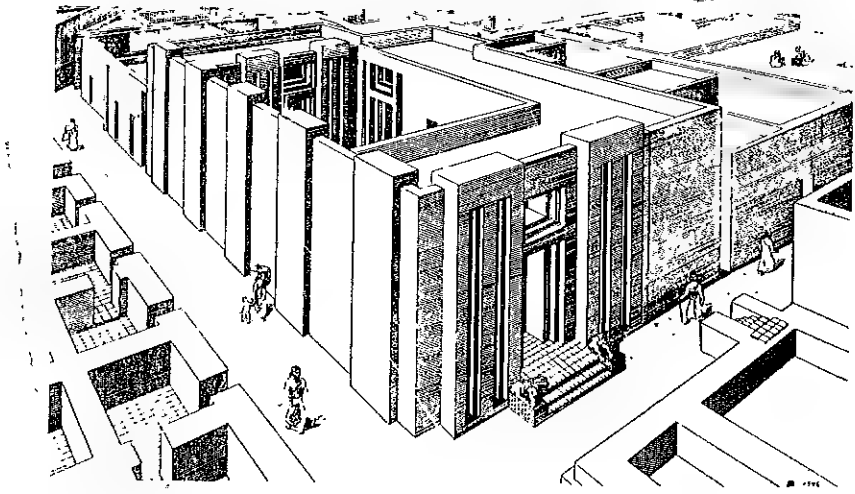


رسم يدوى لخريطة مدينة « نمر » . (١) إسم المدينة في وسط الصورة .

(٢) « إيكور » أشهر معابد بلاد سومر ، (٣) « كي — أور » ، معبد يجاور معبد « إيكور » ، (٤) « آنيجينا » ، (٥) « متز » مدينة « نمر » الرئيسي المسمى « كيري — شاورو » ، ويقع في الزاوية المكونة بين جدران « نمر » الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية . (٦) جملة أبنية ذات طبيعة غير واضحة ؛ « إيشاخ » « الزار الرفيع » يقع عند حافة المدينة . (٧) قناة « نونيرو » ، تحدد المدينة من الناحية الغربية . (٨) « إيد شاورو » « القناة المركزية » وتجرى في وسط المدينة . (٩) تشاهد ثلاث بوابات (رقم ١٠ ، ١١ ، ١٢) في الجدار الجنوبي الغربي ، ثلاث بوابات (رقم ١٣ ، ١٤ ، ١٥) في الجدار الجنوبي الشرقي . وبوابة واحدة (رقم ١٦) في الجدار الشمالي الغربي . (١٧) خندق بموازية الجدار الشمالي الغربي . (١٨) خندق آخر بموازية الجدار الجنوبي الشرقي . (الصورة من مجموعة هلمبرشت وقام برسمها « اينزيرنهارت ») .



مسلة « أور - نامو » (من حجر الكلس) . تشاهد عملية بناء المعبد الخطين الأول والثاني ابتداء من أسفل المسلة . (من صور متحف الجامعة في بنسلفانيا) .



تبين هذه الصورة بشكل المعبد في تل حرميل (سنة ١٩٠٠ ق.م. تقريباً) وقد استنتجها السيد محمد علي مصطفى ، الموظف في المتحف العراقي ، من بقايا المعبد التي اكتشفت في ذلك الموقع . يتكون المعبد من مدخل ، وباحة ، وغرفة مقدسة ، وغرفة أخرى ، تربط بينها أبواب على محور واحد بحيث أصبح بالإمكان رؤية المشكاة ، التي ربما كان يوضع عليها تمثال الإله ، من الشارع عند فتح الأبواب جميعها . هذا وقد وجد تمثالان من الفخار لأسدين بالحجم الطبيعي على جانبي المدخل لحراسة المعبد . (من صور المتحف العراقي) .



لوح طينى يحمل نصاً طبياً (من حوالى سنة ١٩٠٠ ق م .) . لقد دونت على هذا اللوح خمس عشرة وصفة طبية . (من صور متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .

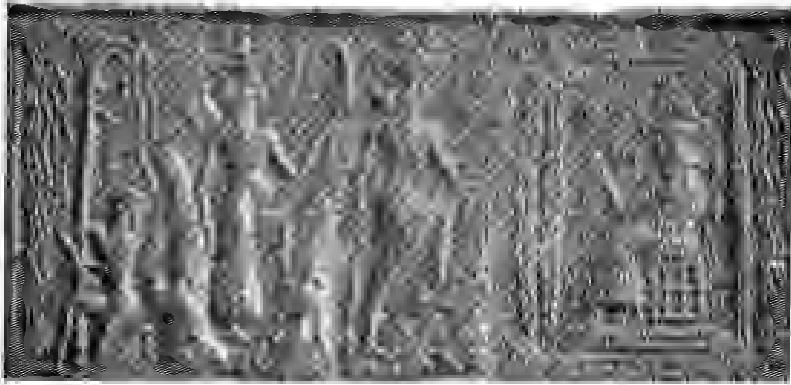


تمثال رجل ملتج وجسد في موقع خفاجة (من حوالى سنة ٢٦٠٠ قى م٠٠)
(من صور متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .



تمثال رجل ملتحم وجد في موقع خفاجة (من حوالى سنة ٢٦٠٠ ق.م.).
(من صور متحف الجامعة في بنسلفانيا).

مناظر ميثولوجية متنوعة نقشت على أختام أسطوانية : (أ) يشاهد الإله - الشمس « أوتو » يخرج من الجبل في وسط الصورة وينطلق من كتفيه الأشعة ويبدء بنشر . وإلى اليمين من « أوتو » يشاهد الإله « أنكي » إله الماء والحكمة ويرفقه وزيره ذو الوجهين « إيسمود » ، وإلى يسار « أوتو » إلهة النبات وإلى جانبها صياد . (حوالى سنة ٢٢٠٠ ق.م .) (من المتحف البريطاني) . (ب) الإله - الماء في بيته البحري « آبرو » . (من حوالى ٢٢٠٠ ق.م .) .

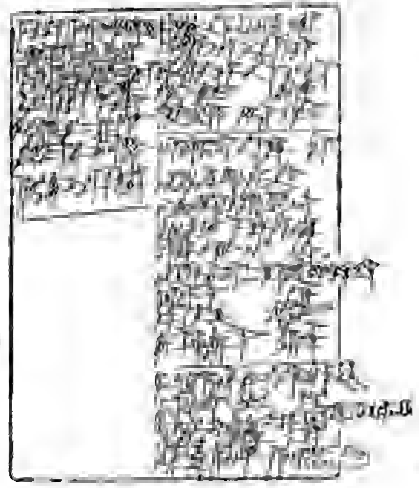
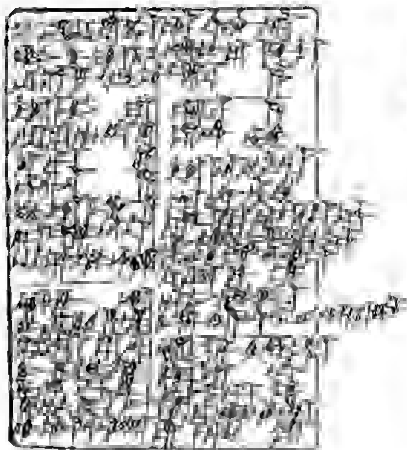
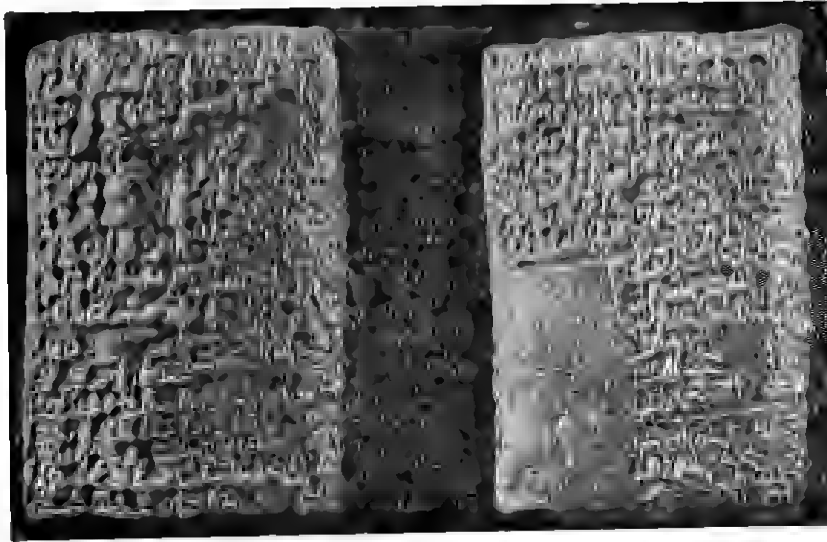


(ب)



(ج)

وفي أقصى اليمين يشاهد « أنكي » متربحاً على عرشه في بيته البحري . وإلى اليسار نشاهد « أوتو » الإله - الشمس مع أشعته ومنشأه . أما الإله الواقف في الوسط فجهاول الهوية . (من المتحف البريطاني) . (ج) مشهد رحلة إلهية (حوالى ٢٢٠٠ ق.م.) أحد الآلهة يمسك بحرائع على قارب تنهى مؤخرته على شكل حية وتنتهى مقدمته في جسم إله يدفع القارب (من المتحف العراقي) .



فهرس أدبي . لوح طيني ونسخة يديوية منه لفهرس يعطى عناوين اثنين وستين تأليفاً
أديباً . (من متحف الجامعة في بنسلفانيا) .



رأس ثور من حجر الالازورد والذهب ؛ وهو جزء من قيثارة وجدت في المقبرة الملكية في مدينة « أور » (من حوالى سنة ٢٥٠٠ ق م٠) (من صور متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .

يرسل إليه نسخا من الكتابات السامرية التي كان يحصل عليها في خرائب بابل و « نينوى » ولكن « جروتفند » بالغ في إنجازاته مدعياً بأنه قرأ عدداً من العلامات أكبر مما كان قد قرأه في الواقع ، وقدم قراءات وترجمات لا مبرر لها كانت تبعث السخرية بين بعض زملائه . غير أنه كان على كل حال على الطريق الصحيح في تعريفه للعلامات ، كما كان يؤيد بشكل مباشر أو غير مباشر خلال العقود العديدة التالية بمجهود عدد من العلماء الذين استمروا في الإضافة والحذف والتعديل ، وإذا أردنا أن نقتصر على ذكر الشخصيات المهمة فقط فأننا نذكر « أي . جي . سينت مارتين » (A. J. Saint Martain) و « راسموس راسك » (Rasmus Raske) و « يوجين بورنوف » (Eugene Burnof) وصديقه الحميم وشريكه في العمل « كريستن لاسين » (Christen Lassen) غير أن كتابات « برسيبوليس » كانت بكل بساطة قصيرة جداً ولم تعط مفردات كثيرة وذات معاني وافية بما فيه الكفاية للثبوت والفحص من أجل فتح نافذة على اللغة الفارسية القديمة وللتوصل إلى حل قاطع بالنسبة لفك رموز جميع العلامات . وهذا يقودنا إلى الشخصية البازة في الدراسات السامرية الأولى وهو الانكليزي المتوقد الذهن ، الذي كان يدرك الأمور بالبدية كما كان دؤباً في عمله ، و « هنري رولنسن » (Henry Rowlinson) ، كما يقودنا ذلك أيضاً إلى حقيقة جديرة بالملاحظة وهي أن مجموعة من النصوص فككت رموز كتابتها بصورة مستقلة من قبل رجلين استخدمتا موازين متماثلة تقريباً .

لقد أصبح « رولنسن » مهتماً بالنصوص السامرية المنتشرة في كل بلاد فارس حينما كان في خدمة الجيش البريطاني هناك . وبدأ اهتمامه باستنساخ بعض الكتابات ذات اللغات الثلاث ، وخاصة كتابة جبل الوند بالقرب من مدينة همدان ، وكتابة حجر بهستون على مسافة حوالي عشرين ميلاً من مدينة كرمانشاه . وتتألف الكتابة الأولى من نصين قصيرين يحتوي كل منهما على ثلاث لغات بدأ باستنساخها في سنة ١٨٣٥ ، وبدون معرفة أى شيء عن عمل « جروتفند » و « دي ساكي » و « سينت مارتين » و « راسك » و « بورنوف » و « لاسين » ، نجح في قراءة النصين باتباعه

نفس الطريقة التي اتبعها « جروتفيند » وأتباعه . ولكنه أدرك بأن من الضروري تعريف جميع العلامات في هذه النصوص وقراءتها بشكل مناسب أن يكون تحت يده عدد كبير من أسماء الأعلام . ووجد هذه الأسماء في كتابة حجر « بهستون » التي حفرت على بقعة أعدت لهذا الغرض بشكل خاص تبلغ مساحتها ألفين ومائتين قدماً مربعاً ، مليء جزء منها بنقش محفور ، وتتألف هذه الكتابة من نص بثلاث لغات يصل عددها أسطره إلى المئات . وكان هذا الأثر ، لسوء الحظ ، يقع على صخرة يصل ارتفاعها إلى أكثر من ثلثائة قدم فوق سطح الأرض . ولم تكن هناك وسائل لتسلقها ، فكان على « رولنسن » لذلك أن يقيم « سقالة » ليصعد عليها إلى حيث كان النص . وكان عليه أن يتدلى أحياناً بحبل معلق أمام الصخرة كي يحصل بقدر الإمكان على نسخة كاملة من النص .

وبدأ « رولنسن » في سنة ١٨٣٥ باستنساخ الحقل الفارسية من كتابات « بهستون » ذات اللغات الثلاث التي كان عددها خمسة وتحتوى على ٤١٤ سطراً من الكتابة . واستمر في استنساخ النص في فترات متقطعة على مر السنين حتى أتم في سنة ١٨٣٧ استنساخ حوالى مائتى سطر أو نصف النص تقريباً . ويمكن بمساعدة الكتاب الكلاسيكيين وجغرافى القرون الوسطى من قراءة عدد من المئات العديدة من أسماء المواقع التي وردت في النص . وحوالى سنة ١٨٣٩ اطلع على أعمال زملائه في أوروبا ، وبمساعدة المعلومات الجديدة التي كانوا يمدونه بها نجح في ترجمة أول مائتى سطر من الكتابة الفارسية القديمة من نص « بهستون » ذات اللغات الثلاث . وكان يطمح إلى استنساخ كل جزء من الكتابة الموجودة على صخرة « بهستون » ولكن واجباته العسكرية قطعت جهوده ولم يتمكن من استئناف عمله الذى أحبه الا في سنة ١٨٤٤ . ففي تلك السنة عاد إلى « بهستون » وأنهى استنساخ كل الكتابة الفارسية القديمة المكونة من ٤١٤ سطراً . واستنسخ كذلك جميع ٢٦٣١ سطراً من الكتابة الثانية ، أو الترجمة العيلامية ، كما أصبحت تعرف في الوقت الحاضر . وفي سنة ١٨٤٨ أرسل مخطوطاته المؤلفة من نسخ وقراءات وترجمة وتعليق

وملاحظات من بندگان إلى الجمعية الملكية الآسيوية ، وهكذا وضع فك رموز الفارسية القديمة على أساس يمكن الاعتماد عليه اعتماداً تاماً ، وهذه هي حقيقة تأيدت مرة أخرى حينما نشر اللغوي الأيرلندي الأملح « ادوارد هينكس » (Edward Hincks) في تلك السنة نفسها بحثاً كان قد ألقاه قبل سنتين توقع فيه عدداً لا بأس به من الملاحظات المهمة التي قدمها « رولنسن » بصورة مستقلة . ومن هذا الوقت فصاعداً لم يعد بالإمكان القيام بأكثر من تغييرات وإضافات وتصحيحات بسيطة ، يستحسن أن نذكر منها بصورة خاصة تلك التي قام بها « يوليس أوبرت » (Jules Oppert) تلميذ « لاسين » في سنة ١٨٥١ . ان « رولنسن » و « هنكس » و « أوبرت » — « ثالوث » السامريات « المقدس » — لم يضعوا الفارسية القديمة على أساس ثابت فحسب ، وإنما دفعوا باللغة الأكديّة والسومرية على الطريق نحو الحل ، وفتحوا بذلك صفحات « الكتب » الطينية المنقوشة المدفونة في كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم .

وهكذا نعود الآن إلى التنقيبات الأثرية المنتظمة والواسعة في بلاد ما بين النهرين وإلى فك رموز اللغتين الأكديّة والسومرية الذي قادته إليه . ففي سنة ١٨٤٢ عين « أميل بوتان » قنصلاً لفرنسا في مدينة الموصل . وبدأ حال وصوله بالتنقيبات في قوينجق والنبي يونس ، وهما تالان ينطيان خرائب مدينة « نينوى » وقد برهنت هذه التنقيبات على عقمها فحول « بوتان » اهتمامه إلى « خورصباد »^(١) الواقعة على بعد مسافة قصيرة إلى الشمال من تل قوينجق حيث أصاب هناك « الثروة » ، إذا تكلمنا من الناحية الآثرية ، لأن خرائب « خورصباد » كانت تغطي قصر الملك العظيم « سرجون » الثاني الذي حكم بلاد « آشور » في الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد — ولو أن هذا الأمر لم يكن معروفاً للمنقبين في ذلك الوقت —

(١) « خورصباد » هو اسم حديث للموقع الذي تثل « دورشروكين » وهي مدينة شيدتها الملك الآشوري « سرجون » في أواخر سنوات حكمه الذي بدأ سنة ٧٢١ ق . م . ويعتقد أن الاسم الحديث تحريف للاسم الفارسي « خستروا أباد » الذي يعني « مدينة خسرو » .
(المترجم)

ويحتوي القصر على أفدنة من النحت الآشوري والأفاريز والنقوش المحفورة التي كان كثير منها مغطى بالكتابة المسمارية . وبعد ثلاث سنوات فقط بدأ « أوستن هنري ليارد (Austen Henry Layard) الانكليزي الحفر في مدينة « نمرود » أولاً ومن ثم في « نينوى » وفي « نمرود » مرة أخرى . وعثر في « نينوى » بالإضافة إلى القصور الملكية المغطاة بالنقوش المحفورة ، على مكتبة الملك الآشوري « آشور-بانيبال » ابن حفيد « سرجون » الثاني التي تتألف من آلاف الألواح وكسر الألواح الطينية التي دونت عليها مؤلفات القدامى اللغوية والدينية والأدبية . وهكذا حوالى منتصف القرن التاسع عشر كانت في أوروبا مئات من النصوص المسمارية التي جاءت على العموم من المواقع الآشورية وكأنها كانت تنادى لفك رموز كتاباتها ، ولكنها وضعت أمام الباحثين صعوبات وعقبات كانت تبدو في ذلك الوقت غير قابلة للتذليل . ومع ذلك، وبالدرجة الأولى كفتيجة لعبقريّة «هنكس» و «رولنسن» و «أوبرت» ودأبهم لم يمض أكثر من عقد واحد أو حوالى ذلك ليصبح فك رموز الكتابة حقيقة ناجزة .

حقاً لقد أصبح بعد ذلك لكل متخصص في فك رموز الكتابة ميزة على من سبقه من العاملين في هذا الحقل . فقبل أن يبدأ « بوتا » و « ليارد » تفقيهما بوقت طويل وصل إلى أوروبا عدد محدود من النصوص المتنوعة ، وخاصة بالنسبة لتلك التي جاءت من الخرائب البابلية ، وقد وصفت الكتابة فيها بأنها شبيهة بالصف الثالث من أصناف « نيبهور » في نصوص « برسيبوليس » ذات اللغات الثلاث ، ولكن هذا الصف الثالث ، الذي كان من الممكن الافتراض بشكل معقول بأنه ترجمة للصف الأول هو الذي وقف لسوء الحظ أمام جميع الجهود التي بذلت لفك رموز كتابته . لقد كانت نصوص « برسيبوليس » أولاً مختصرة جداً بحيث لم تمكن من الحصول على نظرة نقادة في اللغة . يضاف إلى ذلك أنه حتى التحليل السطحي للنصوص البابلية الكثيرة أظهر بأنها تتكون من مئات من العلامات بينما كان الصف الأول من النص ذى اللغات الثلاث في « برسيبولوس » يضم اثنتين وأربعين

علامة فقط ، مما جعل من المستحيل تحديد الأسماء أو الكلمات التي ربما كان ينتظر أن تكون متطابقة فيها . وأخيراً بدا أن نفس العلامات في النصوص البابلية ذاتها كانت تظهر تنوعاً كبيراً في الشكل والهيئة ، فلا عجب إذن أن تبرهن المحاولات الأولى لحل رموز الكتابة البابلية على عقمها .

وفي سنة ١٨٤٧ تم إنجاز أول إسهام رائع وكان صاحبه « إدوارد هنكس » وهو أمر لم يكن غير متوقع . فقد نجح « هنكس » بمساعدة نسخة من ترجمة النص الفارسي القديم الطويل نسبياً في كتابة « بهستون » والذي يضم عدداً ضخماً من أسماء الأعلام في التوصل إلى قراءة صحيحة لعدد من العلامات التي تمثل أصوات العلة والمقاطع والعلامات التي كانت تمثل كلمات كامله (Ideograms) بالإضافة إلى قراءة أول كلمة بابلية لم تكن اسم علم ، وهو الضمير (آ - نا - كو) أي « أنا » الذي يطابق تقريباً نظيره العبري ، على أن اكتشافه الرئيسي ، الاكتشاف الذي دل على أنه كان حاسماً في فك رموز الكتابة ، لم يتحقق حتى سنة ١٨٥٠ ، وكان يستند إلى حد ما إلى بصيرة « بوتا » الذي لم يكنف بالتنقيب وحده ، ونشر في سنة ١٨٤٨ بحثاً مفصلاً للغاية في العلامات المسماة . إن « بوتا » لم يحاول أن يقرأ كلمة واحدة على الرغم من نجاحه في التوصل إلى معنى عدد من العلامات التي تمثل كلمات كاملة ؛ أما إسهامه الأكثر ثمرًا فكان يتصل باكتشافه التنوع في الكتابة ، فبعد دراسة دقيقة وتسجيل مفصل للكتابات أظهر وجود عدد لا بأس به من الكلمات التي كانت تكتب بطرق مختلفة على الرغم من تطابقها قراءة ومعنى ، إن هذه الدراسة الدقيقة للكتابات المتنوعة هي التي مهدت الطريق لظهور بحث « هنكس » في سنة ١٨٥٠ ، البحث الذي تمكن فيه بضربة واحدة من توضيح الحقيقة التي تبدو غير قابلة للتصديق وهي أن الخط البابلي كان يضم مئات العلامات ، كما أعطى السبب في وجود تنوع كبير إلى هذه الدرجة . قال « هنكس » أن الخط البابلي - الآشوري (أو كما يسمى الآن الأكدي) لم يكن هجائياً وإنما مقطعيًا أيديوغرافياً في وقت واحد . أي أن العلامات قد تمثل مقاطع (من حرف صحيح وحرف علة ، أو حرف عله وحرف صحيح ،

أو حرف صحيح ، وحرف علة وحرف صحيح) كانت تجمع مع بعضها بطرق مختلفة لصياغة كلمة واحدة ، أو ان كل علامة قد تعبر عن كلمة كاملة .

← وبهذه النظرة الثاقبة الجديدة في الخط البابلي كان باستطاعة عملية فك رموز الكتابة أن تتقدم بسرعة ولكنه كان لا بد من توفر معونتين لغويتين رئيسيتين ليسكون من الممكن لعملية فك رموز الكتابة أن تتقدم بسرعة . وكلا هاتين المعونتين تحققنا نتيجة جهود وأبحاث الشخصية الثانية من ثالوثنا وهو « رولنسن » . في سنة ١٨٤٧ سافر « رولنسن ! » مرة أخرى من بغداد إلى « بهستون » ، وبالمخاطرة في حياته نجح في عمل طبقات ورقية (بواسطة اللصق) للترجمة البابلية في نص « بهستون » أمده بنص طويل مكون من ١١٢ سطراً كان من الممكن فك رموز كتابته وترجمته بمساعدة النص الفارسي القديم الموجود على نفس النصب الأثرى الذي سبق أن تمت قراءته ذلك فعلاً . أضف إلى ذلك أنه اكتشف خلال عمله هذا الخاصية الأخرى البالغة الأهمية للكتابة البابلية وهي « تعدد الأصوات » أي أن نفس العلامة الواحدة قد تمثل أكثر من صوت أو « قيمة » صوتية واحدة . وكنتيجة لذلك استطاع الآن « رولنسن » أن يقرأ حوالى ١٥٠ علامة قراءة صحيحة ، وعرف قراءة ومعنى حوالى مائى كلمة من اللغة التى تبين الآن بشكل قاطع أنها لغة سامية ، بل كان قادراً حتى على إعطاء صورة مختصرة لقواعدها النحوية .

لقد نشرت أبحاث « رولنسن » المثيرة للإعجاب في سنة ١٨٥٠ و ١٨٥١ . وفي سنة ١٨٥٣ نجح « هنكس » بمساعدة أبحاث « رولنسن » في إضافة أ كثر من مائة قيمة صوتية جديدة للعلامات البابلية حتى أصبح الآن قادراً على تعريف القيم الصوتية وقراءات ما يقرب من ٣٥٠ علامة ولكن مبدأ تعدد القيم الصوتية الذى يتضمنه هذا التعريف أثار الشك والريبة والعداء بين العلماء الذين هاجم بعض منهم ترجمات « هنكس » و « رولنسن » ووصفوها بأنها ضارة ولا قيمة لها ، إذ كان من الصعب التصديق بأن الناس القدامى ينتدعون نظاماً للكتابة من الممكن أن يكون فيه لنفس العلامة الواحدة قيم صوتية متعددة لأن هذا ، كما يفترض ، كان يؤدي إلى

تشويش القارىء إلى درجة تجعلها عديمة الفائدة . وفي مفترق الطرق الخطير هذا هب للنجدة « يوليس اوپرت » ، ثالث الثالوث . ففي سنة ١٨٥٥ قدم ملخصاً لمرحلة فك رموز الكتابة التي توصل إليها في ذلك الوقت وأظهر صحة قراءات « هنكس » و « رولنسن » وأضاف عدداً من العلامات الجديدة التي كانت ذات أكثر من قيمة صوتية واحدة . وكان أول من قام بدراسة شاملة لجداول المقاطع التي أعدها الكتاب القدامى أنفسهم والتي وجدت بين الرقم الطينية التي اكتشفت فيما عرف باسم مكتبة « آشور بانيبال » في « نينوى » والاتفاف منها بشكل واسع في ترجمته . ان أبحاثه واستنساخاته للنصوص ومجادلاته العلمية ساعدت على تثبيت العلم الجديد الذي أصبح الآن يعرف بصورة عامة باسم علم الآشوريات - استناداً إلى حقيقة أن أقدم الحفائر أجريت في شمال العراق الذي كان موطن الآشوريين - وساعدت على منح هذا العلم الاحترام والتقدير العظيمين .

لقد كانت سنة ١٨٥٢ سنة مصيرية بالنسبة لعلم الآشوريات الذي خرج من الحمة بريات خفاقة . وكان الذي اوصل الأمور إلى نهايتها رجلاً متخصصاً بعلم الرياضيات ومخترعاً غير متخصص بعلم الآشوريات . فقد كان « ديليو . أف . فوكس تالبوت » (W. F. Fox Talbot) ، الذي بحث في التفاضل والتكامل وساعد على وضع اسس التصوير في الوقت الحاضر ، مستشرقاً بالهواية أيضاً ، فدرس منشورات « ولنسن » و « هنكس » بل ونشر ترجمات لعدد من النصوص الآشورية . وبعد أن حصل على نسخة لم تنشر بعد من نص لملك الآشوري « تيجلات بلسر الأول » (سنة ١١١٦ - ١٠٧٦ ق . م) قام بترجمته وأرسل الترجمة في ظرف مختوم إلى الجمعية الملكية الآسيوية في ١٧ آذار (مارس) سنة ١٨٥٧ مع اقتراح بأن تدعو الجمعية « هنكس » و « رولنسن » لتحضير ترجمات لنفس النص وإرسالها في ظروف مختومة كي يمكن مقارنة الترجمات الثلاث مع بعضها البعض . وقامت الجمعية بذلك وأرسلت أيضاً دعوة إلى « اوپرت » الذي كان آنذاك في لندن للمشاركة في الترجمة . وقبل الثلاثة كلهم الدعوة وبعد شهرين فضت أختام الظروف الأربعة التي تحتوى على الترجمات من قبل

لجنة عيّنت خصيصا لهذا الغرض مؤلفة من خمسة أعضاء من الجمعية الملكية الآسيوية وصدر قرار يقول من بين ما يقوله ان ترجمتي « رولنسن » و « هنكس » تشابهان إحداهما الأخرى تشابهاً قويا . وان ترجمات « تالبوت » كانت بالأحرى غامضة وغير دقيقة وان « اوپرت » علق بشكل واسع على ترجماته وغالبا ما كان يختلف عن زملائه الانكليز ، وكان الحكم في كل ذلك لصالح علم الآشوريات كما كان يمارس حينذاك ، فقد كان التشابه بين الترجمات الأربع قويا إلى درجة معقولة وثبتت صحة فك رموز الكتابة .

وبعد سنتين ، أي في سنة ١٨٥٩ ، نشر « اوپرت » واحدا من أهم بحوثه العلمية تحت عنوان : فك رموز النصوص السامرية . لقد كان هذا البحث عرضا لعلم الآشوريات وإنجازاته حتى ذلك التاريخ واضح الفكرة وشاملا وقاطعا إلى درجة أنه أوقف جميع المعارضة لهذا العلم . وقى العقود التي تلت ذلك كتب فريق من العلماء خاصة في فرنسا وانكلترا وألمانيا ، المقالات والدراسات والكتب في جميع فروع العلم الجديد ، من لغة وتاريخ ودين وحضارة وغير ذلك . وكانت النصوص تستنسخ وتشر بالآلاف ، وجمعت جداول العلامات وشروح الكلمات والقواميس وكتب القواعد النحوية ، وكتب عدد لا يحصى من المقالات التخصصية جداً في القواعد النحوية وتركيب الجمل وأصول الكلمات وتأريخها . وهكذا تطورت ونضجت دراسة اللغة الآشورية التي سميت في بادئ الأمر بالبابلية وأصبحت الآن تعرف بالأكديّة . وهو اسم مشتق من تعبير استعمله العراقيون القدماء أنفسهم حتى أنه يوجد الآن في سنة ١٩٦٣ قاموسان منفصلان عن بعضهما يتألفان من عدة أجزاء في طريق النشر — واحد منهما باللغة الإنكليزية يصدره معهد الدوايسات الشرقية في جامعة شيكاغو وآخر باللغة الألمانية برعاية دولية — وهو إنجاز يتوج مائة سنة من البحث المتراكم .

لقد ترددت الكلمات بابلية، آشورية، أكديّة، ولكن لا توجد حتى الآن كلمة واحدة عن بلاد سومر والسومريين . ومع كل ذلك فإن هذا كتاب عن السومريين . وليسوء الحظ لم يكن أحد يعرف حتى منتصف القرن الماضي بأن شعبا سومريا ولغة

سومرية ظهرها إلى الوجود فى أى وقت من الأوقات ولذلك علينا أن نعود قليلا إلى بداية طريقنا لمناخنة التطورات التى تمت خطوة خطوة ، التطورات التى قادت إلى ملاحظة كانت بالأحرى مثيرة للدهشة وغير متوقعة ، وهى ملاحظة أن اناسا عرفوا باسم السومريين قد استوطنوا يوما ما فى العراق . فى سنة ١٨٥٠ ألقى « هنكس » بحثا أمام الجمعية الإنكليزية لتطوير العلم عبر فية عن شكوكه حول الفرضية الشائعة القائلة بأن سكان بلاد آشور وبابل الساميين هم الذين اخترعوا نظام الكتابة السامارى الذى استعملوه ، ان العنصر الثابت فى السامية هو الحرف الصحيح بينما يتغير حرف العلة تغيرا كبيرا . وعلى هذا بدا من غير الطبيعى أن يكون الساميون هم الذين اخترعوا نظام كتابة مقطعى يبدو فيه أن حرف العلة لا يتغير كما لا يتغير الحرف الصحيح . والتميز بين الأصوات الحنكية اللينة والصلبة وبين المقطعية خاصية مهمة من خواص اللغات السامية . ولكن المقطعية السامارية لم تعبر فيما يبدو عن هذا التميز تعبيراً ملائماً ومن ثمة أيضا ، إذا كان الساميون قد اخترعوا الخط السامارى فإنه ينبغى أن يكون بالإمكان تتبع القيم المقطعية للعلامات إلى كلمات سامية . ولكن نادرا ما كان هذا هو الحال . ان القسم الأكبر من القيم المقطعية للعلامات السامارية يعود كما يبدو إلى كلمات أو عناصر لم يكن بالإمكان إيجاد ما يطابقها فى اللغات السامية . ولذلك بدأ « هنكس » بالظن بأن نظام الكتابة السامارى قد اخترع من قبل اناس غير ساميين سبقوا الساميين فى استيطان بلاد بابل ولا يمتنون إليهم بصلة .

نكتفى بهذا بالنسبة إلى « هنكس » وظنونه . وبعد سنتين ، أى فى سنة ١٨٥٢ ، نعرف استنادا إلى ملاحظة نشرها « هنكس » بأن « رولنسن » توصل بعد دراسة جداول المقاطع التى عثر عليها فى تل كوينجى إلى نتيجة مفادها ان هذه الجداول كانت ثنائية اللغة وان الكلمات السامية البابلية فيها توضح كلمات مطابقة لها فى لغة جديدة تماما لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت اطلاق عليها اسم « أكدي » واعتبرها « سيثية أو طورانية » . هنا إذن نحن نعرف لأول مرة عن الاحتمال القائل بأن هنالك شعبا ليس ساميا قد عاش وان لغة غير سامية قد وجدت فى بلاد ما بين النهرين . وفى

سنة ١٨٥٣ ألقى « رولفنسن » نفسه محاضرة أمام الجمعية الملكية الآسيوية أشار فيها إلى وجود نصوص مسارية ذات لغة واحدة على الحجر والألواح الطينية التي جاءت من مواقع في جنوب بلاد بابل كانت مدونة باللغة « السيشية » . وفي محاضرة ألقاها أمام نفس الجمعية بعد سنتين ناقش بشيء من التفصيل الجداول ذات اللغتين من كوينجق التي « لم تكن أكثر من هجائيات وقواعد ومفردات مقارنة من اللهجتين الآشورية والسيثية ومن الجائز الافتراض بأن السيثيين البابليين الذين كان اسمهم العرق (أكديون) هم الذين اخترعوا الكتابة المسارية ، وواصل « رولفنسن » القول بأن هؤلاء الأكديين هم الذين « شيدوا المعابد البدائية وعواصم بلاد بابل ، وعبدوا نفس الآلهة واستوطنوا نفس المواقع التي استوطنها خلفاؤهم الساميون ، ولكن لهم على ما يظهر تسمية مختلفة ، ميثولوجياً وجغرافياً على السواء » . أما بالنسبة إلى لغة السيثيين فقد قال « رولفنسن » أن ألواح تل كوينجق « تمدنا بمجلدات من الأمثلة المقارنة أو الترجمات المتداخلة في نفس النص » . وكنتيجة لدراسة هذه اللغة « البدائية » الجديدة في النصوص ذات اللغتين يخلص إلى أنه « من المشكوك فيه أن يكون بالامكان تتبع أثر أية صلات لغوية قريبة بين اللغة البدائية وبين أية لهجة من لهجات العصور الحديثة . إن النظام الخاص باستعمالات الضمير يقترب من النموذج المنعولي والمانشو أكثر مما يقترب إلى أي فرع آخر من العائلة الطورانية ، ولكن التشابه قليل أو معدوم في مفردات اللغة » . وملخص القول إن « رولفنسن » قد اكتشف بكل تأكيد السومريين ولغتهم إلا أنه أطلق عليهم خطأ اسم السيثيين البابليين في بادئ الأمر ثم عرفهم بالأكديين ، وهو نفس التعبير الذي يستعمل في الوقت الحاضر للدلالة على الساميين الذين عاشوا في البلاد .

أننا مدينون بالتسمية الصحيحة للشعب غير السامي الذي اخترع الكتابة المسارية إلى عبقرية « يوليس اوپرت » الذي كانت انجازاته في جميع وجوه علم الآشوريات ، وعلى الأخص بالنسبة لدراسة جداول المقاطع ، مذهلة إلى حد كبير . فقد ألقى « اوپرت » في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٦٩ محاضرة أمام القسم الأثنوغرافي والتاريخي من الجمعية الفرنسية للمسكوكات والآثار أعلن فيها بأنه ينبغي أن نسمى هؤلاء الناس

بالسومريين ولغتهم بالسومرية مستنداً في استنتاجاته إلى اللقب «ملك سومر وأكد» الذى وجد في كتابات بعض الحكام الأوائل ، لأن اسم «أكد» ، كما ناقش ذلك مناقشة صحيحة للغاية ، كان هو الاسم الذى استعمل لسكان بلاد آشور وبلاد بابل الساميين ، بينما كان اسم «سومر» يشير إلى السكان غير الساميين . واستمر «أوهرت» في هذه المحاضرة إلى حد القول بأن تحليلاً لتركيب اللغة السومرية قد قاده إلى الاستنتاج بأن لها صلات قريبة مع التركية والفنلندية والهنغارية — وهي نظرة رائعة في تركيب لغة كانت قبل عشرين سنة فقط غير موجودة بقدر ما يتعلق الأمر بعالم البحث .

أن التسمية «سومرية» لم يؤخذ بها مباشرة من قبل أغلبية علماء الكتابة المسارية واستمر استعمال لفظ «أكدي» لعدة عقود . وفي الواقع هناك مستشرق مشهور واحد وهو «جوزيف هاليشى» (Joseph Halevy) ، أنكر على الرغم من كل الأدلة التي تخالف ذلك ، حتى وجود الشعب السومرى واللغة السومرية . وبدأ من سنة ١٨٧٠ ولادة تريد على ثلاثة عقود من بعد ذلك في نشر المقال تالوالمقال مصراً على أن لا شعب قط غير الشعب السامى قد امتلك بلاد بابل ، وأن ما يسمى باللغة السومرية كان مجرد اختراع مصطنع قام به الساميون أنفسهم لأغراض سرية وكهنوتية وكان لفترة قصيرة جداً مؤيداً حتى من قبل علماء آشوريات بارزين ، ولكن كل ذلك أصبح الآن مجرد تساؤل تاريخي لا غير ، لأنه لم يمض وقت طويل بعد استنتاجات «أوهرت» الثاقبة حول سكان بلاد بابل غير الساميين ولغتهم حتى بدأت حفريات في موقعين في جنوب بلاد بابل وضعت السومريين على الخارطة باكتشاف التماثيل والمسلات التي كشفت عن ملامحهم الجسمية والألواح الطينية والنصوص العديدة والمهمة بالنسبة لتاريخهم السياسى والدينى والاقتصادى والأدبى .

لقد بدأت أول تنقيبات مهمة في موقع سومرى في سنة ١٨٧٧ في «تلو» (الاسم الحديث) لخرائب «لجش» القديمة ، قام بها الفرنسيون تحت إدارة «ايرنست دى سيرزالك» (Ernest de Sarzec) وبين سنة ١٨٧٧ وسنة ١٩٠٠ قام «دى سيرزالك» بإحدى عشرة حملة تنقيبية ونجح في اكتشاف أعداد كبيرة من التماثيل ، وبصورة

رئيسية تآثيل الأمير « جوديا » ، ومسلات - من أهمها مسألة النسر - واسطوانات « جوديا » وآلاف الألواح الطينية التي يعود تاريخ كثير منها إلى أسرة «أور-نانشه»^(١) وفي سنة ١٨٨٤ بدأ بنشر مجلد « ليون هيوزي » (Léon Heuzey) الرائع بعنوان اكتشافات في كالديا من قبل «ايرنست دي سيرالك» ، بتعاون اثنين من المتخصصين بالكتابات البارزين وهما « آرثر آميود » (Arthur Amiaud) و « فرانسوا ثيورو - دانجن » (François Thureau-Dangin) وواصل الفرنسيون الحفر على قترات متقطعة في « لجش » من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٩ بإدارة « جاستون كروس » (Gaston Cros) ومن سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣١ بإدارة « هنري دي جينويلاك » (Aenré de Genouillac) ومن سنة ١٩٣١ إلى سنة ١٩٣٣ بإدارة « اندري پارو » (André Parrot) ، وفي كل ذلك قام الفرنسيون بعشرين حملة في « لجش » ولخصت النتائج باختصار في كتاب « پارو » الذي يعتبر أئمن مصدر في الموضوع ، تحت عنوان : «تأو «سنة ١٩٤٨» والذي يقدم أيضاً قائمة كاملة ومفصلة بكل المؤلفات المتصلة بشكل أو آخر بهذه التنقيبات .

ان التنقيبات الواسعة الثانية في موقع سومري هي تلك التي نظمتها جامعة بنسلفانيا ، وكانت بعثتها أول بعثة أمريكية تقبت في بلاد ما بين النهرين . ففي خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر استمرت المناقشات في دوائر الجامعة الأمريكية حول معقولية إرسال بعثة أمريكية إلى العراق حيث كان كل من الإنكليز والفرنسيين يعثرون على بقايا آثارية في غاية الأهمية . وعلى كل حال لم يحدث شيء حتى سنة ١٨٨٧ عند ما نجح « جون . بي . پيترز » (John . P. Peters) أستاذ العبرية في جامعة بنسلفانيا في الحصول على تأييد معنوي ومالي من عدة أفراد ، في الجامعة وحواليها لغرض تجهيز وتحويل بعثة تنقيبية تعمل في العراق . وأختير موقع « نقر »^(٢) وهو

(١) الاسم الحديث لموقع مدينة « نيبور » القديمة التي كانت تتمتع بمركز ديني كبير باعتبارها مدينة الإله العظيم « انليل »
(المترجم)

(٢) كان « أور - نانشه » مؤسس سلالة « لجش » الشهيرة في عصر فجر السلالات .

(المترجم) .

واحد من أكبر وأهم التناول في العراق ، وأجريت أربع عمليات تنقيبية طويلة ومرهقة بين سنة ١٨٨٩ وسنة ١٩٠٠ كانت في بادىء الأمر بإدارة « بيترز » ثم بإدارة « جى . أج . هينز » (J. H. Haynes) الذى كان في الأصل مصوراً للبعثة ، وأخيراً بإدارة عالم الآشوريات الشهير « أج . فى . هلبشت » (H. V. Hilprecht) الذى كان متخصصاً أيضاً بالنقوش في الحملة الأولى .

لقد كانت المصاعب والعقبات قاسية ومشعبة للعزيمة . فقد توفى أحد المنقبين الشباب في الحقل ولم تمر سعة دون أن يعانى فيها عضو أو آخر من أعضاء الحملات الثلاث من مرض خطير . ولكنه على الرغم من العقبات استمر التنقيب وأنجزت البعثة نتائج رائعة لا نظير لها من بعض الوجوه خاصة في الحقل المتصل بالنصوص . فقد نجحت البعثة في الكشف عن حوالى ثلاثين ألف لوح وكسرة خلال حملاتها الأربع ، كان العدد الأكبر منها مدوناً باللغة السومرية ، وتشمل فترة تزيد على ألفي سعة تمتد من النصف الثاني من الألف الثالث حتى آخر قرون الألف الأول قبل الميلاد وبدأ نشر بعض هذه المادة المدونة في وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٨٩٣ وفقاً لخطة بعيدة النظر وطويلة الأمد فكر بها « هلبشت » كانت تقضى بمشاركة عدد كبير من الباحثين بالإضافة إليه . ولم تر جميع الأجزاء التي خطط لها ضوء النهار ، إذ ظهرت أمامها ، مثلها في ذلك مثل أغلب الخطط العظيمة ، عقبات وصعاب لم تكن متوقعة منعت تنفيذها الكامل . ولكن عدداً لا بأس به من الأجزاء قد ظهر وأثبتت هذه المؤلفات على أنها ذات أعظم قيمة لعلماء المساريات . ويقودنا هذا إلى علم السومريات وتطوره خلال الفترة التي أعقبت أيام رواده الثلاثة العظماء « هنكس » و « رولنسن » و « اوپرت » .

إن جميع المادة الأولية لدراسة السومريين ولنتهم تقريباً كانت مؤلفة حتى زمن الحفريات في « لجش » و « نقر » من جداول المقاطع ذات اللتين والنصوص ذات الترجمات المتداخلة التي اكتشفت في مكتبة « آشور بانينال » في خرائب « نينوى » والتي كانت تنشر في أجزاء مختلفة من المجلدات الجليلية التي تحمل العنوان : نصوص

مسارية من غرب آسيا ، يقوم على تحريرها « رولنسن » . ولكن تأريخ هذه المادة يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد ، أى بعد أكثر من ألف سنة على اختفاء الشعب السومرى كشخصية سياسية واللغة السومرية كلغة حية . حقاً لقد كانت بعض النصوص التى عثر عليها فى مواقع سومرية متيسرة فى أوروبا ، ولكن هذه كانت تتكون بصورة رئيسية من مجموعة صغيرة من كتابات على الآجر والألواح والاسطوانات تعود إلى الفترات السومرية والفترات التى أعقبها وجدت طريقها إلى المتحف البريطانى ، إلا أنه لا يمكن أن نستخلص منها سوى معلومات قليلة الأهمية . ان التنقيبات فى « لجش » و « نقر » وضعت تحت تصرف الباحثين آفاقاً من النصوص السومرية ذات اللغة الواحدة التى كان بإمكانهم القيام بمحاولة لترجمتها وتفسيرها بمساعدة ما كان يمكن الحصول عليه من أحكام نحوية ولنوعية من جداول المقاطع ذات اللغتين والنصوص ذات الترجمات المتداخلة التى اكتشفت فى تل كوينجى . وكانت النابلية العظمى من النصوص التى وجدت فى « لجش » و « نقر » ذات صفة إدارية واقتصادية وقانونية ومؤلفة من جداول مختلفة الأصناف والأحجام وسندات تعهيدية وإيصالات وحجج مبيعات وعقود زواج ووصايا وأحكام قضائية ، وبهذا أصبح من الممكن أخيراً الحصول على فكرة ما عن البناء السومرى الاقتصادى والاجتماعى . وكانت هذه الوثائق تحتوى أيضاً على مئات من أسماء الأشخاص والآلهة والمواقع التى كانت ذات قيمة فى معرفة شئ عن الدين السومرى . بل ومما هو أكثر أهمية من ذلك المئات من النصوص النثرية المدونة على تمثال أو مسلة أو مخروط أو على لوح طينى التى كانت ذات قيمة أساسية لدراسة التاريخ السومرى السياسى . وجاءت على الأخص من موقع « نقر » أعداد كبيرة من النصوص ذات العلاقة بمفردات اللغة والقواعد النحوية ، التى تعتبر النماذج السومرية الأولى للنصوص المتأخرة المدونة بلغتين والتى وجدت فى تل كوينجى ، وقد أثبتت هذه على أنها ذات قيمة لا تقدر لدراسة اللغة السومرية . وأخيراً عثر فى « نقر » على آلاف الألواح والكسر التى دونت عليها أعمال أدبية سومرية . وعلى الرغم من بقائها غير مفهومة عشرات السنين بعد اكتشافها ، فإن « هلبيرشت » الذى عالج وصنف كثيراً منها ،

أدرك أهميتها بالنسبة لتاريخ الدين والأدب . ولسنا مبالغين بالقول بأنه كنتيجة مباشرة لتنقيبات « لجش » و « نقر » استطاع « فرانسوا ميورو - دامجن » أن ينشر في سنة ١٩٠٥ كتاب نصوص سومر واكد الذي فتح عهداً جديداً وينشر « آرنو پوبل » (Arno Poebel) كتابه المشهور أيضاً ، أسس القواعد السومرية في سنة ١٩٢٣ .

حقاً أن كلا من هذين الباحثين استند على جهود وإنجازات من سبقه ومن عاصره وليس هناك طريقة أخرى لتقدم البحث المنتج غير هذه الطريقة . وإذا أردنا أن نذكر بعضاً من أشهر الشخصيات فقط فإننا نذكر الإنجليزى « آى ، أج ، سايس » (A. H. Seys) الذى نشر في سنة ١٨٧١ أول وثيقة سومرية ذات لغة واحدة وهى نص من نصوص الملك « شولجى »^(١) ، مؤلف من اثني عشر سطراً ، ووضع في تعليق لنوى مفصل صورة مختصرة لعدد من خصائص اللغة السومرية ، و « فرانسوا لينورما » (Francois Lenormant) وكتاباته الضخمة تحت عنوان : « دراسات أكديّة » بدأت في سنة ١٨٧٣ ، و « بول هاوپت » ، (Paul Haupt) الذى استنسخ عدداً كبيراً من النصوص السومرية ذات اللغتين وذات اللغة الواحدة الموجودة في المتحف البريطانى والذى أتم بعض الإنجازات الملحوظة في النحو ومفردات اللغة السومرية ، و « آر . آى . برونو » (R. E. brunnow) الذى وضع جدولاً بالعلامات السومرية وقراءاتها وقاموساً شاملاً للمفردات السومرية التى وجدت في النصوص ذات اللغتين المعروفة في أيامه ، أثبتنا على أنهما مهمان جداً لجميع المختصين بدراسة المفردات من تاريخ نشرها لأول مرة سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ حتى الوقت الحاضر ، على الرغم من أنهما استلزما ظهور عدد من القواميس المكتملة قام بتحضيرها باحثون آخرون للإبقاء عليهما مفيدتين على مرور الزمن أمثال « جى . دى . پرنس » (J. D. Prince) الذى نشر أول معجم سومرى مهم في سنة ١٩٠٥ ،

(١) ثانى ملوك سلالة «أور» الثالثة السومرية ، حكم مدة ٤٠ سنة ابتداء من سنة ٢٠٩٥ ق م .
(المترجم)

و « وفريدريش ديلج » (Frie rich Eelitzsch) الذى ألف كتابا فى القواعد السومرية وقاموساً سومرياً مستنداً على جذور الكلمات بدلا من العلامات وقراءاتها .

إلا أن كتاب « ثيورو — دأنجن » — فصوص سومر وأكد سنة ١٩٠٥ — الذى ظهر بعد سنتين فقط من صدوره فى ترجمة ألمانية — هو الذى أثبت على أنه الحجر الأساس فى تطوير الدراسات السومرية . أنه خلاصة وافية ورائعة لترجمة دقيقة وملاحظات وضعت بلغة محكمة تكشف عن عملية استقصاء بارعة للمعرفة السومرية المتراكمة فى ذلك الوقت ، تلك المعرفة التى يمكن تتبع قسم غير قليل منها إلى إنجازات « ثيورو — دأنجن » الأصلية نفسها . وبعد حوالى خمسة عقود من البحث المسامى ، ما زالت دراسته أبعد من أن يتفوق عليها ، وفى بعض الوجوه سوف لن يتفوق عليها قط . وفعل كتاب « پوبل » « أساس القواعد السومرية » لنحو اللغة السومرية ما فعله كتاب « ثيورو — دأنجن » للتاريخ السياسى والدينى . فقد وضع « پوبل » فى كتابه هذا مبادئ النحو السومرى وقواعده الأساسية بمنطق مقنع شارحا إياها بدقة وبتفصيل واف كل ما أمكن ذلك ، مستنداً فى ذلك كله على دراسات دقيقة مضنية ومفصلة بإحكام للكتابات السومرية ، ذات اللغتين وذات اللغة الواحدة على السواء ، التى تعود إلى كل الفترات ، من لغة لألف الثالث ق . م . « الكلاسيكية » إلى لغة « الكتاب » السومرية المتأخرة من الألف الأول ق . م . (استندت ترجمات النصوص من ١ إلى ٣٥ فى الملحق بالدرجة الأولى إلى عدد من هذه الدراسات) . لقد أسفرت الدراسات النحوية التى قام بها « پوبل » نفسه وعلماء آخرون على السواء وخاصة « فلكنشتاين » و « ثوركيلد جاكبسون » عن عدد من الإضافات والتصحيحات . وستؤدى الدراسات القادمة دون ريب إلى تعديلات فى بعض التفاصيل النحوية التى وضعت فى كتاب « أساس القواعد » ، ولكن عمل « پوبل » صمد بصورة عامة أمام اختبار الزمن ، وعلى الرغم من الرغبة السائدة فى إجراء تغيرات فى التعابير والتسمية الحضارية ، سواء أكانت تغيرات عميقة أو أو غير عميقة ، فإنه سيبقى زمناً طويلاً حجر الزاوية لجميع الجهود المبذولة فى النحو السومرى

على أن كتاب « بوبل » في القواعد السومرية لم ينظم وفقاً لأصول التدريس وإنما نظم تنظيماً منطقياً ولا يمكن استخدامه بسهولة من قبل المبتدئين الذين يرغبون في تعلم اللغة السومرية اعتماداً على أنفسهم . ويوجد كتاب صغير ومفيد من هذه الناحية هو كتاب « جى . جيه . غاد » (G. J. Gadd) المعنون : « كتاب قراءة سومرى » . غير أن هذا الكتاب نشر لأول مرة في سنة ١٩٢٤ وتوجد حاجة ماسة إلى نسخة منقحة وذات معلومات حديثة . وهناك كتاب قواعد مفيد آخر ، إذا تكلمنا من ناحية أصول التدريس وهو كتاب « انتون دايميل » (Anton Deimel) المعنون : « القواعد السومرية » (Summerische Grammatike) (الطبعة الثانية سنة ١٩٣٩) على الرغم مما فيه من معالجة مصطنعة غير قليلة للمشاكل المتصلة بترجمة النصوص السومرية . وفي حقل علم المفردات ، يعتبر كتاب نفس المؤلف المعنون : « المعجم السومرى » الذى يستند فى الغالب على مجاميع « پرونو » وآخرين ، ضرورياً جداً للباحث ، ولو أن من الواجب استخدامه بمحذر كبير وحسن تمييز . إن أقوى المؤلفات فى المفردات أثراً وأساسية تحت الإعداد فى الوقت الحاضر هو : Materialien Znm Sumerischen Lexikon : vokabulare and Formularbucher (مواد للمعجم السومرى : كتاب مفردات وجداول) . « ينفولاندزبرجر » — عميد علماء الآشوريات . إن ثمانية أجزاء تتكون من أحدث التأليف للجداول المقطعية والمفردات والنصوص الثنائية اللغة المتعلقة بمفردات اللغة المتأخرة بالإضافة إلى نماذجها السومرية التى تعود إلى تاريخ أقدم قد ظهرت فعلاً بإشراف المعهد البابوى الكتاب المقدس فى روما ، وهو معهد يدين له كل علماء المسمريات بالفضل العميق لما تبناه من الدراسات السومرية خلال الخمسين سنة الماضية .

ولنترك الآن البحث اللغوى السومرى ونعود إلى الآثار وذلك لتلخيص نتائج بعض أهم التنقيبات فى المواقع السومرية التى بدأت بمسح كبير فى « لجش » و « نر » فى سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣ عملت بعثة ألمانية بإدارة « روبرت كولديفى » (Robert Koldevey) فى موقع « فارة » « شورباك » القديمة ، موطن بطل الطوفان

« زيوسودرا »^(١) ، وأخرجت من تحت التراب عدداً كبيراً من النصوص الإدارية والاقتصادية والنصوص المتعلقة بالفردات التي يعود تاريخها إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد فهي لذلك أقدم من نصوص سلالة « أور — نانشة » التي عثر عليها في « لجش » . وتشمل النصوص الاقتصادية كبيع البيوت والحقول مما يشير إلى وجود الثروة الخاصة في بلاد سومر وهي سمّة من سمات الحياة السومرية ظلت موضوع نقاش بين المستشرقين فتره طويلة . وكانت نصوص « فارة » المعجمية أيضاً ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ المدنية لأنها أشارت إلى وجود المدارس السومرية في زمن مبكر يعود إلى للقرن الخامس واليشرين ق.م. بل وربما إلى زمن أقدم من ذلك . وكشف المنقبون كذلك عن عدد من المباني الخاصة والعامة والمقابر والأواني الحجرية والمعدنية والهياكل الصغيرة وعدد كبير من الأختام الإسطوانية ؛ وفي سنة ١٩٣٠ عادت إلى « فارة » بعثة من جامعة بنسلفانيا بإدارة « أريك شميت » (Erick Shmidt) ولكن التي الجديدة لم تختلف مادياً عن تلك التي عثر عليها قبل ثلاثين سنة تقريباً . وكان من حسن حظي وأنا شاب وعلى ما كنت عليه من قلة التجربة ، أن أكون الموكل على شؤون الكتابات في البعثة . ودرس أغلب ألواح « فارة » ونشرها « أنتون دايمل » وعالم السومريات الفرنسي « آر. جستين » (R, Jestin)

وفي سنة ١٩٣٠ تقبّت بعثة من جامعة شيكاغو بإدارة « أي. جه . بانكس » (E.J, Bankes) في بسايا موقع مدينة « أدب » عاصمة « لوجال آتموندا » . وهنا أيضاً اكتشف عدد لا بأس به من الألواح القديمة الشبيهة بألواح « فارة » في الشكل والمحتوى . وأخرج « بانكس » كذلك بقايا عدة معابد وقصور وعدداً كبيراً من النصوص النذرية وتمثالا يحمل اسم « لوجال دالو » يعود تاريخه إلى حوالي سنة ٢٤٠٠ ق.م. أما المؤلف الضخم الذي نتج عن أعمال هذه البعثة فهو مجلد أصدره معهد الدراسات الشرقية يضم نصوصاً استنسخها « دي. دي. لسكينبل »

(١) نظير « نوح » في قصة لوطوفان السومرية (المترجم) .

(D. D. Luckenbill) . ويعتبر هذا المجلد ذا قيمة خاصة لتاريخ بلاد سومر خلال الفترة السرجونية وما قبلها .

وقامت من سنة ١٩١٢ إلى ١٩١٤ بعثة فرنسية بإدارة عالم المساريات المعروف « هنري دى جينويلاك » بالحفر في مدينه « كيش » أول مدينة هبطت فيها الملكية بعد الطوفان . وأوقفت الحرب العالمية الأولى هذه الحفريات إلا أن بعثة إنكليزية - أمريكية عادت سنة ١٩٢٣ إلى مدينة « كيش » بإدارة عالم مساويات شهير آخر هو « استيفان لانجدون » (Stephen Langdon) وعملت هناك مدة عشرة مواسم متتابة . لقد كشفت هذه عن عدة مبان تذكارية وزقورات ومقابر وعن عدد كبير من الألواح الطينية ، وصدر عدد من المؤلفات من قبل كل من متحف « فيلد » الذى اهتم بالمواد الآثارية وجامعة « أكسفورد » التى انصب اهتمامها على المواد الخاصة بالكتابات . وعملت جماعة صغيرة من بعثة « كيش » هذه أيضاً مدة قصيرة في موقع « جمدة نصر » القريب ، وهو تل يغطى خرائب مدينة ما زال اسمها القديم مجهولاً . وكانت هذه التنقيبات المتواضعة نسبياً في موقع يعتبر في الواقع صغيراً موفقة إلى درجة الكشف عن عدة مئات من الألواح والكسر المدونة بعلامات شبه صورية يعود تأريخها إلى حوالى سنة ٢٨٠٠ ق م . فكانت لذلك أقدم نصوص سومرية بكمية لا بأس بها عرفت في ذلك الوقت ^(١) . إن هذه الألواح التى استنسخها ونشرها « لانجدون » وضعت الحجر الأساس في دراسات الكتابات السومرية .

ثم نأتى الآن إلى موقع يعرف من قبل المحدثين بإسم « الوركاء » ويعرف من قبل السومريين والأكديين القدامى بإسم « إوروك » وورد الإسم في التوراة على هيئة « إرك » حيث تجرى في هذه الأيام بالذات أكثر التنقيبات انتظاماً وعلمية ، تنقيبات برهنت على أنها أساسية لما يمكن التعبير عنه بالدراسة « الطبقيّة » لتاريخ السومرى وحضارته . لقد بدأت التنقيبات المنتظمة لأول مرة هناك بعثة ألمانية بإدارة « يوليوس يوردان » (Julius Jordan) وبعد توقف لا بد منه بسبب الحرب العالمية

(١) أنظر الفصل السادس للإطلاع على وصف لألواح « الوركاء » الصورية الأولى .

الأولى عادت البعثة في سنة ١٩٢٨ وواصلت تنقيباتها إلى أوقفها الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٣٩ . وكانت البعثة خلال هذه السنوات كلها تضم بين أعضائها عدداً من المتخصصين المشهورين بقراءة الخطوط منهم « آدم فلكنشتاين » الذي كان خصب الإنتاج ومسهماً رائداً في الدراسات السومرية خلال العقود الثلاثة الماضية . إن بعثة « الوركاء » هذه هي التي وضعت نوعاً من التواريخ النسبية^(١) لجميع اللقى السومرية وذلك عن طريق حفر حفرة تجريبية كبيرة اخترقت حوالى عشرين متراً من مستوطن موزع على طبقات متعاقبة إلى أن وصل الحفر إلى الأرض البكر ، ثم القيام بدراسة اللقى في الطبقات والفترات المتعاقبة المتعددة دراسة دقيقة وتصنيفها ابتداء من أول المستوطنات وإنهاء بنصف الألف الثالث ق . م . وكشفت البعثة عن أقدم البنايات الهامة في سومر المعروفة في ذلك الوقت والتي يبدأ تأريخها من حوالى ٣٠٠٠ ق . م . وكان من بين آثارها الصغيرة الحجم التي لا تعد إناء رخامى يقرب إرتفاعه من المترين مناظر طقوسية توضح إلى حد كبير الشعائر والتقاليد الدينية السومرية القديمة . وكان من بينها كذلك رأس امرأة من الرمر بالحجم الطبيعي يعود تأريخه إلى حوالى ٢٨٠٠ ق . م . يدل على أن النحت الجسم السومري القديم قد بلغ مستويات عالية من الإبداع لم تكن متصورة من قبل ، واكتشف في أحد المعابد الضخمة أكثر من ألف لوح طيني عليها نقوش كتابية جعلت من الممكن تتبع نظام الكتابة المسماة إلى أقدم مرحلة من مراحل تطوره . وقد نشر عدد كبير من كتابات هذه الألواح في مجلد فاخر أعد بعناية فائقة وبعد دراسة طويلة من قبل « آدم فلكنشتاين » .

رعات البعثة الألمانية في سنة ١٩٥٤ إلى « الوركاء » بإدارة مدير جديد وهو « ه . لنزن » (H. Lenzen) ، وما زالت تواصل تنقيباتها الدقيقة والمهجية التي ستجعل بلا شك « الوركاء » - مدينة أبطال سومر العظام - حجر الزاوية

(١) التاريخ النسبي هو الذى يحدد تسلسل الأحداث وعلاقاتها الزمنية ببعضها البعض ، كما يحدد العلاقة بالنسبة الزمنية لمجموعة من الآثار ، فيقال مثلاً هذا الأثر أقدم من ذاك . وتوصلت البعثة الألمانية إلى ذلك بدراسة الطبقات المتتالية ، حيث تكون الطبقة السفلى أقدم طبقة في الواقع وأعلى طبقة فيه أحدث طبقة . (المبرمج) .

في علم آثار بلاد ما بين النهرين في جميع نواحيه : العبارة والفن والتاريخ والدين والكتابة .

وننتقل من « أرك » التوراة إلى « أور » التوراة أو « أوريم » ، كما كانت تعرف عند السومريين ، المدينة التي نقب فيها من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٣٤ بمهارة ودقة وحنكة السير «ليونارد وولي» . لقد وصف « وولي » اكتشافاته في « أور » مراراً عديدة لكل من العالم والقارئ العادي — ولسنا بحاجة هنا إلا لذكر آخر مؤلفاته فقط وهو «التنقيبات» «أور» (سنة ١٩٥٤) . ومن خلال كتاباته أصبحت مقابر «أور» الملكية وزقوراتها و « حفرة للطوفان » كلمات يومية مألوفة تقريباً . ومما هو غير معروف بصورة جيدة ، ولكنه إسهام رائع أيضاً ، هو ما قام به المختصون بالخطوط الذين كانوا مع البعثة وهم : سي . جيه . غاد (C. J. Gadd) « وليون لاغرين » (Leon Lagrian) و إي . بوروز (E. Burrows) الذين قاموا باستنساخ ومراجعة ونشر جزء كبير من الوثائق المدونة التي اكتشفت في « أور » — وهي وثائق ألفت ضوءاً جديداً على تاريخ بلاد سومر واقتصادها وحضارتها وليس «أور» وحدها .

ويقع بالقرب من « أور » — على مسافة حوالى أربعة أميال إلى الشمال منها — تل صغير قليل الارتفاع يعرف بإسم « العبيد » الذي لعب دوراً كبيراً في علم آثار العراق على الرغم من صغر حجمه . لقد تحرى هذا التل لأول مرة « ه . ر . هول » (H.R.Hall) من المتحف البريطاني في سنة ١٩١٩ ، ونقب فيه بعد ذلك « ليونارد وولي » بانتظام فوجد أنه تل يعود في جزء منه إلى عصر ما قبل التاريخ ويحتوى على دليل من أقدم المهاجرين إلى البلاد (أنظر رأى المؤلف عن هذا الموضوع في (Orientalia) سنة ١٩٧٠) . لقد كان هؤلاء الناس ، الذين أصبحوا يعرفون بإسم « العبيديون » ، ينتجون ويستعملون نوعاً خاصاً من الأواني الملونة بالون واحد وأدوات من حجر الصوان والحجر البركاني الزجاجي الذي وجد فيما بعد في الطبقات السفلى لعدد من المواقع العراقية الأخرى . وكشف « وولي » أيضاً في هذا الموقع عن معبد صغير للإلهة

« نينخورساج » الذى بالإضافة إلى ما مدنا به من صورة حية لما كان عليه شكل واحد من أشكال المعابد المحلية الصغيرة فى منتصف الألف الثالث ق. م. ، برهن بدون أى شك على أن ما كانت تسمى بسلالة «أور» الأولى ، التى كان العلماء يميلون إلى اعتبارها سلالة أسطورية ، كانت موجودة فى الواقع . وهكذا ساعد هذا الاكتشاف على تغيير الاتجاه المفرط نحو التشكيك الذى كان سائداً بالنسبة لثبوت الملوك ذى الأهمية الكبيرة ، وهو تغير أعطى بدوره تبصرة أوضح فى التاريخ السياسى السومرى .

— وفى أقصى الشمال الشرقى من بلاد سومر على الجهة الشرقية من نهر دجلة ، فى منطقة بعيدة إلى حد ما عن المناطق السومرية المألوفة من وجهة نظر علم السومريات ، يقع عدد من التلول التى جلبت انتباه « هنرى فرانكفورت » ، وهو واحد من أعظم علماء التنقيب فى العالم ، ومؤرخ للفن حاد الملاحظة ، وعالم ذو اتجاه فلسفى كانت وفاته المبكرة خسارة لا تعوض بالنسبة للدراسات الشرقية . لقد أدار « فرانكفورت » بين سنة ١٩٣٠ و ١٩٣٦ تنقيبات دقيقة ومنظمة فى تلول أسمر ، وخفاجة وعقرب وكشف عن معابد وقصور وبيوت خاصة وألواح طينية وأختام إسطوانية وعدد من التماثيل المسجمة التى أثارت دهشة كبيرة والتى يرجع قسم منها إلى حوالى سنة ٢٧٠٠ ق. م. — أى حوالى قرن واحد فقط بعد الفترة التى يعود إليها رأس المرأة الذى عثر عليه فى « الوركاء » وكان من بين أصحاب « فرانكفورت » العاملين « بنحاس ديلوجز » (Pinhas Delougas) وهو مثقف ذو خبرة طويلة أصبح الآن مديراً لمعهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو . و « سيتن لزيد » (Seton Lloyd) الذى أصبح مستشاراً لمديرية الآثار العراقية ، والذى ربما شارك فى تنقيبات عدد من المواقع السومرية يزيد على عدد المواقع التى نقب فيها أى منقب آخر ما زال حياً ، و « ثوركايلا جاكبسون » ، العالم الفذ الذى كان خبيراً فى كل من علم الآثار والنقوش الكتابية وتظهر نتائج هذه التنقيبات فى سلسلة من مطبوعات معهد الدراسات الشرقية الرائعة والهامة بسبب معالجتها المفصلة والموضحة جداً للعمارة إلى جانب اهتمامها بالآثار الفنية والنصوص .

ونقبت في مدينة « ماري » من سنة ١٩٣٣ إلى ١٩٥٦ بعثة من متحف اللوفر دون انقطاع إلا خلال الحرب العالمية الثانية بإدارة « أندريه پارو » ، المنقب الذي أغلق إلى حد ما الكتاب الخاص بمدينة « لجش » وتقع مدينة « ماري » على نهر الفرات الأوسط ، على مسافة بعيدة جداً إلى الغرب مما يعتبر عادة منطقة سومرية . وكانت نتائج التنقيبات فذة وغير متوقعة — فهنا مدينة ربما كان سكانها من أقدم العصور من الساميين — لأن جميع النصوص التي اكتشفت في « ماري » تقريباً حتى هذا التاريخ « أكديّة » ومع ذلك من الصعب تمييزها عن أي مدينة سومرية من الناحية الحضارية — لأن فيها نفس نماذج المعابد ، والزقورة والنحت والتطعيم ، بل حتى تمثال صغير لغن كتب عليه الاسم السومري الأصيل « أور — نازشه » ، وهو نفس الاسم الذي يحمله مؤسس أقدم سلالة معروفة في مدينة « لجش » . وكان التخصص الرئيسي في النقوش مع بعثة اللوفر عالم المساريات البلجيكي « جورج ديسان » (George Dissin) ، الذي يقوم بالمشاركة مع « پارو » بتحرير سلسلة هامة من المجلدات الخاصة بالمواد الكتابية المكتشفة في مدينة « ماري » يسهم في الكتابة فيها عدد من العلماء الفرنسيين والبلجيكيين . وبفضل ما حققوه في « لجش » و « ماري » عاد الفرنسيون مرة أخرى إلى احتلال منزلة عالية في علم الآثار والأبحاث الخاصة ببلاد ما بين النهرين .

وخلال سنوات الحرب ، في الوقت الذي لم يكن فيه ارسال البعثات الأجنبية عملياً أو ممكناً ، تطورت مديرية الآثار العراقية التي تمت من بدايات صغيرة إلى دائرة جيدة للمنتخبين وقارئى الكتابات والمسجلين والقائمين على الصيانة الآثرية ، ووضعت علم الآثار في بلاد ما بين النهرين على مستوى علمي رفيع ، بجهودها الخاصة وقامت بثلاث عمليات تنقيبية تتصل بالدراسات السومرية وذات أهمية خاصة بالنسبة لها ، ففي تل يسمى « العقير » ، وهو يمثل خرائب مدينة لا زال أسمها القديم مجهولاً ، اكتشفت بعثة بإدارة فؤاد سفر^(١) في سنتي ١٩٤٠ و ١٩٤١ عن أول معبد سومري

(١) من أبرز العاملين في حقل الآثار في العراق وما زال يعمل كمتفّش عام لآثار وتعلمد على يده عدد كبير من الطلبة العراقيين (المترجم)

مطلي الجدران عرف حتى ذلك الوقت مع زخارف ملونة تغطي الجدران الداخلية والمحراب ، وكشفت كذلك عن بعض البيوت من عصر « العبيد »^(١) كما كشفت عن عدد من الألواح الطينية القديمة . وفي تل حرمل ، وهل تل صغير على مسافة حوالى ستة أميال إلى الشرق من بغداد ، تولى طه باقر^(٢) الذى كان حينذاك مديرا لمتحف العراق ، إدارة تنقيبات من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٩ ، وكشف النقاب أمام دهشة العلماء فى العالم عن أكثر من ألفى لوح ؛ كان بينها عدد من « الكتب المدرسية » فى الرياضيات واللغة وصلت فى حالة ممتازة ، كما اكتشفت معبدا . وفى الطرف الجنوبي من بلاد سومر ، فى « أريدو » القديمة (مقر الإله « أنكى » إله الحكمة السومرى) ، أدار فؤاد سفر عمليات الحفر فى سنوات ١٩٤٦ — ١٩٤٩ واكتشف أقدم نغار من عصر « العبيد » ومقبرة عبيدية وقصرين من منتصف الألف الثالث ق . م . وتتبع البعثة آثار معبد « أنكى » إلى المرحلة الأولى من مراحل بنائه التى يعود تأريخها إلى حوالى سنة ٤٠٠٠ ق . م . ولكن من الحزن القول بأنه لم يعثر فى « أريدو » على لوح مدون واحد — وهى حالة غريبة حقاً بالنسبة لمدينة كان إلهها الحامى إله الحكمة .

وبعد سنوات الحرب ، كانت هناك بعثتان كبيرتان فقط تنقبان فى سومر ، فقد عاد الألمان إلى « الوركاء » ، وعاد الأمريكان بفضل جهود « ثور كايلد جاكسون » بالدرجة الأولى ، إلى « نقر » وفى مواسم متعاقبة اكتشفت معبد « إنليل » كما عثر على أكثر من ألف لوح وكسرة لوح مدونة (حوالى خمسمائة لوح منها نصوص أدبية) ، وبدأت بالكشف عن معبد للإلهة « إينانا » غير أن مستقبل التنقيبات السومرية يقع الآن بأيدي العراقيين أنفسهم ، وهناك سبب وجيه للأمل بأن

(١) من عصور ما قبل التاريخ فى العراق يعود زمنه إلى أواخر الألف السادس والألف الخامس ق . م . (المترجم) .
(٢) عالم آخر من علماء الآثار العراقيين ، بذل جهوداً كبيرة فى حقل التنقيب والتأليف وعمل سنوات عديدة فى مديرية الآثار العراقية ، ويعمل فى الوقت الحاضر استاذاً فى جامعة بغداد . (المترجم)

العلماء والمفكرين العراقيين سوف لا يهتمون أسلافهم من الماضي البعيد الذين فعلوا الكثير لا للعراق فحسب ، ولكن للإنسان في أنحاء العالم كافة .

نكتفي بهذا القدر من النظرة العامة عن فك رموز الكتابة وعلم الآثار المتصلين ببلاد سومر والسومريين . إلا أنه يجب قبل التحول إلى تاريخ سومر ، وهو موضوع فصلنا القادم ، أن تكون لدى القارئ فكره بسيطة على الأقل عن أكثر المشاكل تعقيداً التي تسبب إزعاجاً للمنقب والمؤرخ في الشرق الأدنى - ألا وهي مشكلة تسلسل الأحداث التاريخي . إن هذه المشكلة لم تحل بطريقة (كريبون ١٤) المستعمل في تحديد تواريخ الأحداث المختلفة . فبسبب عوامل طبيعية وهيكلية بحيث أظهرت نتائج هذه الطريقة بأنها غامضة وتقود إلى سوء الفهم ، هذا دون أن نذكر حقيقة أن في حالة الجزء الجنوبي من العراق كان مدى الخطأ الذي يسمح به باستخدام هذه الطريقة واسعاً بحيث لا تدعو النتائج إلى الاطمئنان .

لقد كانت التواريخ التي وضعت وأعطيت سابقاً للملوك والآثار السومرية بصورة عامة عالية جداً (أي وضعت السومريين في تاريخ أقدم مما هو في الواقع) وإذا كان هذا يعود جزئياً إلى ميل المنقبين المفهوم جداً نحو الإدعاء بقدم مكتشفاتهم الشخصية فإنه يعود بصورة رئيسية إلى ما كان متيسراً من المصادر وبشكل خاص إلى جداول السلالات المتعددة التي جمعها الكتاب السومريون والبابليون القدماء أنفسهم^(١) لأن هؤلاء وضعوا سلالات الملوك بصورة توحي بأنها كانت متتابعة بينما يعرف الآن من وثائق أخرى أن عدداً منها كان متعاصراً إما كلياً أو جزئياً . وفي الوقت الذي مازال فيه الاتفاق التام في الرأي حول هذا الموضوع مفقوداً ، فإن التواريخ السومرية خففت الآن تخفيضاً كبيراً عن تلك التي نجدتها في كتب تاريخ سابقة حتى أن التخفيض وصل في بعض الحالات إلى خمسمائة سنة .

إن الحديثين الذين يعتبر تاريخهما مفتاحاً بالنسبة لمعرفة التسلسل التاريخي للأحداث السومرية هما نهاية سلالة « أور » الثالثة ، حينما فقد السومريون مكانتهم

(١) للاطلاع على واحدة من أهم هذه القوائم وهي المسماة قائمة الملوك السومرية ، انظر في

الملحق (ه) .

السياسية المرموقة في بلاد ما بين النهرين ، وبداية حكم « حورابى » ملك « بابل » ، عندما انتهى من جميع الوجوه والأغراض وجود السومريين كشخصية سياسية وعرقية ولغوية . والشئ المتفق عليه في الوقت الحاضر بصورة عامة هو أن تأريخ الملك « حورابى » كان حوالى سنة ١٧٥٠ ق . م . مع زيادة أو نقصان خمسين سنة . أما بالنسبة للفترة الزمنية بين هذا التأريخ ونهاية سلاله « أور » الثالثة فتوجد مادة كتابية كافية لتظهر بالحساب الدقيق بأنها كانت حوالى ١٩٥ سنة . فن الجأز إذن أن توضع نهاية سلاله « أور » الثالثة في سنة ١٩٤٥ ق . م . مع زيادة أو نقصان خمسين سنة . ومن هذا التاريخ رجوعا إلى الماضي القديم توجد نصوص تاريخية وقوائم تواريخ وأخبار تعاصر بين أحداث متنوعة تكفى لنقلنا إلى الوراء إلى مايقرب من سنة ٢٥٠٠ ق . م ، وتوصلنا إلى ملك يحمل اسم « مسيلم » أما بالنسبة للجهود التى سبقت هذا الملك فان تواريخها التى وضعت استندت استناداً كلياً على استنتاجات آثارية واستنتاجات توصل إليها من دراسة تتابع الطبقات فى المواقع الآثرية وعلى استدلالات وظنون مستمدة من مصادر كتابية متنوعة وعلى نتائج فحوص كاربون ١٤ (C14) (١) التى ، كما قيل سابقاً ، لم تثبت على أنها قاطعة وحاسمة كما كان يتوقع لها .

(١) إن هذه الطريقة فى تحديد تواريخ المواد القديمة استخدمت لأول مرة فى سنة ١٩٥٩ وعقدت عليها آمال كبيرة للمساعدة على التوصل إلى تواريخ قاطعة ، إلا أن التجارب أثبتت أنها لا تؤدي إلى نتائج حاسمة كما أنها غير نافعة فى تحديد تواريخ المواد التى تعود الى ما قبل ٧٠٠٠ سنة . ويمكننا أن نلخص هذه الطريقة على الوجه التالى : بنتيجة تعرض الذرات اليتروجينية فى الجو إلى النيوترونات الموجودة فى الأشعة الكونية تتكون مادة الـ (C 14) (كاربون ١٤) الاشعاعية بنسبة ثابتة معروفة . ثم تندمج هذه المادة مع ثانى أو أكسيد الكاربون الموجود فى الجو . وتحتسب النباتات ثانى أو أكسيد الكاربون المتحد مع (C 14) وتنقل هذه المادة من النبات إلى الأنسجة الحيوانية عن طريق الطعام . وبعد موت الحيوان يتوقف امتصاص النظائر ويبدأ النشاط الإشعاعى فى البقايا العضوية بالتناقص التدريجى بفعل أشعة « بيتا » إلى أن تنتهى نصف كمية المواد المشعة بعد ٥٧٣٠ سنة ، وهذه الفترة تمثل « نصف حياة » النظير ، وبعد ٥٧٣٠ سنة أخرى تخفى نصف الكمية الباقية ، وهكذا إلى أن تنتهى مادة (C 14) . وبالحساب الدقيق يمكن تحديد عمر البقايا ... إن مادة الكاربون العضوية لحسن الحظ ثابتة فى كل المواد الحية . لذلك أصبح بالإمكان الاستفادة من الحشب والعظام والبقايا النباتية . ولكن النشاط الإشعاعى الذى يتضاءل تدريجياً يحدد هذه الطريقة بحوالى ٤٠ ألف سنة ، كما اظهرت التجارب بأن هناك مجالاً للخطأ مما جعلها غير حاسمة (المترجم) .

الفصل الثاني

التاريخ: أبطال وملوك وأمراء

1

2

3

4

5

الآن وقد أوضحنا لحد ما على الأقل الأسلوب والإجراءات التي استطاع بها المنقّب والعالم المحدثان أن يبعث السومريين الذين انقرضوا منذ زمن طويل إلى الحياة وأعاد أبناء حضارتهم التي نسيت منذ زمن بعيد ، أصبحنا على استعداد للتحويل نحو تاريخ بلاد سومر ، أى إلى تلك الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية التي سببت قيام سومر وسقوطها ، على أن استعدادنا هذا ما زال في الواقع ناقصاً ، لأن هناك مظهراً واحداً مزعجاً في مشكلة إعادة بناء التاريخ السومري يجب تنبيه القارئ إليه ، ألا وهو طبيعة المصادر المتصلة بالموضوع ، فهي غامضة ومحيرة وضئيلة ومتحيزة . فن حوالى سنة ٤٥٠٠ ق . م . حينما قامت أولى المستوطنات في بلاد سومر . إلى حوالى ١٧٥٠ ق . م . عندما انتهى وجود السومريين كشعب ، فترة من الزمن تقارب ثلاثة آلاف سنة ، وللقارئ أن يتساءل عن المصدر الذي نحصل منه على معلوماتنا التاريخية وإلى أى مدى يمكن الاعتماد عليها .

ولنبداً من الجانب المظلم والسلبى من الصورة الذى لا ينشر بشئ ، وهو حقيقة أن السومريين أنفسهم لم يكتبوا تاريخاً بالمعنى المقبول عامة لهذه الكلمة ، أى التاريخ الذى هو عبارة عن أساليب موضحة ومبادئ أساسية . إن المتعلمين ورجال الأدب السومريين لم يمتلكوا العدة العقلية اللازمة للتعريف والتعميم ولا طريقة الفهم التطورية الضرورية للتقييم والتفسير التاريخى . وبما أنهم كانوا مقيدين بوجهة النظر إلى العالم التى كانت سائدة في أيامهم وقبلوا كحقيقة بديهية بأن الظواهر الحضارية والأحداث التاريخية تاتى كاملة الصنع ، « كاملة النمو . . . كاملة التفتح » على المسرح العالمى ، لأنها خططت وصنعت من قبل الآلهة الجبارة — فمن المرجح أنه لم يذر بخلد أعظم المفكرين والمتعلمين من الحكماء السومريين بأن بلاد سومر كانت في يوم من الأيام أهواراً موحشة ليس فيها إلا بضعة مستوطنات متفرقة وأنها لم تتحول تدريجياً إلى مجتمع صاحب ومزدهر ومعقد إلا بعد أجيال عديدة من الكفاح والكدح الذين

لعبت فيهما دوراً بارزاً الإرادة والتصميم البشريان ، والخطط التي وضعها الإنسان والتجارب والاختراعات والاكتشافات التي أنجزها . إن المثقف السومري ، الذي مثل عقلياً بهذا الموقف العقيم والجامد من تاريخ الإنسان ، استطاع في أحسن الأحوال أن يكون جامعاً للوثائق أكثر منه مؤرخاً ، أو مصنفاً للأحداث ، ومحلاً أكثر منه مفسراً وشارحاً للحقائق التاريخية .

على أنه حتى التاريخ الذي هو من صنف جمع وترتيب الأحداث حسب تسلسلها الزمني كان يجب أن يبتدع من قبل شخص ما في مكان ما ليسد حاجة اعتبرت مهمة لسبب أو آخر . وفي حالة السومريين لم يظهر هذا النوع من التاريخ كنتيجة لاهتمام حقيق في تسجيل الوقائع والأحداث لذاتها ، بل ظهر بسبب الاعتقاد الديني بأن ملوك المدن وحكامها ، الذين كانوا يعرفون عادة باسم « أنسى Ense » كان بمقدورهم تحقيق حياة طويلة لأنفسهم بالإضافة إلى تحقيق خير ورخاء شعوبهم بتشييد وترميم وتأسيس المعابد التي كانت على ما يفترض مساكن لآلهتهم . وقبل اختراع الكتابة بقيت هذه الإنجازات العمرانية الملكية والأميرية غير مسجلة للأجيال القادمة على الرغم من أنها كانت دون شك تصطبغ بطقوس مثيرة وهراسيم رمزية .

بيد أنه حالما نما نظام الكتابة المسارية من أقدم مرحلته الصورية ، لا بد أن تكون قد خطرت ببال شخص ما من كهنة المعبد والكتاب فكرة تدوين أعمال الحكام البنائية والهدايا النذرية ، وعلى هذا بدأوا بتسجيلها ليراهم ويتذكروها جميع الناس في المستقبل البعيد . لقد ثبتت جذور هذه الفكرة استناداً إلى معلوماتنا المتيسرة في الوقت الحاضر ، في الربع الثاني من الألف الثالث ق . م . ، ومن الجائز القول بأنه في ذلك الزمان والمكان بدأ التاريخ المدون .

حقاً لقد كانت النصوص النذرية والبنائية الأولى تتكون من سجل تكريسية مختصرة ذات قيمة تاريخية قليلة . ولكن الكتاب أصبحوا تدريجياً أكثر ثقة بأنفسهم وأكثر أصالة وكلاماً ، حتى إننا نجد حوالي القرن الرابع والعشرين ق . م .

معلومات تاريخية معقدة نسبياً ومتنوعة كالمعاهدة بين مدينتي « لجش » و « أوما » المدونة على مسلة النصور وأخبار الملك « أيانا تم » الحربية ، ورواية الملك « أنيتمينا » عن الحرب الأهلية المستمرة بين « لجش » و « أوما » وسجل الملك « أوروكلجينا » القيم لأول إصلاحات اجتماعية في تاريخ الإنسان استندت إلى إدراك لأهمية الحرية والمساواة ، وتمجيد الملك « لوجالزاجيري » وتبجيله للسلام والرخاء والسعادة والأمان التي عمت بلاد سومر خلال حكمه . وكانت المادة الكتابية التي استفاد منها « المؤرخون » القدامى متنوعة ومختلفة إلى حد كبير ، فقد كانت مؤلفة من ألواح طينية وحجرية وآجر وعتبات أبواب وأوان ومزهريات ، ومسامير ومخاريط وأساطين ورؤوس هراوات وأسلحة وصفائح من المعدن أو الحجر أو الطين ، ومنحوتات صغيرة من الحجر والمعدن . وتصل الكتابات النذرية في مجملها إلى حوالي ألف نص على أن محتويات الأكثرية العظمى منها لسوء الحظ قصيرة ومقتضبة جداً . وعلى أية حال ، إن هذه المجموعة من النصوص ، التي تعاصر تقريباً الأحداث التي تسجلها ، هي التي أثبتت على أنها مصدر رئيسي لتاريخ بلاد سومر السياسي ، على ما هي عليه من تميز ومافيه من مشاكل . وفي الواقع ، من المحتمل جداً أن يكون المؤرخون السومريون القدامى أنفسهم قد استفادوا مرات عديدة من هذه المصادر لمساعدتهم في تحضير وثائقهم الأدبية والتاريخية الخاصة .

وهناك مصدر تاريخي آخر معاصر وأساسي وهام يستمد بصورة غير متوقعة في الواقع من الوثائق الاقتصادية والإدارية ويتألف مما يعرف عادة باسم أثبات^(١) (أو جداول) الأحداث الهامة التي كان يؤرخ بها فقد كان من الواجب تثبيت زمن المعاملات والصفقات التجارية المسجلة في هذه الوثائق في حينه لأغراض عملية ، وفي وقت مبكر يعود إلى حوالي سنة ٢٥٠٠ ق م . بدأ الكتاب الأكثر إبداعاً بإيجاد طرق لتثبيت التواريخ ليتمكن الاستفادة منها . ومن حسن حظنا ، أنهم لم يختاروا طريقة وضع تأريخ لهذه الوثائق بمجرد وضع عدد السنوات من نقطة بداية متفق عليها بصورة عامة ، كبداية حكم جديد أو سلالة جديدة ، بل بالأحرى ، استقروا

() أثبات جمع ثبت .

بعد إجراء بعض التجارب على طريقة تسمية السنوات بحوادث دينية وسياسية هامة ، إن هذه الطريقة في وضع تأريخ الأحداث تمدنا بمعلومات تاريخية ذات قيمة رئيسية . ولتجديد السنوات التي تؤرخ بموجبها سجلاتهم بدقة أكثر ، قام الكتاب أيضاً بوضع جداول تضم جميع أسماء السنين المستخدمة خلال حكم محدد أو خلال سلسلة متتابعة من الحكام ، ومكنت هذه الجداول القديمة الباحث الحديث من ترتيب الأحداث المسجلة في إثباتات الأحداث التاريخية وفقاً لتسلسلها الزمني الصحيح .

إن واحداً من أعمق الوثائق السومرية التاريخية ، الذي استند دون ريب إلى حد كبير على أثبات الأحداث التاريخية وجدول التواريخ ، هو ما يسمى بثبت الملوك الذي يسجل أسماء أغلب ملوك بلاد سومر ومدد حكمهم ابتداءً من الفترة التي كانت بالنسبة للسومريين بداية التاريخ — وهي الفترة التي تعود إلى أزمان سحيقة في القدم عندما « هبطت الملكية (لأول مرة) من السماء » — إلى جزء من سلالة « أيسن » التي بدأت حكمها حوالي سنة ١٩٥٠ ق . م . حقاً ، إن هذه الوثيقة الفريدة خايط في الواقع بين الحقيقة والخيال ، وغالباً ما يكون من الصعب الجزم متى تبدأ الحقيقة وينتهي الخيال ، وكان مؤلفها على ما يبدو يعمل تحت تأثير الوهم بأن جميع السلالات التي وضعها في الثبت قامت الواحدة بعد الأخرى في تتابع ثابت ، بينما كانت في واقع الأمر ، إن لم تكن كلها فأكثرها ، متعاصرة لفترة طويلة أو قصيرة ، أضيف إلى ذلك ما كان يعطى من مدد حكم ذات ديمومة أسطورية وغير مقبولة بالنسبة لعدد كبير من السلالات الأولى ، ووصلوا بذلك إلى مجموع يقرب من ربع مليون سنة بالنسبة للملوك فترة ما قبل الطوفان الثمانية ، وإلى مجموع يزيد على خمسة وعشرين ألف سنة بالنسبة لأول سلالتين بعد الطوفان . ولكن ثبت الملوك يمدنا على الرغم من جميع أخطائه وعيوبه بإطار تاريخي لا تقدر قيمته^(١) إذا استخدم بحذر وتفهم .

ويتألف مصدر تاريخي آخر يساعد على توضيح وكشف جوانب متعددة من التاريخ السومري مما يجوز تسميته بـ « الرسائل الملكية » وهي الرسائل التي تبودلت بين

(١) للاطلاع على ترجمة ثبت الملوك انظر الملحق (ه) .

الحكام وموظفيهم ، وظهرت هذه الرسائل لأول مرة في وقت مبكر في القرن الرابع والعشرين ق.م. ولكن أهم مجموعة من الرسائل بالنسبة للتاريخ هي رسائل ملوك سلالة أور الثالثة . إن هذه الرسائل تكشف عن الدوافع ، والإغراءات والخصومات والدسائس التي كانت تجري من وراء الستار ، وتضفي لمسة إنسانية حية ، إذا لم تكن أحياناً ساحرة ، على النصوص النذرية وإثباتات الأحداث التاريخية التي كانت في الواقع جافة وخالية من الحياة ، ومما هو مثير إلى درجة كبيرة هو أن هذه الرسائل الملكية لم تصل إلينا بشكلها الأصلي ، وإنما في نسخ كان يعدها أساتذة وطلاب في الأكاديميات السومرية أو الـ « إيدوبا » (Edubla) بعد عدة قرون — وهذه إشارة واضحة إلى القيمة والأهمية اللتين أسبغت عليهما حتى في الأزمان القديمة (١) .

إن الوثيقة التاريخية الثرية التي زبما ستظهر بأنها ذات قيمة هامة جداً بالنسبة للتاريخ والتواريخ السومرية هي نص شبيبهه بقائمة سلع يعرف بنص « التومال » (Tummal) ، وهو نص فريد يهتم بالدرجة الأولى بإعادة بناء « التومال » ، هيكل الإلهة « نليل » في مدينة « نقر » ، ويهتم بالدرجة الثانية ببناء أجزاء مختلفة من معبد « أنليل » في المدينة . وكان جزء من هذا النص معروفاً منذ نصف قرن تقريباً ، ولكن أسطوره الأولى المفقودة لم تيسر للباحثين إلا حديثاً ، ومحتويات هذا الجزء التي عرفت حديثاً هي التي ظهرت في نهاية الأمر بأنها ذات قيمة تاريخية مذهشة وغير متوقعة (٢) .

وتوجد أيضاً مقالتان يغلب عليهما الطابع الشعري إلى حد كبير يمكن اعتبارهما من الكتابات التاريخية إلى درجة ما على الأقل . إن كلتا المقالتين تركزان حول إحدى أعظم الكوارث في تاريخ بلاد سومر ألا وهي غزوة البلاد المذلة والمسؤومة من قبل الجموع البدوية البربرية التي جاءت من الجهة الشرقية . ففي أولى المقالتين وأطولهما التي يمكن أن تعنون بـ « لعنة أكد » يفسر شاعر وحكيم سومري السكارثة

(١) أنظر الملحق (و) للاطلاع على ترجمات خمس رسائل من هذه المجموعة .

(٢) للاطلاع على تفاصيل كامنه أنظر بقية هذا الفصل .

على أنها حلت نتيجة أفعال « نرام - سين » ، الملك الرابع من ملوك سلالة « أكد » ، غير الورعة والمدنسة . وتسجل القطعة الثانية انتصار « أوتو حيجال » ، ملك « الوركاء » الرائع على « تيريجان » آخر ملوك الجوتيين (*) وعودة الملكية السعيدة إلى بلاد سومر^(١) .

إن تسع قصص ملحمية ، تتراوح بالطول بين ما يزيد على مائة سطر بقليل وبين ما يزيد على ستمائة سطر ، معروفة الآن كلياً أو جزئياً ، منها خمس قصص ذات أهمية غير قليلة ، وخاصة بالنسبة إلى الفترات التاريخية السومرية المبكرة ، التي لم تصلنا منها عملياً وثائق مدونة معاصرة . وتهم أربع من هذه القصص الخمس بالشخصيتين البطوليتين « أينهركار » و « لوجال بنندا » ، ومحتوياتها جديرة بالملاحظة وذلك بسبب ما تلقيه من ضوء على العلاقات المتينة بين بلاد سومر وبين دولة مدينة أخرى مجهولة وما زال موقعها غير محدد في شمال إيران عرفت باسم « أراتا » . أما خامسة القصص الملحمية ذات الطابع التاريخي وهي « جلجامش وأجا ملك مدينة كيش » فهي ذات أهمية خاصة جداً بالنسبة لتاريخ المظلمات السياسية ، لأنها لا تساعد فقط على توضيح تلك الفترة الغامضة من التاريخ السومري حينما وقع النزاع المبكر بين دويلات المدن السومرية ، وإنما تسجل أيضاً اجتماع أول مجمع سياسي للإنسان ، « مجمع بمجلسين تشريعيين » حصل قبل أربعة آلاف وخمسة سنة وذلك لاتخاذ قرار بالنسبة لمشكلة الحرب والسلم التي كانت من بواثي الألم في ذلك الوقت .

إن ضرباً واحداً من ضروب الأدب الخيب للأمل من وجهة نظر التاريخ السياسي ، أدب « الرثاء » وهو نموذج من نماذج التأليف الشعري الذي يبكي على الحالة المحزنة التي تقع بها بلاد سومر ومدنها في أوقات الحفنة والمهزيمة . وأقدم نموذج معروف من أدب البكاء الذي يعدنا بقليل من المعلومات التاريخية الهامة وجد مدونا على لوح طيني

(١) للاطلاع على ترجمة القصيدة راجع الملحق (ح) عدد ٣٣

* تلفظ الجيم في كافة الأسماء القديمة السومرية كالأسماء الفارسية . (أو كما تنطق الجيم في اللهجة المصرية الدارجة) (المترجم) .

جاء من مدينة « لجش » ، وهو يصف بشيء من التفصيل تدمير « لجش » الفظيع على يد عدوتها القاسية مدينة « أوما » (١) . ولكن المؤلفات المتأخرة والأكثر طولاً مثل « النواح على أور » و « النواح على نمر » تتحدث نفسها بالدرجة الأولى بوصف دمار المدن السومرية المريع ومعاناة سكانها ولا تلتفت إلى الأسباب التاريخية التي أدت إلى هذه الحالة الكئيبة من الأحداث .

وأخيراً قد يلتقط قليل من المعلومات التاريخية من مؤلفات أدبية كالأساطير والتراتيل وأدب « الحكمة » . ومع أنه ليس بين هذه المواضع ما هو موجه توجيهاً تاريخياً ، ولكنها قد تكشف هنا وهناك ودون قصد وبصورة عابرة قليلاً من المعلومات التاريخية التي لا يمكن الوقوف عليها بطريقة أخرى . وهكذا نعرف مثلاً من التراتيل الملكية أن أعداء بلاد سومر الذين كان منهم أكثر من أى شيء آخر ، وهم « الجوتيون » ، مازالوا يثيرون ، ويسببون الرعب في أيام سلالة « أور » الثالثة على الرغم من انتصار « أوتوحيجال » المتبجح به . أو قد نعرف من ترنيمة شيئاً ما عن علاقات كانت قائمة بين بلاد سومر وبقية العالم ، أو ربما ذكر مثل سائر لسبب ما اسم ملك من الملوك .

ولكن النصوص النذرية وأثبتت الأحداث التاريخية والرسائل الملكية وقوائم الملوك والسلالات ، وأغاني النصر الملحمية والبكاء المر بسبب الهزيمة — كل هذه لا تضيف إلا من التاريخ كما نود أن نتصوره . يضاف إلى ذلك ، أننا لا نملك عملياً وثائق تاريخية مطلقاً من أول ألفي سنة من وجود بلاد سومر ، كما أن النصوص النذرية التي بحوزتنا العائدة إلى الفترات المتأخرة تأتي من بضع مواقع سومرية فقط ؛ ولذلك تميل نحو إعطاء صورة ذات جانب واحد عن الأحداث التي تسجلها . أما بالنسبة للتراث الشعري وعلى الأخص القصص الملحمية ، فإنها تحتوى في أحسن الأحوال على نواة الحقيقة التاريخية ، ويمجد الباحث نفسه عادة مشبط العزيمة إلى درجة يفقد معها الأمل في جهوده الرامية إلى فصل القمحة عن العصافة ، والواقع عما هو من صنع

(١) الوقوف على ترجمة هذه الوثيقة أنظر الملحق (ج) رقم ٢٧ .

الخيال ، ليصل بذلك إلى عزل الفضلة المتبقية ذات القيمة من الناحية التاريخية. إن كل ما يمكن لعالم السومريات أن يفعله في الوقت الحاضر هو تحليل وتفسير المعلومات المجزأة والنامضة والحيرة ويحاول على الأقل إعادة بناء تركيب أحداث سياسية هامة وتطورات تاريخية وفقاً لمطلقه وإدراكه وبصيرته وحسن تمييزه الشخصي — وكل هذا يقوده بالضرورة إلى معالجة غير موضوعية ومتحيزة بشكل يزيد على ما هو مرغوب فيه أو ربما إلى حد غير مقبول . وفي مثل هذه الظروف لابد من حدوث اختلاف لا يستهان به في الآراء حتى بين المختصين في هذا الحقل . إن صورة التاريخ السومري المقدمة هنا في هذا الكتاب تعاني بلاشك من تحيزات وأوهام وتقصيرات المؤلف الخاصة ، ولكن هذا هو أفضل ما يستطيع عمله في ضوء المعلومات المتيسرة حتى سنة ١٩٦٣ ، وإذا كانت أخطاؤه فيما تناوله ، وكذلك فيما أغفله كثيرة وفظيعة فعسى أن تضع الأجيال القادمة والآلهة السومرية في اعتبارها الظروف المخففة وتحكم عليه برأفة وشفقة . ففي اعترافه بقله ما يعرفه أو يعتقد بأنه يعرفه عن التاريخ السومري يهتدى فقط بأمر الحكمة السومرية « إن الذي يعلم ، لماذا يُسبَق على ما يعلمه مخفياً » .

إن سومر أو بالأحرى البلاد التي أصبحت تعرف بإسم سومر خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، ربما استوطنت لأول مرة بين سنة ٤٥٠٠ و ٤٠٠٠ ق.م. — كان هذا على الأقل إجماع رأى المتقبيين في الشرق الأدنى إلى وقت قريب جداً . وتوصل العلماء إلى هذا الرقم بالبداية من عام ٢٥٠٠ ق.م. وهو تاريخ تقريبي ومثبت إلى درجة معقولة ، توصل إليه بالحساب الدقيق بمساعدة الوثائق المدونة . ثم أضيف إلى هذا الرقم من ألف وخمسمائة إلى ألفي سنة وهو فاصل طويل يكفي للأخذ بنظر الاعتبار فترات تجمع كل الآثار الحضارية القديمة الموجودة في الطبقات السكنية المتعاقبة حتى بلوغ الأرض البكر ، أى تماماً إلى بداية الاستيطان الإنساني في بلاد سومر . وفي ذلك الوقت كان يفترض بصورة عامة بأن بلاد سومر كانت عبارة عن أهوار تقطعها هنا وهناك جزر منخفضة من الأرض الرسوبية تجمعت من رواسب الطين التي تحملها أنهار دجلة والفرات وكارون . وكان يفترض بأن أغلب بلاد سومر

كانت قبل ذلك منطاة بمياه الخليج العربى التى كانت تمتد وفقاً لهذا رأى إلى مناطق أبعد بكثير مما تصل إليه فى الوقت الحاضر ، مما جعل الاستيطان البشرى مستحيلاً .

كان كل هذا نظرية مقبولة فى المحافل الأثرية حتى سنة ١٩٤٧ حينما نشر الجيولوجيان « ليز » (Lees) و « فالكون » (Falkon) بحثاً قدم احتمالات ثورية بالنسبة إلى تأريخ أول استيطان فى بلاد سومر . فقد أوردوا فى هذه الدراسة المعنوية « تأريخ سهول بلاد ما بين النهرين الجيولوجى »^(١) دليلاً جيولوجياً لإظهار أن بلاد سومر كانت فوق الماء قبل سنة ٤٥٠٠ — ٤٠٠٠ ق . م . بزمن طويل ، وأنه على هذا ليس مستحيلاً أبداً أن يكون الإنسان قد استوطن هناك فى فترة أقدم بكثير مما كان يفترض بشكل عام . وقال صاحبها المقال إن سبب عدم الكشف حتى الآن عن آثار هذه المستوطنات المبكرة يعود إلى وجود عملية غوص بطيئة للأرض فى نفس الوقت الذى كان يرتفع فيه مستوى المياه ، وعلى ذلك ربما تكون أقدم طبقة من البقايا الحضارية فى بلاد سومر تحت الماء فى الوقت الحاضر ، ومن الجائز أن النقبين لم يصلوا إليها مطلقاً لأنهم كانوا يبحرون خطأ بمستوى الماء العالى إلى الاعتقاد بأنهم قد وصلوا إلى الأرض البكر أى إلى بداية الاستيطان ، ولا يواصلون التنقيب ، فإذا ثبت أن هذا رأى حقيقة لاشك فيها فإن أقدم بقايا سومر الحضارية ما زالت مطمورة لم تمس ، وقد يكون من الضرورى دفع تأريخ أولى المستوطنات السومرية نفسها مدة ألف سنة أو ما يقارب ذلك إلى الوراء .

ومهما يكن الأمر فإن من المؤكد إلى درجة معقولة أو أوائل المستوطنين فى بلاد سومر لم يكونوا من السومريين . ولا يأتى الدليل على هذا رأى من مصادر أثرية أو أنثروبولوجية التى هى فى الواقع غامضة وغبر حاسمة بالنسبة لهذا الموضوع ولكنه يأتى من الأدلة اللغوية . إن إسمى النهرين اللذين يهبان الحياة لبلاد سومر دجلة والفرات ، أو « ايديجلات » (Idiglat) و « بورانون » (Buranun) كما يقرآن

(١) Geographical Journal, CXVIII, 24 — 31.

للإطلاع على ترجمة المقال المذكور انظر العدد الثانى من مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت .
(الترجم)

في المسارية كلمتان غير سومريتين ، كما أن أسماء أهم مراكز بلاد سومر — «أريدو» ، «أور» ، «لارسا» ، «أيسن» ، «أدب» ، «كولاب» ، «لجش» ، «نيبور» ، «كيش» كلمات ليس لها أصل لغوي سومري مقنع . إن أسماء كل من النهرين والمدن أو بالأحرى القرى التي أصبحت فيما بعد مدناً ، لا بد أن تكون قد وضعت من قبل أناس لم يتكلموا باللغة السومرية ، تماماً كما تشير ، على سبيل المثال أسماء مثل «الميسيببي» ، و «كفتيك» و «مسجوست» و «داكوتا» إلى أن سكان الولايات المتحدة الأوائل لم يتكلموا باللغة الإنكليزية .

إن إسم مستوطني بلاد سومر هؤلاء الذين سبقوا السومريين غير معروف بالطبع ، لأنهم عاشوا قبل اختراع الكتابة زمن طويل ولم يتركوا سجلات تدل عليهم . ولا نستطيع كذلك أن نعرفهم من الوثائق السومرية التي جاءت من وقت لاحق ، على الرغم من وجود احتمال ضئيل بأن بعضاً منهم على الأقل كان يعرف في الألف الثالث ق . م . باسم «السوباريين» . ولكننا نعرف بدرجة لا بأس بها من اليقين بأنهم كانوا أول قوة ممدنة مهمة في بلاد سومر القديمة — فقد كانوا أوائل فلاحيها وزراعتها ، ومدجني مواشيها ، وصيادي أسماكها ، وكانوا أوائل حائكيها ، وصانعي جلودها ونجاريها وحداديهها وصانعي فخارها وبنائيهها . ومرة أخرى كان التحليل اللغوي هو الذي أمدنا بالدليل . ففي بحث نشر في سنة ١٩٤٤ في مجلة تتولى إصدارها جامعة أقرقة^(١) ، حلل « بينو لاندز برجر » (Beno Landsbargar) وهو واحد من أدق العقول في البحث السامري — عدداً من الكلمات السومرية الهامة من الناحية الحضارية — أي كلمات عرفت من الوثائق السومرية من الألف الثالث ق . م . ولذلك أفترض بصورة عامة أنها سومرية وأظهر أن هناك سبباً وجيهاً للاعتقاد بأنها ليست سومرية مطلقاً ، لأن جميع هذه الكلمات تتألف من مقطعين أو أكثر — بينما تتألف أغلبية الجذور في اللغة السومرية من مقطع واحد — وكانت تلك الكلمات تمثل بصورة عامة نفس نموذج الكلمات التي تعبر عن دجلة والفرات

(١) Dil traik- Gografiaya Dergisi. 1/5. 11/3. iii. 2 (1943- 4)

وأسماء المدن غير السومرية ، وخلص « لاندزبرجر » إلى رأى يقول إنها يجب أن تعود لذلك إلى اللغة التي كان يتكلم بها نفس شعب ما قبل العهد السومري الذي وضع أسماء نهري بلاد سومر وأغاب مدنها . وكانت من بين الكلمات تلك التي تعنى فلاح (اينجار engar) ، وراعى (أودول Udul) ، وصياد السمك (شوخاداك Shuhadak) ، ومحراث (آين Ai in) ، وحقل (آسبين Aspin) ، ونخلة (نيمبار Nimbar) ، وتمرة (سولومپ Sulump) وصانع المعدن (تيبيرا Tihira) ، وحائك (إشبار ishbar) وصانع الجلود (أشجاب Ashgab) ، ونخارى (پاخر Pahar) وبناء (شيديم Shidim) ؛ وربما حتى تاجر (داماجار Damager)^(١) ، وهي كلمة أعتبرت في كل مكان من العالم تقريبا على أنها كلمة سامية أصيلة . وبناء على هذا يستنتج بأن الطرق الفنية الزراعية الأساسية والمهارات الصناعية لم تدخل لأول مرة إلى بلاد سومر من قبل السومريين وإنما من قبل أسلافهم الذين لا اسم لهم . وأطلق « لاندزبرجر » على هذا الشعب اسم ما قبل الفراتيين^(٢) . وهو اسم مر بك إلى حد ما ولكنه مع ذلك مناسب ومفيد من وجهه النظر اللغوية.

وفي علم الآثار ، يعرف شعب ما قبل الفراتيين باسم سكان العبيد ، أى الشعب الذى تعود إليه البقايا الحضارية التي اكتشفت لأول مرة في تل يعرف باسم «العبيد» يقع بالقرب من مدينة «أور» ثم اكتشفت بعد ذلك في الطبقات السفلى في عدد من التل في جميع أنحاء بلاد سومر القديمة . وتتألف هذه البقايا من أدوات حجرية كالمعازق والفؤوس والرحى والمدقات والسكاكين ومن مصنوعات طينية كالمناجل والآجر وأثقال النول وفلسكات المنازل والمهاكل الصغيرة ، كما تضم نموذجاً مميزاً ذا خصائص معينة من الفخار الملون . وعلى هذا، كان شعب ما قبل الفراتيين أو العبيدون كما استنتج من الدليل اللغوى ، مزارعين معمارين أسسوا عدداً من القرى والمدن في جميع أنحاء البلاد وطوروا اقتصاداً ريفياً ذا ثروة واستقرار جديرين بالاعتبار .

(١) تلفظ الجيم في هذه الكلمات كألفاً فارسية (المبرجم) .

Proto — Euphrates (٢)

على أن العبيدين لم يبقوا زمناً طويلاً القوة المهيمنة في بلاد سومر . فالى الغرب من بلاد سومر مباشرة تقع الصحراء السورية وشبه الجزيرة العربية ، وطن القبائل السامية منذ زمن سحيق بالقدم . وبينما استقر السومريون وازدهروا بدأ بعض من هذه الجموع السامية بالتسلل إلى مستوطناتهم كهاجرين مسلمين وكفاتحين عسكريين . حقاً إننا لا نمتلك حتى الآن دليلاً مباشراً وحاسماً على هذا الاستنتاج الخطير ، على أنه من الممكن أولاً أن يسلم به كأمر بديهي استناداً إلى ما هو معروف من تاريخ بلاد سومر المتأخر ، فقد كانت القبائل السامية البربرية تتسلل مرة بعد أخرى خلال آلاف من السنين وتستولى على مراكز بلاد سومر المستقرة ، ولا يوجد سبب للافتراض بأن مثل هذا لم يحدث أيضاً في الألف الرابع قبل الميلاد . ومن الناحية الثانية تحتوى حتى أقدم النصوص السومرية على عدد من الكلمات السامية المستعارة ، ويضم مجمع الآلهة السومري عبداً غير قايل من الآلهة التي هي من أصل سامي — ومن الجائز أن تعود هذه الاستعارات إلى أيام سحيقة جداً في القدم . وأخيراً فإن أول سلالة في بلاد سومر التي من الممكن التدليل على وجودها تأريخياً إلى درجة ما على الأقل ، وهي التي سميت سلالة « كيش » الأولى التي قامت وفقاً لما ذكره الكتاب القدامى أنفسهم بعد انحسار الطوفان مباشرة ، تبدأ بمجموعة كاملة من الملوك الذين يحملون أسماء سامية . ليس بين هذه الأدلة في الواقع ما هو حاسم ، ولكن إذا أخذت جميعها بنظر الاعتبار فإنه يبدو من المعقول الحدس بأن الساميين تبعوا ما قبل الفراتيين إلى بلاد سومر ، وأنه كنتيجة للأخصاب المتبادل لحضارتهم ظهرت إلى الوجود أول مدينة راقية نسبياً في بلاد سومر ، مدينة ربما كان فيها العنصر السامي هو السائد^(١) .

ومهما كان الأمر ، فإنه من المحتمل جداً أن السومريين أنفسهم لم يصلوا إلى بلاد سومر إلا في وقت ما في النصف الثاني من الألف الرابع ق . م . أما أين كان موطنهم الأصلي فإنه أمر ما زال غير مؤكد تماماً . فإذا حكمنا من سلسلة القصص

(١) يختلف المؤلف في هذا مع آراء معظم المؤرخين الذين يرون بأن السومريين سبوا الساميين في استيطان العراق (الترجم) .

الملحمة التي تدور حول « أينمركار » (Enmerkar) و « لوجال بنندا » (Lugalbanda) يبدو أنه كان للحكام السومريين الأوائل علاقة قريبة وثيقة إلى درجة غير اعتيادية مع دولة مدينة تعرف باسم « أراتا » التي ربما كانت تقع في مكان ما في منطقة بحر قزوين . واللغة السومرية لغة ملصقة^(١) ، وتذكرنا إلى حد ما باللغات الطورانية وهذه الحقيقة ربما تشير أيضاً إلى نفس المنطقة العامة التي تشير إليها « أراتا » . ولكن مهما كان المكان الذي جاء منه السومريون وأيا كان نموذج الحضارة التي جاؤوا بها معهم فإن المؤكد ما يلي : لقد أدى وصولهم إلى دمج مشعر إلى درجة رائعة في كل من الأمور العرقية والحضارية مع السكان الأصليين وأحدث نشاطاً مفاجئاً خلافاً منفعماً بأهمية غير قليلة بالنسبة لتاريخ المدينة . وبلغت بلاد سومر خلال القرون التي تعاقبت مستويات جديدة عالية في السلطة السياسية والثروة الاقتصادية وشهدت بعضاً من أروع إنجازاتها في الفنون والصناعات وفي العمارة الفخمة وفي الفكر الديني والخلقي ، وفي الأسطورة والملحمة والترتيلة ، وفوق كل شيء ، إبتدع السومريون الذين أصبحت لغتهم تدريجاً هي اللغة السائدة في البلاد ، نظاماً للكتابة طور فيما بعد إلى أداة فعالة للاتصال وخطوا الخطوات الأولى نحو تقديم تعليم منظم .

إن أول حاكم سومري سجلت أعماله ، ولو في أقصر نوع من أنواع الروايات هو ملك يحمل اسم « إيتانا » (Etana) ملك « كيش » ، الذي ربما اعتلى العرش في وقت مبكر جداً من الألف الثالث قبل الميلاد . ووصف في قائمة الملوك بأنه « هو الذي رسخ كل البلدان » . وعلى افتراض أن هذه الرواية التي وجدت في وثيقة يعود تاريخها إلى ألف سنة أو حوالى ذلك بعد حكم « إيتانا » يحتوي على خبر يمكن الركون إليه ، فإن من الجائز الاستنتاج بأنه لم يفرض سلطته على بلاد سومر فقط ، وإنما على بعض البلدان المجاورة أيضاً — وباختصار ربما كان أول مؤسس امبراطورية معروف عند الإنسان . إن كون « إيتانا » شخصية شهيرة وفذة في تاريخ بلاد سومر المبكر تظهره ملاحظة أسطورية محضة جاءت في نفس قائمة الملوك وهي أنه كان « رجلاً

(١) للاطلاع على ما يتصد بالغة الملصقة أنظر ص ٧ ملاحظة (١) (المترجم) .

صعد إلى السماء» ، وقصيدة سامية أكادية كانت منتشرة في أوائل الألف الثاني ق.م. تدور حول نفس هذه الفكرة الأسطورية . لقد كان « إيتانا » وفقاً لهذه الأسطورة، التي ربما سيظهر لها في يوم ما في المستقبل نموذج سومري ، ملكاً تقياً يخشى الإله ويمارس الطقوس الإلهية بإخلاص ومواظبة ، ولكنه أبتلى بعدم إنجاب الأولاد ، وعلى هذا لم يكن له ولد يواصل حمل اسمه . ولهذا كانت أعز أمنياته الحصول على « نبتة الإنجاب » التي كانت من ناحية أخرى تقع في السماء بعيدة عن متناول البشر الفاني وحصل « إيتانا » من أجل الوصول إلى السماء على مساعدة نسر كان قد أنقذه من حفرة ألقته فيها حية خان صداقتها والتهم صغارها . وكانت هذه الأسطورة شائعة بشكل واسع بين العاملين في نحت الأختام وذلك استنتاجاً من عدد الأختام التي تصور إنساناً يصعد نحو السماء على جناحي نسر . حقاً إن « إيتانا » لم يستقر في السماء لأنه وفقاً لما جاء في ترنيمة جنائزية مدونة على لوح طيني موجود في متحف « بوشكن » (في موسكو) وحسب ما جاء أيضاً في اللوح السابع من ملحمة « جلجامش » الأكادية المعروف عند الباحثين منذ زمن طويل ، نجد « إيتانا » يسكن في العالم السفلي الذي يجب أن ينزل إليه في نهاية الأمر كل الذين مصيرهم الموت مهما عظمت انجازاتهم — باستثناء بطل الطوفان « زيوسودرا » (Ziusudra)، ولكن هذه التقاليد الأسطورية لا تساعد إلا على إظهار أن « إيتانا » كان شخصية قوية ومؤثرة جذبت حياته وأعماله خيال المنشدين والشعراء القدامى .

لقد تبع « إيتانا » حسب رواية قائمة الملوك سبعة حكام كان عدد منهم في الواقع ساميين وليسوا سومريين وذلك استنتاجاً من أسمائهم، وكان ثامنهم الملك « إينمبراجيس » الذي تملك بعض المعلومات التاريخية عنه ، أو على الأقل معلومات تشبه القصص البطولية جاءت من كل من قائمة الملوك ومن المؤلفات الأدبية السومرية المتأخرة الأخرى . يضاف إلى ذلك أن نصاً معاصراً ثميناً مكوناً من ثلاث كلمات على كسرة صغيرة من إناء مرهري أكتشف في وقت قريب جداً من قبل شاب متخصص بالسومريات يعمل في بغداد يثبت دون أي شك على أنه لم يكن ملكاً أسطورياً أبداً

وإنما كان إنساناً بدم ولحم حقيقيين^(١) . وحوالى الوقت الذى اعتلى فيه « إينمبراجيش » عرش « كيش » برزت دولة مدينة أخرى على مسافة بعيدة إلى الجنوب من مدينة « كيش » وكانت تتحدى سيادة هذه المدينة ، لأنه بعد انتهاء حكم « إيتانا » بمدة قصيرة يبدو أن ملكاً باسم « ميسكياجاشر » وصف في قائمة الملوك بـ « ابن أوتو (الآله — الشمس عند السومريين) » أسس سلالة طموحة وقوية في مدينة « الوركاء » (أوروك) التى ما زالت تعرف فى أيامه باسمها القديم « أى — أنا » أى « بيت آن (الآله — السماء) » . ومن الجائز أنه قام بمحاولة لمد حكمه إلى مقاطعات فى كافة أنحاء بلاد سومر وإلى ما وراءها بمسافة بعيدة ، وذلك استناداً إلى ملاحظات غامضة وغير واضحة ألحقت باسمه فى قائمة الملوك تقول « إنه اجتاز البحار وتسلق الجبال » . ومهما كان الأمر فإن ابنه « إينبركار » — الذى أعقبه على العرش حسب رواية قائمة الملوك ولكنه أعطى فى القصائد الملحمية لقب « ابن أوتو » — وهو نفس اللقب الذى أعطى إلى أبيه فى قائمة الملوك — كان بالتأكيد واحداً من الشخصيات البارزة فى تاريخ سومر المبكر — فهو الذى شيد وفقاً لرواية قائمة الملوك مدينة « الوركاء » ، وقاد وفقاً ، لما ورد فى القصص الملحمية ، حملة ضد « أراتا » فى جوار بحر قزوين وأخضعها إلى « الوركاء » .

وكان « لوجال بندا » ، أحد رسل « إينبركار » الأبطال ورفاقه فى السلاح فى كفاحه مع « أراتا » هو الذى أعقبه على عرش « الوركاء » . ولما كان هو البطل الرئيسى فى قصتين ملحميتين على الأقل فمن المؤكد أنه كان أيضاً حاكماً محترماً ومثيراً للإعجاب ، وليس من المستغرب أن نجده فى حوالى سنة ٢٤٠٠ ق م . بل وربما فى تاريخ أقدم من ذلك ، قد أُلِّه من قبل رجال الدين السومريين وأعطى مكاناً فى مجمع الآلهة السومرى . ولسوء الحظ لا تعطينا قائمة الملوك والقصص الملحمية أية معارومات عن إنجازاته السياسية والعسكرية ما عدا أنه رافق « إينبركار » فى حملته إلى أراتا .

D.O. Edzard in Zeitschrift für Assyriologie, L111 (1959), (١)

لقد جاء بعد « لوجال بندا » ، وفقاً لقائمة الملوك ، « دوموزى » (Dumuzi) ، وهو حاكم أصبح فيما بعد شخصية هامة في « شعيرة زواج مقدس » سومرية وفي أسطورة « الإله — المتوفى » التي تركت أثراً عميقاً في العالم القديم . وفي الواقع ، إن نساء القدس كن ما زلن يندبن موته بشكل أثار اشعزاز النبي « حزقيال » الشديد في القرن السادس ق . م . (حزقيال ١٤ : ٨) . ويحمل أحد الأسمهر في التقويم العبرى (والعربى) اسمه إلى هذا اليوم وأن الصوم والحزن اللذين يميزان يومه السابع عشر يرجعان بلا شك إلى الأيام السومرية السحيقة في القدم . أما لماذا بالضبط اختير « دوموزى » من قبل رجال الدين السومريين المتأخرين كبطل لهذه الشعيرة والأسطورة بشكل خاص ، فإنه أمر ما زال مجهولاً ، ولا بد أنه كان يعود على الأقل في جزئه الأكبر إلى الأثر العميق الذى تركه « دوموزى » خلال حياته كرجل وكحاكم على السواء ، ولكن لا توجد حتى الآن معلومات تاريخية من أى نوع كان لتأييد وجهة النظر هذه .

وجاء بعد « دوموزى » حسب قائمة الملوك « جلجامش » وهو حاكم أكسبته أعماله شهرة واسعة إلى حد أنه أصبح بطل الأسطورة والخرافة السومرية الأسمى . لقد كتبت القصائد التى تمجد « جلجامش » وأعيدت كتابتها خلال كل العصور ليس باللغة السومرية فقط ، وإنما فى أغلب لغات غرب آسيا الأخرى الهامة ، وأصبح « جلجامش » بطل العالم القديم بلا منازع — شخصية مغامرة وشجاعة ولكنها محزنة ترمز إلى جهود الإنسان العقيمة التى لا تتوقف فى سبيل الحصول على الشهرة والمجد والخلود — ووصل الأمر إلى حد أن الباحثين المحدثين نظروا إليه أحياناً كشخصية أسطورية أكثر مما كانوا ينظرون إليه كرجل وحاكم حقيقى . وما زلنا لا نملك سجلات معاصرة له إلا أن هناك أملاً بأن تكشف التنقيبات الجارية فى الوقت الحاضر فى مدينة « الوركاء » شيئاً ما عاجلاً أو آجلاً . على أنه فى سنة ١٩٥٥ خرجت إلى النور العشرة أسطر الأولى من نص « التومال » الذى كان معروفاً منذ وقت طويل وسلطت ضوءاً جديداً تماماً على « جلجامش » وأيامه . وفى الواقع

تساعد هذه القطعة — على ما هي عليه من اختصار — على توضيح الوضع السياسي في تلك الأيام المبكرة من التاريخ السومري بصورة رائعة وغير متوقعة بحيث أصبح من المستحسن الدخول في الموضوع بشيء من التفصيل .

لقد كانت السلالات السومرية الثلاث الأولى وفقاً لقائمة الملوك سلاله « كيش » و « الوركاء » و « أور » وكان تعاقبها بهذا التسلسل . ولكنه عرف من الملحمة السومرية والتقاليد المستنتجة من التراثيل منذ مدة أن آخر ملوكين من سلاله « كيش » وهما « ايمرا جيش » (الذى كملنا سابقاً نملك الآن منه نصاً معاصراً) ، وإبنه « آجا » (Agge) ، كانا معاصرين لـ « جلجامش » ، خامس ملوك « الوركاء » الذى تعرض من قبلهما لكفاح مرير من أجل السيادة على بلاد سومر^(١) . ولذلك كان من المقبول بوجه عام بين علماء المسماريات الرأى القائل بأن سلاله « كيش » الأولى وسلاله « الوركاء » الأولى تعاصرتا مع بعضهما البعض مدة طويلة . أما بالنسبة لسلاله « أور » الأولى التى نملك منها الآن عدة نصوص معاصرة ، فإن كافة الباحثين تقريباً يعتقدون بأن مؤسسها « ميس انبيادا » (Mesannebadda) قد عاش فى زمن متأخر جداً عن زمن « جلجامش » ملك « الوركاء » وتتراوح الفترة الفاصلة التى يقترحها العلماء بين هذين الحاكمين من الأربعين سنة إلى مدة تصل إلى أربعائة سنة ، ولذلك جاءت لحد ما كصدمة ملاحظة أن « ميس انبيادا » كان فى الواقع معاصراً لـ « جلجامش » وأكبر منه سنّاً وذلك كنتيجة للدليل الجديد المستند إلى فقرة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت مؤلفة مما لا يزيد على عشرة أسطر — وملاحظة أن « ميس انبيادا » ملك « أور » كان هو الذى قضى على سلاله « كيش » الأولى ، وليس « جلجامش » ، أو بقدر ما يتعلق الأمر بهذا الموضوع أى حاكم آخر من حكام سلاله « الوركاء » الأولى على الرغم من العبارة الواردة فى قائمة الملوك التى تقول « كيش ضربت بالأسلحة وقتلت ملكيتها إلى أى — أنا » .

(١) للاطلاع على تفصيلات هذا الكفاح أنظر ملحمة « جلجامش وآجا » الفصل الخامس .

إن الوثيقة التي يستند إليها الدليل الجديد هذا هو النص التاريخي المسكون من ٢٤ سطراً المذكور آنفاً ، والمعروف بنص « التومال » : « والتومال » هو اسم منطقة في مدينة « نقر » كرست للإلهة « نليل » ، وكانت بلا شك تضم أهم معبد لها . وباستثناء العشرة أسطر الأولى ، كان نص « التومال » معروفاً كله تقريباً منذ سنة ١٩١٤ حينما نشر « آرنوبل » في كتابه « النصوص التاريخية »^(١) لوحين كتبت عليهما هذه القطعة التي تقرأ ابتداء من السطر ١١ على الوجه التالي :

١١ — للمرة الثانية تهدم « التومال »^(٢) .

١٢ — « جاجامش » سيد « نومونبورا » بيت « أنليل » .

١٣ — « أورلوجال » بن « جاجامش » .

١٤ — جعل « التومال » مبجلاً .

١٥ — جلب « نليل » إلى « التومال » .

١٦ — للمرة الثالثة ، تهدم « التومال » .

١٧ — وشيد « نانا » المنزه العظيم « لميت » نليل » .

١٨ — « ميسكي آج — نانا » بن « نانا » .

١٩ — جعل « التومال » مبجلاً .

٢٠ — وجلب « نليل » إلى « التومال » .

(١) Publications of the Babylonian Section of the (Vol. IV, No. 1, o.j) University Museum of the University of Pennsylvania)

(٢) في ترجمة النصوص المذكورة في هذا الكتاب تمثل النقطتان حذف كلمة والنقاط الثلاث حذف كلمتين والنقاط الأربع حذف ثلاث كلمات أو أكثر ، وتمثل المعقافات [] إعادة أجزاء مشكوك فيها من النص ، والمهلان () يدلان على أن الكلمات وضعت لتساعد على فهم المعنى وليست من أصل النص . وتكتب الكلمات السومرية بالحروف اللاتينية ، وحينما لا يعطى المعنى ، فإن ذلك دليل على أنه غير معروف . (أما في الترجمة العربية فتوضع الكلمات السومرية داخل « ») .

- ٢١ — للمرة الرابعة تهدم « التومال » .
- ٢٢ — « أور - نامو » شيد « أيكور »^(١) .
- ٢٣ — « شولجي » ، بن « أور - نامو » .
- ٢٤ — جعل « التومال » مبعجلا .
- ٢٥ — وجلب « ننايل » إلى « التومال » .
- ٢٦ — للمرة الخامسة ، تهدم « التومال » .
- ٢٧ — ومن سنة « أمار - سين » .
- ٢٨ — حتى (السنة التي كان فيها) « أبي - سين » الملك .
- ٢٩ — « إينا مجلانا » كـ (أين « سيد ») لـ « لوركاء » .
- ٣٠ — قد انتخب .
- ٣١ — وجلبت « ننايل » إلى « التومال » .
- ٣٢ — ووفقاً لكلمة « لو - ابنانا » ، « أشجاب - جال » « أنليل » .
- ٣٣ — شيد « أشبي - إيرا » « أيكور أجيجالا » .
- ٣٤ — مستودع « أنليل » .

لقد كان واضحاً من هذا النص ، حتى مع فقدان بدايته ، بأن مؤلفه الذي عاش في أيام « أشبي - إيرا » ، مؤسس سلالة « إيسن » الأولى ، كان يقصد تقديم نبذة تاريخية مختصرة عن البنايات المتعددة في حي معبد « أنليل » في مدينة « نقر » وبصورة خاصة عن إعادة تعمير « التومال » العائد للإلهة « ننايل » (زوجة الإله أنليل) . يضاف إلى ذلك أن نموذج الأسلوب المدهش إلى حد ما الذي استخدمه المؤلف جعل من الممكن استخلاص الصفة العامة لمحتويات الخمسة أسطر المفقودة التي

(١) معبد الإله « أنليل » في مدينة « نقر » ، ويُنَى الاسم (بيت الجبل) . (المترجم) .

تسبق السطر الحادى عشر مباشرة ، ولو أن ذلك لا يشمل أسماء الأشخاص المعنيين .
وعلى هذا لما كان النص المعروف قد بدأ بالفقرة التالية المكونة من خمسة أسطر .

• للمرة الثانية تهدم « التومال » .

• « جلجامش » شيد « نومونورا » بيت « أنليل » .

• « أور — لوجال » ، بن « جلجامش » .

• جعل « التومال » مبجلا .

• جلب « نليل » إلى « التومال » .

يبدو من المعقول الاستنتاج بأن الفقرة المكونة من الخمسة أسطر التى تسبق هذه
كانت على الوجه التالى .

• للمرة الأولى تهدم « التومال » .

• (س) شيد بناية (ص) فى بيت « أنليل » .

• (ش) ابن (س) .

• جعل « التومال » مبجلا .

• جلب « نليل » إلى « التومال » .

أما بالنسبة للفقرة الواقعة فى بداية النص تماماً فلا توجد طريقة تمكن من
استنتاج محتوياتها ولو أنه يبدو من المعقول أن نحزر فقط بأنها ينبغى أن تكون قد
ذكرت الشخص الذى بنى لأول مرة معبد « أنليل » و « التومال » .

لحسن الحظ ، لم تعد هناك الآن أية حاجة للتخمينات والإستنتاجات أو إعادة
لبناء النص ، لأن الفقرة المكونة من عشرة أسطر قد وجدت كلها على لوحين من
الطين فى مجموعة « هلبريشت » (Hilbrecht) فى جامعة فردريش شيلر (فى يينا
بألمانيا الشرقية) ، ودرسها لأول مرة خلال إقامة دامت عشرة أسابيع فى « يينا »

في خريف ١٩٥٥ واستندسخها « آينز برنهاردت » (Inez Bernhardt) مساعد أمين
مجموعة « هيلرشت » لتتشر في مجلد من الفصوص الأدبية ظهر في سنة ١٩٦١ . إن
كلا اللوحين مؤلفان من كسر متعددة ولكنه لحسن الحظ أكمل أحدها الآخر إلى
درجة لم تعد معها هناك علامة واحدة مفقودة من الفقرة الأولى المكونة من عشرة
أسطر . وها هو ما تقوله هذه الفقرة .

- (١) « اينمي احييس » ، الملك
- (٢) في هذه المدينة نفسها (أى نقر) شيد بيت « اتليل » ،
- (٣) « آجا » ابن « اينمبر احييس »
- (٤) جعل « التومال » مبيجلا ،
- (٥) جلب « نليل » إلى « التومال » .
- (٦) لأول مرة تهدم « التومال » ،
- (٧) « ميس آنييادا » شيد « بورشوشوا » بيت « انليل » .
- (٨) « ميسكي آجنونا » بن « ميس آنييادا »
- (٩) جعل « التومال » مبيجلا
- (١٠) جلب « نليل » إلى « التومال » .

ثم يستمر النص :

- (١١) للمرة الثانية تهدم « التومال » .
- (١٢) « جلبجامش » ، الخ .

فالم نفترض بأن نص « التومال » لا قيمة له من الناحية التاريخية ، فإن هنا إذن ؛
دليل قاطع بأن لاميس آنييادا « بل وحتى ابنه » ميسكي آجوننا « سبقا » جلبجامش «
في السيطرة على مدينة « نقر » وبما أنهما على كل حال جاء بعد « آجا » ، الذى كان

نفسه معاصراً « جلعجامش » وفقاً لتسلسل الزمنى بين أحداث « جلعجامش — آجا » المذكور أعلاه . فمن الواضح أنهما كانا معاصرين أيضاً « جلعجامش » . ان الحوادث التاريخية المذكورة والمتضمنة فى نص « التومال » المكتشف حديثاً ربما يحتم إعادة كتابتها على الصورة التالية :

فى السكفاح من أجل السلطة فى بلاد سومر بأسرها ، أنزع « ميس آنييادا » مؤسس سلالة « أور » الأولى السيطرة على « نقر » من « آجا » ، آخر حكام سلالة « كيش » الأولى ، ولعله هاجم فى الواقع « كيش » نفسها وكان مسؤولاً بشكل مباشر عن سقوط « آجا » الذى يوضح سبب ادعاء « ميس آنييادا » بلقب « ملك كيش » بدلا من لقب « ملك أور » فى نص وجد على خاتمه الخاص ، لأن لقب « ملك كيش » كان يحمل فى طياته شهرة مشرفة فى كل الأزمان . ولكن « ميس آنييادا » كان بالتأكيد طاعنا فى السن فى الوقت الذى سقطت فيه مدينة « نقر » فى يده ، ولذلك لم يكن لديه من الوقت إلا ما يكفى لتشييد بناية جديدة واحدة فقط وذلك فى حى معبد « أنليل » ، وهى « البورشوشوا » ، وترك الأمر لابنه « ميسكى آجنونا » لإعادة بناء « التومال » للإلهة « نليل » . إلا أن « جلعجامش » ، الذى كانت له على ما يبدو مشاكه الخاصة مع « آجا » حاكم « كيش » عندما كان شاباً بالإضافة إلى مشاكه مع والده « اينمبراجيس » ، أنهى سيطرة « ميسكى آجنونا » على « نقر » ، بيد أن « جلعجامش » كان فى الوقت بكل تأكيد طاعنا فى السن أيضاً ، وعلى أية حال لم يكن هو وانما ابنه « أور — لوجال » الملك الذى أعاد بناء « التومال » .

ولما كان « ميس آنييادا » مؤسس سلالة « أور » الأولى ، أكبر سناً من معاصره « جلعجامش » الذى ربما حكم فى وقت ما حوالى سنة ٢٦٠٠ ق . م . — لأنه أُلِّه فعلاً حوالى ٢٥٠٠ ق . م . — فإن تأريخ حكمه يكون أقدم بحوالى قرن من التأريخ الذى كان يضعه له الباحثون عادة استناداً إلى الدليل المستمد من الكتابات ، إلا أن هذا الدليل بعيد كل البعد عن كونه دليلاً حاسماً . على أن هذا يشير مشكلة أخرى تتصل بالتعاقب التاريخى لا يمكن حلها فى الوقت الحاضر ، ولكنها ينبغي أن تبقى عالقة بالذهن . ففى أثناء عملية التنقيب فى المقبرة الملكية المشهورة فى مدينة « أور »

اكتشف خاتم أسطوانى من صدف أبيض كتبت عليه الكلمات « ميسكلا مدوج » ، ملك « وخاتم أسطوانى آخر كتبت عليه الكلمات « أكلا مدوج ملك أور » . إن قائمة الملوك لم تذكر أحداً من هذين الملكين ، ولذلك لا توجد طريقة أخرى لمعرفة ما إذ سبقنا « ميس أنيبادا » أو جاء بعده . ويدعى المنقب السير «ليونارد وولى» أنه لما كانت عدة طبقات ختمية تحمل اسم « مس أنيبادا » قد اكتشفت بين أكوام من الألقاض المنتشرة على الجزء الخاص بالمقبرة الملكية التى عثر فيها على خاتمي « ميسكلا مدوج » و « أكلامدوج » فإنه لا بد أن يكون هذان الملكان أقدم فى تأريخهما من « ميس أنيبادا » . أن من الجائز أن يثبت هذا الرأى فى نهاية الأمر ، ولكن هناك مجالا كبيرا للخطأ حينما يصل الأمر إلى تفسير الدليل الأثرى والدليل المستمد من الطبقات الأثرى والدليل المستمد من الطبقات الأثرية المتعاقبة ، وإن إمكانية تقدم « ميس أنيبادا » على الملكين الآخرين ينبغى ألا تهمل . إن الكشف البرير الثالث الزوايا من أجل السيادة بين حكام « كيش » و « الوركاء » و « أور » لا بد أن يكون قد أضعف إلى درجة خطيرة بلاد سومر وأوهن قوتها العسكرية . وعلى أية حال فقد نقلت الملكية ، حسب رواية قائمة الملوك ، فى أعقاب سلالة « أور » الأولى مباشرة إلى جهات غربية ؛ إلى مملكة « أوإن » ، وهى دولة مدينة عيلامية لا تبعد كثيراً عن مدينة « سوسة » (١) . أما كيف ومتى أفلقت سومر من هذه الصدمة فإنه أمر مشكوك فيه جداً . فقائمة الملوك تنبئ على أن «أوإن» ضربت بالأسلحة « وأن ملكيتها » نقلت إلى كيش » ولكنه حتى هذا التاريخ لم تكتشف أى نصوص تعود إلى حكام هذه السلالة ، أى سلالة « كيش » الثانية ، هذا بالإضافة إلى حقيقة أن سلالة « كيش » الثانية قد أعقبتها سلالة عيلامية أخرى وهى سلالة « حامازى » ، مما يشير ، على ما يبدو ، إلى أن السومريين لم يستعيدوا بعد قوتهم السابقة . وجاءت بعد سلالة « حامازى » ، وفقاً لرواية قائمة الملوك ، سلالة ثانية فى « الوركاء » لم تكتشف لها حتى الآن مواد كتابية .

(١) « سوسة » عاصمة الدولة العيلامية التى قامت فى جنوب غرب إيران وكانت لها صلات حضارية واقتصادية وسياسية مثنية مع دول جنوب العراق . (المترجم)

وبتتبع هذه السلالة نصل إلى ملك كان على الأرجح مفقذ بلاد سومر . إن إسم هذا الملك هو « لوجال آنيمنونو » من ملوك مدينة « أدب » الذى تنسب إليه قائمة الملوك حكماً طويلاً لا يصدق يبلغ تسعين سنة . لقد ترك « لوجال آنيمنونو » خلفه وثيقة تشير إلى أنه كان فاتحاً عظيماً وقائداً عسكرياً سيطر على كل الهلال الخصيب ، من البحر الأبيض المتوسط إلى جبال زاغروس . صحيح أن هذا النص وصل إلينا بشكل نسخة فقط يتأخر تأريخها مدة ألف سنة تقريباً عن الحوادث التى يسجلها ، إلا أن محتوياته فصلت بعناية ودقة وبشكل مقنع وتبدو أنها حقائق يمكن الاعتماد عليها إلى درجة كبيرة .

كان « لوجال آنيمنونو » وفقاً لهذه الوثيقة ، « ملك الجهات الأربع للعالم » ملكاً « جعل كل الأقطار الأجنبية تدفع له أتاوة ودائمة ، ومن حقق السلام (حرفياً جعلهم يضطجعون فى الحقل) لشعوب جميع الأقطار ، ومن شيد معابد جميع الآلهة العظيمة ، والذى أعاد سومر (إلى مجدها القديم) ، ومن مارس الملكية فوق العالم بأكمله » . ثم يستمر النص فيسمى ثلاثة عشر « أنسيا » (أى أميراً) مع دول — منهم التى يسيطرون عليها تجمعوا فى ثورة ضده ويذكر بأنه أوقع الهزيمة بهم . إنه لمن المفيد أن نلاحظ بأن هؤلاء « الأمراء » ، حتى أولئك الذين كانوا يحكمون الممالك العيلامية ، كانت أسماؤهم سامية . واحتل « لوجال آنيمنونو » بعد ذلك بلاد « جوتى » التى يعرف من نصوص متأخرة بأن سكانها كانوا أعداء بلاد سومر الذين يثيرون الرعب أكثر من شئ آخر ، كما استولى على عدد من الأقطار الأخرى . ولكن النص لسوء الحظ مهشم جداً عند هذه النقطة .

ولقد خصص الجزء الرئيسى من هذا النص إلى الحديث عن بناء معبد فى مدينة « أدب » يسمى « إينامزو » كرس إلى إلهة المدينة الرفيعة ، الإلهة الأم « ننتو » . وكان المعبد جديراً بالملاحظة بشكل خاص بسبب بواباته السبع وأبوابه السبع ، التى كان لكل منها إسم خاص مثل « البوابة الشاحنة » و « البوابة العظيمة » و « بوابة القرارات (الإلهية) » و « الباب الرفيع » و « باب الظل الممّش » وإلى آخره .

ويستمر النص قائلاً بأنه بعد أن اكتمل بناء المعبد ، كرسه « لوجال آيموندو » إلى الإلهة مع تقديم قربان مكونة من « سبع مرات سبعة » ثيران مسمنة وشياه مسمنة بحضور وزراء أو « سوكالماخ » من بلاد « جبل الأرز » و « عيلام » و « مرخاشي » و « جوتي » و « سوير » و « مارتو » و « سوتي » و « أي — أنا » (إسم مملكة الوركاء القديم) ، جاؤا يحملون القربان إلى معبد « أدب » وذلك للمشاركة في الاحتفال . إن هذا النص التكريسي البالغ الروعة ينتهي بعد ذلك بالنصيحة القائلة بأن الإلهة « ننتو » ستهب حياة طويلة إلى أمراء هذه الأقطار السبعة إذا استمروا بإرسال الذنور والقربان إلى معبد « إيفامزو » في « أدب » .

وعلى هذا فقد كان « لوجال آيموندو » ، كما هو واضح من النص ، واحداً من أقوى حكام بلاد سومر وأنشطهم ، ونستنتج من أسماء مواقع الأقطار التي سيطر عليها — مثل بلاد « جبل الأرز » و « عيلام » و « مرخاشي » و « جوتي » في الشرق و « سوير » في الشمال ، و « مارتو » في الغرب ، و « سوتي » و « أي — أنا » في الوسط والجنوب ، بأنه كان جديراً بتسمية نفسه حاكم « الجهات الأربع » للعالم . أما بالنسبة لتأريخ حكمه ، فربما يعود إلى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد ، أي بمقدار نصف قرن أو ما يقرب من ذلك على الأقل قبل حكام بلاد سومر الذين بإمكاننا أن نتوصل إلى تواريخهم بدقة بالحسابات الدقيقة مع الاستعانة بنصوص مدينة « لجش » لأن هؤلاء الحسكام كان يخلف أحدهم عن الآخر في تتابع متصل بحيث لا يتركون مجالاً لشخصية قوية وبارزة كشخصية « لوجال آيموندو » التي لا يمكن إهمالها .

ولدينا ابتداء من حوالي سنة ٢٥٠٠ ق . م . وإنهاء بحوالي ٢٣٥٠ ق . م . سلسلة كاملة من النصوص التكريسية التي تمكننا من إعادة كتابة تاريخ متصل تقريباً لبلاد سومر — على الأقل بقدر ما يتعلق الأمر بالشخصيات والأحداث الكبيرة . وتأتي هذه النصوص بالدرجة الأولى من « لجش » ، وهي دولة — مدينة تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد سومر ، ولكنها لسبب غير معروف حتى الآن لم تذكر

في قائمة الملوك على الرغم من أنها لعبت دوراً مهماً للغاية في تاريخ بلاد سومر السياسي بين حوالي سنة ٢٤٥٠ و ٢٣٠٠ ق.م. حقاً أن « لجش » لم تكن سوى واحدة فقط من الممالك التي تكونت منها بلاد سومر خلال هذه المدة البالغة مائة وخمسين عاماً ، لأنه كان هناك أكثر من ست ممالك أخرى قائمة إلى جانب بعضها البعض مثل « ماري » و « أدب » و « الوركاء » و « أور » و « كيش » و « أكشاك » ، ولكننا لسوء الحظ لا نعرف إلا قليلاً مما حدث فيها ، لأنه لم يصل إلينا أى شيء تقريباً غير أسماء حكامها ، ونادراً ما نجد نصاً يسجل حادثة سياسية أو عسكرية مهمة ، بينما يوجد لدينا من الناحية الثانية من « لجش » عدة مئات من النصوص التكريسية ، وعلى حين أن الأغلبية العظمى منها مقتضبة وتحتوى على تكرار كثير فإن لعدد منها قيمة بارزة بالنسبة لتاريخ هذه الفترة . إن هذا يعنى بالطبع أننا نرى الأحداث من خلال نظر سكان « لجش » ، ولكنه إذا ما حكمنا من تلك الحالات التي يمكن تأييدها من مصادر أخرى ، فإن المؤرخين اللجشيين كانوا على ما يبدو يحترمون الحقيقة ويدونون الحقائق كما حدثت في الواقع ، على الرغم من أن الطابع الديني للأسلوب التاريخي الذي طوروه كان غامضاً ومربكاً في بعض الأحيان .

ومن هذه النصوص اللجشية بالدرجة الأولى يمكننا إذن إعادة بناء الأحداث التاريخية التي أوشكنا على تلخيصها فيما يأتي :

لقد ظهر بعد سنة ٢٥٠٠ ق.م. بوقت قصير على المسرح السومري حاكم أطلق عليه اسم « مسيليم » (Mesilim) ، الذي أطلق على نفسه لقب ملك « كيش » ، وكان على ما يبدو مسيطراً على جميع أرجاء القطر — ففي « أدب » عثر على عدد من أدواته التي تحمل نقوشاً كتابية ، وأهم من ذلك كله كان الحكم المسؤول في نزاع الحدود المزين بين مملكتي « لجش » و « أوما » ، وبعدها أو ما يقرب من ذلك بعد حكم « مسيليم » أى سنة ٢٤٥٠ أو حوالي ذلك نصب رجل يسمى « أور — نانشة » نفسه ملكاً في مدينة « لجش » وأسس سلالة قدر لها أن تدوم مدة خمسة أجيال . ولا نعرف من أين جاء « أور — نانشة » أو كيف تولى السلطة — بل هناك احتمال ضئيل

بأنه لم يكن في الأصل سومريا بل كان ساميا من قطر يعرف باسم « تيد نوم » يقع إلى الغرب من بلاد سومر . ومن هنا يسكن الأمر ، فإنه خلف وراءه حوالى خمسين نصاً على ألواح طينية وصفائح وقواعد أبواب وآجر ومسامير ، تسجل بالدرجة الأولى أخبار المعابد وحفر القنوات ونحت التماثيل الإلهية ^(١) . على أن واحدة من الجمل التي تظهر باستمرار في هذه النصوص تحمل معانى سياسية واقتصادية ذات صفة تثير دهشة كبيرة ولو أنه لا بد من ملاحظة أن هذه الترجمة المقدمة هنا لم تثبت بعد صحتها تماماً . يقول النص « إن سفن « دلون » جلبت إليه أى أور — نانشه خشباً كأناوة أجنبية » ويشير هذا ضمناً إلى أن « أرو — نانشه » كان من انقوة بحيث تمكن من السيطرة على عدد من الأقطار الأجنبية التي تقع وراء الخليج العربى ^(٢) . على أنه لا يوجد حتى هذا التاريخ دليل آخر يؤكد صحة ادعاء واسع كهذا ، وقد يكون من المستحسن ترك هذا الموضوع ليبقى من الأمور المشكوك فيها في الوقت الحاضر .

وتولى عرش « ليش » بعد « أرو — نانشه » أحداً بنائه ، وهو « أ كورجال » وواجه في وقت مبكر من حكمه ، كما هو واضح ، مشاكلاً من سكان « أوما » وكان حكمه قصير الأمد وأعقبه ابنه « أياثانم » الذى جعلته انتصاراته العسكرية أقوى شخصية في زمانه ، وكان من القوة إلى درجة تجرأ معها لمدة بضع سنوات على الأقل على ادعاء لقب « ملك كيش » الذى يحمل في طياته ادعاء بالسيطرة على بلاد سومر كلها . لقد بدأ حكمه بسلام مكنه من بناء وإعادة بناء تلك الأجزاء من مملكته التي لا بد أنها قد دمرت من قبل سكان مدينة « أوما » في أيام الملك « أ كورجال » ، بيد أنه بدأ في وقت لاحق سلسلة من المغامرات العسكرية المظفرة وجهت ضد بلاد « عيلام » في الشرق و « أوما » في الشمال و « الوركاء » و « أور » في الغرب ، هذا دون أن نذكر المدن المتعددة التي مازالت مواقعها غير محددة . إن الأسباب المباشرة لهذه الحروب غير معروفة ما عدا الحالة مع « أوما » لأن لدينا وصفاً لهذا الكفاح في الوثيقة

(١) توجد ثلاثة نصوص مختصرة في الملحق (ج) .

(٢) لتحديد موقع « دلون » أنظر الفصل الثامن .

المفصلة التي أعدها أحد القاعين على سجلات الملك « اينتمينا » ، ابن أخ « أيا باتم » ، وربما نستطيع بفضل هذه الوثيقة إعادة كتابة خلفية الصدام بين « لجش » و « أوما » وقصة هذا الصدام ودور « أيا باتم » الذي نجح نجاحاً مؤقتاً على الشكل التالي :

في الأيام التي كان فيها « مسيليم » ملكاً على مدينة « كيش » وعلى الأقل سيد بلاد سومر الأسمى ، نشأ نزاع بشأن الحدود بين مدينتي « لجش » و « أوما » ، اللتين اعترفتا على ما يبدو « بمسيليم » كسيد لهما . وبدأ « مسيليم » التحكيم في الخلاف بتحديد خط الحدود بين المدينتين وفقاً لما صور على أنه وحى من « ستران » وهو إله موكل بحل المشاكل . وأقام علاوة على ذلك مسألة كتب عليها نص لتحديد المكان ومنع المنازعات في المستقبل .

إلا أن القرار الذي يفترض بأن الطرفين قد قبلاه ، كان كما يبدو لصالح مدينة « لجش » على حساب « أوما » . وعلى أية حال ، لم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى انتهك « أوش » حاكم « أوما » شروط القرار . إن زمن ذلك لم يذكر ، ولكن هناك دلائل تشير إلى أن هذا الانتهاك وقع قبل تأسيس « أور — نانشه » لسلالته في « لجش » بفترة قصيرة — فقد انتزع « أوش » مسألة « مسيليم » ليعلن عدم التزامه بشروطها ومن ثم عبر الحدود واحتل أقصى شمال المنطقة العائدة إلى « لجش » والمعروفة باسم « جوايدينا » .

لقد بقيت هذه المنطقة بأيدي الأومانيين إلى أيام « أيا باتم » ، حفيد « أور — نانشه » الذي هاجم الأومانيين ودحرهم وعقد معاهدة حدود جديدة مع « إينا كالا » أمير « أوما » (في ذلك الوقت) ثم قام بحفر قناة على طول الحدود الجديدة ليساعد أيضاً على تحقيق خصوبة منطقة « جوايدينا » ، وأقام هناك لأغراض تتعلق بالمستقبل مسألة « مسيليم » القديمة بالإضافة إلى عدة مسلات خاصة به ، وشيد عدداً من المباني والهيكل لعدد من أكثر الآلهة السومرية أهمية . أضف إلى ذلك أنه ترلا جانباً من الأراضي الزراعية في جهة « أوما » من قناة الحدود لتكون حداً فاصلاً وذلك للمساعدة

على التقليل من كل ما يمكن أن يكون مصدراً للنزاع في المستقبل بين «أوما» و «لجش» . وأخيراً وافق «أياناتم» ، ولعل ذلك كان في محاولة لتلطيف مشاعر الأومانيين إلى حد ما لأنه كان متحمساً لتوسيع فتوحاته في جهات أخرى ، بالسماح لهم بزراعة الحقول الواقعة في «جوايدينا» ، بل حتى في مناطق أبعد من تلك من ناحية الجنوب ، ولكنه لم يمنح تلك الموافقة إلا بشرط أن يدفع الأومانيون إلى حكام «لجش» حصة من المنتجات الزراعية ثمناً لاستغلال الأرض ، وأراد بذلك أن يضمن لنفسه وخلفائه ريعاً كبيراً . واتباع «أياناتم» انتصاراته في «عيلام» وفي مدن سومر الواقعة إلى أقصى الجنوب مثل «أوما» و «الوركاء» و «أور» بانتصارات عسكرية في شمال بلاد سومر التي كانت تحت سلطة مدينة «كيش» ومدينة «أكشاك» المجاورة لها . حقاً إن «كيش» قد ضعفت على ما يبدو بعد هزيمة تمت على يد «اينشا كوشانا» الذي لقب نفسه بـ «أن» (أمير) بلاد سومر و «ملك (البلاد)» ، وكان «زوزو» ملك «أكشاك» هو الذي قاد حملة من القوات الشمالية إلى «لجش» ، ولكن «أياناتم» أوقع بالقوات الغازية هزيمة نكراء ولاحقهم من «اتناسورا» (حدود لجش الشمالية) إلى «أكشاك» نفسها مكبداً إياهم خسارة فادحة .

لقد كان «أياناتم» الآن في قمة سلطانه ، حتى إنه قد شعر بأنه من القوة بما يكفيه ليحمل لقب «ملك كيش» مع ما يتضمنه من إدعاء بالسيادة على بلاد سومر كلها ، أو كما يضعه المؤلف القديم «لأياناتم» — أنسى «لجش» ٠٠٠ اينانا (الإلهة الحامية لمدينة لجش) ، لأنها أحبته ، وهبت ملكية كيش بالإضافة إلى إمارة لجش . ولا بد أن يكون قد أقام في هذا الوقت أيضاً مسألة النسر وكرسها تخليداً لذكرى انتصاراته التي أحرزها بمجدارة . ويبدو أن فترة قصيرة من السلم أعقبت ذلك في بلاد سومر ، فنجده «أياناتم» يقضى وقتاً في حفر قناة جديدة أطلق عليها بابتهاج اسم «لوما جيمدوج» أي جيدة (؟) — مثل «لوما» ، و (لوما) هو اسم من «تيدنوم» لـ «أياناتم» ، أي هو الاسم الذي يفترض بأنه أعطى له من شعب «المارتو» السامي الذي كان يعيش إلى الغرب من بلاد سومر حيث يعرف بأن «تيدنوم» كانت تقع هناك .

ولكن قبل أن يتم حفر القناة ، وفي الواقع قبل أن يكون لديه وقت لتكسية جدرانها بالآجر ، كان «أياناتم» مرة أخرى في حالة حرب ، وكان في هذه المرة هو المدافع ولم ينجح في إيقاف أعدائه عند حدهم ومنع وقوع الهزيمة إلا بصعوبة بالغة ، فقد هاجمه «الغيلاميون» أولا من الشرق ، وعلى الرغم من أنه أرجعهم إلى موطنهم ، فإنه لم يتمكن من متابعة نجاحه وغزو بلاد «غيلام» نفسها لأن عدوتيه القديمتين من ناحية الشمال ، «كيش» و«أكشاك» قامتتا بغزو مدينة «لجش» ، ولم يكديعهما عن منطقة «لجش» حتى عاد «الغلاميون» مع حلفاء جدد ، لتأتي في أثرهم مرة أخرى قوات من «كيش» و«أكشاك» يؤيدهم في هذه المرة عدو جديد ، هي مملكة «مبارى» الواقعة على مسافة بعيدة من جهة الغرب . وفي معارك ضارية قامت في «أسوهور» التي تكون حدود «لجش» الشرقية ، وفي «اتاسورا» ، حدودها الشمالية ، حقق «أياناتم» نصرا حاسما على أعدائه . ثم مرت فترة راحة أخرى قصيرة خالية من الحروب ، وأصبح «أياناتم» في موقف يمكنه من تجديد نشاطه العمراني فبنى جدران قناة «لوماجيمدوج» وشيد خزاناً واسعاً لمياهها . ولكن على الرغم من انتصاراته ولقبه «مخضع كافة البلدان (للاله) نينجرسو» ، المغمم بالتفاخر يبدو أن «أياناتم» قد آل إلى نهاية سيئة ، لأن خليفته لم يكن واحداً من أبنائه بل كان أخوه «أيناناتم» ، مما يشير إلى احتمال أنه لم يمت ميتة طبيعية ولكنه سقط في معركة كانت بلا ريب فاجعة بالنسبة لمدينة «لجش» ، معركة لم تنهض منها تماماً قط .

إن «أيناناتم» ، بعد أن خلف أخاه في حكم «لجش» وقد وجد نفسه غارقاً في الحال في مشاكل خطيرة مع سكان مدينة «أوما» ، لأنهم على الرغم من هزيمتهم على يد «أياناتم» استعادوا ثقتهم بأنفسهم بعد أقل من جيل واحد إن لم يستعيدوا قوتهم السابقة . وعلى أية حال فإن «أور - لوما» بن «أينا كالا» المنكود الحظ نقض الاتفاقية التي كانت تلهم صدور الأومانيين بشدة ضد «لجش» ورفض أن يدفع لـ «أيناناتم» الحاصلات الزراعية التي كانت مفروضة على «أوما» أضف إلى

ذلك أنه شرع بتجفيف قنوات الحدود واقتلاع وحرق كل من مسلتى « مسليم » و « أياناتم » مع كتابتهما التي كانت تثير سخط الأومانيين ، وتهديم الأبنية والهياكل التي شيدها « أياناتم » على طول قناة الحدود لتذكير سكان « أوما » بوجوب عدم الاعتداء على مناطق لجشية ، وأصبح الآن مستعدا لعبور الحدود ودخول مقاطعة « جوايدينا » . وللتأكد من تحقيق النصر لنفسه طلب مساعدة عسكرية من « الأجانب » الذين يقطنون إلى الشمال من بلاد سومر ، وحصل عليها .

لقد تلاقت القوتان في « جانا — أوجيجا » في مقاطعة « جوايدينا » بالقرب من الحدود الجنوبية وكان الأومانيون وحلفاؤهم بقيادة « أور — لوما » نفسه ، بينما كان اللجشيون بقيادة « اينتمينا » لأن والده كان بكل تأكيد طاعناً في السن في هذا الوقت ، وكان اللجشيون هم المنتصرين وهرب « أور — لوما » ولاحقه « اينتمينا » بشدة وقتل عدداً كبيراً من قواته بعد أن أوقعها في كائن نصبت لها . ولكن انتصار « اينتمينا » دل على أنه كان قصير الأمد ، فبعد اندحار « أور — لوما » واحتمال وفاته ظهر على المسرح عدو جديد وهو : « إيل » رئيس معبد مدينة تسمى « خلاب » تقع في مكان غير بعيد من الناحية الشمالية ، وكان « إيل » كما هو واضح ذكياً فظل ينتظر في الوقت الذي كان فيه « اينتمينا » و « أور — لوما » يناضلان من أجل الوصول إلى نتيجة حاسمة ، ولكن ما كادت المعركة تنتهي حتى هاجم « اينتمينا » المنتصر وحقق انتصاراً أولياً وتغلغل عميقاً في أراضي « لجش » . حقاً أنه لم يتمكن من الاحتفاظ بمكتسباته جنوب حدود « أوما — لجش » ولكنه نجح في جعل نفسه « إنسيا » (أى أميراً) في « أوما » .

وبدأ الآن « إيل » في إظهار عدم احترامه لادعاءات « لجش » تقريباً بنفس الطريقة التي اتبعها سلفه « أوش » . فقد حرم قنوات الحدود من المياه التي كانت ضرورية للغاية لرى الحقول والمزارع المجاورة ، ولم يدفع إلا جزءاً ضئيلاً فقط من الضريبة التي فرضت على « أوما » بموجب معاهدة « اياناتم » القديمة . وعندما أرسل « اينتمينا » إليه رسلاً طالبا إيضاحاً لهذه الأفعال غير الودية أجاب مدعياً بتناول : إن « جوايدينا » برمتها مقاطعته وملكها له .

على أن الأمريين « إيل » و « إينتمينا » لم تقرر مصيره الحرب ، ويبدو أن حلا وسطا بدلا من ذلك فرض عليهما من شخص ثالث ، ربما كان مرة أخرى الحاكم غير السومري الشمالي الذي كان يدعى بسيادته على بلاد سومر كلها . وعلى العموم يبدو أن القرار كان لصالح « لجش » لأن خط « مسيليم — أباناتم » القديم قد احتفظ به كحد ثابت بين « أوما » و « لجش » . إلا أنه من الناحية الأخرى لم يذكر شيء عن قيام سكان « أوما » بالتعويض عن الحاصلات التي كانوا قد أوقفوا دفعها ، كما لا يبدو بأنهم اعتبروا مسئولين فيما بعد عن ضمان إمداد مقاطعة « جوايدينا » باليابا ، وتركت هذه المهمة الآن لسكان « لجش » أنفسهم (١) .

لقد كان « إينتمينا » آخر الحكام العظماء في سلالة « أور — نانشة » ، فابنه « إيناناتم » الثاني لم يحكم سوى فترة قصيرة ولم ينجز إلا قليلا من الأعمال استدلالاً من حقيقة أن واحدا فقط من نصوصه قد اكتشف حتى هذا التاريخ — وهو مدون على قاعدة باب كرسى عند إعادة بناء مصنع الجعة العائد للإله « نينجرسو » . وتبعه كحاكم على مدينة « لجش » « اينتارزى » ، الذى ربما كان مغتصباً للعرش ، ولدينا من أيام حكمه عدد كبير من الوثائق الإدارية إلا أننا لا نملك نصوصاً تكريسية . بيد أنه اكتشفت رسالة معنونة إلى « اينتارزى » من « لواينا » « سانجا » (رئيس معبد « نينبار » ، تتحدث عن اندحار عصاة مكونة من ستائة عيسى قامت بغزو « لجش » ونهبها (٢) .

وخلف « اينتارزى » كحاكم في « لجش » لوجال بندا » الذى ، ترك لنا كسلفه نصوصاً إدارية فقط ولم يترك نصوصاً تكريسية ، ولذلك لا نعرف شيئاً عن حكمه . وجاء بعد « لوجال بندا » « أورو كاجينا » الذى لم يشتهر بسبب إنجازاته العسكرية — لأنه ربما كان فى الواقع أول داعية للسلام بين البشر — وإنما بسبب

(١) للأطلاع على ترجمة الوثيقة التى تضم هذه المعلومات أنظر الملحق (ج) عدد ١٤ .

(٢) للأطلاع على ترجمة الوثيقة كلها أنظر الملحق (ج) عدد ٢٧ .

إصلاحاته الاجتماعية والخلقية ، وهي أقدم إصلاحات في التاريخ المدون للإنسان . لقد كان حكمه لسوء الحظ قصيراً وانتهى نهاية مخزنة عندما قام « لوجال زاجيزى » أمير « أوما » المجاورة الطموح ذو الميول العسكرية ، بحرق ونهب وتدمير جميع الأماكن المقدسة تقريباً في مدينة « لجش » . إن أعمال « لوجال زاجيزى » الأثيمة هذه سجلت بعناية في وثيقة جديرة بالاهتمام الكبير كتبها كاتب لاهوتى من مدينة « لجش » بأمر بلا ريب من « أوروكلجينا » الذى — يوجد سبب للإعتقاد بأنه — قد سلم من الكارثة . إن الفقرة التى يختتم بها النص تكشف عن إيمان « أوركاجينا » بعدالة الآلهة ، إيمان — على الرغم من أنه شديد التأثير فى النفس — سبب خرابه ودماره . لقد جاء فى هذه الفقرة « لأن الأومانى هدم آجر (؟) « لجش » فإنه اقترف ذنباً ضد الإله « نينجرسو » وسيقطع « نينجرسو » الأيدى التى رفعت ضده ، إن هذا ليس ذنب « أوركاجينا » ملك « جيرسو » ، عسى « نيدابا » إلهة « لوجال زاجيزى » (الشخصية) حاكم « أوما » أن تحمّله (أى لوجال زاجيزى) (نتائج) جميع (هذه) الذنوب » (١) . كل هذا يترك انطباعاً بأن « أوروكلجينا » لم يقاوم زميله السومرى المعتدى من « أوما » ، وأنه كان واثقاً بعدالة الآلهة ثقة لا حد لها وبالعقاب الذى ستوقعه بفاعل الشر — على أن الفائدة التى تجنيها الضحية من ذلك غير واضحة تماماً على أية حال فإن حياة « لوجال زاجيزى » التى بدأت باحتلال « لجش » ، وتوجت لفترة ما بنجاح غير اعتيادى ، وانتهت نهاية ذليلة .

لقد ترك لنا « لوجال زاجيزى » نصاً مهماً واحداً ، جمع كتاباته « هيرمن هليشت » قبل أكثر من نصف قرن من كسر إناء تبلغ المئات (٢) . وفى هذا النص يصف « لوجال زاجيزى » نفسه بفخر على أنه ملك « الوركاء » (و) ملك البلاد وأنه شخص أخضع جميع البلدان الأجنبية حتى إنه لم يبق شيء سوى السلم والسعادة والرخاء فى كافة أنحاء مملكته التى كانت تمتد « من البحر الأسفل » على طول نهري دجلة

(١) للأطلاع على ترجمة هذا النص أنظر الملحق (ه) .

(٢) للأطلاع على ترجمة كاملة للنص أنظر الملحق (ج) .

والفرات إلى البحر الأعلى^(١) . ولكن كل هذا لم يستمر ، كما قلنا سابقا ، وقتنا طويلا فبعد حوالى عشرين سنة من الانتصارات العسكرية أقتيد من خشبة تطوق عنقه إلى بوابة « نقر » ليلعن ويصق عليه من قبل كل الذين كانوا يمرون بالقرب منه . وكان قاهره ساميًّا يسمى « سرجون » ، مؤسس سلالة « أكد » القوية التى بدأت عن قصد أو عن غير قصد عملية تحويل بلاد سومر إلى السامية التى قادت أخيرا إلى نهاية الشعب السومرى على الأقل كشخصية سياسية أو عرقية يمكن تعريفها .

لقد كان « سرجون » العظيم ، كما أصبح يعرف من قبل المؤرخ الحديث ، واحداً من أعظم شخصيات الشرق الأدنى القديم السياسية الفذة - فكان قائداً عسكرياً ذا عبقرية بالإضافة إلى كونه إدارياً واسع الخيال وبناء لديه إحساس بالالهية التاريخية لأعماله وإنجازاته . وكان أثره محسوساً بطريقة أو أخرى في كل العالم القديم من مصر إلى الهند ، وأصبح « سرجون » في القرون المتأخرة شخصية أسطورية طالت حولها الشعراء والمنشدون قصصاً بطولية وروايات عجيبة - كانت على أية حال تعجند بصورة عامة على شئ من الحقيقة . ولحسن الحظ نحن لسنا بحاجة في حالة « سرجون » إلى الذهاب إلى هذه التواريخ والقصص المتأخرة للحصول على حقائقنا التاريخية لأننا نملك نصوصه الخاصة التى تسجل أهم فتوحاته العسكرية وإنجازاته ، لأن « سرجون » ، وولديه « ريموش » و « منيشتوشو » اللذين خلفاه ، كانوا يخجلون انتصاراتهم بإقامة تماثيلهم المنقوشة بالكتابات في معبد الإله « إنليل » في مدينة « نقر » وكذلك بمسلات تصورهم مع أعدائهم الراكعين على أقدامهم . وإذا أستثنينا كسرة هنا أو هناك من الحجر البركاني (الديوريت) ، فإنه لم يكتشف في الواقع حتى الآن أى من هذه التماثيل والمسلات ، بل حتى حفريات « نقر » الجديدة أثبتت على أنها خيية للآمال من هذه الناحية ، ومن الجائز أيضاً أن تكون هذه التماثيل والمسلات قد حطمت في الأزمان القديمة . ولكن لحسن حظ المؤرخ الحديث قام بعد عدة قرون من تكريسها في معبد

(١) يقصد بالبحر الأسفل الخليج العربى وبالبحر الأعلى البحر المتوسط . (المترجم)

« إنجيل » عالم وباحث مجهول باستنساخ جميع النصوص المدونة عليها بعناية وأمانة تشرفان أى آثارى ومتخصص بالكتابة القديمة فى العصر الحديث ، مبيناً حتى فيما إذا كانت النصوص المستنسخة قد جاءت من التمثال نفسه أو من قاعدته بعبارات مثل « (هذا) النص على التمثال » أو « (هذا) النص على القاعدة » أو « لا يوجد على القاعدة نص » . أما لماذا قام بهذه الاستنساخات فذلك أمر مجهول تماماً ، ولعل المبدع يواجه مع آثار خطر التخريب فأراد ذلك المجهول أن يحفظ ما على التماثيل من كتابات للأجيال القادمة . فإذا كان هذا هو قصده ، فإنه قد حقق نجاحاً أكبر مما كان بالإمكان أن يأمله ، لأن لوحه القيم قد اكتشف برمته تقريباً من قبل بعثة « نفر » الأولى ووضعت محتوياته فى متناول الأجيال القادمة من قبل عالين هما « آرنوبول » و « ليون لاجرين » .

لقد بدأ « سرجون » حياته كموظف كبير ، إذ كان فى الواقع ساقياً للملك سومرى فى مدينة « كيش » اسمه « أور - زبابا » ، على الرغم من أنه كان من الساميين . ولا بد أن « أور - زبابا » كان هو الحاكم الذى خلعه « لوجال زجيزى » الطموح من العرش ، وربما قتله عندما مضى فى طريق الفتح بعد أن دمر مدينة « لجش » . وكان هدف « سرجون » الرئيسى إزاحة « لوجال زاجيزى » عن المسرح السياسى . وقام لتحقيق هذه الغاية بهجوم مفاجئ على مدينة « الوركاء » عاصمة « لوجال زجيزى » و « ضربها » وهدم أسوارها . ويبدو أن المدافعين عن « الوركاء » تركوا المدينة هاربين ، ولكنهم عادوا ، بعد حصولهم على مساعدات من خمسين أميراً جاءوا من المقاطعات الأخرى ، ووقفوا ، وفقاً لرواية النص ، أمام « سرجون » الزاحف وفى معركة ضارية أوقع ، « سرجون » هزيمة نكراء بقوات « الوركاء » ، ويبدو أن « لوجال زاجيزى » الذى لا بد أنه كان بعيداً عن « الوركاء » فى حملة نائية ، لم يظهر على المسرح مع جيشه إلا بعد فوات الأوان ، وانتصر « سرجون » فى هذه المرة أيضاً ، وكان انتصاره حاسماً إلى درجة استطاع معها أن يقسود « لوجال زاجيزى » بالسلسلة ، أو بالأحرى بخشبة كانت تطوق رقبته إلى أبواب مدينة « نفر » .

وبعد أسر « لوجال زاجيزى » عاد « سرجون » إلى أقصى الجزء الجنوبي من بلاد سومر حيث مازال الحاكم التابع لـ « لوجال زاجيزى » يأمل في إيقاف زحفه . وهاجم أولاً مدينة « أور » في أقصى الجنوب الغربى ثم هاجم مقاطعة « إينينا » التى كانت تمتد من مدينة « لجش » إلى سواحل الخليج العربى حيث غسل سلاحه في احتفال أراد به دون شك أن يخلد ذكرى انتصاراته . وفى عودته من البحر هاجم « أوما » ، وهى حصن « لوجال زاجيزى » ، وهدم أسوارها فآثم بذلك فتح جنوب بلاد سومر . وتوجه الآن نحو الغرب والشمال وأخضع بلدان « مارى » و « يارموتى » و « أبلا » حتى وصل إلى « غابة الأرز » و « جبل الفضة » أى إلى سلاسل جبال أمانوس وطوروس ، ثم تجده بعد ذلك فى حملة إلى الشرق من سومر مهاجماً بلاد « عيلام » و « براخشى » وسالماً ممتلكاتهما .

إن هذا يوصلنا إلى نهاية نسخ النصوص التى كانت مدونة على تماثيل ومسلات « سرجون » التى لا تتناول على أية حال ، إلا جزءاً فقط من حكمه ، وإذا ما حكمنا من الأساطير والتواريخ المتأخرة عن ذلك بكثير ، فإننا نجد فتوحات « سرجون » قد استمرت تمتد طويلاً وعرضاً ، بل ربما أرسل قواته إلى مصر وأثيوبيا والهند . ولتحقيق سيادته على امبراطورية بهذا الاتساع وضع حاميات عسكرية فى عدة مراكز حساسة . وعين فى بلاد سومر نفسها ، حيث كانت الثورات داءً مزمناً اتباعه الساميين فى المراكز الإدارية العليا وأقام حاميات فى المدن تتألف كل قواتها من الأكديين . وشيد لنفسه ولوظف بلاطه وجنوده العديدين — فهو يفخر بأن « ٥٤٠٠ رجلاً كانوا ايتناولون الخبز أمامه يومياً مدينة — «أجادة»^(١) ، فى موقع قريب من مدينة « كيش » المدينة التى بدأ فيها مهمته غير العادية كساق الملك « أور — زبابا » . وأصبحت « أحادة » فى وقت قصير من أغنى مدن العالم القديم . فقد كانت الهدايا والضرائب تنقل إليها من الزاوى الأربع لملكة « سرجون » ، وعلى أرضيتها رسو

(١) . بلفظ الجيم كافاً فارسية . ويستخدم فى هذه الترجمة لفظ « اكد » الأكثر شيوعاً .
(المترجم)

السفن الآتية من « دلون » و « ماجان » و « ملوخا » البعيدات (ربما الهند ومصر وأثيوبيا)^(١) . وكان أغلب سكان « أجاده » بلا شك من الساميين المرتبطين بـ « سرجون » بروابط الدم واللغة ، ومن اسم « أجاده » ، أو بالأحرى من اسم « أكد » الذى يقابله فى التوراة (سفر التكوين ١٠ : ١٠) أستقت الكلمة « أكديون » التى تشير فى الوقت الحاضر إلى الساميين العراقيين بشكل عام .

وأعقب « سرجون » ابنه « ريموش » الذى وجد امبراطوريته ممزقة بالثورات والعصيان ، وفى معارك مريرة شارك فيها عشرات الألوف من الجنود ففتح أو بالأحرى أعاد فتح مدن « أور » و « أوما » و « أدب » و « لجش » و « دير » و « كزالو » بالإضافة إلى بلاد « عيلام » و « براخشى » . ولكن « ريموش » لم يحكم سوى بضع سنوات فقط وإعقبه « أخوه الأكبر » — ربما توأمه — « منيشتوشو » الذى واصل السير على نفس النمط العسكرى والسياسى . أضيف إلى ذلك أنه ، كوالده « سرجون » ، حمل جيوشه المتحصنة إلى أقطار بعيدة ، أو على الأقل قد يبدو كذلك من فقرة وردت فى نص من نصيوصه تقول « عندما عبر « منيشتوشو » البحر الأسفل (أى الخليج العربى) فى سفن ، تجمع ضده اثنان وثلاثون ملكاً ، ولكنه تغلب عليهم وضرب مدنها وأذل أسيادهم وهدم كل (؟) القرى (؟) حتى مناجم الفضة » .

حكم « منيشتوشو » خمسة عشر عاماً ثم أعقبه ابنه « نرام — سين » الذى رفع مدينة « أكد » إلى قم عالية جديدة من القوة والمجد ، ليرأها تصل أخيراً إلى نهاية مريرة وحزنة . وكانت إنجازاته العسكرية متعددة ومدهشة : فقد أوقع الهزيمة بحاف قوى تكون من الملوك الثائرين فى بلاد سوسر والبلدان المجاورة لها ، وفتح المنطقة الممتدة من ناحية الغرب حتى البحر المتوسط وسلاسل جبال طوروس وأمانوس ، ومد سيطرته إلى أمينيا وأقام تمثاله الذى يمثل النصر فى مكان قرب مدينة ديار بكر

(١) للاطلاع على الآراء المتعلقة بتحديد مواقع هذه البلدان أنظر الفصل الثامن .

الحديثة ، وحارب « اللولوبيين » فى سلاسل جبال زاجروس الشمالية وخذل ذكرى انتصاره هناك بمسلة رائعة ، وحول بلاد « عيلام » جزئياً إلى دولة سامية تابعة له ، وشيد مباني عديدة فى مدينة « سوسة » وأخذ الأتاوة من بلاد « ماجان » بعد أن دحر ملكها « مانيوم » الذى عرفه بعض الباحثين بـ « مذس » ملك مصر المشهور . فلا عجب إذا شعر بالقوة إلى حد إضافة لقب « ملك الجهات الأربع » إلى ألقابه وإذا بلغ من الجرأة إلى حد أنه إله نفسه كـ « إله أجاده » .

ولكن الكارثة المميتة التى سحقت « نرام - سين » ومدينة « أكد » وهددت بابتلاع بلاد سومر كلها حلت بعد ذلك - وهى غزوة الأقوام الجوتية^(١) التى أضعفت المعنويات ودمرت البلاد . والجوتيون جموع قاسية بربرية نزلت من الجبال الواقعة إلى الشرق من بلاد سومر . إننا نعرف هذا بالدرجة الأولى من قصيدة تتضمن أخباراً تاريخية ، يمكن أن تعنون بـ « لعنة أكد : إيكورثأر »^(٢) . لقد ألّف هذه القصيدة شاعر سومرى عاش بعد الكارثة الجوتية بعدة قرون ، وبعد أن هجرت « أكد » مدة طويلة ليحل فيها الخراب والدمار . إن هذه الوثيقة جديرة بأن تبقى فى الذاكرة لا من أجل وصفها الحى لمدينة « أكد » قبل سقوطها وبعده فحسب ، ولكن بوصفها واحدة من أقدم المحاولات المسجلة لتفسير حادثة تاريخية فى إطار وجهة نظر عالمية معترف بها فى الوقت الحاضر . وفى البحث عن الأسباب الكامنة وراء الغزوة الجوتية المميتة والمسؤومة يجد الكاتب ما يعتقد بأنه كان بلا شك الجواب الحقيقى ، ويحدثنا عن خطأ فاحش ارتكبه « نرام - سين » ، وهو خطأ لم يرد ذكره حتى الآن فى أى مصدر آخر . إن « نرام - سين » وفقاً لرأى مؤلفنا ، قام بنهب مدينة « نقر » واقترب بحق حرم الإله « أنليل » كل أنواع الأفعال المنهكة لحرمة المقدسات

(١) بلفظ الجيم كافاً فارسية . (المترجم) .

(٢) « إيكور » معبد الإله « أنليل » فى مدينة « نقر » ويعنى الاسم « بيت الجبل » . وفى هذه القصيدة إشارة إلى ما حل بـ « أكد » نتيجة لما تعرض له هذا المعبد والمدينة من إساءة على يد الملك « نرام - سين » . (المترجم) .

والمدنسة لها ، ولذلك أدار « أنليل » وجهه نحو الجوتين وأنزلهم من مواطنهم الجبلية لتدمير « أكّد » والتأثر لمعبده المحبوب . أضف إلى ذلك أن ثمانية من أهم آلهة مجمع الآلهة السومري ألقت بلعناتها على « أكّد » وقدرت لها أن تبقى مقفّرة مهجورة إلى الأبد ، وذلك تلطيقاً لروح ملكهم « أنليل » . وأضاف المؤلف في نهاية عمله قوله أن هذه هي في الواقع الحالة التي وصّات إليها « أكّد » إذ أنها بقيت مقفّرة مهجورة .

يبدأ مؤرخنا قصيدته بمقدمة يقارن فيها بين مجد « أكّد » وقوتها للذين كانوا يميزان بداية عهدها وبين الدمار والفقر اللذين حلا فيها من بعد سقوطها . لقد جاءت الأساطير المتعددة الأولى من القطعة على الوجه الآتي : « بعد أن أهلك « أنليل » ، وهو مقطب الجبين ، سكان « كيش » كأنه في ذلك ثور السماء ، وكأنه ثور عظيم سحق بيت « الوركاء » حتى أحاله تراباً ، وبعد أن أعطى « أنليل » ، في الوقت المناسب ، « سرجون » ملك « أكّد » ، السيادة والملكية على الأقطار العليا والأقطار السفلى » ، عندئذ ، (وهنا نعيد صياغة جزء من أكثر فقرات النص غموضاً) ، أصبحت مدينة « أكّد » غنية وقوية بالتوجيهات الحنونة المتواصلة من قبل « إينانا » إلهتها الحامية . فقد امتلأت مبانيها بالذهب والفضة والنجاس والقصدير وحجر اللازورد ، وكان شيوخها وعجائرها يقدمون مشورة حكيمة ، وغمرت البهجة أطفالها الصغار ، وكانت أصداء الموسيقى والغناء تتجاوب في كل مكان وعاشت جميع البلدان المجاورة بسلام وأمان . وجعل « نرام - سين » فوق ذلك كله معابدها بهيمة ورفع أسوارها إلى علو الجبال ، في حين أن بواباتها كانت مفتحة (على الدوام) . وكان يأتي إليها من الغرب « المارتو » البدو ، الشعب الذي « لا يعرف القمح » جالبين معهم أجود ثيرانهم وأغنامهم » وكان « الملوخيون » ، « سكان الأرض السوداء » ، يأتون إليها حاملين معهم بطائعهم الغريبة . وكان « العيلاميون » و « السوباريون » يأتون إليها من الشرق ومن الشمال حاملين أحماصهم كأنهم « حمير الأثقال » ، وكان يأتي إليها جميع الأمراء والرؤساء وشيوخ السهل جالبين معهم هدايا في كل شهر وفي رأس السنة الجديدة .

ثم حلت بعد ذلك الكارثة ، أو كما يصفها المؤلف : « بوابات أكد » يالها راكعة ذليلة . . . « إينانا » المقدسة تترك هداياهم دون أن تلمسها ، لقد حل الرعب في « أولماش » (معبد إينانا) ، لأن « إينانا » قد رحلت من المدينة ، لقد هجرتها ، وكعداء تهجر بخدعها ، تخلت « إينانا » المقدسة عن معبدها في « أكد » وكحارب بأسلحة ممشوقة هاجمت المدينة في معركة قاسية ، وأجبرتها على توجيه صدرها نحو العدو . وهكذا في مدة قصيرة جداً « ليس في خمسة أيام ولا عشرة أيام »^(١) ، رحلت السيادة والملكية م « أكد » : لقد تحولت الآلهة ضدها ، وبقيت « أكد » مهجورة ، وظل « نرام — سين » يقاسى التعاسة وحده ، ويرتدى كساء من الوبر ، وبقيت سفنه وعرباته عاطلة مهملات .

كيف وقع هذا ؟ إن رواية مؤلفنا تقول إن « نرام — سين » في غضون السنوات السبع التي توطن فيها حكمه قد تصرف تصرفاً يخالف أمر الإله « أنليل » . فقد أذن لجنوده بمهاجمة ، ونهب « إيكور » (معبد أنليل) وبساتينه . وهدم أبنية « إيكور » بمعاول وفؤوس نحاسية حتى « وقع البيت ذليلاً كأنه شاب منبت » . حقاً « لقد وقعت كل البلدان ذليلة » وفوق هذا كله قطع « نرام — سين » القمح من البوابة المسماة « البوابة التي لا يقطع عنها القمح » ، « ودمر بوابة السلام » بالفأس . لقد دنس الأبنية المقدسة وقطع أحراش « إيكور » . لقد سحق أنبيائه الذهبية والفضية والنحاسية وأحاطها تراباً ، وحمل جميع أموال « نرام » المهتمة في سفن كانت ترسو إلى جانب معبد « أنليل » تماماً ، ونقلها إلى « أكد » .

ولكنه لم يسكد ينتهي من ارتكاب هذه الأعمال حتى « تركت المشورة أكد » و « تحول نهى أكد الحسن إلى حق » . عندئذ ، « أنليل » ، الطوفان الهادر ، الذي لا ندله ، بيته المحبوب الذي هوجم ، بالشدة الدمار الذي أوقعه . فقد

(١) لقد وردت هذه العبارة بهذه الصورة في النص نفسه ، وأريد بها الإشارة إلى قصر

صوب نظره نحو الجبال وأتى بالجوتين وهم « شعب لا يصبر على القيود فغطوا الأرض كالجراد » كي لا يستطيع أحد الهرب من سلطانهم وانقطعت المواصلات في البر والبحر في كافة أنحاء بلاد سومر . فلم يعد بإمكان الرسول مواصلة رحلته - وراكب البحر لم يتمكن من الأبحار بسفينة ٠٠٠ وامتلات الطرق باللصوص ، وتحولت أبواب ومداخل البلاد إلى طين ، وكانت الأقطار المجاورة تخطط للشر من داخل أسوار مدنها « وحلت نتيجة ذلك مجاعة رهيبة في بلاد سومر . « فالحقول والمروج العظيمة لم تنتج الغلة ، ومصايد الأسماك لم تنتج السمك ، ولم تنتج البساتين المسقية عسلا ولا خمرًا » وتدهورت الأسعار بسبب المجاعة بحيث أن الخروف الواحد لم يشتر به إلا نصف « سيلا »^(١) من الدهن أو نصف « سيلا » من الحبوب أو نصف « منا » من الصوف (أنظر شكل ٤ للاطلاع على الموازين والمكاييل) .

وبسبب حالة البؤس والفاقة والموت والخراب التي هدت على هذا النحو بإفناء جميع « البشر الذين خلقهم أنليل » تقريباً ، وقرر ثمانية آلهة من الجمع الإلهي السومري - وهم « سين » و « أنكي » و « إينانا » و « نينورتا » و « أشكور » و « أوتو » و « نسكو » و « نيدابا » - بأن الوقت قد حان لتهدة غضب « أنليل » . وفي تضرعهم لـ « أنليل » أقسموا على أن « أكد » المدينة التي دمرت « نقر » ستدمر نفسها كما دمرت « نقر » . وعلى ذلك « توجهت » هذه الآلهة الثمانية « صوب المدينة ونطلت (بلعنة) خراب على أكد » :

يا أيتها المدينة ، أنت التي تجرأت بالهجوم على « أيكور » يا من
[تحديث] « أنليل » .

يا « أكد » ، يا من تجرأت بالانتقاض على « إيكور » ، يا من
[تحديث] « أنليل » .

(المترجم) .

(١) قياس للأحجام يعادل ٠.٨٤ من القير .

عسى أن تتراكم حقولك تراكم التراب
وعسى أن يعود (آجر ك) الطيني إلى حالته الأولى في الماء ،
وعسى أن يكون (آجر ك) الطيني آجرًا ملعونًا من (الإله) « أنكي » ،
وعسى أن تعود أشجارك إلى غاباتها ،
وعسى أن تصبح أشجارًا ملعونة من « ن - ألدو » .
ثيرانك المذبوحة — عساك تذبحين زوجاتك بدلا منها ،
ونعاجك المذبوحة — عسى أن تذبحي أبناءك بدلا منها ،
وفقراؤك — عسى أن يدفعوا إلى إغراق أطفالهم الأعزاء (؟) . .
يا « أك د » عسى قصرك المشيد بقلب يملأه الفرح ، أن يحول إلى خراب
يشير الحزن . .

وفي المواضع حيث كانت تقام طقوسك وشعائر ك ،
عسى أن يهز الثعلب (الذي يأوى) الخرائب ذيله . . .
وعسى ألا تنبت مواضع جر قواربك سوى الأعشاب الضارة ،
وعسى ألا تنبت طرق عرباتك سوى « النبتة الباكية » .
وفوق هذا عسى ألا يمشى على طرق قواربك ومراسيها ،
إنسان من جراء السخول الوحشية ، والديدان (؟) والحيات وعقارب الجبل .
وعسى سهولك حيث ينمو النباتات المفرح للقلب ألا تنبت سوى
« قصب الدموع » .

يا « أك د » ، بدلا من مياهك العذبة الجارية ، عسى أن تجري مياه مرة .
ومن يقل « أريد أن اقطن تلك المدينة » لن يجذ فيك موضع سكن حسن .

ومن يقل « سأنام في أكّد » لن يجد فيك موضع منام حسن .
ثم يختتم مؤرخنا قصيدته بقوله بأن هذا هو ما حدث تماماً لأن :

طرق قواربها لم تنبت سوى الحشائش الضارة ،

ولم ينبت في طرق عريانها سوى « النبتة الباكية » .

وفوق ذلك ، لا يمشي إنسان على طرق سحب سفنها وعلى مراسيها .

من جراء السخول الوحشية . والديدان (؟) والحيات وعقارب الجبل ،

وفي السهول حيث كان ينمو النبات الذي يفرح القلب ، لم ينبت سوى

« قصب الدموع » .

« أكّد » بدلا من مياهها العذبة الجارية ، صارت المياه المرة تجري فيها .

ومن قال « أريد أن أقطن تلك المدينة » لم يجد فيها مكان سكن صالحاً ،

ومن قال « سأنام في أكّد » لم يجد فيها موضع منام صالحاً

إن هزيمة « نرام - سين » على يد الجوتيين سببت اضطراباً سياسياً وفوضى في بلاد سومر على الرغم من أن الملك « شاركايشاري » بن « نرام - سين » حاول على ما يبدو أن يزيل بعض الأذى الذي سببه والده ، وذلك استنتاجاً من عدد من نصوصه التكريسية التي يصف فيها نفسه بـ « باني - إيكور » بيت « أنليل » . ولكن هذا العمل ، إذا حدث فإنه جاء متأخراً جداً ، فقد رأى ملكه يتقلص إلى مدينة « أكّد » وما يحيط بها مباشرة ، بحيث أنه لم يعد يحمل من الألقاب سوى لقب « ملك أكّد » ولم يجرأ على التلقب بلقب والده « ملك الجهات الأربع » الذي يبعث الفخر . صحيح إنه يدعى في أثبات الأحداث التاريخية تحقيق انتصارات على الجوتيين والعيلايين والعموريين ولكن هذه ربما كانت معارك دفاعية شنت لرد العدو من بوابات « أكّد » . وكانت الدلائل كلها تشير إلى أن الحكام الجوتيين كانوا هم العنصر السياسي البارز خلال العقود السبعة أو الثمانية التي أعقبت وفاة « نرام - سين » ، وكانوا على ما يبدو في مركز يمكنهم من تعيين حكام المدن السومرية وأزاحتهم وفقاً لمشيئتهم تقريباً . ولسبب ما - وربما لأنهم وجدوا أمير « لجش » مطواعاً ومتعاوناً - يبدو أن الجوتيين كانوا يحابون

« لجش » التي أصبحت المدينة البارزة في جنوب بلاد سومر لمدة نصف قرن تقريباً ، وكانت تسيطر في بعض الأحيان على « أور » و « أوما » وربما حتى على « الوركاء » . وعلى أية حال ، نجد قبيل نهاية « الفترة الجوتية » سلالة من الأمراء في « لجش » تواصل الأعمال السياسية والدينية التي بدأها المصلح العظيم « أوروكاجينا » وتعطى « لقيصر ما لقيصر » وذلك خدمة للآلهة بشكل أفضل .

وكان مؤسس سلالة الأمراء هذه في « لجش » « أور - باو » الذي ترك لنا عدة نصوص تكريسية تسجل تشييد العديد من المعابد في « لجش » . وكان « أور - باو » يسيطر أيضاً على « أور » ، وبلغ نفوذه حداً مكنه على الأقل من تعيين ابنته كاهنة علينا ل « نانا » الإلهة الحامية لمدينة « أور » . وكان ل « أور - باو » ثلاثة أصهار ، وهم « جوديا » و « أورجار » و « نامخاني » (يكتب الاسم أيضاً نامخني) الذين صار كل منهم أميراً لمدينة « لجش » . أن وجه « جوديا » الخالي في الواقع من الحركة ، وملاحظه غير المعبرة أصبح مألوفاً لدى الدارس الحديث من تماثيله العديدة التي تم العثور عليها ، والتي يحمل بعضها نصوصاً مطولة تسجل فعالياته الدينية التي تتصل بتشييد أهم معابد « لجش » وإعادة بناء المهدم منها . ونعرف من هذه النصوص بأنه على الرغم من سيطرة « الجوتين » ، كانت ل « جوديا » عملياً اتصالات تجارية مع عالم تلك الأيام « المتتمدن » كله . فكان يحصل على الذهب من بلاد الأناضول ومصر ، وعلى الفضة من سلسلة جبال طوروس ، وعلى خشب الأرز من آمانوس ، وعلى النحاس من زاجروس ، وعلى حجر الديوريت من مصر ، وعلى العقيق من زاجروس ؛ وعلى الخشب من « دلون » . ويبدو أنه لم يواجه أية صعوبة في الحصول على الصناعات من « سوسة » وبلاد « عيلام » للقيام بتزيين معبده . وتحمل اسطواناتنا « جوديا » ، اللتان اكتشفنا في « لجش » قبل أكثر من خمسة وسبعين عاماً ، كتابات تمثل أطول نص أدبي سومري معروف ، إنه تأليف قصصي يقرب من ألف وأربعمائة سطر ، وفيه طقوس وتراتيل ، كتب تخليداً لذكرى إعادة بناء معبد « لجش » الرئيسي ، « إينينون » ، بل ويعطى فيه « جوديا » تقريراً عن انتصار عسكري مهم واحد - وهو انتصاره على دولة « أنشان »

التي كانت تجاور « عيلام » من ناحية الجنوب . ويتحدث فيه كذلك عن صناعة عدد من الأسلحة الطقوسية والرمزية مثل « الشارور » والمراوات ذات الخمسين رأساً . ولعل هذا يشير إلى نشاط عسكري جدير بالاعتبار قام به « جوديا » ، وعلى الرغم من احتمال أنه لم يقم بذلك إلا بصفته تابعاً للجوتيين . وكان « جوديا » كوالد زوجته « أور - باو » ، يسيطر أيضاً على مدينة « أور » حيث اكتشفت ثلاثة من نصوصه .

وجاء بعد « جوديا » ابنه « أور - نينجرسو » ثم حفيده « أوجي » اللذان حكما مجتمعين أقل من عقد واحد . وربما جاء بعدها « أور جار » وهو صهر آخر لـ « أور - باو » إلا أن حكمه كان على كل حال قصير الأمد . ثم جاء بعد ذلك ثالث أصهار « أور - باو » ، « ناخاني » ، الذي ربما كان « أميراً » لمدينة « أوما » بالإضافة إلى « لجش » . أما بالنسبة لتعاون « ناخاني » مع الجوتيين الذي ربما أدى إلى نعته بخائن بلاد سومر ، فإنه أمر مؤكد جداً ، لأنه أرخ نصاً من نصوصه بالأيام التي كان فيها « يارلجان » ملك بلاد « جوتي » . ولكنه ظهر حوالى هذا الوقت منفذ في بلاد سومر وهو « اتوحيجال » من مدينة « الوركاء » الذي نجح في تحطيم العبودية الجوتية وإعادة الملكية إلى سومر . إن هذا ورد في قصيدة قصصية تعتبر ضرباً من ضروب كتابة التاريخ ألفت إما في أيام « اتوحيجال » نفسه أو بعد ذلك بوقت قصير . فبعد أن تبدأ القطعة بشجب شديد للجوتيين « الحية وعقرب الجبل » ، بسبب هجماتهم الأثيمة على بلاد سومر - تصف بوضوح حملة « اتوحيجال » المظفرة ضد الملك الجوتي « تيريحان » الذي أسر وخيئ به مقيداً ومغصوب العينين إلى حضرة « اتوحيجال » ليطأ بقدمه على رقبتة ^(١) .

بيد أنه على الرغم من انتصار « اتوحيجال » الباهر ، فإنه لم يستمر مدة طويلة بالسلطة في بلاد سومر ، فهناك إشارات تشير إلى أن العرش قد اغتصب منه بعد حوالى

(١) للوقوف على ترجمة لهذه الوثيقة انظر الملحق (ج) عدد ٢٣ .

سبع سنوات من الحكم من قبل «أور - نامو» ، وهو واحد من أكثر حكامه طموحاً نجح في تأسيس سلالة سومرية مهمة تعرف بصورة عامة باسم سلالة «أور» الثالثة . وبرهن «أور - نامو» ، الذي حكم مدة ستة عشر عاماً ، على أنه كان قائداً عسكرياً قديراً وبناءً عظيماً وإدارياً بارزاً ، وأصدر أول تشريع في تاريخ الإنسان المدون .

بدأ «أو - نامو» حكمه بالهجوم على «نامخاني» صهر «أور - باو» حاكم «لجش» وقتله ، وكان «نامخاني» كما هو واضح ، قد تجاوز على أرض تابعة لـ «أور» بمساعدة دون شك من أسياده الجوتيين . وبعد أن جعل من نفسه سيداً على «أور» و «لجش» بدأ عندئذ العمل على تثبيت سيادته في كافة أنحاء بلاد سومر ، وعثر على نصوصه في مدن «الوركاء» و «نهر» و «أب» و «لارسا» ، بالإضافة إلى مدينة «أور» . بل وربما نجح حتى في مد سلطانه إلى بعض الأقطار التي كانت تجاور بلاد سومر ، وذلك استنتاجاً من إحدى صيغته التاريخية الواردة في أثبات الأحداث التاريخية التي تباهى فيها بأنه «جعل الطرق مستقيمة من (الأقطار) السفلى إلى (الأقطار) العليا» .

ويستنتج من رواية جاء فيها أن «أور - نامو» «ترك في ساحة المعركة كنأء مهشم» بأنه ربما قتل في معركة مع الجوتيين الذين كانوا يواصلون إثارة المشاكل لبلاد سومر خلال عهد سلالة «أور» الثالثة كله على الرغم من انتصار «أوتوحيجال» عليهم ، ذلك الانتصار الذي تبجح به كثيراً . وخلفه على العرش ابنه «شولجي» الذي حكم ثمانية وأربعين عاماً ، وبدأت فترة سلم ورخاء نسبين في بلاد سومر . لقد مد «شولجي» حكمه إلى بلاد «عيلام» و «أنشان» من ناحية الشرق . وكذلك إلى الشعوب البدوية التي كانت تستوطن سلاسل جبال زاغروس . وكان يسيطر حتى على «آشور» وأربيل في المنطقة «السوبارية» التي تقع على مسافة بعيدة إلى الشمال من بلاد سومر .

أما إن تهديته « السوبارين » وإخضاعهم قد سببا إزعاجاً كبيراً له فيظهر على كل حال في رسالة بعثها إليه أحد موظفيه الكبار اسمه « أرادمو » من مكان ما في « سوبير » . فقد كان « شولجي » قد عهد إلى « أرادمو » بمسئولية « حفظ طرق الحملة إلى بلاد سوبير بحالة صالحة » وبترسيع حدود البلاد و « يجعل طرق البلاد معروفة » و « بتقديم المشورة إلى عقلاء المجلس ضد (؟) البذرة (؟) الخبيثة (؟) » . وربما كان التعبير الأخير نعتاً ازدرائياً لقائد « سوباري » لم يذكر اسمه ، رفض الخضوع لسيادة « شولجي » . ولكن « أرادمو » وجد الحالة ميؤوساً منها تماماً ، لأن البذرة « الخبيثة » كان يبدو غنياً وقوياً ، وأوقع الرعب في قلب « أرادمو » وأضعف معنوياته إلى درجة لم يستطع معها أن يفعل شيئاً سوى طلب النجدة من « شولجي » . ولدينا كذلك رد « شولجي » على هذه الرسالة التي يشك فيها على ما يبدو بخيانة « أرادمو » ويستخدم التهديد تارة والترغيب تارة أخرى في محاولة لمنعه من الالتحاق بالثوار السوبارين .

ولعل « شولجي » حاول بوعي منه كما أشير إلى ذلك حديثاً^(١) ، أتباع خطوات « نرام — سين » ، رابع ملوك سلالة أكاد السامية . فهو ك « نرام — سين » تلقب بلقب « ملك الجهات الأربع » وعمل على تأليه نفسه خلال حياته . وكانت زوجته الملكة سيدة سامية نشطة وفعالة تسمى « آبي سيمتي » ، التي عاشت بعد شولجي « واستمرت كملكة أرملة خلال حكم خلفاء شولجي » الثلاثة ، الذين تسمى إثنان منهم على الأقل — وهما « شو — سين » و « آبي — سين » ، بأسماء سامية . ولكن على الرغم مما يبدو من أن « شولجي » كان ذا ميول سامية فإنه كان محبا عظيماً للأدب السومري والحضارة السومرية ونصيراً ممتازاً للمدرسة السومرية الـ « إيدوبا » ، (أنظر الفصل الرابع) . وكان « شولجي » يتباهى في تراثيله بالعلم والمعرفة الواسعة اللذين حصل عليهما في الـ « إيدوبا » أيام شبابه ويدعى بأنه أتقن مقرراتها المدرسية وصار كاتباً ماهراً .

وجاء بعد شولجى « ابنه » أمار - سين « الذى حكم تسع سنين فقط ، ولكنه نجح فى الاحتفاظ بالسيطرة على سومر ومقاطعاتها بما فى ذلك « آشور » البعيدة من ناحية الشمال ، وحكم أخوه « شو - سين » الذى جاء بعده تسع سنين أيضاً ، ونسمع لأول مرة خلال حكمه عن غزو خطير لبلاد سومر قام به ساميون عرفوا باسم « العموريين » جاؤا من سوريا والصحراء العربية ، ووجد « شو - سين » ضرورة فى إقامة جدار محصن عظيم لإيقاف هذه القبائل البربرية عند حدها ولو أن ذلك لم يسفر إلا عن نجاح ضئيل . وفى السنوات الأولى من حكم « إبي - سين » ، خامس ملوك أسرة « أور - نامو » وآخرهم ، قام العمريون بغارات كبيرة واضطرت هجبتهم مع هجمات العيلاميين من ناحية الشرق « إبي - سين » على بناء أسوار وحصون حول عاصمته « أوو » بالإضافة إلى مدينة « نقر » مركز بلاد سومر الدينى .

لقد نجح « إبي - سين » فى البقاء ملكا على بلاد سومر مدة أربعة وعشرين عاما ولكن الحالة كانت طوال مدة حكمه غير آمنة بل ومحزنة ، فقد كان حكمه مقتصرأ أكثر الوقت على مدينة « أور » نفسها التى غالبا ما كانت تعاني من المجاعة وندرة المواد الغذائية . وكنتيجة لغزوات العموريين وهجمات العيلاميين تداعت امبراطوريته وتقوضت ، ووجد حكام مدن بلاد سومر الهامة أن من الحكمة التخلي عن ملكهم وحماية أنفسهم . نحن نعرف هذا الوضع المؤلم بالدرجة الأولى من رسائل « إبي - سين » إلى حكام الأقاليم التى تمدنا بصورة حية عن هذا الملك الذى كان فى الواقع مرتبكا حزينا وعن موظفيه الخاضعين الطموحين وذوى السلوك المزدوج .

وتتيسر للباحثين فى الوقت الحاضر نصوص ثلاث رسائل من هذه المجموعة من المراسلات الملكية . تحتوى الرسالة الأولى على تقرير أرسله إلى « إبي - سين » « أشبى - إيرا » عن نتائج حملة بعثت لشراء حبوب عغد بها « إبي - سين » إليه . وتلقى الرسالة ضوئا كبيرا على غزوات العموريين فى الجهات الغربية من بلاد

سومر بالإضافة إلى ما تلقيه من ضوء على المشاكل التي كان يسببها العيلاميون لـ «إبي - سين». يبدأ «أشبي - إيرا» تقريره بقوله إنه نجح في شراء اثنين وسبعين ألف «جور»^(١) من الحنطة بالسعر العادي وهو «شيقل» واحد لكل «جور» من الحنطة، ولكنه بعد أن سمع بأن العموريين المعادين قد دخلوا إلى بلاد سومر و «احتلوا الحبوب العظيمة الواحد بعد الآخر»، فإنه لم يرسل القمح إلى «أور» العاصمة وإنما أرسله إلى مدينة «إيسن». ثم يواصل قوله في الرسالة بأنه لو أرسل إليه الملك الآن ستمائة سفينة حمولة كل منها مائة وعشرون «جورا»، فإنه سيسلم القمح إلى مدين سومر المختلفة، بيد أنه ينبغي أن يعهد إليه أولاً بشؤون «الإماكن التي ستريسو فيها السفن». وتنتهي الرسالة برجاء إلى «إبي - سين» ألا يستسلم للعيلاميين - على افتراض أنهم كانوا يحاصرون فعلاً «أور» والمناطق المجاورة لها - لأن لديه من القمح ما يكفي لحل مشكلة المجاعة في «القصر ومدنه» مدة خمسة عشر عاماً. وعلى أية حال طلب، إلى الملك بأن يعهد إليه بكل من «نقر» و «إيسن»: أما أن «إبي - سين» كان يثق ثقة تامة بـ «أشبي - إيرا» حتى أنه عهد إليه فعلاً بتولى شؤون مدينة «نقر» ومدينة «إيسن» فأننا نعرف ذلك من رسالته الجوابية، التي نلخصها الأستاذ «ثور كايلد جا كيسون»^(٢) على الرغم من أنها لم تنشر بعد، ولأسوء حظ «إبي - سين» ظهر أن «أشبي - إيرا» كان خائناً بقدر ما كان قديراً وكفأً. فهو لم ينجح فقط في الدفاع عن «إيسن» و «نقر» بل نجح أيضاً في اغتصاب عرش سيده. نحن لا نعرف هذا بالطبع من مراسلات «أشبي - إيرا» مع «إبي - سين» وإنما من رسالة كتبت إلى الأخير من قبل «بوزور - نوموشدا» حاكم مدينة «كزالو» ومن جواب «إبي - سين» عليها.

Journal for Cuneiform Studies, VII, 41.

(١)

(٢) بلفظ الجيم كافاً فارسية. للأطلاع على المسكايل والموازن أنظر (شكل ٤) (المترجم)

لقد أصبح « إشبى - إيرا » وفقا لما ورد في رسالة « پوزور - نوموشدا » ،
 متمركزاً بقوة حكام في مدينة « إيسن » التي حولها إلى عاصمة له ، كما أخضع علاوة
 على ذلك مدينة « نقر » ومد حكمه على طول نهري دجلة والفرات من مدينة
 « سمانى » في الشمال والشرق إلى الخليج العربى . وأسر من حكام « إبنى - سين »
 أولئك الذين ظلموا على ولائهم واعد أولئك الذين يفترض بأنهم طردوا من قبل
 « إبنى - سين » بسبب خيانتهم له إلى مرا كزهم القديمة . أن عجز « إبنى - سين »
 الحزن وتردده الذى يرى له يكشف عنهما جوابه إلى « پوزور - نوموشدا » . فعلى
 الرغم من إدراكه بأن « پوزور - نوموشدا » كان على حافة الخيانة - إذ لم يتقدم
 فى الواقع لمساعدة حكام « إبنى - سين » المخلصين على الرغم من وضع مجموعة مختارة
 من القوات تحت تصرفه لهذا الغرض - فإن « إبنى - سين » لم يستطيع أن يفعل
 شيئاً أكثر من مناشدته بالبقاء على ولائه ، مع تأكيدات مشكوك بقيمتها على أن
 « إشبى - إيرا » الذى لم يكن من بذرة سومرية « سيفشل بطبيعة ما فى تحقيق
 طموحه فى أن يكون سيد بلاد سوهو . وأن العيلاميين سيهزمون ، لأن « انليل قد
 أخرج العموريين من بلادهم وأنهم سيوقعون الهزيمة بالعيلاميين ويأسرون
 « إشبى - إيرا » .

ومع نمو استقلال « إشبى - إيرا » وقوته وجدت سومر نفسها تحت حكم
 ملوكين وهما « إبنى - سين » الذى كان حكمه محصوراً فى عاصمته « أور »
 و « إشبى - إيرا » الذى سيطر من عاصمته « إيسن » على أغلب مدن سومر الأخرى .
 وفى السنة الخامسة والعشرين من حكم « إبنى - سين » احتل العيلاميون أخيراً مدينة
 « أور » وأسروا « إبنى - سين » وتركوا وراءهم حامية تسيطر على المدينة . ثم هاجم
 « إشبى - إيرا » هذه الحامية بعد بضع سنوات وأخرجها من « أور » وأصبح بذلك
 ملكاً على بلاد سومر كلها كما أصبحت « إيسن » عاصمة له .

لقد أسس « إشبى - إيرا » سلالة فى « إيسن » دامت أكثر من قرنين ،
 على الرغم من أن حكامها المتأخرين لم يكونوا من ذريته مباشرة . وكانت « إيسن »
 تدعى نظرياً السيطرة على كل بلاد سومر وأكد ، بينما كانت البلاد فى الواقع مجزأة

بين عدد من دويلات المدن تحت سلطة حكام منفصلين عن بعضهم ولم تعد هناك امبراطورية ذات سلطة مركزية . على أن « إيسن » بقيت في الواقع مدة تقرب من القرن أقوى هذه الدول ، إذ كانت تسيطر على « أور » عاصمة الامبراطورية القديمة ، وعلى « نقر » التي استمرت ك مركز روحي وعقلي لبلاد سومر خلال هذه الفترة . ويتباهى رابع حكام سلالة « إيسن » . « أشمي - ذاجان » في التراثيل باعادة « نقر » إلى مجدها القديم ، حيث يبدو بأنهم تعرضت قبل حكمه لهجوم عنيف قام به عدو ، لعله من الآشوريين من الشمال ، وأدعى ابنه وخليفته « لبث - عشتار » السيطرة على الآلهة الرئيسية في بلاد سومر وتلقب بـ « ملك سومر وأكد » وهو لقب يبعث على الاعتزاز ، وأصدر خلال حكمه تشريعاً سومرياً جديداً كان نموذجاً لقانون « حمورابي » الشهير ، على الرغم من أن القانون الأخير دون باللغة الأكديّة باللغة السومرية .

ولكن في السنة الثالثة من حكم « لبث - عشتار » اعتلى حاكم طموح مليء بالحيوية اسمه « جوجونوم » عرش « لارسا » ، وهي مدينة في جنوب شرق « إيسن » ، وبدأ في أعلاء قوة المدينة السياسية بعدد من الانتصارات العسكرية في منطقة « عيلام » و « أنشان » . وبعد بضع سنوات فقط نجد نفس « جوجونوم » هذا مسيطراً على « أور » عاصمة الامبراطورية القديمة التي كانت لها أهمية كبيرة بالنسبة إلى مكانة « إيسن » وقوتها . صحيح إن هذا كان احتلالاً « وديا » — فقد كانت « أور » مهددة بفزوة جديدة من العموريين — ولكن « إيسن » انتهت من هذا الوقت كقوة سياسية مهمة ، على الرغم من تمسكها ببعض ادعاءاتها القديمة لمدة قرن آخر أو أكثر بقليل . وأخيراً هوجمت « إيسن » واحتُلت من قبل « ريم - سين » آخر حكام مدينة « لارسا » ، الذي أعطى هذا الفتح أهمية كبيرة بحيث أنه كان يؤرخ به جميع وثائقه خلال آخر ثلاثين سنة من حكمه .

ولكن « ريم - سين » نفسه لم يتمكن من استغلال انتصاره ، فإلى الشمال من مدينة بابل ، التي لم تكن مهمة في السابق ، ظهر حاكم سامي بارز اسمه « حمورابي » ،

وبعد حوالى ثلاثة عقود من حكم ملهىء بالشاكل قام بالهجوم على « ريم - سين »
حاكم « لارسا » وانتصر عليه بالإضافة إلى انتصاره على ملوك بلاد « عيلام »
« ماري » « وأشنونا » وبذلك أصبح ، حوالى سنة ١٧٥٠ ق . م . حاكماً لملكة
موحدة تمتد من الخليج العربى إلى نهر الخابور . وبالملك « همورابى » ينتهى تاريخ
بلاد سومر ويبدأ تاريخ بلاد بابل التى قامت فيها دولة سامية على أساس سومرى .

الفصل الثالث

المجتمع : المدينة السومرية

{

1

1

-

1

1

1

كانت الحضارة السومرية جوهرياً مدنية في طبيعتها على الرغم من أنها كانت تستقر على قاعدة زراعية وليس على قاعدة صناعية . وكانت بلاد سومر في الألف الثالث ق.م. تتكون من اثنتي عشرة دولة - مدينة ، أو حوالى ذلك ، لكل منها مدينة كبيرة ، مسورة في العادة ، وتحيط بها ضواحي مؤلفة من قرى كبيرة وصغيرة . وكان أبرز ظاهرة في كل مدينة المعبد الرئيسى الذى يقف على مصطبة عالية تطورت تدريجياً إلى برج مدرج ضخيم يعرف باسم « زقورة » ، وهو أهم أسهم مميز قدمته بلاد سومر إلى العمارة الدينية . ويتألف المعبد عادة من مزار مستطيل الشكل أو مقدس مركزي ، يحيط به على ضاعيه الطويلين عدد من الغرف المخصصة لاستعمال الكهنة . وكانت توجد في المقدس مشكاة ليوضع عليها تمثال الإله وأمام المشكاة مذبح للقرابين مبنى من الآجر الطيني الجفف . وكان المعبد يشيد على الأغلب بالآجر الجفف ، ولما كان الآجر المصنوع من الطين غير جذاب في مادته ولونه فإن البنائين السومريين كانوا يزینون الجدران بطامعات ودخلات تتوالى بعد بعضها البعض على أبعاد منتظمة ؛ واستخدموا أيضاً العمود ونصف العمود اللذين يشيدان بالآجر الطيني الجفف وينطيان بنماذج من الخطوط المتعرجة والأشكال المعينة والمثلثات وذلك بادخال آلاف المخاريط الملونة المصنوعة من الطين المشوى في الطبقة الطينية السمكية التي تغطي الآجر . وكانت جدران المزار الداخلية تطل أحياناً بزخارف جصية تمثل أشكالاً بشرية وحيوانية بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من الأشكال الهندسية^(١) .

وكان المعبد أكبر وأعلى وأهم بناء في المدينة ، وذلك وفقاً للنظرية المقبولة بين الزعماء الدينيين السومريين التي ترجع بلاشك إلى ازمان قديمة جداً والقائلة بأن المدينة

(١) الأطلاع على تفاصيل تتعلق ببناء المعبد أنظر الفصل الرابع .

كلها ملك إلهها الرئيسي الذي خصصت له في اليوم الذي خلق فيه العالم^(١) . أما في التطبيق العملي فكانت مؤسسة المعبد على أية حال لا تمتلك إلا جزءاً من الأرض يُجر إلى مزارعين ، أما الباقي فكان ملكاً خاصاً لمواطنين بصفتهم الشخصية . وكانت السلطة السياسية في العهود الأولى بأبدى هؤلاء المواطنين الأحرار وحاكم — مدينة يعرف باسم « انسى » (ensi) ، الذي لم يكن أكثر من نبيل بين مجموعة من النبلاء . وعندما تتطلب الحالة اتخاذ قرارات حيوية بالنسبة للمدينة ككل ، كان هؤلاء المواطنون الأحرار يجتمعون في (برمان) مؤلف من مجلسين ، مجلس أعلى من « الكبار » (أى الشيوخ) ومجلس عموم من « الرجال » (أى النواب)^(٢) . ولما ازداد النزاع بين دول المدن عنفاً وحرارة ، واشتدت الضغوط من قبل الشعوب البربرية من شرق بلاد سومر وغربها ، أصبحت القيادة السياسية أمراً ضرورياً ، وأصبح الملك ، أو كما يعرف في اللغة السومرية « الرجل الكبير » يحتل مقاماً رفيعاً . وربما كان الملك في بادئ الأمر ينتخب ويعين من قبل المجلس في لحظة حرجة ليتولى مهمة عسكرية محدودة ، ولكن الملكية ، بكل امتيازاتها وحقوقها ، أصبحت بالتدريج مؤسسة وراثية ، وكانت تعتبر سمة المدنية المميزة لها . وأسس الملوك جيشاً نظامياً ، مع العرب — « الدبابه » القديمة — كسلاح هجومي رئيسي ، وكتيبة مشاة مساحه بأسلحة ثقيلة تقوم بالهجوم بتشكيلة الكراديس . وكانت انتصارات بلاد سومر وفتوحاتها تعود إلى درجة كبيرة إلى تفوقها هذا في الأسلحة والأساليب والتنظيم والقيادة العسكرية . ولذلك بدأ القصر (أى الملك) بمرور الزمن بمنافسة المعبد في الثروة والنفوذ .

ولكن الكهنة والأمراء والعسكريين كانوا لا يؤلفون إلا جزءاً صغيراً من

(٢) كان السومريون يعتقدون بأن الآلهة خصصت عندما خلقت الأرض لكل إله من الآلهة الرئيسة مدينة تضم معبده الرئيسي . وكانت المدينة وحقوقها تعتبر ملكاً خاصاً للإله . أما الملك أو الحاكم فكانا وكيلين له . وإذا استعانت إحدى المدن السيطرة على مدن أخرى فإن هذا يفسر بأن جمع الآلهة انتخب إله تلك المدينة المنتصرة ليكون ملكاً بين الآلهة وضمت إليه بنية المدن . وكان لهذه النظرة نتائج مهمة في تاريخ العراق السياسي . (المترجم)

سكان المدينة ، فقد كانت الأغلبية العظمى من السكان من المزارعين وأصحاب الماشية والملاحين وصيادى السمك والتجار والكتاب والأطباء والمهندسين والبنائين والنجارين والحدادين والصاغة والفخاريين . وكان يوجد بالطبع عدد من العائلات الغنية المتنفةذة التى كانت تمتلك مقاطعات واسعة ، على أن الفقراء كانوا يذبحجون أيضاً فى امتلاك الحقول والبساتين والبيوت والماشية . وكان أنشط الحرفيين والصناع يبيعون مصنوعاتهم اليدوية فى سوق المدينة الحر يأخذون الثمن إما نوعاً أو بالـ « نقود » التى كانت عادة حلقة أو خاتماً من الفضة بوزن قياسى . وكان التجار المتجولون يتعاطون تجارة مزدهرة من مدينة إلى أخرى ومع دول مجاورة عن طريق البر والبحر ، وربما كان عدد غير قليل من هؤلاء التجار أفراداً من عامة الناس وليسوا ممثلين للمعبد أو القصر .

إن رأى القائل بأن الاقتصاد السومرى كان اقتصاداً حراً نسبياً وأن الملكية الخاصة كانت هى القاعدة وليست شذوذاً يصطدم بإدعاء عدد من العلماء المستشرقين القائل بأن دولة — المدينة السومرية كانت حكومة دينية استبدادية يسيطر عليها المعبد وكانت تمتلك الأرض كلها وتسيطر سيطرة تامة على كافة النواحي الاقتصادية . أن حقيقة كون الأغلبية العظمى من الألواح الطينية العائدة إلى فترة ما قبل العهد السرجونى ، أى سومر حوالى سنة ٢٤٠٠ ق . م . ، عبارة عن وثائق جرد جاءت من معابد « لجش » وهى وثائق تتصل كلية بأرض المعبد وشخصياته ، هذه الحقيقة قادت العلماء إلى نتيجة لا يمكن تبريرها وهى أن جميع أرض « لجش » — وعلى سبيل الاقتراض أراض دول — المدن الأخرى — كانت ملكاً للمعبد . غير أن من الصحيح أيضاً أن هناك عدداً من الوثائق التى جاءت من « لجش » ومن مواقع أخرى يشير بوضوح كبير إلى أنه كان باستطاعة مواطنى دول — المدن شراء حقولهم ودورهم وبيعها ، دون أن نذكر جميع أصناف الأموال المنقولة الأخرى . وعلى هذا ، مثلاً ، اكتشفت عدة وثائق تعود إلى حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . فى مدينة « فارة » و « بسمايا » سجلت فيها صفقات بيع مقاطعات كان يقوم بها أفراد من عامة الناس ،

وأن هذه بلاشك لم تسكن إلا جزءاً صغيراً من تلك الوثائق التي مازالت تحت التراب . وجاء من « لجش » لوح حجري سجلت عليه صفقة بيع أرض إلى « اينجيجال » ، من ملوك « لجش » وسلف « أور - نانشه » ، مما يظهر بأنه ما كان بوسع حتى ملك أن يستولى على ممتلكات غيره متى شاء ، بل كان يجب عليه أن يدفع ثمن ذلك . ووجدت وثيقة حجرية أخرى دونت فيها صفقة شراء أرض قام بها رجل باسم « لوماتور » ، من أبناء الملك « اينانتم » الأول ، مع افراد وعائلات متعددة — ونجد في نص الملك « أوروكاجينا » الأصلحى بأنه حتى الفقير والوضيع كانا يمتلكان البيوت والبساتين وأحواض السمك . بيد أن فكرة وجود حكومة استبدادية معبدية تسيطر سيطرة مطلقة على المدينة استولت على عقول العلماء البارزين ولأجل اقتلاعها أصبحت إعادة دراسة مئات من النصوص الاقتصادية المتيسرة ، خاصة تلك التي جاءت من « لجش » ، دراسة عميقة ، ضرورة ملحة . وقد أنجز هذا العمل الاستاذ « آى . أم دياكانوف » (Diakanoff) ، وهو عالم روسي خُصص وقتاً وجهداً كبيرين إلى هذه المهمة ، وظهرت دراسته المفصلة في سنة ١٩٥٩ (١) . وفيما يأتي ، إذن ، تقدم صورة لتركيبة دولة — المدينة السومرية الاقتصادية مستمدة بالدرجة الأولى من تحايلات « دياكانوف » التي تلقى ضوءاً على هذا الموضوع .

أن الخطأ الاساسى الذى قاد إلى افتراض ان معبد كل مدينة كان يمتلك جميع ارضها الزراعية اقترف من قبل المنفور له « انطون دايميل » (Anton Deimel) وهو عالم غزير الإنتاج كرس سنوات عديدة لدراسة وثائق « لجش » واسهم بشكل بارز فى الدراسات التجارية كلها . لقد قدر « دايميل » باضافة جميع المقاطعات التى ذكرت فى الوثائق إلى بعضها البعض مجموع مساحة أراضي المعبد فى « لجش » بين مائتين وثلاثمائة كيلو متر مربع ، وهو تقدير يمكن تبريره ، فإذا كان فيه ما ينتقد عليه فهو أنه منخفض جداً . ولتسكن « دايميل » يواصل بحثه بعد ذلك ليفترض بأن هذا هو ما كان

Diakanoff, Sumer : Society and State in Ancient Mesopotamia (٨) .
(Moscow, 1957 : in Russian with English résumé)

في الواقع مجموع مساحة دولة - مدينة « لجش » ، وهو ادعاء لا تؤيده الحقائق مطلقاً . فبعد دراسة جميع وثائق « لجش » المتيسرة بعناية أكثر قال « ديا كانوف » . إن مساحة مقاطعة « لجش » كانت تضم على ما يرجح حوالي ثلاثة آلاف كيلو متر مربع الأرض ، منها حوالي ألفي كيلو متر مربع تروى ارواءً طبيعياً . أن مجموع مساحة مقاطعات المعبد ، حتى إذا ضوعف تقدير « دايمل » - لأن هناك سبباً للاعتقاد بأنه ينبغي أن يضاعف - كان يضم جزءاً كبيراً من مقاطعة دولة المدينة ، ولكنه كان على أية حال جزءاً فقط . وكانت أرض المعبد هذه التي لم يكن بالإمكان شراؤها أو بيعها أو نقل ملكيتها بأي طريقة ، مقسمة إلى ثلاثة أصناف : (١) أرض الـ « نيجينا » (nigenia)^(١) التي كانت مخصصة لتزويد المعبد بما يحتاج إليه . (٢) أرض الـ « كورا » (Kurra) . وكانت مخصصة للمزارعين العاملين في فلاحة أرض المعبد من الصنف الأول ، الـ « نيجينا » ، وكذلك للخرفيين والشخصيات القائمة على إدارة المعبد كجزء عن خدماتهم (ولم يكن بالإمكان وزاثة هذه الأرض كما كان من الممكن أن تستبدل أو تؤخذ جميعها من قبل إدارة المعبد في أي وقت ، تقرر القيام بذلك لسبب أو آخر) . (٣) أرض الـ « أورولال » (urulal) وكانت مخصصة مقابل دفع حصة معينة من المحصولات الزراعية إلى أفراد مختلفين ، ولكن بصورة خاصة إلى شخصيات المعبد لتوفير واردات إضافية لهم .

أما بالنسبة للأرض التي لم تكن من أملاك المعبد والتي كانت تضم القسم الأكبر من مقاطعة دولة - المدينة تقريباً ، فإن الوثائق تظهر على أن أغلبها كانت ملكاً للـ « نبلغة » ، أي الأمراء الحاكمين وعائلاتهم وإدارى القصر بالإضافة إلى الكهنة الذين كانت لهم أهمية كبيرة . وغالباً ما كانت هذه العائلات النبيلة تمتلك مقاطعات واسعة تصل مساحتها إلى مئات الأفدنة حصصاً على أغلبها بالشراء من المواطنين الأقل حظاً . وكان العمل في هذه المقاطعات ينجز من قبل اتباع أو أفراد يعتمدون

(١) يلفظ الجيم كافاً فرنسية ، (المترجم)

في حياتهم المعاشية على النبلاء ، وكانت منزلتهم الاجتماعية تشبه منزلة المعتمدين على المعبد الذين كانوا اتباعاً لموظفي المعبد وإداريه من ذوى الثراء الكبير . وكانت بقية الأرض — أى الأرض التى لم تكن ملكاً للمعبد أو النبلاء — تعود إلى العامة من مواطني المجتمع ، الذين ربما كانوا يؤلفون أكثر من نصف السكان . وكان هؤلاء المواطنون الأحرار أو العوام ينظمون في عوائل كبيرة ذات رؤساء وكذلك في قبائل لها زعماءها وفي مجتمعات قروية . وكان من الممكن منذ أقدم العهود أن تنقل ملكية الأرض الموروثة التى كانت في حوزة العوائل ، ولكن هذا كان لا يتم الا من قبل عضو أو عدة أعضاء من العائلة ، ليس من الضروري أن يكون رأس العائلة من بينهم ، يقومون بذلك كممثلين منتخبين عن مجتمع العائلة . وكان يشترك في الصفقة عادة أعضاء آخرين كشهود ، مشيرين بذلك إلى موافقتهم ورضاهم . وكان هؤلاء الشهود يتلقون أجراً على ذلك تماماً كما كان يتسلم البائعون أنفسهم ثمن الأرض ، ولو أنه كان عادة أجراً اسمياً تقريباً . وفي حالات عديدة كانت تسجل أسماء شهود لا يتقاضون أجراً يأتي بهم المشتري ، وكان يسهم أحياناً ممثلون عن الحكومة في صفقات البيع والشراء . ومجمل كل ذلك أننا نحصل نتيجة لأبحاث « ديا كانوف » المفصلة والتي تنم عن خيال بارع على صورة من البناء الاقتصادي — الاجتماعى لدولة المدينة السومرية تختلف كل الاختلاف عن تلك الصورة الشائعة بين العلماء المستشرقين في الوقت الحاضر . وزى أن السكان كانوا يتألفون من أربعة أصناف : نبلاء ، وعوام ، وأتباع ، وعبيد . وكان النبلاء يمتلكون مقاطعات كبيرة ، كان جزء منها بشكل أملاك فردية وجزء آخر بشكل ممتلكات عائلية ، وكان يعمل فيها إلى جانب العبيد أتباع احرار أو أفراد يعتمدون اعتماداً كلياً على النبلاء . وكان النبلاء كذلك هم الذين يسيطرون على أرض المعبد ، ولو أن هذه الأرض دخلت تدريجياً تحت سيطرة الحاكم ، بل أصبحت بعد ذلك ملكاً خاصاً له . وربما كان المجلس الأعلى من البرلمان أو « مجلس المدينة » يتكون من أعضاء ينتمون إلى العائلات النبيلة .

وكان الرجل من العامة يمتلك قطعة أرض خاصة به في دولة المدينة ، ولكن

ذلك كان بصفته عضوا من عائلة وليس كفرد مستقل ، وربما كان العوام هم الذين يكونون مجلس (العموم) من (البرلمان) المسكون من مجلسين .

وكان الاتباع يتألفون من ثلاثة أصناف :

(١) المعتمدون على المعبد من الأثرياء — كإدارى المعبد والصناع المهمين ،
(٢) المجموعة الكبيرة من المستخدمين فى المعبد ، (٣) اتباع النبلاء . وكان أغلب الأتباع من الصنفين الأول والثانى يحصلون على قطع صغيرة من أرض المعبد (ولكن على أساس تملك مؤقت فقط) ، على الرغم من أن بعضهم كان يحصل على كميات من الأعذية والصوف . وكان بلا شك يدفع أيضا إلى أتباع النبلاء العاملين فى مقاطعاتهم وفقاً لترتيبات شبيهة بما كان يتخذ مع أتباع المعبد .

وكان الرق نظاما معترفا به ، وكانت المعابد والقصور والمقاطعات الفنية تمتلك العبيد وتستغلهم لمصالحها الخاصة . وكان العديد من العبيد أسرى حرب ، بيد أنه ليس من الضروري أن يكونوا من الأجانب لأنه كان من الممكن أن يكونوا أخوانا سومريين من مدينة مجاورة هزمت فى الحرب . وكان العبيد السومريون يجمعون بطرق أخرى ، فكان من الجائز أن يستعبد الأحرار كعقوبة تفرض عليهم بسبب مخالفات معينة . وكان باستطاعة الوالدين بيع أطفالهم كعبيد عند الحاجة أو من الجائز أن يسلم رجل جميع أفراد عائلته إلى دائنين تسديدا الدين عليه ، على أن ذلك كان لمدة محدودة لا تزيد على ثلاث سنوات . وكان العبد ملك سيده كأي مال منقول آخر ، ومن الممكن وشبه بعلامة وجلده . ويعاقب العبد بشدة إذا حاول الهرب ، ألا أنه كان من مصالحة السيد من ناحية أخرى أن يظل عبده قويا ومعافى ، ولذلك كان العبيد يعاملون عادة بلطف ، بل وكانت لهم حقوق قانونية معينة : فقد كان بإمكانهم الدخول فى معاملة تجارية واستدانة ققود وابتضاع حريتهم ، وإذا تزوج عبد أو أمة شخصاً حراً كان الأبناء أحراراً . وكان سعر بيع العبد يتفاوت وفقاً لحالة

السوق والشخص الذى تشمله عملية البيع . وكان معدل سعر الرجل البالغ لسن
الرشد عشرين « شيقلا » وهى سعر كان يقل أحياناً عن سعر حمار .

لقد كانت العائلة ، كما هو الحال عندنا ، الوحدة الأساسية فى المجتمع السومرى ،
وكان أعضاؤها ملتحمين مع بعضهم بالحب والاحترام . وكان يعترف بالخطوية قانونياً
حالما يقدم العريس هدية زواج إلى والد الفتاة . ويتم الخطوبة غالباً بعقد يدون على لوح
طيني ، ومع أن الزواج جعل بهذه الصورة تنظيماً عملياً فإن هناك بعض الأدلة التى
تشير إلى أن الاتصال الجنسي قبل الزواج لم يكن أمراً غير مهزوف تماماً ، وكانت للمرأة
فى بلاد سومر حقوق قانونية معينة مهمة : فكان لها أن تمتلك وتتعاطى العمل التجارى
وكأبتر مؤهلة للشهادة ، بيد أنه كان باستطاعة زوجها أن يطلقها لأسباب تافهة نسبياً ،
وإذا كانت عاقراً كان باستطاعته أن يتزوج من امرأة ثانية . وكان الأطفال تحت
سلطة والديهم المطلقة ، وكان لهما حق حرمانهم من الإرث أو حق بيعهم ليصبحوا
عبيداً . ولكن فى سياق الحياة الاعتمادية . كان الوالدان يحببهم ويعتزان بهم إلى
درجة كبيرة . ويرث الأبناء عند وفاة الوالدين . كل ثروتهما . وكان يبنى الأطفال
أهراً شائماً ، ويعامل الأبناء المتبنون أيضاً بأقصى حد من العناية والرعاية .

لقد لعب القانون المدون ، كما يستنتج مما قيل عن التنظيم الاجتماعى والاقتصادى
دوراً كبيراً فى المدينة السومرية . فنجد ابتداءً من حوالى سنة ٢٧٠٠ ق.م . سندات
بيع حقيقية ، تشمل بيع الحقول والبيوت والعبيد ، وتملك من حوالى سنة ٢٣٥٠ ق.م
أثناء حكم « أوروكاجينا » ملك « لُش » ، وثيقة من أئمن الوثائق وأكثرها تعبيراً
فى تاريخ الإنسان وكفاحه الدائم الذى لا يابن من أجل التحرر من الظلم والاضطهاد .
إن هذه الوثيقة تسجل إصلاحات شاملة لمجموعة كاملة من المظالم السائدة التى يمكن
إرجاع أغلبها إلى بيروقراطية بنىضة ، موجودة فى كل زمان ومكان ، مؤلفة من
الحاكم وحاشيته ، وتعطينا هذه الوثيقة ، فى نفس الوقت ، صورة كئيبة
ومشؤمة لقسوة الإنسان على الإنسان فى كل المستويات — الاجتماعية ، والاقتصادية
والسياسية ، والنفسية . وإذا قرأنا ما بين سطورها نلح كذلك صراعاً مريراً من أجل

السلطة بين المعبد والقصر — كالنزاع بين الكنيسة والدولة — ووقوف مواطني « لجش » إلى جانب المعبد . وأخيراً نجد في هذه الوثيقة كلمة « حرية » تستخدم لأول مرة في التاريخ المدون للإنسان . إن هذه الكلمة هي « امارجي » (amargi) التي تعني حرفياً « عودة إلى الأم » ، كما أشار إلى ذلك حديثاً الأستاذ « فلكنشتاين » . على أننا مازلنا نجعل السبب الذي أدى إلى استعمال هذا التعبير بمعنى « حرية » .

ولا توجد في النص نفسه إشارة عن الأحداث التي نجمت عنها تلك الحالة الفاسدة وغير الشرعية وذلك الاضطهاد في « لجش » كما تصورها وثيقة « أورو كاجينا » الإصلاحية ، بيد أنه في وسعنا أن نبين نتائج حدسنا بأنها كانت نتيجة مباشرة للقوى السياسية والاقتصادية التي انطلقت من عقائدها بسبب السعي من أجل الاستحواذ على السلطة ، ذلك السعي الذي كان يميز السلالة الحاكمة التي أسسها « أور — نانشه » في حدود سنة ٢٥٠٠ ق . م . ، ذلك أن بعض الحكام ، بعد أن فتنوا بالمطامح العظيمة لأنفسهم ولدولتهم ، عمدوا لتحقيق هذه المطامح إلى حروب استعمارية وفتوحات دموية وحالفهم في بضع حالات نجاح كبير ، حتى أن أحدهم ، وهو « اياناتم » ، نجح فترة قصيرة في مد سلطان « لجش » على بلاد سومر كلها ، بل وحتى على عدد من الولايات المجاورة . غير أن تلك الانتصارات الأولى برهنت على أنها كانت وقتية زائلة وفي أقل من قرن واحد تراجعت « لجش » إلى حدودها القديمة ووضعها السابق . وكانت « لجش » في الوقت الذي تسلم فيه « أورو كاجينا » الحكم ضعيفة إلى درجة جعلت منها فريسة سهلة لعدوتها اللدودة من جهة الشمال وهي دولة « أمدينة » أو « أوما » .

لقد وجد سكان « لجش » أنفسهم أثباء هذه الحروب القاسية ومآثر كبتها من آثار محزنة وقد حرموا من خريتهم الاقتصادية والسياسية ، ذلك لأن من أجل تجنيد الجيوش وتجهيزها بالسلاح والعدد اضطرب الحكم على التجاوز على حقوق المواطن الشخصية وفرض أقصى ما يمكن من الضرائب على أمواله وممتلكاته والاستيلاء أيضاً على أملاكه كانت تعود للمعبد . ولم يواجه الحكام بسبب ظروفي

الحرب إلا مقاومة ضئيلة ، وما أن تمكن رجال القصر من الهيمنة حتى كشفوا عن ممانعتهم الشديدة للتخلي عن هذه السيطرة الداخلية حتى في أوقات السلم لأنها أثبتت على أنها ذات منافع كبيرة لهم. والواقع أن هؤلاء البيروقراطيين القدامى صاروا يتفننون في ابتكار مصادر متنوعة للدخل والإيراد ، والضرائب والرسوم التي ربما تكون ، من بعض الوجوه ، موضع حسد عند نظرائهم من الحكام في العصر الحديث . وكان المواطنون يلقون في السجن لأوهى حجة: بسبب دين ، أو عدم دفع الضرائب أو تهم سرقة أو جريمة قتل مافقة .

ولكن لندع المؤرخ الذي عاش في «لجش» قبل أكثر من مائتين وأربعة آلاف سنة ، فكان بذلك معاصراً للأحداث التي ينقلها ، يتلو علينا القصة بعباراته الخاصة تقريباً . لقد اكتشفت في «لجش» ثلاث نسخ متطابقة من النص الذي دونه هذا المؤرخ ، وربما كانت هناك نسخ أخرى مما يشير إلى أن «أورو كاجينا» والمصلحين من أصحابه كانوا فخورين ، وهو أمر له ما يبرره ، بالثورة الاجتماعية والأخلاقية التي حققوها^(١) .

في الأيام التي سبقت «أورو كاجينا» ، أو كما يضعها المؤلف على نحو أكثر بهاءً ، «قديمًا ، من أيام العبودية ، من (اليوم) الذي نبتت فيه بذرة (الإنسان) ، كان موظفو القصر يمارسون أعمالاً سيئة كالاستيلاء ، بلا حق أو تفويض ، على مايفترض ، على أموال تعود إلى مواطني «لجش» مثل حميرهم ، وشيائهم ، ومسايد أسمائهم . وكان آخرون من المواطنين يجردون بصورة غير مباشرة تقريباً من بضائعهم وممتلكاتهم وذلك بإرغامهم على كيل ما يستحقونه من المؤن في القصر بصورة تؤدي إلى إضرار كبيرة بمصلحتهم ، أو بإجبارهم على جلب أغنامهم إلى

(١) مجلد الفاري في الملحق (ج) عدد ٢٤ ترجمة كاملة ومنقحة تنتجاً كاملاً للنسخ الثلاث استندت إلى درجة كبيرة ، ولكن ليس كلياً ، إلى أحد استنساخات آرنو «يوبل» غير المنشورة حتى الآن .

القصر لغرض جز صوفها ودفع أجر عن هذه الخدمة « نقداً » في حالات معينة على الأقل .

وإذا طلق رجل امرأته كان « الأنسى » (أى الحاكم) يتقاضى خمسة « شياقل » ويتقاضى وزيره « شيقلا » واحداً ، ويأخذ « الأيجال » (أى ناظر القصر) « شيقلا » آخر .

أما بالنسبة للمعبد وأملاكه فإن « الأنسى » (أى الحاكم) كُن يستجوز عليها ويجولها إلى ملك خاص له . وتقتبس مما قاله قصاصنا القديم حرفياً قوله : « كانت ثيران الآلهة تحرث حقل « الأنسى » (أى الحاكم) المخصص لزراعة البصل ، وكانت حقول البصل والخيار العائدة إلى « الأنسى » تقع في أجود حقول الآلهة ، وفوق ذلك ، فإن موظفي المعبد البارزين ، وخاصة طبقة « السانجا » كانوا يجردون بطريقة أو أخرى من حميرهم وثيرانهم بالإضافة إلى حرمانهم من الكثير من غلاتهم وملابسهم .

وكان حتى الموت لا يخلص الناس من الرسوم والضرائب . فحين كان يؤتى بميت إلى المقبرة لدفنه ، (كانت هناك درجتان من المقابر — مقبرة عادية وأخرى تسمى « قصب (الإله) أنكى » ، كان عدد كبير من الموظفين والمتطولين يعملون من هذا تجارة ليربحوا العائلة الحزينة من مقادير من الشعير والخبز ، ونبذ التمر ، ومن أدوات منزلية متنوعة . ويقول قصاصنا المحترم بمرارة « إن جباة الضرائب كانوا منتشرين » من أقصى الدولة إلى أقصاها . فلا عجب إذا ما انتفخ القصر وازداد ثراءً ، فقد كانت أراضيهم وأملاكهم تكون مقاطعة واسعة متصلة ، وبكلمات معلقنا السومري الحرفية « بيوت الأنسى وحقول الأنسى ، وبيوت حرم القصر وحقول حرم القصر ، وبيوت أطفال القصر وحقول أطفال القصر كان يزاحم أحدها الآخر جنباً إلى جنب » .

وكانت هناك كذلك مساويء أخرى سائدة لا ترجع على ما يبدو إلى بيروقراطية القصر مباشرة ولكنها كانت ناتجة دون ريب من حالة الظلم العامة وعدم المبالاة والمبالغة في تعظيم النفس التي تحدث بسبب أعمال البيروقراطية الماسدة والجائرة :

فالصناع والحرفيون أحيوا إلى حالة فقر مدقع ، وكان عليهم أن يستجدوا الناس من أجل الحصول على طعامهم ، وكان يقبض على العمى - الذين كانوا على ما يفترض من أسرى الحرب ومن العبيد الذين تعمى أبصارهم لمنعهم من محاولة الهرب - ويوضعون للعمل في سقي الحقول كالحيوانات ولا يعطى لهم من الطعام إلا ما يكفي للبقاء عليهم أحياء ، وكان الأغنياء و « الرجال الكبار » ، والنظار يزدادون ثراء على حساب المواطنين السيئ الحظ ، مثل طبقة الـ « شوب لوجال » (ربما فى الأصل « خدام الملك ») ، وذلك بدفعهم على بيع حميرهم وبيوتهم بأسعار زهيدة خلافاً لإرادتهم . وكان المعوزون والفقراء واليتامى والأرامل يعاملون معاملة سيئة ، ويجردون بطريقة أو أخرى من القليل الذى كانوا يملكونه من قبل أصحاب السلطة والنفوذ .

فى هذه الفترة المتدهورة من أحوال « لجش » السياسية والاجتماعية اختار الإله « نينجرسو » إله المدينة الحامى ، على ما يخبرنا به مؤرخنا السومرى ، الحاكم الجديد لذى كان يخشى الآلهة « أورو كاجينا » من بن جموع مواطنى « لجش » وأمره بإعادة تطبيق « القوانين الإلهية » التى تركها أسلافه وأهلها . والتم « أورو كاجينا » بكلمات « نينجرسو » وتقد أوامر الإله تنفيذاً كاملاً . فنزع الممارسات السيئة كالأسحتواز على الحمر والأغنام والشيء وأما كن صيد السمك العائدة للمواطنين . ومنع فرض دفع الأموال إلى القصر بطرق مختلفة ، كأجر على وزن حصصهم من المؤن وجز صوف أغنامهم . وإذا طلق رجل امرأته لم يعد يحق للحاكم ولا لوزيره الحصول على رسم . وإذا صنع العطار صنفاً من الدهان لا يحق للحاكم ولا لوزيره ولا لـ « أوبجال » أن يأخذ شيئاً منه . وعند ما يؤتى بالميت إلى المقبرة لفنه صار ما يتقاضاه الموظفون من مخلفات الميت أقل مما كان يتقاضونه سابقاً ، بل صار أقل من النصف فى بعض الحالات . أما بالنسبة لأملاك المعبد التى استحوذ عليها الحاكم فإنه ، أى « أورو كاجينا » ، أعادها إلى أصحابها الحقيقيين وهم الآلهة ، ويبدو بأنه قد عهد الآن فى الواقع إلى القاعين على إدارة المعبد بمسؤولية إدارة قصر « الأنسى » (أى الحاكم) بالإضافة إلى قصور زوجته وأطفاله . ومن أقصى طرف البلاد إلى طرفها الآخر ، كما يقول مؤرخنا الذى عاصر الأحداث ، « لم يعد هناك جبهة للضرائب » .

ولسكن القضاء على الوكلاء المنتشرين في كل مكان ، وعلى جباة الضرائب والموظفين الطفيليين الآخرين لم يكن الإنجاز الوحيد لـ «أورو كاجينا» . فقد أزال كذلك الظلم والاستغلال اللذين كانا يعانيهما الفقراء على أيدي الأغنياء والأقوياء وخصصت حصص ثابتة من الطعام والشراب إلى طائفة الصناع وإلى عدد معين من العمال المصابين بالعمى وإلى عمال آخرين ، وإلى شتى السكينة من صنف الـ «جالا» (الذين ربما كانوا مغنى المعبد) ، ولم يجد الصناع والحرفيون بعد الآن ضرورة للاستجداء في سبيل الحصول على طعامهم . ولنع المشرفين و «الكبار» من استغلال المواطنين الاقل حظا مثل طبقة الـ «شوب - لوجال» فإنه أصدر مرسومين بمنعهم من اجبار اخوانهم المحتاجين على بيع حميرهم ودورهم خلافا لإرادتهم . وأصدر عفوا وأطلق سراح مواطني «لجتن» ممن سجنوا بسبب دين أو تخلف في دفع الضرائب ، أو بموجب تهمة قتل أو سرقة (كانت على ما يفترض) مزيفة . أما بالنسبة لليتامى والأرامل الذين كانوا ضحايا سهلة وعاجزة للأغنياء والأقوياء فإن «أورو كاجينا» عقد عهدا مع الإله «نينجرسو» بأن لا يقترب رجل قوى ظلما بحقوقهم .

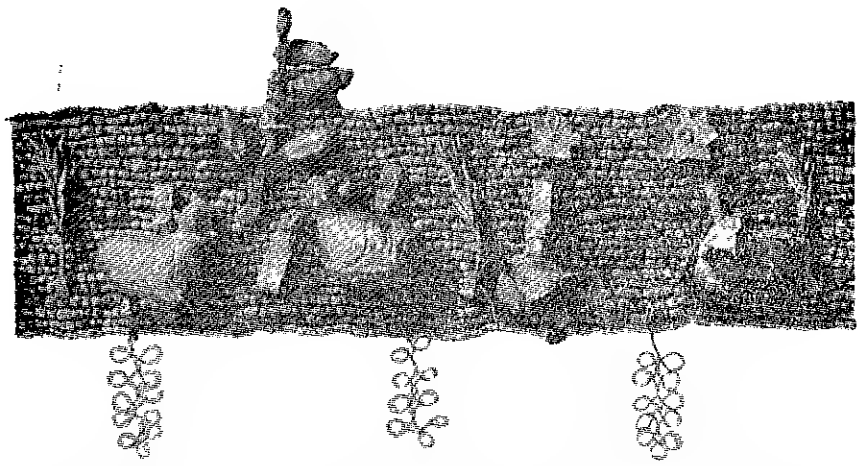
وأخيرا نجد في نسخة من نسخ وثيقة «أورو كاجينا» (انظر الملحق ج عدد ٢٦ و ٢٧) سلسلة من القواعد التي ، إذا كانت قد ترجمت وفسرت تفسيراً صحيحاً ، ينبغي أن تكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ القانون ، فهي تشير إلى أن المحاكم كانت تؤكد بشدة على الحاجة إلى توضيح الجريمة التي يعاقب من أجلها التهم لجميع الناس عن طريق الكلمة المكتوبة . فمثلا كان يجب دمج السارق والمرأة التي تزوج برجلين (في آن واحد) باحجار كانت تدون عليها نيتيها الشريرة ، والمرأة التي كانت ترتكب ذنباً بقولها لرجل قولاً ما كان ينبغي أن تقوله (إن الفقرة التي تقدم كلماتها غير واضح لسوء الحظ) يجب أن تهشم أسنانها بأجر مفخور كتب عليه ما كان يفترض بأنه العمل الإجرامى الذي اقترفته .

وكما يتضح من نص اصلاحات «أورو كاجينا» ، كان اصدار القوانين والقواعد القانونية من قبل حكام الدول السومرية ظاهرة شائعة في حدود سنة ٢٤٠٠ ق . م . ، بل وربما في وقت أقدم من ذلك بكثير . وعلى هذا فإن من المعقول الاستنتاج بأنه لا بد

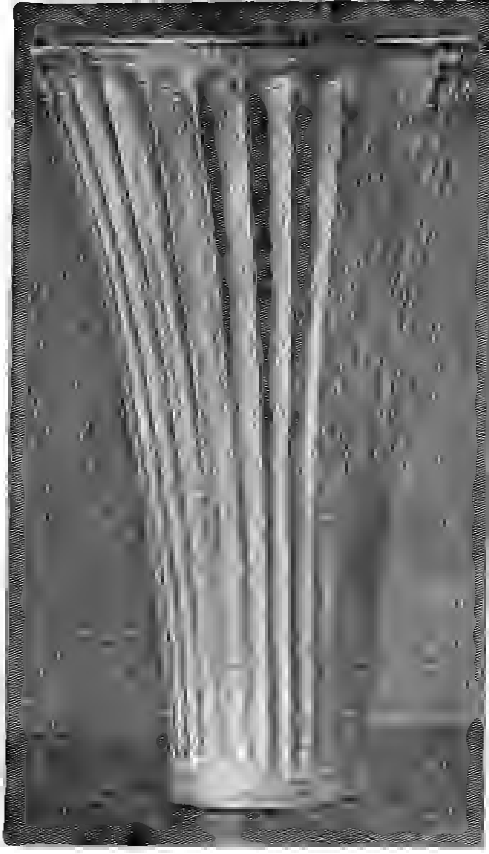
أن يكون هناك أكثر من قاض رسمي واحد أو مشرف على سجلات القصر أو أستاذ في «الايديوبا» (المدرسة) قد فكر في القرون الثلاثة التالية بتدوين القوانين والسوابق السائدة في أيامه أو في الأزمان السابقة أما لفرض الرجوع إليها للانتفاع منها كمرجع أو لإستعمالها كوسائل للتعليم . ولكنه ، حتى هذا التاريخ ، لم تكتشف مثل هذه السجلات من الفترة الواقعة بين عهدي «أوروكلجينا» و «أور — نامو» مؤسس سلالة «أور» الثالثة الذي بدأ حكمه حوالي سنة ٢٠٥٠ ق م .

ومما لا ريب فيه هو أن شريعة «أور — نامو» كانت مدونة في الأصل على مسألة حجرية لا تختلف عن المسلة التي دونت عليها شريعة «حواربي» بألوان الكدية بعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون . ولكن ما أكتشف حتى الآن لم يكن المسلة الأصلية ، ولا حتى نسخة معاصرة لها ، وإنما هو عبارة عن لوح في حالة سيئة أعد بعد ذلك بعدة مئات من السنين . لقد قسم الكاتب القديم هذا اللوح إلى ثمانية حقول (أو أعمدة) ، أربعة منها على الوجه وأربعة على الظهر ، ويحتوي كل حقل على حوالي خمسة وأربعين حيزا فصل بين الواحد والآخر بخط مستقيم . إلا أن ما يفهم منها في الوقت الحاضر أقل من النصف . ويحتوي وجه اللوح على مقدمة مطولة لا تفهم إلا جزئياً بسبب الكسور المتعددة في النص . وإذا ما أوجزت المقدمة فأن من الممكن قراءة محتوياتها جزئياً على الوجه التالي :

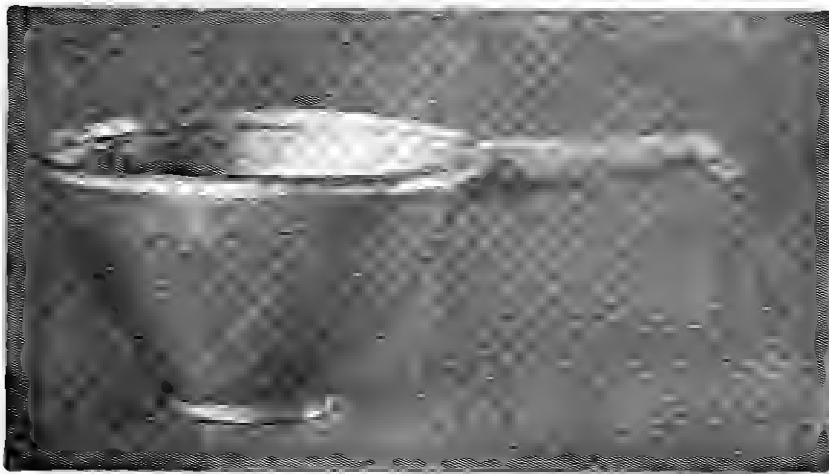
بعد أن خلق العالم ، وبعد أن تقرر مصير بلاد سومر ومدينة «أور» ، عين «آن» و «انيل» ، الإلهان اللذان يتزعمان مجمع الآلهة السومري ، الإله — القمر «نانا» ملكاً على مدينة «أور» . وفي يوم من الأيام أختير «أور — نامو» من قبل هذا الإله ليكون ممثلاً له في الأرض ويحكم بلاد سومر و «أور» . وكانت باكورة أعمال الملك الجديد تتصل بسلامة «أور» وبلاد سومر السياسية والعسكرية . فقد وجد من الضروري بصورة خاصة شن حرب على دولة — مدينة «لجش» المجاورة التي كانت تتوسع على حساب «أور» ودحر ملكها «ناخاني» وقتله ، ثم أعاد «بقوة الإله نانا» ، ملك المدينة «تثبيت حدود دولة «أور» السياسية .

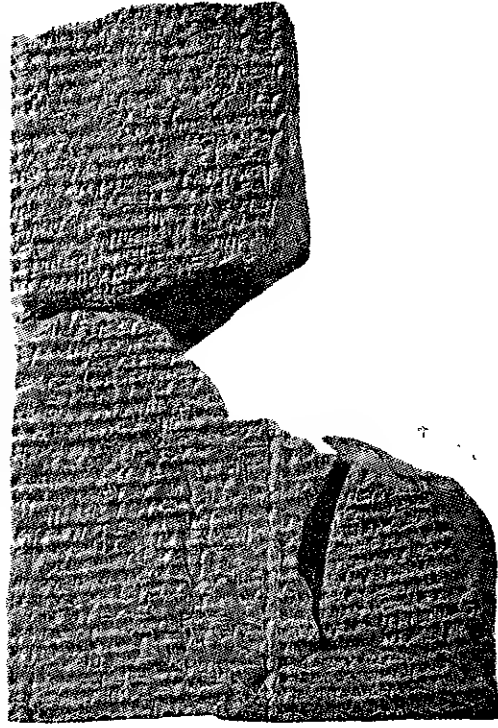


جزء من إكليل الملكة « شوباد » وجد في المقبرة الملكية في « أور » (من حوالى ٢٥٠٠ ق.م.) ، ويتكون من خرز من حجر اللازورد مركبة مع أوراق وفواكه وزهور وأشكال حيوانية مصنوعة من الذهب (من متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .



قدح محرز وإناء بصلبور
 من الذهب عثر عليهما في المقبرة
 الملكية في « أور » (من
 حوالي سنة ٢٥٠٠ ق م .)
 (من متحف الجامعة في
 بنسلفانيا) .





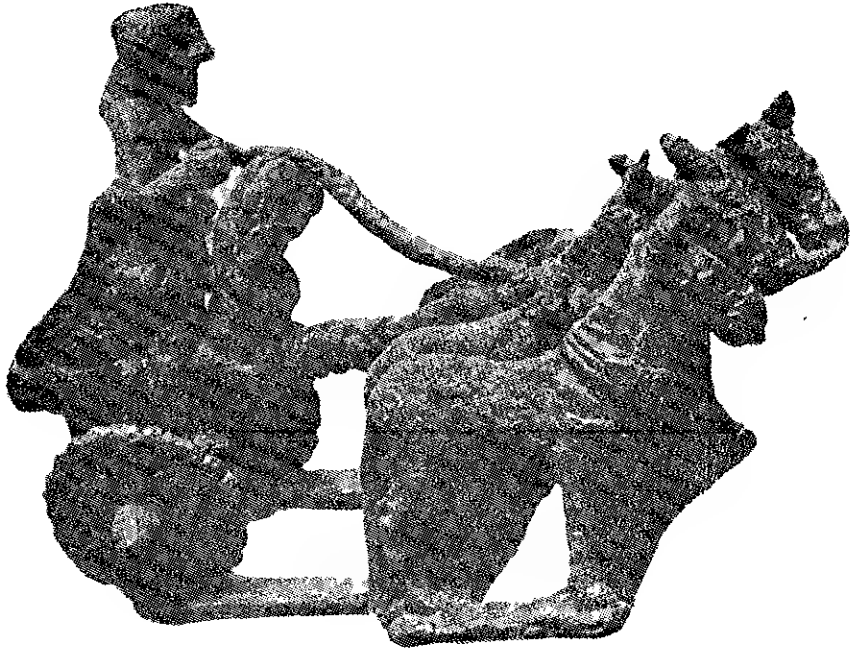
« خلق الإنسان » : لوح طيني جمع من ثلاث كسر دونت عليه قصة خلق الإنسان
من « الطين الموجود على المياه الأولى » . (من متحف الجامعة في بنسالفانيا) .



نص نحوي اكتشف في مدينة « نَقَر » . كان هذا اللوح في الأصل يحتوي على ستة عشر حقلاً من الكتابة ، وقسم كل حقل إلى قسمين . يحتوي النصف الأول الواقع على جهة الشمال على وحدة قواعدية سومرية كمركب إسمي أو فعل ، بينما يعطى النصف الثاني الترجمة السامية للمركب السومري . (من متحف الجامعة في بنسلفانيا) .



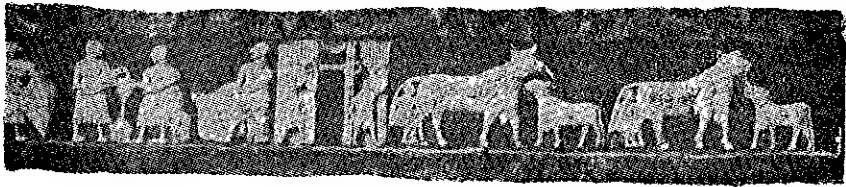
زوجة وزوجته : نحت من الجبس يعبر عن العاطفة والسعادة الزوجية . (من صور
البعثة الأمريكية للتنقيب في نقر) .



سائق عربة تجرها أربعة حمير (من النحاس) • عثر على هذه العربة في معبد
« شارا » في تل عقرب (من حوالى سنة ٢٧٠٠ ق.م.) • والعربة من الصنف
الخفيف • ويقف السائق فوق عارضتين على محور ويمسك قطعة خشبية في الوسط
مغطاة بالصوف • ويسيطر على الحمير بثنيت حلقات في شفاها العليا ، وبسوط فقد
من القطعة . (من متحف الجامعة في بنسلفانيا) .



« تقويم الفلاح » : يشاهد في الصورة ظهر اللوح الذي دونت عليه إرشادات تتعلق بأعمال زراعية يقوم بها الفلاح خلال السنة . (من متحف الجامعة في بفسلفانيا) .



نقوش بارزة تظهر قطعاً من البقروأعمالاً مختلفة تتصل بتهيئة الألبان ١٠ اكتشف هذا النقش في « العبيد » (حوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م.) . يشاهد في الجزء الأسفل وإلى عين الزريبة التي تحتل مركز الصورة مباشرة رجلاً يحلب بقرة . وإلى الشمال من الزريبة مباشرة نشاهد رجلاً يخض اللبن لإستخراج الزبدة ، ونشاهد بعد ذلك ثلاثة رجال يحضرون السمن أو الزبد الصافي ، الذى مازال منتجاً رئيسياً عند سكان العراق الذين يعملون فى الرعى (الأصل موجود فى المتحف العراقى وتوجد نسخة جبسية فى متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .

والآن آن الأوان للتوجه نحو الشؤون الداخلية والبدء بإصلاحات اجتماعية وأخلاقية . ففوضى على المحتالين ومبتزى الأموال ، أو كما يصفهم القانون نفسه « ناهبي » ثيران المواطنين وأغنماهم وحيرهم . ثم وضع ونظم موازين ومكاييل دقيقة لا يمكن التلاعب بها . وأكد على أن « لا يقع اليتيم فريسة للغنى » و « الأرملة ضحية للقوى » ولا « يقع الرجل مالك « الشيطان » الواحد فريسة للرجل الذى يملك » « منا » واحداً (والمنا يعادل ستين شيقلاً) . وعلى الرغم من تهشم الفقرة الخاصة بالفرض من وضع الشريعة فإن هذا الجانب من اللوح كان يحتوى بلا شك على عبارة مفادها أن « أور — نامو » أصدر المواد القانونية التالية لتحقيق العدالة فى البلاد وتعزيز رفاهية مواطنيها .

أما بالنسبة لمواد الأحكام نفسها فأنها تبدأ على ما يرجح على ظهر اللوح ، إلا أن التالف قد أصابها إلى درجة لا يمكن معها إلا استعادة محتويات خمس منها بدرجة من اليقين . وتتعلق إحدى هذه المواد بشكوى من أعمال سحر وبأسلوب من المحاكمات يتم فيها اظهار الحقيقة عن طريق الامتحان بإلقاء المتهم فى مياه النهر . وتعالج مادة أخرى إعادة عبد هارب إلى سيده . ولكن المواد الثلاث الأخرى ، على ما أصابها من تلف وما فى محتوياتها من تعقيد ، فأنها على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لتاريخ نمو الإنسان الاجتماعى والروحي ، لأنها تبين بأنه حتى قبل سنة ٢٠٠٠ ق . م . قد حلت محل قانون « العين بالعين » و « السن بالسن » أحكام أكثر إنسانية فى معالجة الأمور استعيط فيها برغامة مالية عن العقوبات المذكورة آنفاً . وتنص هذه المواد الثلاث على ما يأتى :

إذا قطع رجل بآلة ٠٠٠ قدم رجل آخر ٠٠٠ فعليه أن يؤدى ١٠ « شياقل » من الفضة .

إذا بتر رجل عظام رجل آخر بسلاح ٠٠٠ فعليه أن يدفع « منا » واحداً من الفضة .

إذا قطع رجل أنف رجل آخر بآلة « جيشمو » فعليه أن يدفع ٢ « منا » من الفضة .

ولم تكتشف حتى هذا التاريخ شريعة لأى من حكام سلالة « أور » الثالثة الآخرين ، السلالة التى أسسها « أور — نامو » . ولكننا نمتلك من فترة الثمانى والثلاثين سنة التى تبدأ بالسنة الثانية والثلاثين من حكم الملك « شولجى » بن « أور — نامو » وخليفته وتنتهى بالسنة الثالثة من حكم « إبنى — سين » المؤلم والمخزن مجموعة تزيد على ثلثمائة سجلا من سجلات المحاكم التى تكشف إلى حد كبير عن الممارسات القانونية واجراءات المحاكم فى دول المدن السومرية ، بالإضافة إلى الكشف عن تنظيمها الاجتماعى والاقتصادى . صحيح أن هذه السجلات كلها جاءت من فترة كان السومريون فيها يقتربون من نهاية تاريخهم ، ولكنها دون ريب تعكس إلى درجة ما عادات وأساليب الأزمان القديمة .

لقد اكتشفت غالبية سجلات المحاكم هذه فى « لجش » ، وأستنسخت ونشرت وترجمت ترجمة جزئية من قبل الباحثين الفرنسيين وخاصة « شارلس فيرولود » « وهنرى دى جنويلاك » . وفى سنة ١٩٥٦ نشر الأستاذ « آدم فلكنشتاين » (الألمانى) قراءات وترجمات جديدة لكل هذه الوثائق الخاصة بالمحاكم مع تعليق وبحث مفصلين — فأضاف بهذا مآثرة أخرى إلى سلسلة مآثره المهمة فى حقل السومريات . ويستند الملخص التالى للاجراءات القانونية التى كانت تتبع فى دولة — المدينة السومرية كلية تقريبا على ما كتبه « فلكنشتاين » . لقد كانت محفوظات المحاكم تسمى من قبل الكتاب القداى أنفسهم « ديتيلا Ditilla » وهى كلمة تعنى حرفيا « قضايا كاملة » . وعلى كل حال فإن ثلاث عشرة من هذه لم تكن قطعاً قضايا قانونية ، وإنما مجرد توثيقات من قبل المحكمة لإتفاقيات أو عقود تتعلق بزواج أو طلاق أو اعالة زوجة أو هدايا أو مبيعات أو تعيين افراد مختلفين فى وظائف المعبد . ويتعلق الباقى منها ، وجميعه سجلات لاحكام قضائية حقيقية ، بعقود زواج وطلاق وارث وعبيد وتأجير قوارب ، وادعاءات مختلفة وتعهدات ومواد متفرقة كالتحقيقات التى تجرى قبل المحاكمة وأوامر بالثول أمام المحكمة وسرقة عقار أو تخريبه ومخالفة وظيفية .

وكان ملك بلاد سومر — فى حدود فترة سلالة « أور » الثالثة على الأقل —

هو المسؤول نظرياً عن القانون والعدالة ولكن تنفيذ القانون في التطبيق العملي كان بأيدي الحكام المحليين في مختلف دويلات المدن . ويظهر في وثائق المحاكم القديمة اسم «الأنسى» ، أى الحاكم ، بمثابة توقيع رسمى فقط ، إلا أن اسمه بدأ يظهر فيما بعد مع أسماء القضاة الذين يقضون في القضية ، وفي زمن متأخر عن ذلك كانت أسماء القضاة تظهر دون أن يرافقها اسم «الأنسى» بيد أن اسمه كان يوضع عادة إلى جانب أسماء أولئك القضاة في الكتابة التي تدون على صناديق الألواح الطينية التي كانت تلك الوثائق تحفظ فيها وترتب وفقاً لتواريخها، ولم يلعب المعبد ، إذا حكمنا من المصادر المتيسرة لنا ، عملياً دوراً في إدارة شئون العدالة ، ما عدا كونه مكاناً يؤدى فيه القسم ، بيد أنه توجد حادثة واحدة ، وصف فيها فرد بأنه « حاكم بيت نانا » (أى المعبد الرئيسى فى مدينة « أور ») ، ولعل هذا يشير إلى أنه كان يوجد صنف خاص من القضاة الذين يعينون لسبب ما من قبل المعبد.

وكانت المحاكم عادة مؤلفة من ثلاثة قضاة أو أربعة ولو أنها كانت في بعض الحالات تقتصر على واحد أو اثنين . ولم يكن هناك قضاة متهنين حتى أن أغلب الستة والثلاثين رجلاً الذين ذكروا كقضاة في الوثائق المدونة كانوا من إدارى المعبد المهمين ومن التجار العاملين في البحار ومن السعاة والكتاب ومن رجال القصر والمفتشين والمتكهنين ومن حكام المناطق ومن القائمين على شئون السجلات ومن كبار المدينة بل وحتى من الأمراء . على أن هناك عدة أشخاص وصفوا بأنهم « قضاة مليكون » ، وتنتهى إحدى الوثائق بالكلمات التالية « ديتيلا » (أى احكام) القضاة المالكين السبعة في « نقر » التي تشير إلى وجود محكمة خاصة في هذه المدينة كانت على ما يحتمل من المحاكم التي تنظر في آخر استئناف للدعوى . ولا يعرف شيء عن الاساليب أو المقاييس التي كانت تتحكم في اختيار الحكام ، أو مقدار المكافأة التي كانوا يتقاضونها إن كانت هناك مكافأة .

وكان يظهر عادة على وثائق المحكمة قبل أسماء القضاة مباشرة اسم « المشكيم » الذى كان على ما يبدو شخصاً شبيهاً بكاتب المحكمة ومأمور التنفيذ فيها ، وكان يعهد إليه بتهيئة القضية للمحكمة والاهتمام بتفاصيل سير المحاكمة . وسجلات أسماء أكثر من مائة « مشكيم » في « الديتيلا » (أى الأحكام) وينتمى جميع هؤلاء إلى نفس الطبقة

الاجتماعية التي ينتمى اليها القضاة ، وعلى هذا لم تكن مهمة « المشكيم » كذلك مغنة دائمية . وتوجد اشارة ما إلى أنه كان لا- « مشكيم » أجر على خدماته ، فمثلا هناك قول في إحدى الوثائق ينص على ما يأتى : « شيقل » واحد من الفضة ، وخروف واحد ، كانا (اجرا) لما قام به المشكيم » .

وكانت أسماء القضاة و « المشكيم » تتبع في بعض ال « ديتيلا » ، (الأحكام) ، بقائمة أسماء أشخاص يوضعون كشهود مختلفين لا يمثلون على ما يبدو الأطراف المتخاصمة وإنما كانوا يمثلون الرأى العام في المحاكمات .

وكانت اجراءات المحكمة السومرية في قضية ما تسير على النحو الآتى : تقام دعوى من قبل أحد الفرقاء أو من قبل إدارة الدولة - إذا كانت لمصالح الدولة علاقة بالموضوع - وقد تسكون البينة التي تعرض أمام المحكمة من أقادات يدلى بها شهود بعد تأديتهم اليمين عادة ، أو من إفادة أحد الاطراف بعد اداء القسم ، أو قد تسكون هذه البينة على شكل وثائق وأقوال مدونة يقدمها « خبراء » أو موظفون ممن كانت لهم مكانة كبيرة . وكان الحكم مشروطا ولا يعمل به إلا بعد أن تؤدى الأطراف التي تطالب إليها المحكمة القسم في المعبد وذلك كدليل على صحة ادعاءاتهم وكانت تأدية هذا القسم عادة تطالب من الشهود - وعددهم أما شاهد واحد أو اثنان - ولا تطالب من الاطراف المتنازعة فيما عد القضايا التي تكذب فيها شهادة الشهود من قبل أحد المتخاصمين . ولم تكن تأدية القسم ضرورية إذا تيسرت لدى أحد المتخاصمين وثيقة مدونة . وكان « المشكيم » الذى سبق له أن شارك فى محاكمة سابقة تتعلق بالقضية المرفوعة أمام المحكمة يؤدى القسم أيضاً . وكان الحكم يعلن بصورة موجزة جدا بعبارات مثل « أنه (أى الشئ أو العبد الذى حصل النزاع بسببه) قد ثبتت عائدته إلى (س) « الطرف الذى كسب القضية » . أو « س (الطرف الذى كسب القضية) قد استرده (أى استرد الشئ أو العبد) كشئ يعود له » أو حتى بعبارات « ص (الطرف الذى خسر القضية) يجب أن يدفع » وفى بعض الأحيان ، ولكن هذا لايعنى

بأى وجه من الوجوه بأنه كان يحدث باستمرار ، كان ينص على سبب الحكم ، وكانت الوثيقة تضم بعد الحكم فى بعض الحالات فترة تفيد بالتخلّى (غن حق) ووعد بتجنب (الأمر الذى أدت إلى الحكم) .

وبعد «أور — نامو» بحوالى مائتى سنة أصدر حاكم من حكام سلاله «أيسن» يسمى «لبت — عشتار» شريعة عثر عليها مدونة على كسر متعددة من لوح واحد كبير مؤلف من عشرين حقلًا كان يحتوى فى الأصل على نص الشريعة الكامل ، وعلى أربعة ألواح أخرى تحتوى على «مقتطفات» من الشريعة كانت تستخدم فى التمارين المدرسية . وتتألف هذه الشريعة ، كشرعية «هورابى» المدونة باللغة الأكديّة ، من ثلاثة أبواب : المقدمة ، والمواد القانونية نفسها ، والخاتمة . وتبدأ المقدمة ببيان وضع على لسان الملك «لبت — عشتار» يقول فيه بأنه بعد أن أعطى الإلهان «آن» و«انليل الإلهة» «نسينا» إلهة مدينة «أيسن» الحماية ملكية بلاد سومر وأكد وبعد أن استدعياه (أى لبت — عشتار) «لتولى أمانة البلاد» وذلك لتحقيق «الرفاهية للسومريين والأكديين» فإنه (أى لبت — عشتار) أصدر شريعة عدل فى بلاد سومر وأكد . ثم يحدد بعض إنجازاته التى تتعلق بسعادة رعيته : فقد حرر «أبناء وبنات بلاد سومر وأكد» من العبودية التى سبق أن فرضت عليهم وأعاد تثبيت عدد من الممارسات العائلية العادلة . ولكن نهاية المقدمة مصابة لسوء الحظ بالتلف .

أما بالنسبة للمواد القانونية نفسها فإن النص المتيسر لنا يسمح بإعادة كتابة حوالى ثمان وثلاثين مادة أما كلياً أو جزئياً ، وجميعها تقريباً من النصف الثانى من الشريعة وذلك لأن التلف قد أصاب النصف الأول كله تقريباً . وتشمل المواضع التى تتناولها هذه المواد تأجير القوارب ، والممتلكات وعلى الأخص البساتين ، والعبيد وعمال الحدم ، والتخلف فى دفع الضرائب والإرث والزواج ، وتأجير الثيران . واما الخاتمة فتأتى مباشرة بعد آخر مادة قانونية ، وهى لا تفهم إلا بصورة جزئية فقط بسبب الثغرات العديدة الموجودة فى النص . تبدأ الخاتمة بترديد «لبت — عشتار» لقوله بأنه قد ثبت

العدل في البلاد وأنه حقق الرفاه لسكانها . ثم يقول بعد ذلك بأنه أقام « هذه المسلة » — وعلى هذافان الشريعة كانت مدونة ، كما هو منتظر — على مسلة لم تكن الألواح الطينية سوى نسخ منها ، ثم يعرض بعد ذلك ليدعو بالبركة لأولئك الذين سوف لا يصيبونها بالتلف بأي شكل من الأشكال وباللعنة على أولئك الذين سيفعلون ذلك^(١).

وإذا تحولنا من بناء المدينة السومرية الاجتماعية — الاقتصادي إلى مظاهرها الأكثر مادية ، فإنه قد يكون من المفيد أن نبدأ بمحاولة لتقدير حجم سكانها ، على الرغم من صعوبة القيام بهذا التقدير بأي درجة معقولة من الدقة وذلك بسبب عدم وجود إحصاء رسمي ، أو على الأقل لم يعثر على أي أثر لأي نوع من أنواع الإحصاء حتى الآن . وبالنسبة لمدينة « لجش » فإن « ديا كوف » بعد دراسة المعلومات الناقصة وغير المباشرة التي تقدمها النصوص الاقتصادية ، قدر عدد سكانها من الأحرار بحوالي ١٠٠٠٠٠ نسمة . أما بالنسبة لمدينة « أور » في حدود سنة ٢٠٠٠ ق . م . عندما أصبحت عاصمة لبلاد سومر للمرة الثالثة . فإن الأستاذ « س . ال . وولي » قدر عدد سكانها في مقالته الحديثة « تمسدين المجتمع »^(٢) بحوالي ٣٦٠٠٠٠ نسمة . إن رقه هذا استند على مقارنات غامضة واقتراضات مشكوك بها ، وربما يكون من المعقول تخفيضه إلى حوالي النصف وهو تقدير « مازال » يضع في « أور » سكاناً يقرب عددهم من ٢٠٠٠٠٠ نسمة .

وإذا استثنينا المنطقة المقدسة (Temenos) في المدينة بمعابدها الرئيسية وزقورتها فإن المدينة السومرية لم تكن موقعاً جذاباً ، ولتقتبس من « وولي » قوله : « إذا كانت الأحياء السكنية التي تقبت في « أور » تعطى ، كما يفترض أنها كذلك ، نموذجاً مناسباً للمدينة ككل ، فإننا نرى شيئاً قد نما من ظروف بدائية لم تخطط وفقاً لأي نظام من نظم تخطيط المدن . فقد كانت الشوارع غير المعبدة ضيقة وملتوية ، وكانت أحياناً مجرد دهايز مسدودة تقود إلى بيوت مختمية وسط مجموعة كبيرة من المباني

(١) الاطلاع على النص الكامل للشريعة « لبت — عشتار » أنظر الملخص (ح) .

التي شيدت كيفما اتفق ؛ بيوت كبيرة وأخرى صغيرة متهاوية على بعضها البعض ، وقليل منها منازل ذات سطوح مستوية تصل إلى علو طابق واحد ، وأغلبها ذات طابقين ، وقليل منها كما يبدو مؤلف من ثلاثة طوابق . وتقابل ازقتها الضيقة التي تظللها مظلات بسيطة وتحيط بها من الجانبين صفوف من الحجرات الصغيرة التي تستخدم كمخازن مفتوحة بأسواق قرى الشرق الأدنى الحديثة » .

ومع كل ذلك ، إذا ما حكمنا من الفقرات الواردة في القطعة المعنونة « النواح على تدمير أور » (أنظر الفصل الرابع) ، فإنه كان للمدينة مفااتها من « بوابات عالية » وشوارع يتنزئ فيها الناس بالإضافة إلى الشوارع العريضة حيث كانت تقام احتفالات الأعياد . ونعرف من القطعتين المعنوتين « كاتب وولده الضال » و « الحب يجد طريقاً » (أنظر الفصلين السادس والسابع) بأنه كان في المدينة ميدان عام لا يخلو من الجاذبية للشباب وللساعين وراء المتعة .

وكان البيت السومري الاعتيادي ببناءً صغيراً مكوناً من طبقة واحدة ومشيداً باللبن (آجر من الطين الجفف في الشمس) ويتألف من عدة حجرات تبنى عادة حول باحة مكشوفة . ومن الناحية الأخرى ربما كان السومري الثرى يعيش في بيت مكون من طابقين وفيه حوالي اثنتي عشرة حجرة ومشيد بالآجر وجدرانه مكسوة بالجص المطلي بطلاء أبيض من الداخل والخارج . ويتألف الطابق الأرضي من البيت ذي الطابقين من غرفة استقبال ومطبخ ومرحاض ومساكن للخدم وقد يحتوي أحياناً حتى على معبد صغير خاص به . وكان الأثاث مكوناً من مضاد قليلة الارتفاع وكراسي عالية الظهر وأسرة ذات إطارات خشبية . وكانت لوازم المنزل تصنع من الطين والحجر والنحاس والبرونز . وكانت توجد أيضاً سلال وصناديق مصنوعة من القصب والخشب . وكانت الأرضيات والجدران تغطي بحصر مصنوعة من البردي وسجاجيد من الجلد وستائر مصنوعة من الصوف . وغالباً ما كانت توجد تحت البيت مقبرة عائلية يدفن فيها أموات العائلة ، على الرغم مما يبدو بأنه كانت هناك كذلك مقابر خاصة للموتى تقع خارج المدن .

وكانت حياة المدينة السومرية الاقتصادية تعتمد بالدرجة الأولى على مهارات الفلاحين والمزارعين والصناع والمخططين المتطورة تطوراً كبيراً . ولم يطور السومريون « علماً » نظرياً ، فنحن لانعرف أى قوانين عامة ذات صفة علمية وضعها رجال المعرفة عندهم . ولقد صنف المفكرون السومريون العالم الطبيعي إلى الأصناف التالية : حيوانات داجنة ، وحيوانات متوحشة (من الفيل إلى الحشرة) وطيور (تشمل بعض الحشرات الطائرة) وأسماك ، وأشجار ، ونباتات ، وخضار ، وأحجار . وقد جمعت جداول بأسماء أكبر عدد من هذه الأصناف لتستخدم ككتب مدرسية في الـ « أيدوبا » (أى المدرسة) ولكن هذه الجداول لا تحتوى على أكثر من الأسماء ولو أن المعلمين كانوا بلاشك يضيفون توضيحات — أولئقل محاضرات — لأجل أن ينفع منها الطلبة ، وهذا يتضح إلى حد ما من النصوص الأدبية التي وصف فيها « طير الراعى » بالعبارات التالية :

إن « طير الراعى » يقول : رى - - دى - إيك - إيك - رى -
دى ، إيك ،

لـ « طير الراعى » رقبة مرقشة مثل طير — « الدار »
وله عرف فوق رأسه .

أو كما وصفت سمكة « المور » — ربما كانت من نوع سمك السهن أو من نوع الشفنين البحري — بما يأتى :

الرأس مجرفة ، الأسنان مشط ،
عظامها شجرة نار عالية ،

معدتها قربة ماء الإله « دوموزى »

ذيلها الرفيع ، سوط صيادى السمك

جلدها الخالى من الحراشف لا يحتاج إلى تنظيف ...

اللمة تستخدم كظفر .

أو كما يلاحظ التناقض بين صبر القطة واستقامة النمس في العبارات التالية :

قطة — لأفكارها

نمس — لأفعاله

إن علم الفلك ، الذى أصبح فى النصف الأخير من الألف الأول ق . م . واحداً من أهم المنجزات العلمية عند البابليين ، ورثة السومريين فى الحضارة ، لم يكن من الناحية العملية معروفاً فى بلاد سومر القديمة ، أو على الأقل نحن لانملك من بلاد سومر حتى يومنا هذا سوى جدول بحوالى خمس وعشرين نجمة ولا شئ أكثر من ذلك . لقد كانت مراقبة الأجرام السماوية بكل تأكيد تمارس فى بلاد سومر لأغراض تقويمية اذا لم تكن لأسباب أخرى ، ولكن إذا كانت نتائج هذه المراقبات قد دونت فى وقت ما ، فإنها لم تحفظ ، غير أنه لا بد أن يكون للتنجيم فى ذلك الوقت رواج كبير استدلالاً من حلم « جوديا » (أمير لجش) الذى ظهرت فيه الإلهة « نيدابا » وهى تفحص لوحاً طينياً رسمت عليه السماء ونجومها مشيرة بهذا إلى أن « جوديا » كان على وشك أن يقوم ببناء معبد « اينينوم » وفقاً للنجوم المقدسة .

وقسم السومريون السنة إلى فصاين : « ايمش » (Emesh) « الصيف » الذى يبدأ من شباط - آذار (فبراير - مارس) و « انتين » (Enten) « الشتاء » الذى يبدأ فى ايلول - تشرين الأول (سبتمبر - أكتوبر) وربما كان يفترض بأن السنة الجديدة تبدأ فى بعض الأحيان فى نيسان - أيار (ابريل - مارس) . وكانت الأشهر قمرية فقط وتبدأ من مساء ظهور الهلال وكان عدد أيامها ٢٩ أو ٣٠ يوماً . وكانت أسماء الأشهر ، التى كانت تؤخذ فى الغالب من أسماء فعاليات زراعية أو من احتفالات تقام على شرف آلهة معينة ، تختلف من مدينة إلى أخرى ، ولأجل معالجة مشكلة الفرق بين طول السنين القمرية والسنين الشمسية كان يكبس شهر اضافى فى فترات

منتظمة . ويبدأ اليوم عندهم مع شروق الشمس ، وكان طوله اثنتى عشرة ساعة مضاعفة^(١) . وكان الليل مقسماً إلى ثلاث مراحل تتكون كل مرحلة من أربع ساعات . وكان الزمن يقاس بساعة مائية ، أو (كليسيديرا) (Clepsydra) كانت على هيئة اسطوانة أو منشور ، وربما كانت ساعة الظل أو ساعة العصا (المزولة) معروفة أيضاً .

وكان نظام العد السومرى فى طبيعته نظاماً ستينياً ، ولكن ليس بصورة قاطعة لأنه يستخدم العامل ١٠ بالإضافة إلى ٦ فتتلا : ١ ، ١٠ ، ٦ ، ٦٠٠ ، ٢٦٠٠ ، ٣٦٠٠٠ إلى آخره . ومن ناحية الكتابة كان هناك فى الواقع نظامان للعد ، النظام الذى كان يستخدم بشكل عام وفيه علامات خاصة لكل رتبة من رتب الوحدات (أنظر شكل ١) ، ونظام « المتعلمين » ، وهو النظام الوحيد المستعمل فى النصوص الرياضية ، وهو نظام ستينى بحث كما أنه نظام موضعى ، شبيه بنظامنا العشرى ، وعلى هذا ، بينما يمثل على سبيل المثال العدد ٤٣٩ المدون وفقاً للنظام العشرى $(4 \times 10) + (3 \times 10) + 9$ ، فإن نفس العدد يمثل فى النظام الستينى $(4 \times 260) + (3 \times 60) + 9$ أو ١٤٥٨٩ . ولم يكن الصفر معروفاً عند السومريين ولم يشر فى الكتابة إلى القيمة المطلقة للوحدات وعلى هذا فإن العدد الذى يكتب على الوجه التالى :



والذى يمكن تحويله إلى الأرقام ٤ ، ٢٣ ، ٣٦ ، يمكن أن يقرأ أما $(4 \times 260) + (3 \times 60) + 9$ أو $10816 = 36 + (60 + 23) + 23 + (60 \times 4) + 23$ ، أو يمكن أن يقرأ $948960 = 36 + (60 \times 4) + 23 + (260 \times 9) = (36 \times 260) + (9 \times 60) + 4$ ، أو $3363 = (36 \times 60) + (9 \times 60) + 4$ ، أو $3363 = (36 \times 60) + (9 \times 60) + 4$.

(الترجم)

(١) كان طول الساعة عندهم يساوى مائة وعشرين دقيقة .

الخ . ولذلك كان النظام الستيني ؛ مثل نظامنا العشري ، يسمح بالرونة في كتابة الأرقام مما أصبح ملائماً جداً لتطوير الرياضيات .

وتتكون النصوص التي وصلت إلينا من صنفين : جداول ومسائل . ويشمل الصنف الأول جداول متداولات وضرب وتربيكات وجذور تريبية ، وتكعيبات وجذور تكعيبية ، وحاصل تربيكات وتكعيبات يحتاج إليها في الحل العددي لنماذج معينة من المعاملات والدالات الأساسية ، ومعاملات تعطى أعدادا تستخدم في الحساب العملي (مثل القيمة التقريبية لـ $\sqrt{2}$) وحسابات قياسية تعطى مساحات المستطيلات والدوائر الخ . وتعالج نصوص المسائل الأعداد الفيشاغورية ، والجذور التكعيبية ، ومعادلات وقضايا عملية مثل حفر أو توسيع القنوات وعدد الآجر (المستعمل في البناء) وهلم جرا . وحتى هذا التاريخ جاءت نصوص المسائل كلها تقريباً مدونة باللغة الأكديّة ، على الرغم من أن جزءاً كبيراً منها كان يعود حتماً إلى نماذج أولى سومرية لأن جميع التعابير الفنية المستعملة تقريباً تعابير سومرية (شكل ٢ يمثل لوحاً سومرياً من حوالي ٢٥٠٠ ق . م . عثر عليه في مدينة فارة ، يحتوي على جدول لحساب سطح حقول مربعة الشكل) .

ولم يكن هناك عملياً شيء معروف عن الطب السومري إلى زمن قريب جداً على الرغم من أنه كانت هناك مئات من النصوص الطبية الأكديّة من الألف الأول ق . م . التي تستخدم مختلف أصناف السجلات والتعابير السومرية الطبية . وحتى يومنا هذا نحن لا نملك سوى لوحين طبيين سومريين ، أحدهما عبارة عن قطعة صغيرة تحتوي على وصفة طبية واحدة فقط غير أن الثاني عبارة عن لوح يبلغ حجمه $3\frac{3}{4} \times 6\frac{1}{4}$ بوصة ودونت عليه خمس عشرة وصفة طبية ذات قيمة ليست قليلة بالنسبة لتاريخ الطب . لقد دون هذا اللوح في وقت ما خلال الربع الأخير من الألف الثالث ق . م . وقد استنتج هذا من خطه الكبير الذي يتصف بالدقة والجمال ، ويحتوي لذلك على ما يعتبر من كل الوجوه أقدم وصفة صيدلية معروفة عند الإنسان . وعلى الرغم من العثور على هذا اللوح قبل حوالي ستين إلى سبعين سنة فإنه لم يعرف

القيمة العددية	المقايير	القديم	القيمة العددية	المقايير	القديم
٦٠٠	K	DD	١	٢	D
٣٦٠٠	◊	○	٢	II	DD
٣٦٠٠٠	◊	⊙	٣	III	DDD
الأكور			٤	IIII	DD DD
¼	Δ	⌈	٥	W	DDD DD
½	+	-U	١٠	<	○
¾	M	⌋B	٦٠	٢	D

الأمثلة :-

المثل الأول

DD DD DD DD
DD DD DD DD

المثل الثاني

◊ ◊ ◊ ◊ K K
◊ ◊ ◊ ◊ K K

$$٨٥٥ = ٥ + ١٠ + ٤ \times ٦٠ + ٦٠٠$$

$$٥ \times ١٠ + ٣ \times ٦٠٠ + ٤ \times ٣٦٠٠ + ٢ \times ٣٦٠٠٠$$

$$٨٨٢٥٦٩/٣ = ٩/٣ + ٦ +$$

la م السلاية

(= ناقص) نستخدم بالطريقة التالية

< ٢

$$٩ = ١ - ١٠ =$$

<< III

$$١٧ = ٣ - ٢٠$$

ويمكن التعبير عن الأكر بعبارة

igi-n-gál.

$$١/٤ = gál - ٤ - igi$$

$$١/٥ = gál - ٥ - igi$$

شكل ١ - علامات أعداد سومرية

في عالم البحث حتى سنة ١٩٤٠ . ونشرت منذ ذلك الحين عدة ترجمات للنص الطافح
بالمشاكل اللغوية بسبب أسلوبه التقني ، وأحدث الترجمات وأكثرها جدارة بالثقة هي
تلك التي أعدها « ميشيل سيفيل » (Michel Civil) مساعد باحث في متحف
الجامعة في جامعة بلسلغانيا (١) .

وتحتوي هذه الوثيقة على ١٤٥ سطرا أو بالاحرى ، حالات مرضية . وأصاب
التلف الواحد والعشرين سطرا الأولى بحيث أصبح من المستحيل الحصول على فكرة
واضحة عن محتوياتها ، وكان يؤمل بالبداهة وعلى قياس التشابه مع النصوص الطبية
المسماية التي جاءت من الألف الأول ق . م . أن تحتوى على تعبير مثل « إذا قاسى
رجل من » ، يعقبه اسم هذا أو ذاك الداء . ولكن العلامات القليلة نسبيا التي وصلت
سليمة مثل جذر نبات ال (الخالتان او ٢) ، « رأس »
(الحالات ٣ و ٥) و « صوف » (الحالات ٩ و ١٠) ، و « ملح » (الحالة ١٥)
لا تشير نحو هذا الاتجاه .

وتبدأ الوصفات نفسها ، باللغة كلها خمس عشرة وصفة ، بالسطر ٢٢ (بالقرب
من أسفل الحقل الأول من اللوح) . ومن الجائز تقسيمها إلى ثلاثة أصناف وفقاً
للطريقة التي تستخدم بها الأدوية . يتألف الصنف الأول من ثمانى وصفات حيث يكون
العلاج على شكل كدادة . وبصورة عامة تأتى محتويات الوصفة على النسق التالى : أولا
جدول بأسماء المواد الأولية التي تستعمل فى كل وصفة ، ثم الأمر بسحقها ومزجها
مع سائل وذلك لعمل مرهم يوضع على شكل كدادة على الجزء العليل من الجسم بعد
دلكه بالزيت ، وهو عمل ينجز إما من أجل قيمته العلاجية الواقعية أو لمنع المرهم من

Revue d'assyriologie, LIV (1960) 59-72-See also Giba Journal
No. 21, pp. 1 — 7.

(يعمل « ميشيل سيفيل » فى الوقت الحاضر استاذاً فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو) .
(المترجم)

الألتصاق بالجلد . وفيما يأتى ترجمات حرفية لالوصفات الخمس الأخيرة الخاصة بالكلمات (أن الجزء الذى دوت عليه الوصفات الثلاث الأولى مهمشم بحيث لا يمكن ترجمتها) .

وصفة رقم ٤ - أسحن نبات «أناديشا»، وأغصان نبات «الشوك» (ربما من فصيلة *Prosopis Steplamana*) وبذورال «دو آشبور» (ربما *A triplex halmus I.*) و . . . (أسماء مادتين على الأقل أصابها التلف) ، . . . أسكب عايتها جعة مخففة بالماء (أى على مجموعة المواد المسحونة) وأدلك (البقعة المصابة) بزيت نباتى (و) الصق (الرهم الذى صنع بسكب السائل على المواد المسحونة) على شكل كدادة .

وصفة رقم ٥ - اسحق طيناً نهرياً (و) . . . ، أعجنه مع الماء ، أدلك بزيت (و) الصق على شكل كدادة .

وصفة رقم ٦ - اسحن كثرى (؟) (و) «منا» ، ثم اسكب تفل الجعة فوقه ، أدلك بزيت نباتى ، (و) الصقة على شكل كدادة .

وصفة رقم ٧ - اسحن تفل الزبيب ، وشجرة الصنوبر ، وشجرة الخوخ اسكب الجعة عليه ، ادلك بالزيت ، (و) الصق على شكل كدادة .

وصفة رقم ٨ - اسحق جذور شجرة ال . . . ، . . . وقبر النهر الجاف ، اسكب جعة عليه ، ادلك بالزيت (و) الصقه على شكل كدادة .

إن المجموعة الثانية من الوصفات ، وعددها ثلاث ، تتألف من علاجات تؤخذ داخليا . الأولى منها معقدة إلى حد ما وتشمل استعمال الجعة وزيت القير النهري .

وصفة رقم ٩ - اسكب جعة مركزة على زبيب نبات ال . . . ، سخنه على نار، ضع هذا السائل فى زيت قير نهري ، (و) دع الرجل (الريض) يشربه .

ويتشابه الأسلوب فى الوصفتين الباقيتين ، وهو عبارة عن تعليمات لسحن مادتين وإذا بهما فى الجعة ليشرّب الريض ذلك .

وصفة رقم ١٠ — اسحن كمثرى (و) جذور نبات ال « من » ، ضع (المواد المسحونة) في الجعة ، (و) دع الرجل (المريض) يشربه .

وصفة رقم ١١ — اسحن جذور نبات ال (نينجار) ، والمر (؟) (و) زعتر ثم ضع ذلك في الجعة ، (و) دع الرجل المريض يشربه .

وقد هت المجموعة الثالثة من الوصفات بفقرة صعبة ومبهمة تقرأ على النحو التالى :
« رتب (؟) الاسل فوق يدى وقدى الرجل (المريض) » . وليس من الواضح على الإطلاق فى الوقت الحاضر ما تشير إليه هذه العملية وسبب وضعها فى هذا الموضع بالذات . وهذا السطر على الرغم من غموضه ذو أهمية بالغة لأنه ياهج على الأقل إلى الأجزاء المصابة من الجسم التى ارىد بها أن تعالج .

وتأتى الوصفات نفسها بعد هذا التعبير المستعمل كمقدمة . وعددها أربع وعناصرها أكثر تعقيدا وأقل تجانسا من عناصر الاحدى عشرة وصفة المتقدمة . وتتألف العمليات الموصوفة فى الثلاث الأولى بالدرجة الأولى من غسل العضو المصاب بمحلول أعد بصورة خاصة ومن ثم تغطيته (؟) حالا بمادة تبدو فى حالتين منها بأنها رماد محروق ويبدو بأن الوصفة الرابعة والأخيرة ، التى أصاب التلف أسطرها الأولى تضم أسماء مجموعة من العقاقير النباتية تتبعها حالا عملية التغطية (؟) . ومن الممكن لذلك أن يكون الكاتب قد حذف بغير قصد على الأقل عمالية عرضية واحدة . وفيما يلى ترجمة لأربع وصفات على الأقل .

وصفة رقم ١٢ — انخل واعجن معا — لتصبح كلها خليطاً واحداً — ترس سلحفاة ، ونبات ال « ناجا » المتبرغم (؟) (نبات يستخدم للحصول على صودا وقلويات أخرى) وملح (؟) خردل ، اغسل (البقعة المصابة) بجعة فاخرة (و) ماء حار ، ثم ادلك (البقعة المصابة) بكل ذلك (المرهم) ، وبعد التنضيف ، ادلكها بزيت نباتى (ثم) غطها (؟) بتنوب مسحون .

وصفة رقم ١٣ — اسكب ماء فوق حية ماء مجففة ومسحونة ، ونبات
الـ « أماماثومكسبال » وجذور نبات « الشوك » ، و (ناجا) مسحون ، وزيت
التنوب إله ، (و) براز خفاش « الـ « جاريب ؟ » ، وسخن (الخليط) (و) اغسل
(البقعة المصابة) بهذا السائل ، وبعد الغسل بالسائل أدلك بزيت نباتي (و) غطّ
بالـ « شاكي » .

وصفة رقم ١٤ — اسكب على شعر مجفف مسحون مأخوذ من جلد بقرة داخل (؟)
وأغصان نبات « الشوك » ، ونبات « النجمة » وجذور شجرة « البحر » وتين
مجفف ، (و) ملح « أيب » ثم سخن هذا السائل واغسل به ، وبعد الغسل بهذا
السائل غطّ (؟) برماد (؟) الأسل .

وصفة رقم ١٥ — ٠٠٠ (عدد من العلامات أصابها التلف) التي استخرجتها من
الصفصاف ، وحثالة (؟) إناء الـ « جيربي » ، ورواسب النبيذ ، ونبات الـ « نيجمي » ،
ونبات الـ « أرينا » — جذوراً وجذعاً — (و) غطّ (؟) بالرماد (؟)

وكما تظهر وثيقتنا ، كان الطبيب السومري ، كقرينه الطبيب الحديث ، يلجأ إلى
المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية لعمل وصفاته الطبية . وكانت مواده المعدنية المفضلة
كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ، وقار النهر والزيت الخام . وكان يستخدم من المملكة
الحيوانية الصوف ، والحليب ، وترس السلحفاة وحية النهر . ولكن أغلب أدويته
كانت تستحضر من عالم النبات كالزعر والخردل وشجرة البرقوق والكثيرى ،
والتين والصفصاف ، ونبات الـ « من » والتنوب والصنوبر ، ومن منتجات مصنوعة
كالجعة والنبيذ والزيت النباتي .

ولكن الأمر الجدير بالملاحظة هو أن وثيقتنا القديمة ، خالية تماماً من الرق
والتعاويذ السحرية التي كانت صفة مألوفة في النصوص السحرية الطبية من العصور
المتأخرة ، فلم يذكر في النصوص إله واحد أو شيطان واحد . ولهذا يبدو بأن الطبيب

الذى دون هذا النص كان يمارس عمله الطبي وفقاً للأسس المنطقية - تجريبية . حقاً
إن الطبيب كان لا يلجأ إلى تجربة وتحقيق يخطط لها بشكل مقصود ، ولكنه يبدو
مع ذلك من المعقول أن نفترض بأن العقاقير التى كان يعدها كانت ذات قيمة علاجية
كبيرة ، لأن سمعته المهنية كانت على المحك ، كما أن من الممكن أن نتصور بأن هذه
العقاقير قد تبرهن على وجود قيمة عملية لها بالنسبة للبحث الطبى الحديث .

ومن المحزن القول بأن دستورنا الصيدلى القديم (الأقرباذين) لا يمدنا بأية فكرة
واضحة عن الأمراض أو الأدوية التى وضعت من أجلها تلك الوصفات . فالمقدمة التى
تسبق الوصفات والتى تحتل أغلب الحقل الأول من اللوح أصيبت بتلف كبير ، وعلى
أية حال ، كانت لا تحتوى على أسماء الأمراض وذلك استدلالاً من العلامات القليلة
الباقية . ومع أننا نجد فى الوصفة الأولى التى جاءت على الجزء المتهشم من اللوح
الكلمات السومرية التى تعنى « ظهر » و « ردفين » ولكنها جاءت فى فقرة مهشمة
وغير مفهومة . وتقدم المجموعة الثالثة من الوصفات بفقرة تذكر الأيدي والأقدام
ولكن السياق فى هذه الحالة غامض ومبهم أيضاً ، بل إننا لا نعرف حتى ما إذا
كانت كل وصفة تهيأ لمرض محدد أو ما إذا كانت عدة وصفات تهيأ لنفس الداء .
على أنه كان من الممكن أن توضح هذه التفاصيل وعدد كبير غيرها ، لقارىء
اللوحة ، وهذا أمر يقودنا إلى البحث عن غرض النص والدوافع التى دفعت إلى
جمعه وكتابته .

وإن من المفيد أن نؤكد على أن الطبيب القديم الذى كان يهيء دستورنا الصيدلى ،
لم يكن مجرد ممارس لمهنته ضيق الأفق ، وإنما كان إنساناً متعلماً ومثقفاً ، فلاجل أن
يتعلم كتابة المقاطع السامرية المعقدة بعلاماتها التى تبلغ المئات وقراءتها التى تبلغ الآلاف
على نحو صحيح ورتيب ، كان عليه أن يقضى أكثر شبابه فى المدرسة السومرية
أو الـ « أيدوبا » ، حيث كان يدرس ويستوعب ما كان سائداً فى زمنه من
المعرفة العلمية والأدبية . وتتألف « الكتب المدرسية » بالدرجة الأولى من مجموعات من
الكلمات والعبارات والفقرات ومن مقتطفات ومؤلفات كاملة كانت تحضر من

قبل ال « أوميا » ، أو أساتذة المدرسة ، وكان على الطالب أن يستنسخها ويعيد استنساخها حتى يحفظها عن ظهر قلب . وكانت التأليف المختصرة والموجزة والحالية من الترميمات ترفق دون شك بتوضيحات شفوية أو بمحاضرات . ومن الجائز أن يكون دستوراً دويتو القديم تأليفاً من هذا الصنف الذي يهيئه طبيب ممارس لمهنته كان في نفس الوقت « محاضراً » في الطب في « الأكاديمية » . وإذا ما برهن هذا الاقتراح على صحته فإن بالإمكان وصف وثيقتنا السومرية وصفاً ملائماً بالقول بأنها صفحة من أقدم كتاب مدرسي معروف في تاريخ الطب .

ونشرت محتويات اللوح الثاني في وقت مبكر يعود إلى سنة ١٩٣٥ ، ولكن هذا اللوح أعتبر وثيقة تجارية وبقي مهملًا لثانية سنة ١٩٦٠ حينما عرفه « ميشيل سيثيل » نتيجة دراسته للوح الكبير الذي بحث آنفاً ، وترجمه على الوجه التالي :

بعد الانتهاء من سحن ترس سلحفاة و ٠٠٠ ، وبعد مسح فتحة (العضو المريض ربما) بالزيت إيدلك الرجل (بالترس المسحون) وهو مضطجع على وجهه (؟) وبعد التدليك بالترس المسحون ، إيدلك (مرة ثانية) بجمعة فاخرة وبعد التدليك بجمعة فاخرة ، إغسل بالماء ، وبعد الغسل بالماء إملأ (البقعة المصابة) بخشب التنوب المسحون . ان هذه (وصفة طبية) لشخص مصاب في ال « تون » وال « نو » .

وربما كان ال « تون » وال « نو » اجزاء من الاعضاء التناسلية ما زالت غير معروفة ، ولذلك من الجائز أن يكون الدواء قد هيء لمرض مامن الأمراض الزهرية . وكما سيلاحظ القارئ ، ان العلاج الموصوف في هذا اللوح مشابه جداً لما جاء في الوصفة رقم ١٢ في الوثيقة الطبية الكبيرة الحجم التي بحثت سابقاً .

ويعرف الطبيب في اللغة السومرية بلفظة « آ — زو » التي ربما كانت ترجمتها الحرفية « عارف — الماء » . وأول طبيب ورد ذكره في النصوص ، طبيب ممارس اسمه « لولو » : إن الكلمتين « لولو ، الطبيب » ظهرتتا على لوح عثر عليه في مدينة « أور » من قبل السير « ليونارد وولي » ، يعود في تأريخه إلى زمن قديم في حدود سنة

٢٧٠٠ ق م . وكان الطبيب بكل تأكيد يتمتع بمكانة اجتماعية عالية نسبياً ، وذلك استندلاً من حقيقة أن واحداً من أطباء «لجش» اسمه «أورلوجال إيدينا» الذي وصل إلينا خاتمه الأسطواني وكتابته المدونة على حجر نذرى ، كان يحتل وظيفة مهمة تحت حكم «أور — نينجرسو» بن «جوديا» . وكان هناك بيطيرون أيضاً يعرف كل منهم بـ «طبيب الثيران» أو «طبيب الحمير» ، ولكنهم كانوا يذكرون في النصوص الخاصة بمفردات اللغة فقط ولا يعرف عنهم شيء آخر في العهود السومرية ، حتى الآن .

٢ وفي حقل الفنون ، عرف السومريون بصورة خاصة بمهارتهم في النحت . وكان أقدم النحاتين يزعمون نحو التجريد والانطباعية ، وتكشف تماثيلهم الخاصة بالعبد عن قوة عاطفية وروحية أكثر مما تكشفه من مهارة في النحت ، ولكن المهارة قد تكونت بالتدرج على أية حال ، وكان النحاتون المتأخرون متفوقين من الناحية الفنية ، على الرغم من أن تماثيلهم فقدت الإثارة والقوة . وكان النحاتون السومريون مهرة جداً في حفر الصور البشرية على المسلات والألواح وحتى على المزهريات والآنية . ولقد عرفنا من هذا النحت الشيء الكثير عن مظهر السومريين وملابسهم .

١ وكان الرجال إما حليقي اللحى أو ذوى لحى طويلة — ولهم شعر طويل يفرق في وسط الرأس . وكان أكثر أشكال الملابس شيوعاً نوع من التنورة ذات الأهداب ، ويرتدى فوقها أحياناً عباءة طويلة مصنوعة من اللباد . ثم حل بعد ذلك الثوب أو التنورة الطويلة محل التنورة ذات الأهداب . وكان الثوب يغطي به (شال) ذى حاشية يلقى فوق الكتف الأيسر ويترك الساعد الأيمن طليقاً . وكانت الفسوة يلبسها ملابس تبدو كأنها «شالات» طويلة محزمة بخيوط تغطيها من الرأس إلى القدم تاركة المنكب الأيمن فقط عارياً . وكان شعرهن يفرق عادة في وسط الرأس ويضفر إلى ضفائر كبيرة كانت تلف عندئذ حول الرأس . وكان في الغالب يضعن على رؤسهن أغشية دقيقة الصنع وخرزاً وحلقات متدلّية .

١ ولعبت الموسيقى ، سواء أكانت آلية أو صوتية ، دوراً كبيراً في الحياة

السومرية . وكان بعض الموسيقيين شخصيات مهمة في المعابد والقصور . وقد
 ١. تخرجت من مقابر « أور » الملكية قيثارات جميلة الصنع . وكانت آلات القرع
 كالطبل والدف شائعة أيضاً بالإضافة إلى المزامير المصنوعة من القصب أو المعدن .
 وازدهر الشعر والغناء في المدارس السومرية . وأغلب التأليف التي اكتشفت عبارة
 عن تراثيل في تمجيد الآلهة والملوك كانت ترتل في المعبد والقصر ، ولكن هناك سبباً
 وجيهاً للاعتقاد بأن الموسيقى والغناء والرقص كانت مصدراً كبيراً من مصادر التسلية
 في البيت وفي سوق المدينة (١) .

وكان الختم الأسطواني واحداً من أكثر إسهامات السومريين أصالة في الفنون ،
 وهو عبارة عن أسطوانة صغيرة من الحجر يحفر عليها نقش كان يظهر ويتضح معناه
 عندما تدحرج الأسطوانة على لوح من الطين أو على غطاء جرة طينية . ثم تحول الختم
 الأسطواني إلى نوع من أنواع العلامات التجارية الفارقة لبلاد ما بين النهرين ، ولوأن
 استعماله دخل أيضاً إلى بلاد الأناضول ومصر وقبرص واليونان . وكان الفنانون
 السومريون عباقرة جداً في ابتداع رسوم ملأمة ، وخاصة في الوقت الذي اخترع فيه
 الختم لأول مرة . وكانت أقدم الأختام الأسطوانية عبارة عن حجر كريم تحفر عليه
 بدقة صور تمثل صفوفاً من الحيوانات أو مخلوقات قصص خرافية ، وصور حيوانات
 مهولة ومناظر متنوعة مثل منظر الملك وهو في ساحة الحرب والراعي وهو يدافع عن
 ماشيته ضد الحيوانات المتوحشة . ثم أصبحت الرسوم بعد ذلك أكثر زخرفة وذات
 أشكال قياسية محددة . وأخيراً أصبح شكل واحد منها أكثر شيوعاً بحيث تركت
 جميع الأشكال الأخرى تقريباً : وهو رسم منظر يشاهد فيه رجل يقدمه « ملاكه
 الطيب » إلى إله من الآلهة .

وعلى الرغم من خلو بلاد سومر من المعدن والحجر وافتقارها إلى الخشب
 كان صناع بلاد سومر من بين أكثر صناعات العالم القديم مهارة ، على الرغم من احتمال

(١) انظر مثلاً « الحب يجد طريقاً » الفصل السادس .

أن كثيراً منهم جاء في الأصل على الأقل من أقطار أجنبية لممارسة مهاراتهم في أمور تتصل ببناء المعابد . ونحصل في الواقع على لمحة حية وموضحة عن الصنائع والحرفيين السومريين أثناء قيامهم بالعمل من لوح كبير وجدته في « أور » « ليونارد وولي » ، يعطى فيه مشرفان على مشاغل (أو ورش) المعبد ملخصاً للأعمال التي أنجزت خلال السنة الثانية عشرة من حكم « أبي — سين » ، الذي حكم في حدود ١٩٧٥ ق . م . وذكرت في هذا اللوح ثمانية مشاغل وهي : « بيوت عامل المنحت » ، أو النحات ، والصائغ وصاقل الأحجار الكريمة والنجار والحداد وعامل الجلود ، والقصار ، وحائك السلال .

إن أول من ذكر في القائمة هو النحات الذي كان عمله نحت الهياكل والأدوات الصغيرة الأخرى المصنوعة من العاج أو الخشب النادر . وفي السنة التي نحن بصددتها حول واحد وعشرون رطلاً من العاج إلى أشياء مثل الهياكل والطيور الصغيرة ، والصناديق والأختام .

وكان الصائغ يشتغل بصورة رئيسة بالذهب والفضة ، ولو أنه كان يشتغل بالأحجار الشبه كريمة مثل حجر اللازورد والعقيق وحجر التوباز^(١) . وكان يقوم بأعمال سبك ممتازة بقوالب مركبة من ثلاث أو أربع أجزاء . وكان يطرق الصنائع المعدنية على مخروط من الخشب ، ويتم صنع الأدوات المعدنية بضغط صنائع المعدن على سطح فيه نقوش بارزة أو عن طريق طبعها بختم عليه نقوش بارزة . وكان الصائغ يعرف كيف يشد قطعاً من الذهب والفضة بدبايس أو بمسامير كما كان يشدها أيضاً بالاحجام . وكان خبيراً في الانتفاع بأعمال التخريم والتجيب . وأما العاملون في الحجر الذين ذكروا في لوحنا فكانوا يشتغلون بالأحجار الشبه كريمة فقط ليستخدمها الصائغ في حليته ، على أنهم كانوا دون ريب قادرين أيضاً على تحضير الأحجار لأغراض البناء .

(١) حجر متعدد الألوان والأشكال . (المترجم)

لقد كان عدد النجارين في بلاد سومر كبيراً في جميع الأوقات ، لأنه كان ينتفع مما يتيسر من الخشب على الرغم من ندرته إتنهاً كبيراً في صناعة أنواع مختلفة من الأثاث إلى جانب صناعة السفن وعربات الحمل والمركبات الخفيفة ذات العجلتين . وقام النجارون في المشغل المذكور في لوحنا بصنع منصة من العاج لا يقل وزنها عن أربعين رطلاً ، هذا دون أن نذكر الأشياء التي كانت تصنع من خشب البلوط وخشب التنوب والأبنوس والصفصاف ، وأما الأخشاب الأخرى التي كان النجار يستعملها والتي لم يرد لها ذكر في لوحنا فهي خشب الأرز والتوت ، والطرفاء والدلب . ولم تستعمل النخلة ، وهي أكثر الأشجار التي وجدت في بلاد سومر إتنشاً ، من قبل النجارين وذلك بسبب رداءة أخشابها . وبسبب صعوبة الحصول على الخشب وندرته كان يعاد استخدام الأثاث القديم بصورة مستمرة ، فمثلاً أعيد في المشغل الذي وصف في لوح الملك « إني - سين » استعمال أغطية ثلاث مناضد قديمة وأربعة صناديق من خشب التنوب وسريين وصندوق صغير لصنع منصدة واحدة جديدة . وفي السنة التي سجلت في اللوح صنع النجارون بصورة رئيسية كراسي متنوعة ، ومناضد وأسرّة وصناديق . وكان المنشار والحفر والمطارقة والمثقب من الأدوات التي كان يستخدمها النجار السومري .

وتشمل قائمة المعادن المستعملة في سبك السبائك المدونة في لوحنا جميع المعادن المعروفة في ذلك الوقت تقريباً ، وهي الذهب والفضة والقصدير والرصاص والنحاس والبرونز ، وكان يستفاد من كميات قليلة من معدن يسمى « سوجان » (ربما كان الأئمد) في أعمال الأثاث وكانت صناعة النحاس متطورة إلى درجة عالية في وقت مبكر من بداية الألف الثالث ق . م . ولم يكن صب النحاس فقط معروفاً معرفة جيدة ، وإنما كانت هناك مهارات أخرى أيضاً مثل الطرق والتلدين والتخريم والتجيب . وكان الحداد أو السباك ، يمتلك تحت تصرفه نوعاً خاصاً من المنايفخ التي كان بالامكان تشغيلها باليد أو القدم لرفع حرارة فرنه إلى درجة تمكنه من صهر النحاس . وكان الخشب أو القصب يستخدم لإشعال النار ، وكان صهر نصف رطل من النحاس يتطلب

استخدام رطلين من الخشب وثلاث « حزم من القصب » — أو ست حزم من القصب إذا لم يستعمل الخشب . وكانت أكثر المنتجات المصنوعة من النحاس والبرونز شيوعاً أدوات مثل المعازق والفؤوس وأدوات النحت والسكاكين والمناشير والأسلحة ، مثل رؤوس الرماح ورؤوس السهام والسيوف والخناجر والحرابونات والأواني والقذور والمسامير والدبابيس والحلقات والمرايا .

وكان العامل في صناعة الجلود المذكور في لوحنا يتسلم خلال السنة عدداً كبيراً من جلود الثيران والعجول والخنازير وبصورة خاصة جلود الأغنام . وكان يصنع من الجلود عدداً لا بأس به من الأدوات كالقرب والأكياس والألجة والأسرجة وإطارات عجلات العرب والمقاليع ، وفوق كل ذلك الأحذية والصنادل . وكان يستفيد من القلويات والسمّاق ومواد أخرى مازالت مجهولة في أعمال التلوين . وكان الشحم يستعمل لتطرية الجلود وجعلها غير قابلة لترشيح المياه . وكان عامل الجلود المذكور في لوحنا المكتشف في مدينة « أور » يستفيد من الطاجين لصقل أنواع معينة من الجلود وكذلك من « مسحوق الذهب » لخرقة بعض المصنوعات .

ويسدو أنه لم يكن تحت تصرف القصاص المذكور في لوحنا سوى مشغل صغير لم يذكر عنه إلا شيء قليل . وآخر الصانع هو صانع السلال الذي كان يتسلم كميات من البردي ، وهو سلعة مهمة جداً في بلاد سومر ، وقاراً وذلك من أجل صنع السلال والسفن .

وربما كانت صناعة النسيج التي لم تذكر في لوحنا المكتشف في مدينة « أور » ، أكبر الصناعات في البلاد وأكثرها أهمية من الناحية التجارية . فقد كانت آلاف الأطنان من الصوف تسج سنوياً في مدينة « أور » وحدها . وكانت قطعان كثيرة جداً من الغنم والأغنام تربي من أجل الحصول على الصوف . وكان « جزّ الصوف » يتم بطريقة التنف ويستخدم المغزل في غزل الصوف . وكان النسيج يحاك على أنوال أفقية وعمودية . وكانت تقوم بهاتين العمليتين عادة فرقة مكونة من ثلاث نساء ، كن

يستغرق في العمل إلى حد ثمانية أيام لتحضير قطعة من القماش بحجم 3×4 أمتار .
 وكان النسيج يرسل بعد ذلك إلى القصّارين الذين كانوا ينقونونه في محلول قلوئى في أوعية
 كبيرة ثم يدوسون عليه بأقدامهم ويمشون فوقه . وعلى الرغم من أن الصوف كان في
 أحسن الحالات أكثر المواد المستعملة في نسيج الملابس ، كان الكتان يزرع كذلك .
 وكانت الملابس الكتانية على ما يبدو تستعمل بصورة خاصة من قبل كهان رجال
 مقدسين معينين .

وكانت المواد والبضائع تنقل في بلاد سومر بواسطة الإنسان أو الحيوان أو
 بمساعدة وسائل تنقل أخرى مثل الزلاجات والحافلات ، والعربات ذات العجلتين والسفن ،
 وربما كانت العربات ذات أربع عجلات أو عجلتين ، وتجر عادة بواسطة الثيران .
 وكانت العربات ذات العجلتين في الغالب ثقيلة وصغيرة الحجم وتجر بواسطة الحمير
 الوحشية . وكان النقل بواسطة السفينة ممكناً وتكاليفه منخفضة إلى درجة كبيرة إذ كان
 بإمكان سفينة واحدة ذات حمولة تزيد قليلاً على خمسة أطنان أن تحمل حمولة يصل وزنها
 إلى مائة (منا)^(١) . وتوجد أيضاً سفن كبيرة جداً صنعت من الخشب في أحواض بناء
 السفن ، وكانت هذه دون شك تستخدم في رحلات بحرية بعيدة إلى بلدان مثل « ملوخوا »
 و « دلون » . أما القارب الشائع الاستعمال فكان من النوع الذى يعرف اليوم في العراق
 بأسم (قفّة) ، وفي الأزمان القديمة بـ « اللفت » ، وتصنع (القفّة) من قصب يغطى بالجلد
 بعد أن يحاك على شكل سلة . وربما كانت السفينة الشراعية معروفة أيضاً في بلاد
 سومر القديمة ، وذلك استدلالاً من نموذج سفينة (طيني) عثر عليه في موقع « أريدو » ،
 وكانت المجاذيف والمرادى شائعة الاستعمال منذ أقدم الأزمان . غير أن السفن كانت
 تبحر في الغالب على طول النهر من قبل الرجال والثيران .

إن قسماً من أعمق الإنجازات التكنولوجية أثراً عند السومريين يتصل بالرى
 والزراعة . فقد كان إنشاء نظام معقد من القنوات والجواجز والسدود والخزانات

(١) الـ (منا) الواحدة تعادل حوالى ٥٠٠ غرام (أى رطل واحد تقريباً) (المترجم)

يتطلب مهارة هندسية ومعرفة غير قليلة إذ كان يجب تحضير المسوح والمخططات التي كانت تستلزم استعمال آلات التسوية ، وقضبان المقاييس ، والرسم وإعداد الخرائط . وأصبحت الزراعة أيضاً أسلوباً منهجياً ومعقداً يتطلب بعد نظر وكداً ومهارة . ولذلك ليس من العجيب أن نجد المعلمين قد وضعوا « تقويماً للزراع » يتألف من جملة نصائح لأرصاد أى فلاح بما ينبغي القيام به خلال أعماله الزراعية السنوية كلها ، ابتداء من غمر الحقول بالمياه في شهرى أيار - حزيران (مايو - يونيو) وانتهاء بتندرية وتنقية الحاصل الجديد الذى يحصد في شهرى نيسان - أيار (إبريل - مايو) التالين . ولقد جمع نص هذه الوثيقة ، الذى يتألف من ١٠٧ سطور من التعليمات ، تسبقها مقدمة مكونة من سطر واحد وتليها خاتمة من ثلاثة سطور ، من أكثر من اثنى عشر لوحاً وكسرة لوح أهم ما فيها قطعة مازالت غير منشورة عثر عليها في مدينة «أور» « ليونارد وولى » قبل أكثر من ربع قرن . إن نص هذه الكسرة استنسخ من قبل « سى . جى . جاد » ، من أمناء المتحف البريطانى سابقا ، وأستاذ شرف في جامعة لندن في الوقت الحاضر ^(١) ، ووضعها متكرما تحت تصرف العلماء من أجل إعادة كتابة النص كله بشكل أفضل . إن ترجمة النص في غاية الصعوبة وتنطوى على كثير من المشاكل بسبب مصطلحاته الفنية بصورة خاصة ، أما المحاولة الحاضرة (التي قدمت في الملحق) فيجب أن ينظر إليها كترجمة مبدئية ومؤقتة ، وقد أعدت بالتعاون مع « ثوركايلى جاكسون » و « برنولاندزبرجر » من معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو ، و « ميشيل سيفيل » من متحف الجامعة في جامعة بنسلفانيا ^(٢) ونعيد فيما يلي صياغة النص بصورة عامة بعبارات أخرى كي يتضح للقارى :

(١) توفى الأستاذ « جاد » قبل بضع سنوات . (المترجم)

(٢) لقد تحول « جاكسون » إلى جامعة « هارفرد » قبل عدة سنوات ثم أحيل على التقاعد بعد أن بلغ سنه ٦٣ عاماً ولكنه مازال يعمل بنشاط في حقول الدراسات الآفوية والآثارية والتاريخية . وتوفى الأستاذ « لاندزبرجر » قبل ست سنوات ، أما « سيفيل » فإنه يعمل في الوقت الحاضر استاذاً في معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو . (المترجم)

يبدأ كتيّسنا الزراعي بالسطر التالى : « فى الأزمان القديمة أرشد فلاح أبنه » .
وتتلمذ الإرشادات التى تعقب هذا السطر بالجهود والأعمال الزراعية اليومية التى كان
يتحتم على أى فلاح القيام بها ليضمن لنفسه الحصول على منتجات وفيرة . ولما كان
الرئ أول الأمور الضرورية لتربة بلاد سومر الجافة ، فإن معلمنا يبدأ بنصيحة تتعلق
بوجوب العناية لئلا يرتفع الماء كثيراً فوق الحقل . وبعد أن ينحسر الماء تطلق ثيران
منعّلة لتدوس الأرض اللينة وبذلك يقضى على الأعشاب الضارة . ويسوى سطح الحقل
الذى يجب تهيئته بعد ذلك بفؤوس صغيرة وخفيفة حتى يصبح ممهداً . ولما كانت
حوافر الثيران تترك آثارها على الأرض اللينة ، فقد كان على الرجال أن يطوفوا حول
الحقل بفؤوسهم لتهيئته كما كان يجب إزالة الحفر التى تحدثها الثيران باستخدام
مزجلة .

وينصح الفلاح بأن يجعل أفراد أسرته يقومون بتهيئة الأدوات الضرورية فى
الوقت الذى يأخذ فيه الحقل بالجفاف . وكان يؤكّد بشكل خاص على السياط
والمهاميز والوسائل « التآديمية » الأخرى التى تساعد على دفع العمال والحيوانات على
العمل بجهد متواصل . وينصح أيضاً بتهيئة ثور إضافى لجر المحراث لأن هذا يؤدى فى
المدى البعيد إلى تحقيق ربح وفير — ذلك لأنه يمكن من زراعة كمية كبيرة مكونة من
ثلاثة « جورات » (gur) على كل « بور » من الأرض .

وقبل أن يبدأ الفلاح بزراعة الأرض يؤمر بحرقها مرتين حرّاة كاملة بنوعين
مختلفين من المحارث التى تنفذ إلى عمق كبير فى التربة (وهما محراث الشوكين والبارديل)
ثم تمهد التربة وتقلب ثلاث مرات ، وأخيراً تكسر السكتل الترابية بالمطارق . ويحث
الفلاح على إبقاء العمال خلال إنجاز هذه الأعمال تحت مراقبة مستمرة حتى لا يتهاونوا
فى العمل لحظة واحدة . ولكن كان عليه من الناحية الأخرى أن يتحكم بتصرفاته
ولا يطلب إليهم القيام بخدمات شخصية اعتيادية له .

ويصبح من الممكن الآن أن تبدأ عمليتنا الحرث وبذر البذور ، وتنفذ العمليتان

في آن واحد بواسطة المبدرة ، وهي عبارة عن محراث تتصل به آلة لتمرير البذور من وعاء إلى الأخاديد الأرضية خلال قمع ضيق . وينصح الفلاح بمحراث ثمانية أخاديد في كل « جاروش » (قطعة من الأرض يبلغ طولها من ستة إلى سبعة أمتار) . وكان يجب عليه أن يتأكد من نزول البذور إلى أعماق متساوية تبلغ « إصبعين » . وإذا لم تتغلغل البذور في التربة على الوجه الصحيح كان يجب عليه تبديل سكة المحراث ، أو كما ورد في النص ، « لسان المحراث » . وكانت هناك جملة أنواع من الأخاديد وفقاً لرأى خبيرنا القديم ، إلا أن النص غامض في الواقع بالنسبة لهذه النقطة باستثناء الأماكن التي يتحدث فيها عن الأخاديد المستقيمة والمائلة . وكان يجب بعد ملء الأخاديد بالبذور تنقية الحقل من جميع الكتل الترابية وتسوية كل المرتفعات والمنخفضات في الأرض حتى لا يتعثر نمو الشعير الجديد بأي شكل من الأشكال .

ويستمر كتيب الإرشاد الزراعي بقوله : « بعد أن تخترق البرعمة الأولى (سطح) الأرض » يجب على الفلاح أن يقيم الصلاة إلى الإلهة « نينكيليم » الإلهة الخاصة بفئران الحقل وديدانه لثلا يصيب ضررها الحبوب النامية ، كما يجب عليه أيضا طرد الطيور . وعندما ينمو الشعير نمواً كافياً بحيث يملأ قعور الأخاديد ، يحل موعد سقيه ، وإذا تكاثف الزرع ووصل إلى « علو (قشة) حصير في وسط قارب » . يحل عندئذ موعد سقيه مرة ثانية . وكان عليه أن يسقيه مرة ثالثة متى صار شعيراً « ملكياً » أي عندما يبلغ أقصى ارتفاع له . وإذا لاحظ تحول القمح الميل إلى اللون الأحمر فإن ذلك دليل على إصابته بمرض الـ « سمانا » الرهيب الذي يهدد المحاصيل بخطر التلف ، أما إذا نما الشعير نمواً جيداً فعليه أن يرويه مرة رابعة وبذلك يحصل على زيادة في الإنتاج قدرها عشرة بالمائة .

ويحين الآن أوان الحصاد . ويحذر الفلاح ألا ينتظر حتى تنحني السنبلة تحت ثقلها ، وإنما عليه حصدها « في يوم قوتها » ، أي في اللحظة الملائمة للحصاد تماماً . ويعمل كل ثلاثة رجال معاً كفرقة في عملية حصد سنابل الشعير القائمة ، وهم الحاصد

(١) مقاييس الطول

	šu-si		اصبع
	kùš	= 30 su-si	ذراع
	gi	= 6 kùš	قصبة
	gar-(du)	= 2 gi	
	èš	= 10 gar-(du)	حبل
	dan-na	= 1800 gar-(du)	فرسخ
الك kùš الواحد يعادل حوالي ٥٠ سم أو ٢٠ بوصة			

(٢) مقاييس المساحة

	sar	= gar-(du)	بستان
	iku	= 100 sar	حقل
	bùr	= 18 iku	
	šár	= 1080 iku	
sár واحد يقابل ٣٥ متراً مربعاً أو ٣٧٦ قدم مربع			

(٣) المقاييس

	gin		
	sila,	= 60 gin	
	gur	= 144 sila	
	gur-lugal	= 300 sila	
	gur,	= 3600 sila	
sila تساوي ٨٥٠ و لتر (خمس جالون تقريباً)			

(٤) مقاييس الوزن

	še		قمحة
	gin	= 180 še	شيقل
	ma-na	= 60 gin	منا
	gú	= 60 ma-na	ثلثت
(منا) واحدة تساوي ٥٠٠ غرام تقريباً (حوالي رطل واحد)			

الشكل الرابع - المقاييس السومرية وما يعادلها (ذكرت الترجمات الحرفية منها)

والحزام وعامل ثالث يرتب الحزم . ثم تأتي في هذا المكان فقرة ، إذا كانت ترجمتها صحيحة ، فإنها ذات أهمية خلقية وتوراتية كبيرة : إنها تحت الفلاح على ترك بعض سفابل الشعير المتساقطة على الأرض « للصغار » وال « ملتقطين » (أنظر : لاويين ١٩ : ٩ - ١٠ ، وراعوث ٢ - ٣) ، وهو عمل خيري يجلب على الفلاح عطف الإله على الدوام .

أما عملية الدراسة ، التي تلي الحصاد فوراً ، فكانت تنجز على مرحلتين ، يداس في المرحلة الأولى على أكوام الشعير بعربات تجر فوقها إلى الأمام وإلى الخلف مدة خمسة أيام متتالية . ثم تستعمل مرحلة الدراسة - وهي تتألف من عوارض ذات أسنان مربوطة بخيوط جلدية مثبتة بالقار - « لفتح الشعير » . ثم يلي ذلك نظير آخر لما ورد في التوراة وهو نصيحة الفلاح بوجوب إطعام الثيران إلى حد الإشباع خلال عملية الدراسة عندما يسيل اللعاب من أفواهها وكأنها تنادى للحصول على الشعير ذى النكهة الطازجة المغرية . (أنظر : سفر تثنية الأشرع ٢٥ : ٤) .

ويحين الآن أوان التذرية التي كانت تنجز من قبل « رافعي الشعير » . ويصبح النص من هنا فصاعداً غامضاً تماماً ، ولكن يمكننا أن نستنتج بأن عملية التذرية كانت تتكون من رفع الخليط « الوسخ » من الشعير والتبن كلما تجمع في ساحة التذرية بواسطة المذارى والمساحى وبهذا يفصل الشعير عن التبن والقشور التي كانت إلى حد ما تلوث الشعير . وينتهي النص بعبارة مؤلفة من ثلاثة سطور أريد بها التأثير في نفس القارئ والتلميذ بدعوى أن الإرشادات التي قدمها الفلاح لابنه ما هي في الواقع إلا إرشادات الإله « نينورتا » ، الذي كان حسب رأى فقهاء الدين السومري ، « فلاح إنليل الجدير بالثقة » ، وكان « إنليل » الإله الأول في مجمع الآلهة السومري .

إن مؤلف هذه الوثيقة الزراعية ، على الرغم من سطور مقدمتها ، لم يكن فلاحاً ، وذلك لأن الفلاحين كانوا على الأرجح لا يقرأون ولا يكتبون ، وعلى أية حال كانوا

لا يجدون الوقت أو الرغبة لهيئة كتاب زراعى كهذا . لقد ألف هذا الكتاب بلاشك من قبل أحد الأساتذة أو الـ « أومايا » فى المدرسة السومرية ، الـ « أيدوبا » ، لأن مميزاته الأدبية واضحة فى عدد غير قليل من فقراته . وكان غرض المؤلف تعليمياً ، إذ كان يراد به تعليم طلبة المدرسة ، « الأويدوبا » — وبصورة خاصة المتقدمون منهم — كل شئ عن الفن والمهارة اللذين يحققان زراعة ناجحة . إن هذا الرأى تبرهن عليه حقيقة أن الوثيقة قد وجدت مدونة فى نسخ ومقتطفات عديدة ، ولا حاجة بنا للقول بأن عدداً من هذه النسخ ربما لا يزال مدفوناً فى خرائب بلاد سومر . ولذلك من الجاز أن نستنتج بأنها كانت محببة عند كل من الأستاذ والتلميذ على السواء ، ولا عجب فى ذلك لأن هذا المؤلف ربما كان يساعد المتخرج فى المدرسة ، « الأيدوبا » ، على حصوله على عمل مناسب والأحتفاظ به ، كما يمكننا أن نرى من مقالة غير معروفة حتى الآن يمكن أن نضع لها العنوان التالى : « مناظرة بين أوجولا وكاتب » وهى تظهر خريج المدرسة فى دور مدير ناجح ودقيق فى مقاطعة زراعية واسعة .

وكانت الحبوب التى يزرعها السومريون تتألف من الشعير — الذى كان من جميع الوجوه أكثر الحبوب أهمية — والحنطة ، والدخن وزرعت أنواع كثيرة من الخضار التى تشمل الحمص والعدس والبيقيات والأبصال ، والثوم والخس واللفت والرشاد والسكرات والخردل وأنواع مختلفة من القثاء . وكان استخدام نطاق من الأشجار لحماية البساتين من الشمس المحرقة والرياح الجففة أمراً معروفاً عند السومريين ، بل تحول هذا إلى موضوع ميثولوجى « أنظر الفصل الرابع » . وكانت أكثر الآلات استعمالاً فى أعمال البستنة المعزوقة ويوجد نوع من المساحى يعرف باسم « مسحة البستان » .

إن الشجرة التى لعبت دوراً رئيساً فى الحياة الاقتصادية السومرية هى النخلة ، التى كانوا يستخلصون منها مادة حلوة الطعم عرفت باسم « لال » أو « العسل » ، وكان تلقيح النخلة الأصطناعى معروفاً ويارس فى الأزمان السومرية . وتوجد من

أوائل الألف الثاني ق . م . جداول لغوية سومرية تضم ما يقارب من مائة وخمسين كلمة لأنواع النخيل المتعددة وأجزائها المختلفة .

وكانت تربية الحيوانات ، كالزراعة ، أساسية بالنسبة للاقتصاد السومري ، وكانت الحيوانات تستخدم في المواصلات كما كانت مصدراً للغذاء والكساء . وكان الحمار هو الحيوان الذي يستخدم بصورة عامة في المواصلات ، وكانت الفرس معروفة على ما يبدو في العهود السومرية المتأخرة ولكنها لم تستخدم على نطاق واسع أبداً ، وكان الثور بلا شك أكثر الحيوانات المدجّنة فائدة ، فهو الحيوان الوحيد المستخدم في الجر الذي كان يسخر تسخييراً كاملاً تقريباً في تلك الأزمان القديمة ، إذ كان يستخدم في الحرث وجر العربات والزلاجات وحمل الأثقال الكبيرة . وكانت الثيران والأبقار والعجول ثمينة جداً بسبب لحومها وجلودها .

لقد وصلت إلينا حوالي مائتي كلمة سومرية تسمى نماذج وأنواعاً متعددة من الأغنام ولو أن أغلبها لا يمكن تحديد نوعه حتى الآن . وكانت أهمها من الناحية الاقتصادية — بالإضافة إلى الأغنام العادية — الشاة السمينة ، والشاة ذات الإلية الشحمية وخروف الجبل ، الذي ربما كان « المفلون » . وكان العنز والجديان كثيرة أيضاً ، ويستعمل شعر العنز على نطاق واسع في حياكة السجاد وعمل صناديق كبيرة تشبه الأقفاص . وكانت الخنازير تربي من أجل شحمها وجلدها بالإضافة إلى لحمها — وكان يظفر إلى الخنزير نظرة استحسان من قبل السومريين — فهناك مرب خاص للخنازير كما كان هناك جزار خنازير مسؤول عن ذبحها وتحضير لحومها .

وكانت تربية الحيوانات تكتمل بالصيد ، وتوجد نصوص تسجل فيها تسليم الأيائل والخنازير البرية والغزلان ، وكان هناك أيضاً الصياد الذي يصطاد الطيور باستخدام مجموعة كاملة من الشباك . وتوجد سجلات لعمليات تسليم عدد من الطيور القابلة للشواء يصل إلى أربعة وخمسين طيراً ، وكان صيد السمك أيضاً مهنة هامة جداً في إنتاج الغذاء ، ولو أن ذلك كان على نطاق أوسع في الأزمان السومرية

القديمة مما كان عليه في الأزمان المتأخرة ، وذلك استنتاجاً من حقيقة أن ما يزيد على خمسين صنفاً من الأسماك ذكرت في نصوص يعود تأريخها إلى زمن أقدم من سنة ٢٣٠٠ ق م . بينما لم تذكر إلا ستة أصناف أو حوالى ذلك فقط بعد هذا التاريخ . وكانت الشبكة أكثر الأدوات شيوعاً في صيد السمك ولو أن المصايد وحبال الصيد قد ذكرت في النصوص أيضاً .

وكانت أكثر المشروبات انتشاراً بين السومريين هي الجعة ، ذلك الشراب الذى يشرح « قلوب حياة » كل من الآلهة والبشر ، علاوة على ماله من قيمة طبية . وما زالت طرق التخخير في الواقع غامضة ويتطرق إلى ما هو معروف منها بأسلوب يدعو للتعجب الاستاذ « ليو أوبنهايم » في مقالته « عن الجعة وطرق التخخير في بلاد ما بين النهرين القديمة » (١) .

وكان تخضير الجعة يتصل اتصالاً كبيراً بنوع من الكعك يصنع من الشعير الجديد ، وكان الملت هو الذى يعطى الحبوب قيمة غذائية كبيرة بسبب ما يحتوى عليه من كمية من الكربوهيدرات والبروتين . وتوجد إلهة خاصة مسؤولة عن تخضير الجعة تدعى « نينكاسى » وهو اسم يعنى حرفياً « السيدة التى تملأ الفم » . وعلى الرغم من أنها كانت إلهة « ولدت في ماء عذب متلألئ » فإن الجعة هي التى كانت حبيبها الأول . ووصفت في ترتيلة تمجيد موجهة إليها من قبل أحد مريدى الإلهة « إينانا » كصانعة خمر الآلهة التى « تحب بمجرفة عظيمة الشعير الجديد » ، والتى تمزج مات « البايير » في التنور العظيم « والتى » تسكب الجعة المعطرة في إناء « لختان » الذى يشبه دجلة والفرات . مجتمعين فن الواضح إذن بأنه حتى الجعة كانت لها إلهتها وخصائصها السامية بالنسبة للشعراء والحكام السومريين .

(1) Supplement No. 10 to the Journal of the American Oriental Society .

الدُّوَات	الصور الممثلة لها	العلامات المسماة القديمة	الصور القديمة
محران			
منزلة			
قارب (وسراع؟)			
قارب		لم تسم العلامة في اليد استعمال	
منقح			
فأس			
منشار		لم تسم العلامة في اليد استعمال	
هراوة حرب			

شكل ٣- العدد والأدوات كما كانت تمثل في الصور القديمة

الفصل الرابع

الديانة

اللاهوت والطقوس والأسطورة

لقد طور السومريون خلال الألف الثالث قبل الميلاد أفكاراً دينية ومفاهيم روحية تركت في العالم الحديث أثراً لا يمكن محوه ، وخاصة ما وصل منها عن طريق الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام . فعلى المستوى العقلي استنبط المفكرون والحكماء السومريون ، كفتيجة لتأملاتهم في أصل وطبيعة الكون وطريقة عمله ، نظرية كونية وأخرى لاهوتية كانتا تنطويان على إيمان راسخ قوى بحيث أنهما أصبحتا العقيدة والمبدأ الأساسيين في أغلب أقطار الشرق الأدنى القديم . وعلى المستوى العملي والوظيفي طوّر الكهنة ورجال الدين السومريون مجموعة من الطقوس والشعائر والاحتفالات الغنية بالألوان والتنوع التي كانت تؤدي لغرض إرضاء الآلهة وتهديئتهم بالإضافة إلى ما فيها من إشباع عاطفي لحب الإنسان للمهرجانات والمشاهد الضخمة . وعلى المستوى الجمالي خلق الموسيقيون والنشيدون الأميون وورثتهم المتأخرون وشعراء وكتاب « الإيدوبا » (أى المدرسة) ما يعتبر من جميع الوجوه أغنى مجموعة أساطير (ميثولوجية) في الشرق الأدنى القديم ، نزلت بالآلهة إلى مستوى الحجم البشري ، إلا أنهم فعلوا ذلك بتفهم واحترام ، وفوق كل شيء ، بأصالة وخيال .

ولنبداً بنظرية نشأة الكون واللاهوت . لم يكن تحت تصرف الفلاسفة والمفكرين السومريين ، إذا تحدثنا من الناحية العلمية سوى أكثر الأفكار بدائية وسطحية عن الطبيعة والكون وطريقة عمله . ففي نظر المعلمين والحكماء السومريين كانت عناصر الكون الرئيسية (في أضيق معنى للكلمة) السماء والأرض . وفي الواقع كان تعبيرهم عن الكون « آن — كي » ، وهي كلمة مركبة تعني « السماء — الأرض » ، وكانت الأرض قرصاً منبسطاً يعلوه فضاء شاسع مخوف ، محاط من كل جهاته بسطح صلب على شكل قبة . أما ماذا كان يعتقد أن تكون هذه الكتلة السماوية بالضبط فإنه أمر مازال غير مؤكد ، ومن المحتمل أنها كانت قصديراً وذلك استنتاجاً من حقيقة أن التعبير السومري عن القصدير هو « معدن السماء » . وكانوا

يقرون بوجود مادة بين السماء والأرض أطلقوا عليها « ليل » (lil) وهي كلمة معناها التقريبي ، ريح ، هواء ، نفس ، روح ، ويبدو أن أكثر خصائصها أهمية هي الحركة والامتداد ، ولذلك يضاهي بوجه التقريب كلتنا « الجو » . وكان يعتقد أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم مكونة من نفس مادة (الجو) إلا أنها علاوة على ذلك وهبت قدرة على الإشراق . ويحيط بالـ « سماء — أرض » من جميع الجوانب ، بما في ذلك من الأعلى والأسفل ، البحر اللامتناهي الذي يظل فيه الكون ، بطريقة ما ، ثابتاً وبلا حركة .

ومن هذه الحقائق الأساسية المتعلقة بتركيب الكون — وهي حقائق كانت تبدو للمفكرين السومريين جلية لا جدال فيها — طوزوا نظرية في أصل الكون تتلاءم معها . فقد استنتجوا بأنه كان هناك أولاً (البحر الأول) . وتشير الدلائل إلى أنهم كانوا ينظرون إلى ذلك البحر على أنه أول سبب وأهم محرك ، ولم يسألوا أنفسهم قط عما قد سبق البحر في الزمان والمكان . وفي هذا (البحر الأول) ولد بطريقة ما الكون (أى « السماء - الأرض ») ، المكون من قبة السماء التي وضعت فوق أرض منبسطة ومتصلة بها . إلا أنه حل بينهما « الجو » المتحرك المتمدد الذي فصل السماء عن الأرض وتولدت من هذا (الجو) المجموعة النيرة من الأجرام وهي ، القمر والشمس والكواكب والنجوم . وبعد فصل السماء عن الأرض وخلق المجموعة النجمية المضيئة ظهرت إلى الوجود الحياة النباتية والحيوانية والبشرية .

وكان رجال الدين السومريون يفترضون أن تشييل وإدارة الكون ومراقبته يقوم بها مجمع آلهة يتألف من مجموعة من الكائنات الحية ، تشبه الإنسان شكلاً ولكنها فوق البشر وخلدة ، وهي ، على الرغم من أنها لا ترى بعين الإنسان الفاني ، كانت تسير الكون وتسيطر عليه وفقاً لخطط وضعت بدقة وبقوانين معينة . إن عوالم السماء والأرض والبحر والهواء العظيمة ، والعناصر النجمية الكبرى ، والشمس والقمر والكواكب ، والقوى الجوية كالرياح والعاصفة والزوابع ، وأخيراً على الأرض ، الذاتيات الطبيعية كالنهر والجبل والسهل ، والذاتيات الحضارية كالمدينة والدولة

والسد والخندق والحقل والزرعة ، وحتى الأدوات كالفأس وقالب الآجر والمحراث —
كان كل واحد منها على ما يعتقد برعاية أحد من تلك الكائنات المتخيلة على أنها فوق
البشر ، وكان هذا الكائن الراعى يوجه فعالياته وفقاً للقواعد والأنظمة الثابتة .

ويمكن وراء فرضية العالم اللاهوتى السومرى البديهيّة هذه ، بلا شك ، استنتاج
منطقي ، وإن لم يكن قد وضع بوضوح ، لأن ذلك اللاهوتى لم ير أيّاً من الكائنات
الشبيهة بالبشر . ولعل عالمنا اللاهوتى أخذ دلالته من المجتمع البشرى كما كان يعرفه
وسار فى استنتاجه من المعلوم إلى المجهول ، فقد لاحظ أن البلدان والمدن والقصور
والمعابد والحقول والمزارع — وباختصار ، جميع ما يمكن تصوره من المؤسسات
والمشاريع ، إنما ترعى شؤونها وتشرف عليها وتسيرها وتسيطر عليها كائنات حية
من البشر ، ولولا هذه الكائنات المسيطرة لأفقرت البلدان والمدن ، ولتداعت
المعابد والقصور وتحولت الحقول والمزارع إلى صحراء وقفر . وعلى هذا كان من المؤكد
بالنسبة لهم أن يكون لاكون ومظاهره المتعددة أيضاً كائنات حية على هيئة البشر
تسيرها وتسيطر عليها . ولكن لما كان الكون أكبر جداً من جميع مواطن البشر ،
وتنظيمه أكثر تعقيداً فإنه يجب كما هو واضح أن تكون هذه الكائنات الحية
أقوى كثيراً من البشر العاديين وأكثر فعالية منهم ، ويجب فوق كل شيء ، أن
تكون خالدة ، وإلا فإن الكون سيؤول إلى فوضى عند وفاتها وتحل عندئذ نهاية
العالم ، وهذان بديان لا يستسيغهما لأسباب واضحة عالم ما وراء الطبيعة السومرى .
لقد عبر السومرى عن كل كائن من هذه الكائنات غير المرئية والشبيهة بالإنسان ،
التي كانت فى الوقت نفسه فوق البشر وخالدة ، بكلمة « دنجير » (dingir) التي
نترجمها إلى كلمة « إله » .

ورب سائل يسأل ، كيف كان يعمل هذا المجموع الإلهى ؟ أولاً كان يبدو من
المعقول بالنسبة للسومرى أن يفترض بأن الآلهة التي تؤلف المجموع الإلهى (الباشيون)

(١) تلفظ الجيم كافاً فارسية . (المترجم)

لم تكن جميعها بنفس الأهمية أو من منزلة متساوية . فلم يكن من المنتظر أن يقارن الإله الموكل بالفأس أو قالب الآجر مع الإله الموكل بالشمس ، كما لم يكن متوقعاً أن يكون الإله الموكل بالسدود والجداول مساوياً في المنزلة للإله الموكل بالأرض كلها ، ومن ثم ، بالقياس على التنظيم السياسى فى الدولة البشرية ، كان طبيعياً أيضاً الافتراض بأنه كان على رأس المجمع الإلهى إله اعترفت به جميع الآلهة الأخرى كملك وحاكم عليها . وعلى هذا كان يتصور أن مجمع الآلهة السومرى يعمل على هيئة مجلس يقوم على رأسه ملك . وكانت أهم مجموعات هذا المجلس هى المجموعة المؤلفة من الآلهة السبعة التى « تقدر المصائر » ثم مجموعة الخمسين إلها التى عرفت بـ « الآلهة العظيمة » . ولكن أهم تقسيم وضعه رجال الدين السومريون داخل مجمع آلهتهم هو ذلك التقسيم الذى يميز بين الآلهة الخالقة وغير الخالقة ، وهو تصور توصلوا إليه نتيجة لآرائهم فى أصل الكون . فبموجب هذه الآراء كانت العناصر الأساسية التى تكون الكون ، هى السماء والأرض والبحر والجو ، وكل ظاهرة كونية أخرى لا توجد إلا ضمن هذه العوالم . وعلى هذا كان من العقول أن يستنتجوا أن الآلهة التى تسيطر على السماء والأرض والبحر والجو كانت هى الآلهة الخالقة ، وأن كل ظاهرة كونية أخرى خلقت من قبل أحد الآلهة الأربعة وفقاً لخطط وضعت بالأصل من قبلهم .

أما بالنسبة لأسلوب الخلق الذى عزى إلى تلك الآلهة ، فإن فلاسفتنا السومريين طوروا مبدءاً صار فيما بعد عقيدة فى أنحاء الشرق الأدنى كافة ، وهو مبدء القوة الخالقة الكامنة فى الكلمة الإلهية . فكل ما كان على الإله الخالق أن يفعله ، وفقاً لهذا المبدء ، هو أن يضع خطته وينطق بالكلمة ويعلم الاسم . وربما كانت فكرة القوة الخالقة للكلمة الإلهية نتيجة لاستنتاج قياسى مأخوذ من ملاحظة المجتمع البشرى أيضاً ، فإذا كان باستطاعة ملك من البشر إنجاز كل ما يريده تقريباً بمجرد الأمر ، أى بشيء لا يزيد فيما يبدو على كلمات تصدر من فمه ، فلا شك أن إمكانية القيام بذلك كانت أكبر بالنسبة للآلهة الخالدة التى كانت فوق البشر ومسؤولة عن عوالم الكون الأربعة . ولكن ربما كان هذا الحل « السهل » للمشاكل المتعلقة

بأصل الكون ، حيث الفكرة والكلمة وحدهما مهمتان جداً ، إنكاساً على الأكثر للحافز البشرى بالاجوء في تحقيق الرغبات المفعمة بالأمل إلى مجرد الرغبة في تحقيقها بأي شكل من الأشكال ، هذا الحافز الذى يميز جميع البشر تقريباً في أوقات الضيق والحنة .

وبأسلوب مماثل قدم رجال اللاهوت السومريون ما كان بالنسبة لهم استدراجاً غيبياً مقنعاً لتوضيح السبب الذى كان يجعل الذاتيات الكونية والظواهر الحضارية بعد أن تخلق تعمل باستمرار وانسجام دون تصادم أو اضطراب . لقد كانت هذه هي الفكرة التى عبرت عنها الكلمة السومرية « مى » (me) — التى لا يزال معناها الدقيق مشكوكاً فيه ، ولكنها تشير بوجه العموم على ما يبدو إلى مجموعة من الأحكام والقواعد التى خصصت لكل ذاتية كونية وظاهرة حضارية للإبقاء عليها عاملة إلى الأبد بمقتضى الخطط التى وضعت من قبل الإله الذى خلقها . وهذا باختصار جواب سطحي آخر ، ولكنه لم يكن ، كما هو واضح ، بلا تأثير مقنع عن مشكلة كونية مستعصية ، إنه جواب لا يعنى سوى إخفاء المشاكل الأساسية عن الرؤية تحت طبقة من كلمات لا معنى لها على الأكثر .

إن مصدر معلوماتنا الرئيسى حول الـ « مى » أو (القواعد والأحكام) هي أسطورة « اينانا وأنكى : انتقال مبادئ المدنية من أريبدو إلى أوروك » (أنظر بقية هذا الفصل) . لقد قسم مؤلف هذه القصيدة المدنية كما كان يعرفها إلى أكثر من مائة عنصر كان كل واحد منها بحاجة إن « دى » (قاعدة) لتكوينه وللإبقاء عليه مستندراً في وظيفته ، وأورد المؤلف في الأسطورة « الميات » التى يبلغ عددها حوالى مائة « مى » أربع مرات ، بيد أنه لا يفهم منها في الوقت الحاضر على الرغم من هذا التكرار إلا حوالى ٦٠ « مى » وبعضها مجرد كلمات عادية لا تقدم إلا إشارة مقتضبة عن أهميتها الحقيقية بسبب فقدان القرينة التى توضح المعنى . وعلى الرغم من ذلك ، فإن ما بقى منها يكفي لإظهار طبيعة ومعنى أول محاولة مسجلة في التحليل الحضارى ، ذلك التحليل الذى كان من نتيجته وضع جدول جدير بالأهتمام يضم ما يعبر عنه الآن

بصورة عامة بميزات ومركبات الحضارة . وتتألف عناصر المدنية هذه كما سنرى من مؤسسات إجتماعية متعددة ، ووظائف كهنوتية مختلفة ، ومجموعة من الطقوس الدينية والاتجاهات العقائدية والعاطفية بالإضافة إلى المعتقدات والمذاهب المتنوعة .

ونقدم فيما يلي الأجزاء الواضحة من الجدول في نفس الترتيب الذى أورده الكاتب السومرى القديم .

- (١) السيادة (٢) الألوهية (٣) الناج المجد الخالد (٤) عرش الملكية
- (٥) الصولجان المجد (٦) الشارة الملكية (٧) المزار المقدس (٨) الرعاية (٩) الملكية
- (١٠) مقام السيادة السنوية الدائم (١١) « السيدة المقدسة » (وظيفة كهنوتية)
- (١٢) « إيشيب » (وظيفة كهنوتية) (١٣) « لوماخ » (وظيفة كهنوتية)
- (١٤) « جودا » (وظيفة كهنوتية) (١٥) الصدق (١٦) النزول إلى العالم السفلى
- (١٧) الصعود من العالم السفلى (١٨) (الخصى) « كوجازا » (١٩) (الخصى)
- « جيب بادارا » (٢٠) (الخصى) « ساجور ساج » (٢١) راية (الحرب)
- (٢٢) الطوفان (٢٣) السلاح (؟) (٢٤) الجماع الجنسي (٢٥) البغاء (٣٠) « عبد السماء » (٣١) (الآلة الموسيقية) « جو سيلييم » (٣٢) الموسيقى (٣٣)
- المشيخة (٣٤) البطولة (٣٥) السلطة (٣٦) العداوة (٣٧) الأستقامة (٣٨) تدمير
- المدن (٣٩) الرثاء (٤٠) فرح القلب (٤١) البهتان^(١) (٤٢) البلاد الثائرة (٤٣) الصلاح
- والخير (٤٤) العدالة (٤٥) فن صناعة الخشب (٤٦) فن صناعة المعدن (٤٧) الكتابة
- (٤٨) الحدادة (٤٩) صانع الجلود (٥٠) مهنة البناء (٥١) مهنة حائك السلال
- (٥٢) الحكمة (٥٣) الأتباء (٥٤) التطهير المقدس (٥٥) الخوف (٥٦) الرعب
- (٥٧) الصراع (٥٨) السلام (٥٩) الإرهاق (٦٠) النصر (٦١) الشورى (٦٢) القلب

(١) لقد سقطت من الكتاب أسماء « النواميس » من رقم (٤٢) إلى رقم (٤٦) ونوردها هنا استناداً إلى كتاب « من ألواح سومر » لنفس المؤلف وترجمة الأستاذ . طه باقر .
(المترجم)

المهجوم (٦٣) القضاء (٦٤) القرار (٦٥) (الآلة الموسيقية) « ليليش » (٦٦) (الآلة الموسيقية « أوب » (٦٧) (الآلة الموسيقية) « ميس » (٦٨) (الآلة الموسيقية) « آلا » .

وكانت الآلهة السومرية ، كاهو ميين بوضوح في الأساطير السومرية ، بشرية الصفات تماماً ، فقد كان أعظمها قوة وأكثرها علماً يصور في ذهن كبشر في الهيئة والفكر والعمل . وكانت الآلهة كالإنسان تخطط وتعمل وتأكل وتشرب وتزواج وتؤسس الأسر وتتعمد بإعالة أسر كبيرة العدد . وكانت تصاب بالأفعالات وعوامل الضعف البشري . إلا أنها كانت بصورة عامة تفضل الصدق والعدل على الكذب والظلم ، ولكن حوافزها على العمل لم تكن واضحة مطلقاً ، وغالباً ما يكون الإنسان حاراً في فهمها . وكان يعتقد أنها تعيش فوق « جبل السماء والأرض ، الموضع الذي كانت الشمس تشرق منه » ، على الأقل عندما لا يكون وجودها على ما يفترض ضرورياً في الذاتيات الكونية المعينة التي كانت موكاة بها . أما كيف كانت الآلهة تنتقل من موضع إلى موضع فإنه أمر لا يمكن التأكد منه على الإطلاق من المعلومات المتيسرة لدينا في الوقت الحاضر ، ولو أننا نعرف بأن الإله — القمر كان يسافر في قارب ، والإله — الشمس في عربة أو مشياً على قدميه حسب رواية أخرى ، والإله — العاصفة على السحاب . وكانت القوارب تستخدم كثيراً ، ولكن المفكرين السومريين لم يقلقوا أنفسهم كثيراً على ما يبدو في مشاكل عملية وواقعية كهذه ، ولذلك لم يجربونا عن الطريقة التي يتخيلون بها الآلهة تصل إلى معابدها ومزارعها المختلفة في بلاد سومر ، أو بأية طريقة كانت تنجز في الواقع فاعليتها البشرية كالأكل والشرب . ومن المفروض أن الكهنة كانوا لا يرون سوى تماثيلها التي كانوا بلا شك يهتمون بها ويعنون بها عناية فائقة . أما كيف كان يتصور بأن تلك الأشكال الحجرية والخشبية والمعدنية عظاماً وعضلات ونفس الحياة . فإن هذا تساؤل لم يخطر ببالهم قط . كما لا يبدو أن المفكرين السومريين كانوا يقلقون بسبب ذلك التناقض الأساسي بين الخلود وبين إسباغ الصفة البشرية . فعلى الرغم من اعتقادهم بخلود الآلهة ، فإنهم مع ذلك كانوا يرون بأنه

لا بد لها من طعام يمدّها بالحياة ، وكان من الممكن أن تصاب بالمرض إلى حد الإشراف على الموت . وكانت تحارب ، وتجرح وتقتل ، كما كانت على ما يفترض تجرح وتقتل نفسها . ومما لا شك فيه أن حكماءنا السومريين وضعوا عدة آراء لاهوتية في محاولة عقيمة للتوفيق بين تلك المفارقات والمتناقضات المتأصلة في نظام ديانة تنصف بالشرك ، ولكنه إذا ما استنتجنا من المصادر المتيسرة لنا ، نرى أنهم على الأرجح لم يدونوا أبداً هذه الآراء في صيغة منسجمة ، لذا فإننا سوف لا نعرف شيئاً كثيراً عنها . وعلى أية حال لا يحتمل بأنهم وفقوا إلى حل كثير من هذه المتناقضات . على أن الذي أقتدّهم من الوقوع في خيبة روحية وعقلية هو بلا شك حقيقة أن مسائل عديدة مما كان ينبغي أن تعلقهم وفقاً لأسلوب تفكيرنا ، لم تدر بخلد هم أبداً .

لقد كان للسومريين حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، إذا لم يكن قبل ذلك ، مئات من الآلهة ، بالاسم على الأقل . ونحن نعرف أسماء العديد منها ، ليس من الجداول التي كانت تجمع في المدارس (لأغراض تعليمية) وحسب ، بل أيضاً من جداول تضم القرابين مدونة في ألواح اكتشفت في غضون القرن الماضي ، ومن أسماء أعلام الاشخاص مثل « (س) الفلاني راع » و « (س) الفلاني ذى قلب كبير » و « من مثل (س) الفلاني » و « عبد (س) الفلاني » و « رجل (س) الفلاني » و « (س) الفلاني المحبوب » و « (س) الفلاني أعطاني » الخ ... حيث يمثل حرف (س) اسم إله من الآلهة . إن عدداً من هذه الآلهة من طبقة الدرجة الثانية ، فهي إما أن تكون أزواجاً أو أبناء أو خدماً للآلهة العظيمة فكريها السومريون وفقاً لما هو معروف في المجتمع البشري . وربما كان بعضها . أسماء وكني لآلهة كانت مشهورة عند السومريين ، ولكننا لا نستطيع التعرف على هوية أصحابها في الوقت الحاضر . إن عدداً كبيراً من الآلهة كان يعبد خلال العام كله بتقديم القرابين والتمجيد والصلاة وكانت الإلهة — السماء « آن » والإله الريح « إنليل » والإله — « إنكي » والآلهة — الأم العظيمة « نفخورساج » أعظم وأهم أربعة بين جميع هذه المئات من الآلهة . وكان هؤلاء يوضعون عادة في رأس الجداول الخاصة بالآلهة ،

وغالباً ما يذكرون وكأنهم مجموعة واحدة تقوم جميعها بإنجاز أعمال هامة ، كما كان لهم مكان الصدارة في الاجتماعات والولائم الآلهية .

وهناك سبب وجيه يحملنا على الاعتقاد بأن السومريين كانوا في وقت من الأوقات يعتبرون « آن » ، الإله — السماء ، الحاكم الأعلى في المجمع الإلهي ، على الرغم من أن الإله — الريح « إنليل » كان هو الذي يحتل مكانه كقائد للمجمع الإلهي في مصادرها التي يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ٢٥٠٠ ق . م . وكانت دولة — المدينة التي اتخذت كمركز رئيسي لعبادة « آن » تعرف باسم « أوروك » (الوركاء)^(١) وهي مدينة لعبت دوراً سياسياً بارزاً في تاريخ بلاد سومر ، وكشفت فيها بعثة ألمانية قبيل الحرب العالمية الثانية مئات من الألواح الطينية الصغيرة ، المنقوشة بعلامات كتابية شبيهة بالصور يرجع تأريخها إلى سنة ٣٠٠٠ ق . م . تقريباً ، أي بعد اختراع الكتابة بوقت قصير . واستمرت عبادة « آن » في بلاد سومر طوال ألوف من السنين إلا أنه فقد تدريجاً الشيء الكثير من مكانته البارزة حتى صار مجرد شخصية مبهمه في المجمع الإلهي ، وأصبح من النادر أن يذكر في تراثيل العهود المتأخرة وأساطيرها ، حيث أعطيت في هذه الفترة معظم سلطاته للإله « إنليل » .

وكان الإله — الريح « إنليل » أهم إله في مجمع الآلهة السومري ، فهو الإله الذي لعب دوراً بارزاً في الشعائر والأساطير والصلوات في أنحاء بلاد سومر كافة . أما الأحداث التي قادت إلى قبوله إلهاً وقائداً في مجمع الآلهة السومري فغير معروفة ، ولكن « إنليل » كان يلقب في أقدم السجلات الواضحة بلقب « أبي الآلهة » و « ملك السماء والأرض » و « ملك البلدان جميعها » وكان الملوك والحكام يتباهون بأن الإله « إنليل » هو الذي وهبهم ملكية البلاد ، وهو الذي جعل البلاد رخية من أجلهم ، وهو الذي وهبهم الأقطار ليعتجوها بقوته . وكان الإله « إنليل » هو الذي يعلن إسم الملك ، ويعطيه صولجانه وينظر إليه بعين الرضا .

(١) لقد ورد إسم هذه المدينة في ثلاث صيغ ، « أوروك » عند السومريين ، و « أوك » في التوراة ، وتعرف باسم « الوركاء » في الوقت الحاضر .
(المترجم)

ونعرف من الأساطير والتراويل المتأخرة أن « إنليل » كان يُتصور على أنه إله عظيم الإحسان ، إذ كان الإله الموكل بمخلق وتدمير أكثر الظواهر السكونية إنتاجاً . إنه كان هو الإله الذى يخرج النهار ، وهو الذى شمل البشر بعطفه ، وضع الخطط لإخراج كل البذور والنباتات والأشجار من الأرض . وكان هو الذى يحقق الوفرة والبركة والرخاء فى البلاد . إنه « إنليل » الذى أعطى الفأس والمحراث هياتهما ليسكونا نموذجين للأدوات الزراعية التى استخدمها الإنسان فيما بعد . لقد وضعت تأكيداً على إبراز صفة الإحسان عند « إنليل » لأصحح سوء فهم تسرب إلى جميع الكتب ودوائر المعارف التى تعالج موضوع الديانة والحضارة السومريتين ، وأعنى بذلك الاعتقاد بأن « إنليل » كان إله العواصف العنيفة المدمرة الذى لم تجلب أوامره سوى الشر . وكما يحدث كثيراً ، فإن سوء الفهم هذا يعزى إلى درجة كبيرة إلى مصادفة آثارية ، فقد حدث أن كان بين أقدم الأعمال السومرية المنشورة جزء كبير جداً من نماذج أدب الرثاء حيث كان لـ « إنليل » بالضرورة مهمة بغيضة وهى تنفيذ الدمار وإحلال الحزن المحزنة التى كانت الآلهة تقررها لسبب أو آخر . وكنتيجة لذلك وصم « إنليل » بأنه إله عنيف ومخرب من قبل أوائل الباحثين ولم يتخلص من هذه الوصمة أبداً . وفى الواقع لو حللنا التراويل والأساطير التى لم ينشر بعضها إلا فى وقت قريب جداً لوجدنا « إنليل » وقد مجد كإله على أشد ما يكون من الشعور بالود والحنو الابوى ، كإله يحفظ أمن جميع البشر ورخاءهم ، ولا سيما سكان بلاد سومر طبعاً .

ويمكننا أن نحس باحترام السومريين العميق للإله « إنليل » ومعبد « إيكور » فى مدينة « نسر » فى تربية (لم تيسر للقراء إلا قبل مدة قصيرة) يمكن قراءتها جزئياً على الوجه التالى :

« إنليل » من يصل أمره إلى أبعد مكان — ومن كلمته مقدسة ،

الرب الذى لا يبدل كلامه ، والذى يقدر المصائر إلى الأبد ،

الذى تبصر عينه النفاذة الاقطار كافة ،

ومن يدخل إشعاعه الوهاج فى قلب الاقطار كافة ،

« إنليل » من يتربع على المنصة البيضاء ، على المنصة الرفيعة ،
والذى يهذب أحكام السلطة والسيادة والإمارة ،
آلهة — الأرض تنحنى خشية أمامه ،
والآلهة — السماء ، تتذلل أمامه . . .
المدينة « نقر » ، مظهرها يثير الخوف والرعب ،
الجائر ، والظالم الشرير ،
وال . . . ، والنمام ،
والمتكبر ، وناكث العهد ،
كل هؤلاء لا يميز شرهم فى المدينة ،
والشبكة العظيمة . . .
إنه لا يدع الشرير والظالم المؤذى وفاعل الشر يفلتان من شرهما .
« نقر » المزار — الذى يسكنه الأب ، « الجبل العظيم » ،
منصة البركة ، « إيكور » الذى يعاود . . .
الجبل الشامخ ، الموضع الطاهر . . .
أميره ، « الجبل العظيم » ، الأب « إنليل » ،
قد أقام مجلسه على منصة « إيكور » ؛ المعبود الشامخ ،
المعبود — قراراته كالسما لا يمكن تبديلها ،
طقوسه المطهرة كالارض لا يمكن إزالتها ،
قراراته كقرارات المياه العميقة (المقدسة) ، مامن أحد يستطيع النظر فيها ،
« قلبه » كقرار بعيد ، إنه سر كسوت السماء . . .
كلماته صلوات ،

عباراته ابتهال ... ،

مناسكه غالية ،

أعياده تتدفق بالسمون والابن ، إنها غنية بالخير ،

خازنه تجلب السعادة والفرح ... ،

بيت « إنليل ، إنه جبل الخير ... ،

« إيكور » بيت حجر اللازورد ، السكن السامى الذى يبعث الرهبة
(فى النفوس) .

إن رهبتة وخشيته لا تضاهيهما إلا السماء ،

وظله ينتشر على البلدان جميعها ،

وشموخه يبلغ قلب السماء ،

جميع النبلاء والأمراء يقدمون هناك هداياهم وقرابينهم المقدسة ،

ويقومون صلاتهم ويتلون ابتهالاتهم وتضرعاتهم هناك .

يا « إنليل » ، إن الراعى الذى تنظر إليه بعين (رضاك) ،

والذى دعوة ورفعت مقامه فى البلاد ... ،

والذى يذل الأقطار الأجنبية حيثما يذهب ،

قد جلب سكائب ملطفة من كل مكان ،

وقرابين (أختيرت) من غنائم كبيرة ،

وفى المخزن ،

وفى الباحات العظيمة ، قدم قرابينه ،

« إنليل » ، أوجد إمارة الراعى الكفء

(إمارة) الراعى القائد لكل من يتنفس ، (الملك) ،

خلقت أمارته ،

ووضعت التاج المقدس على رأسه ...

السما — هو أميرها ، الأرض هو عظيمها ،

« الآنونا كي » (١) — هو ربها المجيد .

عندما يقدر المصائر ، وهو في جلاله ،

لا يجرو إله على النظر إليه .

لوزيره المبجل فقط ، للحاجب « نوسكو » ،

قد كشف عن أمره الذى هو كلمة قلبه ، وبلغه به ،

وأناط به تنفيذ أوامره التى تشمل كل شئ .

لقد إئتمنه على القوانين المقدسة ، وعلى جميع الأحكام المقدسة .

لولا « إنليل » الجبل العظيم ،

لما شيدت مدن ، ولما أقيمت مواطن ،

ولما شيدت زرائب ، ولا أقيمت حظائر ،

ولما رفع ملك ، ولا ولد كاهن عظيم ،

ولما أختير كاهن الـ « ماخ » ، ولا كاهنة رفيعة القدر بفأل الشاه (٢) ،

ولما غدا للعمال موجه ولا مشرف ... ،

والأنهار ... ما جلبت مياه فيضاناتها الفيض ،

(١) اسم يطلق على مجموعة آلهة النماء بالمقابلة إلى مجموعة آلهة العالم الأسفل التى تعرف باسم « إيجي » (بلفظ الجيم كفا فارسية) ، على أننا نجد أحيانا عدداً من آلهة السماء يقطن العالم الأسفل أيضاً . (المترجم)

(٢) كان هذا الفأل يستند على ما يراه قارئ الفأل من علامات على كبد الضأن لها تفسيرات خاصة تبشر بالخير أو تنذر بالشر . (المترجم)

ولما وضع سمك البحر ، بيضه في أدغال القصب ،
ولما بنت طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة ،
وفي السماء ، لما جاءت الغيوم السائرة بمائها ،
ولولاه ما نمت النباتات والأعشاب ، مفتخرة السهل ،
ولما ازدهر القمح الوفير في الحقل والمرعى ،
ولما أثمرت الأشجار النابتة في غابة الجبل أثمارها . . .

أما الإله الثالث من مجموعة الآلهة السومرية الرئيسة فهو الإله « أنكى » ، الإله الموكل بمياه النهر ، أو كما يعبر عنها في اللغة السومرية ، الـ « آيزو » . وكان « أنكى » إله الحكمة المسؤول بالدرجة الأولى عن تنظيم الأرض وفقاً لقرارات الإله « أنليل » الذى لم يضع سوى الخطط العامة . أما التفاصيل العملية وتنفيذها فقد تركت إلى الإله « أنكى » الذى يتصف بالدهاء والبراعة والحكمة . ونحن نعرف الشيء الكثير عما كان يدور حول الإله « أنكى » من الأسطورة المعنوية « أنكى ونظام العالم : تنظيم الأرض ومقوماتها الحضارية » ، (أنظر الفصل الخامس) ، التى تمدنا بوصف مفصل لجهود « أنكى » الخلاقة في تنظيم الظواهر الطبيعية والحضارية اللازمة للمدنية . وتقدم لنا هذه الأسطورة توضيحاً حياً للأفكار السومرية الباطنية عن الطبيعة وأسرارها ، ولا نجد للسومريين فى أى مكان محاولة لتقصي أصول الظواهر الطبيعية أو الحضارية الأساسية ، لأن وجود كل شيء كان يعزى إلى جهود « أنكى » الخلاقة بمجرد قولهم بما يمكن إجماله عادة بعبارة « أنكى هو الذى صنعه » . وإذا ما ذكرنا أسلوب الخلق إجمالاً ، فإن ذلك يتكون من كلمة الإله وأمره ولا أكثر من ذلك .

وكانت الإلهة — الأم « نينخورساج » تعتبر الرابعة من بين الآلهة الخالقة ، وكانت تعرف باسم « نناخ » . أيضاً ، أى « السيدة الجيدة » . وربما كانت هذه الإلهة فى زمن مبكر تحتل منزلة أعظم ، حتى إن اسمها كان يتقدم على اسم « أنكى » حينما تذكر الآلهة الأربعة كلها لسبب أو آخر . ولعل اسمها كان فى الأصل « كى » أى

« الأرض (الأم) » ، وربما كانت تعتبر زوجة للإله « آن » أى « السماء » -
وعلى هذا فإن « آن » و « كي » كانا يقومان فى الذهن كوالدين لجميع الآلهة . وكانت
تعرف أيضاً باسم « ننتو » أى « السيدة التى أنجبت » . وكان يحلو للحكام السومريين
الأوائل أن يقولوا عن أنفسهم « إن نذخورساج تطعمهم باللبن على الدوام » ، وكانت
تعتبر أم جميع المخلوقات الحية ، والآلهة - الأم المبرزة . وتلعب فى إحدى أساطيرها
دوراً هاماً فى خلق الإنسان ، وفى أسطورة أخرى زارها تبدأ سلسلة من الولادات
الإلهية فى « دلون » ، فردوس الآلهة ، وهى فكرة تقودنا إلى موضوع
« الثمرة المحرمة » .

وكانت هناك ثلاثة آلهة سماوية إلى جانب تلك الآلهة الأربعة الرئيسة وهى :
الإله - القمر « نانا » ، الذى يعرف أيضاً باسم « سين » ، وكان على ما يرجح
من أصل سامى ، وابن « نانا » الإله - الشمس « أوتو »^(١) ، وابنة « نانا » الإلهة
« إينانا » ، التى عرفت عند الساميين باسم « عشتار » ، وربما كانت هذه الآلهة السبعة
« آن » و « أنليل » و « أنكى » و « نينخورساج » و « نانا - سين » و « أوتو »
و « إينانا » هى التى تؤلف مجموعة الآلهة السبعة التى كانت « تقدر المصائر » .
أما أسماء الخمسين إلهاً الذين كانوا يؤلفون « الآلهة العظام » فإنها لم تذكر على الإطلاق
ولكنها كانت على ما يبدو للآلهة التى عرفت باسم الـ « آنوناكى » ، أبناء « آن » ،
أو على الأقل لتلك الآلهة التى لم تحتجز فى العالم السفلى - ويعود بعض الآلهة
المتنوعة الواردة فى هذا الكتاب دون شك إلى الـ « آنوناكى » أو على الأقل إلى مجموعة
« الآلهة العظيمة » الخمسين . وكانت هناك أيضاً مجموعة من الآلهة عرفت باسم الـ
« إيجيجى » على أنها لا تلعب ، كما يبدو ، إلا دوراً ثانوياً نسبياً وذلك استنتاجاً من
حقيقة أنها نادراً ما ذكرت فى الآثار الأدبية الموجودة حالياً .

وبانتقالنا من الإله إلى الإنسان ، نجد أنه لم تسكن له مفكرين السومريين ، بمقتضى

(١) يعرف عند الساميين باسم « شمش » . (المترجم)

فكرتهم عن الكون ، ثقة كبيرة به وبمصيره ، فقد كانوا على قناعة تامة بأنه لم يكن سوى مخلوق من الطين ، خلق من أجل غرض واحد فقط : هو خدمة الآلهة عن طريق مداهم بالطعام والشراب والملجأ ليكون بوسعهم التفرغ التام لأعمالهم الإلهية . وكان الشك يثقل حياة الإنسان ويلزمه شبح الشعور بعدم الأمان وذلك بسبب جهله بالمصير الذي قدرته له الآلهة التي لا يمكن التنبؤ بأعمالها ، وإذا ما مات الإنسان ، تهبط روحه العاجزة إلى العالم السفلي المظلم الخيف الذي لم تكن الحياة فيه سوى انعكاس كئيب وبأس للحياة على الأرض .

إن المفكرين السومريين لم يقلقوا أنفسهم على الإطلاق بالمسألة الخلقية الأساسية التي تحتل عند الفلاسفة الغربيين مكانة رفيعة ، ألا وهي مشكلة الإرادة الحرة المرفهة والمبهمة في الواقع . فالسومريون الذين كانوا مقتنعين قناعة لاجدال فيها بأن الإنسان لم يخلق من قبل الآلهة إلا لمصلحتها وراحتها ، قبلوا بوضعهم الإتكالي تماماً كما قبلوا القرار الإلهي بأن الموت كان من نصيب الإنسان وأن الآلهة وحدها هي الخالدة . وكان السومريون يعزون كل الفضل في الصفات الروحية السامية والفضائل الخلقية التي طوروها تدريجياً وبمشقة كبيرة ، خلال قرون عديدة ، من تجاربهم الاجتماعية والحضارية إلى الآلهة : فهي التي خططت لذلك بهذا الأسلوب وما كان على الإنسان إلا أن يخضع للأوامر الإلهية .

وكان السومريون ، وفقاً لكتاباتهم الخاصة ، يعزّون بالخير والصدق ، بالقانون والنظام ، بالعدل والحرية ، بالاستقامة والأمانة ، بالرأفة والعطف ، وكانوا بطبيعة الحال يمتقنون تقائضها الشر والكذب ، عدم التقيد بالقانون والفوضى ، الظلم والاستبداد ، اقرار الذنب والضلال ، البطش وفقدان الشعور بالعطف . وكان الملوك والأمراء على الأخص يفخرون دائماً بأنهم وضعوا القانون وأسسوا النظام في البلاد ، وأنهم كانوا يحمون الضعيف من القوى ، والفقير من الغني ، وبالقضاء على الشر والعنف . فالملك « أوروكلجينا » مثلاً يسجل بفخر أنه أعاد العدل والحرية إلى مواطني « لجش » الذين ظلوا يعانون الظلم وقتاً طويلاً ، وتخلص من الموظفين

المتطفلين الذين كانوا يضطهدون الناس ، وأوقف الظلم والاستغلال وحمى الأرملة واليتيم . وأعلن « أور — نامو » مؤسس سلالة « أور » الثالثة ، بعد ذلك بأقل من أربعة قرون شريعته التي تذكر في مقدمتها بعض إنجازاته الخلقية : فقد أزال قسماً من الإساءات البيروقراطية السائدة ، ونظم الموازين والمقاييس لتحقيق الأمانة في السوق ، وأكد على حماية الأرملة واليتيم والفقير من سوء المعاملة والظلم . وأعلن « لبت — عشتار » ملك « إيسن » بعد قرنين تقريباً شريعة جديدة يفخر فيها بأنه أختب بصورة خاصة لـ « إمارة البلاد » من قبل الإلهين العظمين « آن » و « أنليل » من أجل تحقيق العدالة في البلاد ، والقضاء على الشكاوى ، ولدحر الأعداء والعصاة بقوة السلاح ، وتحقيق الرخاء للسومريين والأكديين . وتمتلىء ترانيل عدد كبير من الحكام السومريين بادعاءات مماثلة بالسلوك الأخلاقي والروحي الرفيع .

وطبعي أن الآلهة كانت تفضل أيضاً ، حسب رأى الحكماء السومريين كل ماهو أخلاق وروحي على ماهو عكس ذلك . وكانت جميع آلهة المجمع الإلهي السومري الرئيسة تقريباً تمجد على أنها محبة للخير والصدق والحقيقة والأمانة . وفي الواقع كان الإشراف على النظام الخاقي عملاً رئيساً لعدد من الآلهة ، ونذكر على سبيل المثال الإله — الشمس « أوتو »^(١) . ولعبت أيضاً إلهة أخرى ، وهي الإلهة اللجشية المسماة « نانشه » ، دوراً هاماً في مجال سلوك الإنسان الخاقي والروحي حتى أنها وصفت في إحدى ترانيلها بالآلهة التي :

تعرف اليتيم ، والتي تعرف الأرملة .

وتعرف ظلم الإنسان للإنسان ، إنها أم اليتيم .

« نانشه » ، التي تعني بالأرملة .

(١) كان اسم الإله — الشمس يرتبط دائماً بالشرائع والقوانين . ففي سسلة « حوراني » مثلاً نرى الملك يتسلم الشريعة من يد هذا الإله المترجع على عرشه ، وربما كان سبب ذلك يعود إلى نظرة العراقيين القدماء إلى القوانين ، فهي — حسب رأيهم — تنير الطريق للناس تماماً كما يفعل نور الشمس . (المترجم)

والتي تشد (؟) العدالة (؟) لأفقر (الناس) (؟) .

الملكة تأخذ اللاجئ إلى حجرها ،

وتجد ملجأ للضعيف .

وفي فقرة أخرى من هذه الترتيلة تصور « نانشه » كحاكمة للبشر في يوم رأس السنة الجديدة ، وإلى جانبها « نيدابا » ، إلهة الكتابة والحساب ، وزوجها « خايا » بالإضافة إلى العديد من الشهود . أما النماذج البشرية الشريرة التي يقع عليها غضب هذه الإلهة فهي :

(الناس) الذين وهم يمشون في الإثم تتطاول أيديهم ،

والذين يخالفون مبادئ السلوك الثابتة ، وينتهكون حرمة العقود ،

والذين كانوا ينظرون بعين الرضا إلى أما كن الشر .

والذين كانوا يستبدلون معياراً صغيراً بمعيار كبير^(١)

والذين كانوا يستبدلون مكيالاً صغيراً بمكيال كبير^(٢)

والذين بعد أن يأكلوا (ما ليس لهم) لا يقولون « إننا أكلناه » ،

والذين بعد أن يشربوا (من ماء غيرهم) لا يقولون « إننا شربناه » ،

والذين يقولون « سنأكل ما هو محرم »

والذين كانوا يقولون « سنشرب ما هو محرم » .

ويتضح تقيد الإلهة « نانشه » في الشؤون الاجتماعية بما عليه عليها الضمير بصورة أجلي في سطور تقرأ على الوجه التالي :

من أجل إراحة اليتيم ، ولمنع الظلم عن الأرملة

ومن أجل إقامة موضع دمار للقوى ،

(١) (٢) إشارة إلى الغش الذي كان يمارس في الموازين والمكاييل . (المترجم)

ومن أجل تسليم القوى للضعيف .

تستكشف « نانشه » قلوب الناس .

ولسوء الحظ ، على الرغم مما كان يفترض من أن الآلهة الرئيسة كانت تتمسك في سلوكها بالمثل الأخلاقية والروحية فإن الحقيقة تبقى بأنها هي التي وضعت وفقاً لنظرة السومريين إلى الكون ، خطط الشر والكذب والعنف والأس — تباداد — وباختصار جميع أنماط السلوك البشري الفاسدة وغير الأخلاقية وذلك أثناء عملية خلق مقومات المدنية ، وعلى هذا لا توجد مثلاً بين أسماء الـ « ميات » ، وهي القواعد والنظم التي أبتدعها الآلهة ليسير الكون بانتظام وفعالية ، القواعد التي لاتقن « الحقيقة » و « السلام » و « الخير » و « العدالة » فحسب ، بل توجد أيضاً تلك التي تتحكم بالـ « لكذب » و « الصراع » و « البكاء » و « الخوف » . ورب سائل يسأل : لم اذن وجدت الآلهة أن من الضروري أن تخطط وتخلق الأثم والشر والمعاناة وسوء الحظ التي كانت على درجة من الإفساد بحيث أن أحد السومريين المتشائمين وصل إلى حد القول « لم يولد لأمه أبداً طفل بلا خطيئة » ؟ إن الحكماء السومريين كانوا ، استنتاجاً من مصادرنا المتيسرة ، على استعداد ، إذا ما سألوا هذا السؤال على الإطلاق ، للاعتراف بجهلهم في هذه الناحية ، لأن إرادة الآلهة ودوافعها كانت في بعض الأحيان مبهمه . وكان الطريق الصحيح لسلوك أي « أيوب » سومري (أي لأي معذب سومري) ، هو ألا يناقش ولا يشكو أمام ما يبدو بأنه سوء حظ لا مبرر له . بل كان عليه أن يتوسل ويبكي وينوح ويعترف بقصوره وبذنوبه التي لا مناص منها ،

ولكن هل كانت الآلهة تستجيب له ، وهو إنسان وحيد وبشر زائل لا أثر له في البكون ، حتى لو تضرع بصلاة صادرة من القلب ؟ لعل المعلمين السومريين يجيبون عن هذا السؤال بالنفي ، لأن الآلهة كانت على ما كانوا يعتقدون ، تشبه الحكام من البشر ، وكانت مشغولة دون ريب بأعمال أكثر أهمية ، وعلى هذا كان لا بد للإنسان من وسيط للتدخل من أجله كما هو الحال بالنسبة للتعامل مع الملوك ، وسيط تكون

الآلهة راغبة بالسماع إليه ومستعدة لمحاباته . وكنتيجة لذلك ابتكر المفكرون السومريون وطوروا فكرة وجود إله شخصي ، يشبه إلى حد ما الملاك الطيب لكل شخصية مهمة ورب أسرة ، ويكون كما لو كان والده الإلهي الذي أنجبه . وكان المعذب يكشف لإلهه الشخصي عما في قلبه بالصلاة والدعاء وكان يجد الخلاص عن طريقته .

نحن نعرف كل هذا من مقالة شعرية جمعت أجزاؤها حديثاً تتعلق بموضوع معاناة الإنسان وخضوعه ، وهو موضوع أشتهر في الأدب العالمي والفكر الديني بتأثير سفر «أيوب» في التوراة . إن هذه القصيدة السومرية لا تقارن بأي وجه من الوجوه بقصة «أيوب» من حيث سعة المدى وعمق الفهم أو جمال التعبير . ولكن أهميتها الأولى تكمن في حقيقة أنها تمثل أول محاولة مدونة للإنسان في معالجة مشكلة عذاب البشر القديمة ، التي مازالت مع ذلك تعلق الإنسان في عصرنا هذا — فالقصيدة السومرية أقدم بأكثر من ألف عام من تأريخ تأليف سفر «أيوب» .

إن فرضية شاعرنا الرئيسة هي أنه ليس للضحية في حالات العذاب والحنّة ، مهما تراءى له من عدم وجود مبرر لها ، سوى سبيل صحيح واحد ، ذلك هو أن يعبد إلهه دوماً ويواصل البكاء في حضرته حتى يبدأ بالإصغاء إلى دعواته بشيء من العطف . وكان الإله المعنى بذلك هو إله المعذب الشخصي ، أي الإله الذي كان ممثلاً للفرد وشفيعاً له في مجمع الآلهة وفقاً للعقيدة السومرية السائدة ، ولكي يدلّل مؤلفنا على قصده لا يعتمد على التأمل الفلسفي وإنما يعتمد على الممارسة العملية ، فيعرض حالة خاصة وهي حالة : رجل ، لم يذكر اسمه في الواقع ، كان غنياً وحكيماً وعادلاً ، أو أنه كان يبدو على الأقل هكذا ، وكان منعماً عليه بنعمة الأصدقاء وذوى القربى . وفي يوم من الأيام حل به السقم والعذاب . فهل ازدري بالقضاء الإلهي وكفر بالإله ؟ إنه لم يفعل هذا مطلقاً بل توجه إلى الإله خاشعاً باكياً وبالدموع وكشف عن مكثون قلبه بالصلاة والتضرع ، وسر إلهه نتيجة لذلك سروراً عظيماً وأخذته الشفقة به واستجاب لصلاته وخلصه من البلية وأحال عذابه إلى بهجة وسرور .

ويمكن مبدئياً تقسيم القصيدة من ناحية تركيبها إلى أربعة أقسام . فأولاً
تأتى نصيحة موجهة للإنسان على شكل مقدمة مختصرة ، تقرأ أسطرها الخمسة الأولى
على الوجه التالى :

لينطق الإنسان بتمجيد ربه على الدوام ،
وليسبح الشاب بكلمات ربه ببراءة ،
ودع ذلك الذى يسكن الأرض الآمنة ينتحب ،
وفى بيت الفناء (؟) دعه يواسى (؟) صديقه ورفيقه ،
ودعه يهدى قلبه .

ثم يقدم لنا الشاعر ذلك الفرد المجهول الاسم الذى نجده بعد أن حل به المرض
والبلاء يخاطب ربه باكياً ومصلياً ، ويعقب التماس ذلك المعذب الذى يؤلف الجزء
الأكبر من القصيدة ، إذ يبدأ هذا القسم بوصف ما لاقاه من معاملة سيئة على ما يبدو
من أصحابه — الصديق منهم والعدو على السواء — وتستمر القصيدة فى ندب
المعذب حظه السيء ، ويتضمن هذا التماساً فى عبارة بليغة من ذوى قرباه ومن المغنين
المحترفين لمشاركته فى البكاء والتضرع ويختتم باعترافه بالذنب والتماسه الفرج
والخلاص :

إننى رجل ، مدرك فطن ، ومع ذلك لا يفلح من يحترمنى ،
لقد حولت كلمتى الصادقة إلى أكذوبة ،
وغطأتى الرجل المخاتل بـ « الريح الجنوبية » ، لأننى مكروه على خدمته ،
إن من لا يحترمنى قد أخجلنى أمامك .
لقد تصدقت على بعماء يتجدد على الدوام ،
ودخلت البيت ، وروحي مثقلة بالحزن .

أنا الرجل ، خرجت إلى الطرقات ، والقلب معذب ،
لقد غضب علىّ الشجاع ، راعىّ العادل ، ونظرة إلىّ نظرة العداء ،
الراعى الموكل بى أرسل قوى الشر علىّ ، أنا الذى لست عدوه ،
إن صاحبي لا يقول لى كلمة صدق ،
وصديق يقابل كلمتى الصادقة بكلمة كاذبة ،
لقد تأمر علىّ الرجل المخادع ،
وأنت يا إلهى ، لا تحبط عمله .

(لقد حذفت ثلاثة سطور) .

أنا الحكيم ، لم أقيد مع الأحداث الجهلة ؟
أنا الذكى ، لم أعد مع الجهال ؟
الطعام وفير فى كل مكان ، ولكن طعامى الجوع ،
فى اليوم الذى قسمت فيه الأنصبة على جميع الناس ، كانت الحصّة
المخصّصة لى العناء .

(لقد حذفت عشرة أسطر) .

يا إلهى [أريد أن أفهم] فى حضرتك ،
أريد أن أتكلّم إليك ،،،،، إن كلمتى أنين ،
أريد أن أتكلّم بشأنه ، وأريد أن أبكى على مرارة سبيلى ،
[أريد أن أتوح على [ارتباكك الـ]

(لقد حذفت ثلاثة أسطر) .

يا إلهى ، لا تدع أسمى التى ولدتنى تنقطع عن النواح من أجل بين يديك ،
ولا تدع أختى تردد الأغنية والأنشودة السعيدتين ،

ولتنطق بأكية بين يديك .
ولنعبر زوجتي بحزن عن عذابي ،
وليندب المغنى البارع مصيرى التعس .
يا إلهى ، إن النهار ليسع مشرقاً على البلاد ، أما بالنسبة لى فالنهار مظلم ،
إن النهار المشرق ، النهار الزاهر قد .. مثل .. ،
إن الدموع والنواح والجزع والخوف قد غرزت بداخلى ،
ويفهرنى العذاب كأننى أمرؤ ما أختير إلا للدموع ،
يقبض على الحظ المشؤوم بقيضته ، ويسلبنى نفس حياتى ،
المرض الخبيث يفهر جسمى .
(لقد حذفت حوالى ٢٢ سطرًا)
يا إلهى ، يا من أنت أبى الذى أنجبنى ، أرفع وجهى ،
كبقرة بريئة ، بشفقة .. الأنين ؟
إلى متى ستهملنى وتتركنى بدون حماية ؟
كثور ... ،
ستتركنى بلا هداية ؟
إنهم يقولون — أى الحكماء البارعون — كلمة صدق وحق :
« لم يولد لأم طفل بلا خطيئة قط ،
... وما وجد طفل بلا خطيئة منذ القدم » .
(حذفت ١٤ سطرًا)
نكتفى بهذا القدر من صلوات الرجل وتضرعه وتأتى « النهاية السعيدة »
على الوجه التالى :

[ذلك الرجل] — قد استمع [إلهه إلى دموعه ونحيبه المرير] ،
 [ذلك الشاب] قد لطف بكاؤه ونحيبه قلب إلهه ،
 والكلمات الحقّة ، الكلمات الطاهرة التي تفوه بها ، قد تقبلها منه إلهه ،
 الكلمات التي أعترف بها الشاب في صلاته ،
 أرضت (؟) ، ، ولحم (؟) إلهه ، وسحب آلهه يده من كلمة الشر . .
 التي تحزن القلب . . واحتضن
 وطرد شيطان المرض المحدث به ، والذي بسط عليه جناحيه ،
 والـ (مرض) الذي أصابه مثل . . قد بدده ،
 والمصير المشؤوم الذي قدر له بموجب أمره (أى أمر الإله) قد أزاله ،
 وبديل معاناة الرجل (؟) إلى فرح ،
 ووضع إلى جانبه الملاك الرحيم . . . كحارس ورقيب ،
 وزوده . . . بجنى ذى طلعة بهيمة ،
 (وهكذا) يسبح [الرجل] بتمجيد إلهه على الدوام ،
 ويجلب [الشاب] بـ . . . ، ويعلن عن . . . ،

ولكن سواء أكان هناك ملاك حارس أم لم يكن ، فإن الحقيقة هي أن ذلك
 الرجل قد توفي عاجلاً أو آجلاً ، وبقدر ما كان يرى السومريون أصحاب النظرة
 القاطعة الذين يتميزون بالواقعية ، فإنه ذهب إلى العالم السفلى بلا عودة . ولا حاجة بنا
 لاقول إن هذا الأمر ، أى الموت ، كان مصدر قلق وحيرة ، فقد كانت الألغاز
 والمتناقضات والمعضلات تكتنف الموت والعالم السفلى ، ولا عجب إذا لم تكن
 الأفكار السومرية التي تتعلق بهذه المشكلة دقيقة أو ثابتة — كما سنرى من التحليل
 التالى للمادة التي تتصل بهذا الموضوع .

لقد كانت المقابر الملكية ذات المدافن المتعددة ، التي كُشف عنها في مدينة «أور»
« السير ليونارد وولي » بعناية ومهارة فائقة ، من وجهة نظر السلوك الحضارى
السومرى ذات مغزى كبير الأهمية ، لأنها تشير بدرجة معقولة من اليقين إلى أن حكام
بلاد سومر الأوائل كانوا لا يصطحبون عادة إلى القبر بطائفة من أئمن مقتنياتهم
الشخصية فحسب ، وإنما كانوا يصطحبون بحاشية بشرية كبيرة أيضاً . ولسنا بحاجة
للقول إن قارئ الخط المسمارى ، وعلى الأخص المتخصصون منهم باللغة السومرية ، بدأوا
بعد هذا الاكتشاف المذهل مباشرة بالبحث فى الوثائق من أجل العثور على أى تأكيد
مدون لهذا رأى ، ولكنهم لم يحققوا نجاحاً فيما كانوا يأملون الحصول عليه . أضف
إلى ذلك أن عدداً كبيراً من الأساطير والقصص الملحمية والتراتيل والمراثيات
والنصوص التاريخية السومرية قد تيسرت للباحثين خلال العشرين سنة الماضية ،
يبدو أنه كان من المعقول أن يؤمل بأن أحد هذه المصادر قد يلقي ضوءاً على
تقاليد الدفن السومرية المتصلة بالمقابر الملكية . ولكن هذا الأمل لم يتحقق أيضاً ،
ولم يصل الباحثون إلى أية نتيجة ذات أهمية ، وهو أمر لا يدعو إلى استغراب كبير
فى ضوء حقيقة أن تأريخ المقابر الملكية يعود إلى سنة ٢٥٠٠ ق . م . تقريباً ، على
حين أن معظم وثائقنا الأدبية المتيسرة ألفت لأول مرة على ما يرجح سنة ٢٠٠٠
ق . م . تقريباً .

وأما بالنسبة للوقت الحاضر ، فإن الوثيقة الأدبية السومرية الوحيدة التى يبدو
أنها تؤيد الدليل الأثرى الذى يشير إلى اصطحاب الحكام القدامى إلى مقابرهم بحاشية
بشرية عبارة عن لوح صغير فى متحف الجامعة فى جامعة بنسلفانيا جونت عليه الإثنان
والأربعون سطرأً الأخيرة من قصة ملحمية من قصص « جلجامش » ، وهى على
ما يرجح القصة التى وضعت مبدئياً تحت عنوان « موت جلجامش » التى لا تيسر منها
فى الوقت الحاضر سوى بقايا أصابها التلف . إن هذه القصة تخبرنا بتعابير شعرية على
أن « جلجامش » قدم هدايا ونذوراً إلى آلهة العالم السفلى المختلفة وإلى المميين من
الأموات القاطنين هناك من أجل جميع الذين « يهجعون معه » فى « قصره النقى »

في مدينة «الوركاء» وهم : زوجته وأبنة ومحضيته والموسيقى ومن يقوم بدور التسليّة ، ورئيس خدمه ، والقائمون بشؤون بيته . ومن المعقول أن يفترض أن الشاعر صور هذه الهدايا وكأنها قدمت من قبل «جلجامش» بعد أن توفي هو وحاشيته ونزلوا إلى العالم السفلي .

فإذا تبين أن هذا التفسير صحيح فإنه سيكون لدينا تأييد أدبي آخر لنموذج الدفن المتعدد في المقابر الملكية التي كشف عنها «وولي» — وخاصة عندما كان «جلجامش» كما نعرف الآن من نص «التومال» (الذي ورد ذكره في الفصل الثاني) معاصراً للملك «ميس آنتشاداً» (ملك أور) وعلى هذا يرجع تقريباً إلى الفترة التي تمثلها تلك المقابر .

ومن الوثائق الأخرى التي تلقى ضوءاً كبيراً على الممارسات الجنائزية التي تتصل بالموتى من أفراد الأسرة الملكية اللوح الذي يحتوى على ستة حقول من الكتابة في متحف الجامعة والذي كتبت عليه قطعة فريدة للملك «أور — نامو» تعود إلى ضرب أدبي لم يصنف حتى الآن ، وربما كان الحقل الأول، المكسور كاه ، يحتوى على وصف شعري لإنجازات «أور — نامو» البارزة في الحرب والسلم والحوادث المؤسفة التي أدت إلى وفاته . ويبدو أن النص التفسير الذي يبدأ بالحقل الثاني ، يسرد كيف أن «أور — نامو» الذي ترك في ميدان المعركة كأنه إناء مهشم «كان يرقد في نعشه في قصره ، وكان يدب عاياه (على ما يرجح) أقرباؤه وشعب «أور» . ثم تجده بعد ذلك في العالم السفلي كما في حالة «جلجامش» — يقدم الهدايا إلى «آلهته السبعة» ، ويذبح الثيران والأغنام للهامين من الأموات ، ويقدم أسلحة وأكياساً جلدية وآنية وأكسية وأدوات زينة وحلياً وأدوات شخصية أخرى إلى «نيرجال» و«جلجامش» «أيريشكيجال» (؟) و«دوموز» و«نامتار» و«حويشاج» و«نيمجيشيد» ، كل في قصره الخاص ، وقدم هدايا أيضاً إلى «ديميكوج» وإلى «كتاب العالم السفلي» . أما كيف وصل «أور — نامو» إلى العالم السفلي ومعه كل هذه الهدايا الثمينة والقرايين فهو أمر لم يبينه شاعرنا ما لم سينظر بأن «العربات» التي أشير إليها في

السطور النامضة من النص التي وردت قبل « فقرة العالم السفلى » مباشرة قد أُسْتُفِيدَ منها لهذا الغرض . وعلى أية حال فقد وصل « أور — نامو » أخيراً إلى البقعة التي (ربما) خصصتها له كهنة العالم السفلى . وهنا سلم إليه عدد من الأموات ليكونوا على ما يحتمل خدماً له ، ثم شرح له « جليجامش » ، أخوه الحبيب ، قوانين العالم السفلى وقواعده .

ولكن ، كما تستمر قصيدتنا « بعد أن مرت سبعة أيام ، عشرة أيام » (١) سمع « أور — نامو » عويل بلاد سومر ، وملأت عينيه بالدموع أسوار « أور » التي تركها ناقصة وقصره المشيد حديثاً الذي تركه بلا تطهير (؟) ، وزوجته التي لم يعد باستطاعته وضعها على حجره ، وابنه الذي لم يعد باستطاعته مداعبته (؟) على ركبتيه - أجل هؤلاء جميعهم ملأوا عينيه بالدموع ، فأقام مناحة طويلة ومريرة . ويبدو أن السبب وراء عويله هو أن الآلهة لم تقف إلى جنبه عند المحنة على الرغم من الخدمات الحسنة التي قدمها لها ، فهو الآن ميت وترك زوجته وأصدقاءه ومؤيديه غارقين بالدموع والنحيب . إن خاتمة القطعة غير معروفة في الوقت الحاضر لأن التلف أصاب الحقل الأخير بكامله .

إن من الصعب - وكما يمكن رؤية ذلك من ملخص محتوياتها الأولى الذي أوردناه آنفاً - تحديد الضرب الأدبي الذي تنتمي إليه القصيدة ، فهي قد تكون نوعاً من أنواع التأليف التاريخي الذي يشبه من بعض الوجوه القطعة المعنونة « لعنة أكد » (أنظر الفصل الثاني) ، يقدم فيه شاعر سومري متنفساً لمشاعره التي نجمت عن الحالة الحزينة التي وصلت إليها بلاد سومر بعد وفاة « أور — نامو » مباشرة . على أن وثيقة « أور — نامو » تلتقي على أية حال ضوءاً كبيراً على حياة الأموات في العالم السفلى كما صورها الحكماء السومريون ، فنجد مرة أخرى الآلهة التي كان يجب استرضائها

(١) ترجمة حرفية لعبارة ، وردت في النص تشير إلى قصر المدة التي كانت تتراوح بين سبعة وعشرة أيام . (المترجم)

كما كان يجب استرضاء المهمين من الكهنة الأموات . وكان للميت الواصل حديثاً مكان خاص به . وكان يعلم قوانين العالم السفلى إذا كان ملكاً على الأقل . وكان بإمكان المتوفى ، على الرغم من الموت ، أن يكون بطريقة لم توضح على صلة ودية مع العالم العلوى ، (عالم الأحياء) ، كما كان من الجائز أن يقاسى من الألم والإذلال ، وكان بإمكانه أن يشجب بشدة الآلهة التى لا يمكن الإعتماد عليها غير أنه لم يزد ذكر ، لأى حاشية بشرية دخلت العالم السفلى برفقة الملك خلافاً لقصيدة « موت جاجامش » ، وفى الواقع إن الزوجة والأبناء قد وصفوا فى اللوح وكأنهم يعيشون فى العالم العلوى (عالم الأحياء) . ولذلك يبدو أن من الصحيح الاستنتاج بأنه لم يعد من المألوف حوالى عهد « أور - نامو » على الأقل أن يصطحب الملك إلى القبر أى فرد من أفراد أسرته أو حاشيته .

وبانتقالنا من الملوك إلى أفراد من عامة البشر الفانى فإننا سنقف على عدد لا بأس به من التفاصيل غير المعروفة حتى الآن عن العالم السفلى السومرى من ترينتين جنازتين دوتنا على لوح فى متحف « بوشكين » (فى موسكو) . فنحن نقرأ على هذا اللوح لأول مرة بأن المفكرين السومريين كانوا يعتقدون أن الشمس تواصل رحلتها بعد الغيب خلال العالم السفلى فى الليل فتجلى الليل فيه إلى نهار ، وأن القمر كان يقضى « يوم راحته » ، أى اليوم الأخير من كل شهر فى العالم السفلى . ونعرف أيضاً أن الإله - الشمس « أوتو » كان يقاضى الموتى ، وأن الإله - القمر كان « يقدر مصير » المتوفى أيضاً . وكان يوجد فى العالم السفلى ، وفقاً لما ورد فى هذا اللوح « الأبطال آكلو الخبز » (؟) و « شاربو ال . . . » الذين كانوا يطفئون ظمأ الميت بالماء العذب . ونعرف أيضاً أنه كان من الممكن التوجه إلى آلهة العالم السفلى وإقامة الصلوات من أجل الميت ، وأن الرحمة تطلب من إله الشخصى وإله مدينته ، كما نعرف كذلك أن رخاء أسرة المتوفى لا يهمل أبداً فى الأدعية الجنائزية .

إن الوثيقة السومرية التى تمدنا بأكثر المعلومات تفصيلاً عن العالم السفلى والحياة

الجارية داخل أسواره هي قصيدة « جلعامش وأنكيدو والعالم السفلى » . فقد كانت توجد بمقتضى ما ورد في هذه القصيدة التي تصف العالم السفلى بالتعبير اللطيف « السكن العظيم » ، فتحة في مدينة « الوركاء » تقود إلى عالم الاموات ، وكان من الممكن أن تسقط من خلالها بعض الأدوات الخشبية مثل الـ « بوكو » والـ « ميكو »^(١) وكان بإمكان المرء أن يدخل فيها يده أو قدمه . وكانت توجد أيضاً بوابة في مدينة « الوركاء » يستطيع الفرد الجلوس أمامها ، وكان من الجائز أن يهبط خلالها بشر فان — على الأقل إذا كان بطلاً مثل « أنكيدو » — على الرغم من أن الوثيقة لم توضح الطريقة التي كان يتم بها هذا النزول . بيد أنه كانت هناك أمور معينة محظورة يجب ، إستناداً إلى مؤلف القصيدة ، على كل امرئ يريد النزول إلى العالم الأسفل أن يتجنب القيام بها وهي : أن عليه ألا يرتدى ملابس نظيفة ، ولا يدهن جسمه بزيت « جيد » ولا يحمل سلاحاً أو عصاً ، ولا يضع على قدميه خفاً ولا يسبب ضحيجاً ولا يسلك سلوكاً عادياً مع أفراد أسرته . فإذا قام بأى من هذه المحرمات فإنه سيحاط من قبل « الموكلين بالخدمات » ومن قبل الأرواح التي تستوطن المناطق السفلى وسيمسك به « غضب العالم الأسفل » بشدة . فإذا ما أمسك به هذا الغضب بشدة فإنه سيستحيل عليه الصعود إلى الأرض ما لم يتدخل أحد الآلهة لإتقاذه . وفي حالة « أنكيدو » كان الإله « أنكى » هو الذى هب لنجدة ، عندما جعل الإله « أوتو » يفتح « أبلال »^(٢) العالم السفلى وصعد « أنكيدو » إلى الأرض « بلحمه » (أى كما هو) على ما يبدو ولم يكن شبحاً^(٣) . وقد أعقب ذلك ، وفقاً للقصيدة ، حديث

(١) ربما كان يقصد بالـ « بوكو » الطبل وبالـ « ميكو » مضرب الطبل . وهناك أسطورة تقول إن الإلهة « اينانا » صنعت من شجرة هاتين الآتين وقدمتهما هدية لـ « جلعامش » ولكل منهما سقطاً منه في العالم السفلى ، وسياًنى ذكر هذه الاسطورة فيما بعد . (المترجم)

(٢) كلمة سومرية تعنى أبواب . (المترجم)

(٣) كان السومريون يعتقدون بوجود الأشباح التي كانت في الواقع أرواح الموتى التي لم تدخل العالم الأسفل لسبب أو آخر أو أنها خرجت منه بعد نزول الميت إليه . (المترجم)

محزن بين « جليجامش » و « أنسكيدو » يفهم منه أن الأخير وصف حالة الموتى ،
أو بالأحرى حالة بضعة نماذج مفتخبة منهم .

وبإتقنا من البشر الفانى ، العادى منهم والمهم ، إلى الآلهة الخالدة ، نجد أن
العالم السفلى كان آخر مكان تتطالع إليه الآلهة لقضاء حياتها « التى لا تفى » فيه .
على أننا نجد هناك على الرغم من ذلك عدداً لا بأس به من الآلهة ، وعلى حين أن
بعضها يبدو كما لو كان ينتمى إلى العالم السفلى ، فإن الأخرى كانت فى الأصل آلهة
سماوية حكم عليها بعقوبة النزول إلى العالم السفلى قبل مؤلفى « الميثولوجيا » السومريين
كنتيجة تخمين أو اختلاق لاهوتيين . بيد أنه لم يكتشف حتى هذا التاريخ إلا عدد
ضئيل من الأساطير التى تتعلق بهذا الموضوع ، وباستثناء واحدة منها ، فإن جميعها
تتصل بالآلهة « إينانا » وزوجها السىء الخط « دوموزى » . وهذا الاستثناء الوحيد
هو أسطورة « أنليل وننليل : ولادة الإله - القمر » التى تخبرنا كيف نفى « أنليل »
نفسه - وهو أقوى الآلهة السومرية وزعيم مجمع الآلهة السومرى ، إلى العالم السفلى
وكيف لحقت به إلى هناك زوجته « ننليل » . وهذه الأسطورة هامة أيضاً لكونها
المصدر الوحيد بالنسبة للاعتقاد السومرى القائل بوجود نهر « يتلع الإنسان » وكان
على الموتى أن يعبروه إلى جانب ملاح سفينة كان ينقل الأموات إلى مصيرهم ،
وهو اعتقاد كان سائداً فى جميع أرجاء الشرق الأدنى القديم وعالم البحر
المتوسط .

ومن الأساطير التى تكشف بوضوح عن أمور كثيرة تتصل بالعالم السفلى هي
أسطورة (نزول « إينانا » إلى العالم السفلى) التى أصبحت فى الوقت الحاضر بين
أيدي الباحثين بكاملها تقريباً . لقد كان العالم السفلى ، وفقاً لما ورد فى هذه القصيدة ،
مكاناً ينزل إليه المرء ويصعد منه من خلال فتحة أو بوابة على مايفترض تقع فى مدينة
« الوركاء » ، على الرغم من أن هذا الموضوع لم يذكر بوضوح فى أى مكان . ويوجد
فى العالم السفلى مكان وصف بـ « جبل اللازورد » يقوم على حراسة بواباته المقفلة
والمثبتة بالأرتجة حجاب تحت رقابة رئيسهم « نيتى » .

ويحكم العالم السفلى بقواعد وقوانين إلهية ، يبدو أن أهم قاعدة بينها هي التي توجب على ساكنيه بأن يكونوا عراة . وقاعدة أخرى — وهي التي برهنت على أنها كانت مميتة للإله « دموزى » — تقضى بأنه ليس بمقدور أحد إذا ما دخل العالم الأسفل الصعود مرة أخرى إلى العالم العلوى حتى إذا كان إله ما لم يحل محله بديل عنه وعلى هذا مثلاً ، كان لابد من التأكد بأن « إيفانا » ، التي أعيدت إلى الحياة بجهود إله « أنكى » البارعة ، ستقدم بديلاً مناسباً عنها ليحل محلها حتى أن الـ « جالا »^(١) السبعة لم يتركوها حتى سلمت « دوموزى » .

ومن جملة ما مر بنا ، نجد لذلك أن الصورة السومرية للموت وللعالم السفلى كانت بالأحرى غير واضحة ومتناقضة . فكان يعتد بصورة عامة بأنه عبارة عن فضاء كوني هائل تحت الأرض متناظر تقريباً مع السماء ، الفضاء الكوني الهائل فوق الأرض . وكان الأموات أو على الأقل أرواحهم ، تنزل إليه على ما يفترض من القبر . على أنه كانت هناك أيضاً كما يبدو فتحات وأبواب خاصة في مدينة « الوركاء » كما كانت أيضاً موجودة بلا شك في جميع مراكز المدن المهمة . وكان يوجد نهر لا بد للأموات من عبوره بمعبور ، إلا أن الأساطير المتيسرة لدينا لا تنص على موقعه بالنسبة للأرض أو العالم السفلى ، وكان العالم السفلى يحكم من قبل الإلهة « إيرشكيجال » والإله « نرجال » ، اللذين كانت لهما حاشية خاصة من الآلهة تشمل سبعة من الـ « آنوناكى » (آلهة السماء) وعددًا كبيراً من آلهة السماء السيء الحظ إلى جانب عدد من الموظفين الذين يشبهون الشرطة ، يعرف كل منهم باسم « جالا » . وكان جميع هؤلاء باستثناء الـ « جالا » ، بحاجة على ما يبدو للطعام والكساء والأسلحة والآنية ذات الأصناف المتنوعة والحلى .. ، تماماً كالآلهة في السماء أو البشر على الأرض . وكان يوجد قصر بسمع بوابات حيث كانت « إيرشكيجال » تقيم محكمتها ولكفنا لا نعرف أين كان من المفروض موقعه بالضبط .

(١) الـ « جالا » بلفظ الجيم كافتافارسية ، هم (شرطة) العالم الأسفل . (المترجم)

ونظم الأموات على ما يبدو على شكل أسرة ، كالأحياء . وكانت أما كن الصدارة مخصصة بلا شك للموتى من الملوك ومن الكهنة ذوى الرتب العالية الذين كان يجب العناية بهم بتقديم قرايين خاصة لها من قبل موتى آخرين مثل « جلامش » و « أور — نامو » . وكانت للعالم السفلى قوانينه وأحكامه المتنوعة ، وكان على « جلامش » المؤله التأكد من تصرف سكان العالم السفلى تصرفاً يتفق مع تلك الأحكام . وعلى الرغم من شعور الإنسان بصورة عامة بأن العالم السفلى كان مظلماً وموحشاً ، فإن هذا كان يبدو صحيحاً بالنسبة للنهار فقط ، أما أثناء الليل فقد كانت الشمس تجلب النور إليه . وكان القمر يرافق الشمس فى اليوم الثامن والعشرين من الشهر . ولم يعادل الأموات جميعهم معاملة واحدة ، فقد كان للميت حساب يقوم به الإله — الشمس « أوتو » ، وإلى حد ما الإله — القمر « نانا » ، فإذا كانت نتيجة المقاضاة لصالحه فن المفروض عندئذ أن تعيش روحه بسعادة ورضا وتحصل على كل ما ترغب فيه ، على أن الدلائل تشير إلى أنه لم يكن للسومريين سوى ثقة ضئيلة فى أمل الحصول على حياة سعيدة فى العالم السفلى ، حتى بالنسبة لمن كان منهم صالحاً ومستحقاً . وكان السومريون مقتنعين بصورة عامة بأن الحياة فى العالم السفلى لم تكن إلا انعكاساً كثيباً وبائساً للحياة على الأرض .

وفى الوقت الذى كان فيه الورع الخاص والتقوى الشخصية مهمين ، فقد كانت الشعائر والطقوس هى التى تلعب بمقتضى نظرة السومريين إلى الكون ، الدور البارز فى دياتهم . ولما كان الإنسان لم يخلق لغير خدمة الآلهة ، فقد كان واجبه الأكبر كما هو واضح ، أنجاز هذه الخدمة وتحسينها بأسلوب يسر أسياده ويرضيهم . وإذا ما تساءلنا لماذا أنقذ « زيوسودرا » ^(١) من دمار الطوفان ، فإن الجواب عن ذلك هو لأنه كان ينجز بتواضع وتقوى شعائره الدينية اليومية للآلهة . ولم يكلّ حكام سوه من ترديد القول بأنهم أنجزوا واجباتهم الدينية وفقاً للقوانين والأحكام المقررة .

(١) بطل الطوفان (يقابل نوح) عند السومريين وقد أنعمت عليه الآلهة بالخلود . (المراجع)

وكان المعبد بالطبع مركز العبادة . وقد أكتشف واحد من أقدم المعابد في « أريدو » ، المدينة التي كان « أنكي » ، إلهها الحامي في الازمان المتأخرة على الأقل . وعلى الرغم من أنه كان مزاراً بسيط الشكل ولا تريد أبعاده على ١١ × ١٥ قدماً ، فإنه كان يحتوى منذ البداية على عنصرين بقيا من خصائص المعبد السومري خلال الألوف من السنين ، وهما : محراب في الجدار يوضع فيه شعار الآلهة أو تمثاله ، ومنضدة للندور (مذبح) تشيد بالآجر الطيني المجفف أمام المحراب . ووسع مزار « أريدو » هذا وحسن خلال عدد من الإصلاحات المتأخرة حتى أصبح في وسطه محل مقدس للعبادة يحيط به عدد من الغرف الإضافية . وكان المحراب الذي تواجهه منضدة الندور ، يوضع على أحد الضلعين القصيرين ، أما الجدران المشيدة بالآجر الطيني الباهت اللون فكانت ترين بدخلات وطاعات تتعاقب على أبعاد منتظمة ، وكان البناء كله مشيداً على منصة (أو دكة كبيرة) يصعد إليها بواسطة مجموعة من السلالم تؤدي إلى مدخل المعبد الذي يقع في الضلع الطويل من البناء .

ويوجد في « الوركاء » الواقعة إلى الشمال من « أريدو » معبد كان على ما يرجح مكرساً للآله « آن » ويعود تأريخه إلى سنة ٣٠٠٠ ق . م . تقريباً وشيد بصورة عامة وفقاً لنفس مخطط معبد « أريدو » ، ما عدا الاستعاضة عن المنصة بتل اصطناعي يبلغ ارتفاعه حوالي أربعين قدماً فوق سطح السهل ، وتؤدي سلالم بنيت على واجهته الشمالية الشرقية إلى قته حيث كان يقف مزار صغير مطلي باللون الأبيض . واكتشف معبد مشابه لذلك في تل « العقير »^(٢) ، وعلى الرغم من أن المنصة التي شيد فوقها كانت على ارتفاع خمس عشرة قدماً فقط ، فإنها كانت ذات طبقتين ، وعلى هذا يمكن أن تعتبر النموذج الأول للزقورة ، البرج المدرج الذي أصبح العلامة الفارقة لعبارة المعبد العراقي والذي كان يراد به أن يكون حلقة وصل ، حقيقية ورمزية ، بين الآلهة في السماء وبين البشر على الأرض . ومعبد العقير جدير بالملاحظة بسبب ما ظهر فيه من ابتكار معماري آخر ،

(٢) يقع تل « العقير » على مسافة ٨٠ كم إلى الجنوب من مدينة بغداد . (المترجم)

إبتكار لم يتبع كما يبدو في المعابد السومرية الأخرى ، وهو : أن جدرانه الداخلية كانت مزينة بزخارف جصية ملونة ، (فريسكو) . وكانت الزخرفة تنتظم على الشكل التالى :
أولاً يأتى نطاق من لون واحد يميل عادة نحو الاحمرار ، ويبلغ ارتفاع هذا النطاق أكثر من ثلاث أقدام ويدور على جوانب الغرفة كلها . ويأتى فوق النطاق الأول نطاق آخر مؤلف من زخرفة هندسية ويبلغ ارتفاعه أكثر من قدم واحدة . أما الأجزاء العليا من الجدران فكانت ترين بمناظر مؤلفة من أشكال بشرية وحيوانية رسمت على أرضية بيضاء .

وتحقق ابتكار معمارى آخر فى « الوركاء » عندما طور بناءً معبد « أى — أنا » أسلوباً فريداً فى زخرفة جدران وأعمدة البناء المشيد باللبن ذى المنظر القاتم ، وذلك بتكسية الجدران بعشرات الألوف من المخاريط الطينية الصغيرة بعد تغطيسها فى ألوان مختلفة حتى تصبح رؤوسها إما حمراء أو سوداء أو برتقالية باهتة . وكانت هذه المخاريط الملونة تدق إلى جنب بعضها البعض فى طبقة طينية سمكية بطريقة معينة بحيث تكون رؤوسها الظاهرة أشكالا هندسية مختلفة كالمثلثات وغيرها أو خطوطاً متكسرة وأشكالا أخرى ذات ألوان متعددة .

وواصلت المعابد اتباع نفس النموذج العام فى البناء خلال الألف الثالث ق . م . مع أنها أخذت تتسع حتى أصبحت أكبر حجماً وأكثر تعقيداً . وأصبحت الساحة الأمامية إحدى المظاهر الثابتة فى كل المعابد ، كما صار من الممكن أن يكون البناء ييضىء الشكل بالإضافة إلى الشكل المستطيل . وأدخلت فى البناء مادة بنائية جديدة لم تكن على ما يبدو ملائمة جداً — وهى ما يعرف باسم الآجر « البلانوكو نفسكس » ، وهو آجر ذو جهة مستوية وأخرى محدبة (اختفى من الاستعمال فيما بعد) . أما الأسس فكانت تبنى عادة فى هذا الوقت من كتل غير مهندمة من الحجر الكلسى .

وأصبحت معابد المدن الكبرى فى زمن سلالة « أور » الثالثة تضم عدة مبان واسعة . فكان معبد « نانا » فى مدينة « أور » المسمى « كيشنوجال » مثلاً يتألف

من منطقة مسورة تبلغ مساحتها ٤٠٠ × ٢٠٠ ياردة (أى ٨٠٠٠٠ ياردة مربعة) تضم الزقورة إلى جانب عدد كبير من المزارات والمخازن والمستودعات والبساتين ومسكن موظفي المعبد . وكانت الزقورة ، وهى أبرز ظاهرة ، برجاً مستطيلاً يبلغ طول قاعدته ٢٠٠ قدماً وعرضها ١٥٠ قدماً تقريباً ، وكان ارتفاعها الأصلي ٧٠ قدماً تقريباً . وكان البناء كله عبارة عن كتلة صلبة من الآجر تغطيها طبقة من اللبن (آجر مجفف فى الشمس) غير المهندم ثم طبقة خارجية من الآجر المشوى المثبت بمادة القير . وكانت الزقورة ترتفع إلى ثلاث طبقات غير منتظمة ، ويصعد إلى الطبقة العليا بواسطة ثلاثة سلالم يتكون كل منها من مائة درجة ، وربما كان على قمتها فى الأصل مزار صغير شيد كله بالآجر المزجج الأزرق اللون . وكانت الزقورة تقف على منصة عالية محاطة بمجدران مزدوجة . ويقع جزئياً فوق هذه المنصة وجزئياً عند قاعدتها معبد كبير للإله - القمر « نانا » ، مع ساحة خارجية واسعة يحيط بها العديد من المخازن والدوائر . وكان يوجد على مقربة من هذا معبد آخر كرس لكل من « نانا » وزوجته « ننجال » ثم بنائية تعرف باسم « دوبلال » ، كانت تستخدم كمكان لإجراء المحاكمات ، وأخيراً المعبد المعروف باسم « جيباركو » الذى خصص للإلهة « ننجال » .

وكان بناء أى معبد أو إعادة بنائه يرافقه العديد من الطقوس والشعائر المتنوعة كما يستدل على ذلك من تلك القصيدة القصصية الترنيمية الطويلة الرائعة التى وصلت مدونة على اسطواناتى الأمير « جوديا » اللتين اكتشفتا فى مدينة « لجش » ، ووجد عليها ٥٤ حقلاً وما يقرب من ١٤٠٠ « حيزاً » من الكتابة . إن هذه الوثيقة التى تعتبر فى الواقع العمل الأدبى الوحيد الذى بقى من هذه الفترة ألفها على ما يرجح أحد شعراء معبد « أى - نينو » فى « لجش » تخليداً لذكرى قيام « جوديا » ، الأمير التقي ، بتشييده . وأسلوب ذلك الكاتب الأدبى زاه ونغم ، كذلك تضم الصورة التى رسمها للطقوس والشعائر . التى صاحبها بناء « أى - نينو » كما يبدو من الخيال لا مما يحتوى عليه من الحقيقة . ومع ذلك فهى هامة ومنقفة إلى درجة كبيرة كما سيظهر ملخص محتوياتها التالى .

ولنستمع إلى الشاعر يتأوها علينا : إن كل شئ بدأ مباشرة بعد أن قدرت الأقدار

وأنعم على مدينة « لجش » بمياه نهر دجلة المتدفقة الغزيرة . ففي ذلك الوقت قرر « نينجوسو » ، إله مدينة « لجش » الحامى ، أن يأمر « جوديا » ببناء « أى — نينو » على نمط نخم . ولذلك ظهر لـ « جوديا » فى حلم كان محض اختلاق من قبل الشاعر ، ولو أن الأحداث تذكر وكأنها قد وقعت فعلاً .

لقد رأى « جوديا » فى ذلك الحلم رجلاً ذا قوام هائل يضع على رأسه تاجاً إلهياً ، وله أجنحة طير ورأس أسد . أما الجزء الأسفل من جسمه فيتكون من « موجة فيضان » ، ويربض أسدان عن يمينه وعن شماله ، وأمر هذا الرجل الهائل « جوديا » ببناء معبده غير أن « جوديا » لم يدرك معنى كلماته . ثم حل النهار — فى الحلم أيضاً — وظهرت امرأة تمسك بيدها قلماً ذهبياً وكانت تمن النظر فى لوح طينى صورت عليه السماء ذات النجوم . وظهر « بطل » يمسك بيده لوحاً من حجر اللازورد رسم عليه مخطط بيت ، ووضع آجرة فى قالب الآجر ، ووقف القالب والسلة أمام « جوديا » ، وكان فى الوقت نفسه حمار قد ربي تربية خاصة يضرب الأرض بحافره وقد نقد صبره .

وبما أن معنى الحلم لم يكن واضحاً له ، صم « جوديا » على استشارة الإلهة « نانشه » التى كانت تقوم بتفسير الأحلام للآلهة . ولكن « نانشه » كانت تسكن فى منطقة من « لجش » تسمى « نينا » وكانت أفضل وسيلة للوصول إليها عن طريق قناة . ولذلك رحل « جوديا » بقارب وأكد على ضرورة التوقف عند عدة مزارات هامة على طول الطريق لتقديم القرابين وإقامة الصلاة إلى آلهتها طاماً لعونها . وأخيراً وصل القارب إلى رصيف مقاطعة « نينا » وتوجه « جوديا » برأس مرتفع إلى ساحة المعبد حيث قدم القرابين وسكب السكائب وأقام الصلوات ، ثم قص عليها أخيراً ما رآه فى حلمه وفسرت الحلم له نقطة نقطة على الوجه التالى :

إن الرجل صاحب القوام الذى وضع على رأسه تاجاً إلهياً ، وله أجنحة طير برأس أسد ، وموجة فيضان تكون الجزء الأسفل من جسمه ، ويربض أسدان عن يمينه وعن شماله — هو أخوها « نينجوسو » الذى أمره ببناء المعبد « أى — نينو » ،

أما بزوغ النهار في الأفق — فإنه يمثل « نينجشزيديا » ، إله « جوديا » الشخصى ،
الذى كان يظهر كالشمس . وأما المرأة التى تحمل قلماً ذهبياً وتعلن النظر فى لوح
رسمت عليه قصة السماء — فإنها « نيدابا » إلهة الكتابة وإلهة الـ « إيدوبا » (أى
المدرسة) الحامية التى توجهك لبناء البيت وفقاً لـ « نجوم المقدسة » . وأما البطل
الذى يمسك بلوح من حجر الازورد — فإنه الإله « نيندوب » (المعمار) وهو يرسم
مخطط المعبد . وأما السلة وقالب الآجر حيث وضعت « آجرة القدر » فإنهما يدلان
على أن الآجر لمعبد « أى — نينو » ، والحجار الذى كان يضرب الأرض — نافذ
الصبر — فإنه بطبيعة الحال « جوديا » نفسه ، الذى كان متلهفاً على تنفيذ مهمته .

وواصلت « نانشه » بعد ذلك نصيحته لـ « جوديا » بصنع عربة حربية جديدة
مزينة بزينة جميلة للإله « نينجرسو » وتقديمها له مع عدتها المكونة من حارين
وشعار الإله وأسلحته على أن يكون التقديم مصحوباً بقرع الطبول . وبعد أن أنجز
كل ذلك وجه إليه « نينجرسو » ، فى حلم آخر ، إرشادات أكثر تفصيلاً ، ثم أنعم
على « لجش » بالخير والماء العذير وأكد لـ « جوديا » بأن شعبه سيعمل بعناية أكبر
لبناء « أى — نينو » بكل أنواع الخشب والحجر الذى يجلب إليه من أقاليم مختلفة
من أرجاء العالم كافة .

وأفاق « جوديا » من نومه ، وبعد أن قدم قرباناً ووجد ما فيه من العلامات
التنبؤية الملائمة بدأ بتواضع تنفيذ إرشادات « نينجرسو » فأصدر تعليماته إلى سكان
مدينته الذين استجابوا جميعاً بحماس شديد . وقام « جوديا » أولاً بتطهير المدينة
معنوياً وخلقياً : فقد أمر أولاً يكون هناك تدمير ولا اتهامات أو عقوبات ، فكان على
الأم ألا توبخ طفلها ، وكان على الطفل ألا يرفع صوته على أمه ، وألا يعاقب لخطأ
يرتكبه ، وألا تضرب الأمة من قبل سيدتها بسبب عدم احترامها لها ، ثم طرد جميع
السيئين من المدينة . وبعد سلسلة أخرى من التنبؤات والإيحاءات والقراين
والاحتفالات والصلوات انتقل « جوديا » ببسالة إلى مهمة تشييد معبد « أى — نينو »

الذى وصفه الشاعر بعد ذلك بتفصيل كبير مع كثير من التكرار وغالباً ما يكون غامضاً لسوء الحظ .

لقد دونت تلك القصيدة على طرفي الأسطوانة الأولى عند اكتمال تشييد مباني معبد « أى — نينو » وتستمر القصة الترنيمية على الأسطوانة الثانية مبتدئة بابتهاال يقدمه « جوديا » إلى « آتونا كى » ويلي ذلك إعلانه لـ « نينجرسو » وزوجته « باو » عن اكتمال المعبد وتهيته للسكن . وبمساعدة عدد من الآلهة يقوم « جوديا » بعد ذلك بتنظيف المعبد وتهيته وإعداد جميع الطعام والسكائب والبخور لتستعمل فى الاحتفالات التى تقام احتفاءً بدخول الإلهين (الإله وزوجته) إلى بيتهما . ويطهر « جوديا » مرة أخرى المدينة خلقياً ومعنوياً ثم يبدأ بعد ذلك بتعيين مجموعة كاملة من الآلهة الصغيرة لتعنى باحتياجات المعبد وهم : حاجب ، ورئيس حاشية ، واثنان من صانعى الأسلحة ، ومراسل ، ورئيس موظفين ، وسائق عربة ، وراع ، وموسيقيان ، ومفتش للحبوب ، ومفتش مصائد السمك ، وحارس للطرائد ، ومنفذ للأحكام . ووصفت هذه التعيينات بأسلوب يذكركنا بوصف تعيين الآلهة المشرفة المختلفة من قبل الإله « أنسكى » فى أسطورة « أنسكى ونظام العالم » (انظر الفصل الخامس) . وبعد أن اتحد الإله « نينجرسو » والإلهة « باو » بنعمة الزواج بدأ احتفال استمر سبعة أيام توج بولية للآلهة العظيمة « آن » و « أنليل » و « نماغ » . وتنتهى القصيدة بعد أن يقدم الإله « نينجرسو » بركته ، بأنشودة حمد للمعبد « أى — نينسو » وإلهه « نينجرسو » .

وبانتقالنا من صور المعبد وشعيرته التى تميزت بالثاللية العالمية إلى الطقوس والشعائر الفعلية اليومية ، فإن من الجائز أن نعتبر تقديم القرابين يومياً فى معبد كل مدينة كبيرة أمراً مسلماً به . وتتألف القرابين من أطعمة حيوانية ونباتية وسكائب من الماء والنبيذ والجمعة وحرق البخور . وكانت الاحتفالات بلا شك أكثر ضخامة وإثارة للإعجاب فى الأعياد والمناسبات الدينية الخاصة . وكان هناك العديد من

الاحتفالات الثابتة التي تقام في كل عام وذلك استخلاصاً من أسماء أشهر كهنه : « شهر أكل شعير الإله نينجرسو » و « شهر أكل الغزال » و « شهر عيد شولجي » . وكانت بعض هذه الأعياد تستمر عدة أيام . وكان يحتفل فيها بتقديم القرابين وإقامة المواكب . وتوجد بالإضافة إلى ذلك أعياد شهرية منتظمة في يوم طلوع الهلال وفي اليوم السابع واليوم الخامس عشر واليوم الأخير من الشهر .

وكان أهم الأعياد جميعها عيد رأس السنة الجديدة الذي كان يحتفل به على ما يرجح لعدة أيام بإقامة الولائم والاحتفالات الخاصة . وأهم شعيرة في عيد رأس السنة الجديدة كانت شعيرة الزواج المقدس بين الملك الذي كان يمثل الإله « دوموزي » ، وإحدى الكاهنات ، التي كانت تمثل الإلهة « إينانا » ، وذلك لتحقيق خصوبة ورخاء بلاد سومر وسكانها . أما كيف ومتى بدأت هذه الشعيرة ، فإن ذلك ما يزال أمراً مشكوكاً فيه ، ولو أننا قد نستطيع تكوين صورة من تتابع الأحداث على الوجه التالي :

في تاريخ مبكر من الألف الثالث ق . م . كان « دوموزي » حاكماً بارزاً لدولة — مدينة « الوركاء » السومرية ذات الأهمية الكبيرة . وتركت حياته وأفعاله تأثيراً عميقاً في الأجيال المعاصرة والأجيال التي تلتها . وكانت « إينانا » إلهة مدينة « الوركاء » الحامية — وهي إلهة اعتبرت خلال التاريخ السومري كله بالدرجة الأولى بالحلب الجنسي والخصب والإنجاب . وتشابك بلا شك إسما « دوموزي » و « إينانا » تشابكاً متيناً في أساطير « الوركاء » وطقوسها القديمة . بيد أنه في حوالى منتصف الألف الثالث ق . م . عندما بدأ السومريون يشعرون أكثر فأكثر بقوميتهم وكان رجال اللاهوت سائرين في عملية تنظيم وتصنيف مجمع الآلهة السومري وفقاً لهذا الشعور ، ظهرت فكرة كانت على ما يبدو مقبولة وجذابة جداً ، وهي أنه يجب على ملك بلاد سومر بقطع النظر عن شخصيته أو المدينة التي ينتمى إليها ، أن يصبح زوج إلهة الحب الواهبة للحياة ، أي « إينانا » إلهة الوركاء ، وذلك إذا ما أراد أن يحقق واقعياً خصوبة البلاد ورخاء سكانها . وبعد أن صارت الفكرة الأولى عقيدة مقبولة أصبحت تنفذ في ممارسة

طقوسية بإقامة احتفال زواج ، كان يعاد على ما يرجح في رأس كل سنة جديدة ، بين الملك وبين وصيفة تختار من معبد « إينانا » في « الوركاء » بصورة خاصة ، ولكي تسبغ على كل من القصيدة والطقوس أهمية وشهرة كان من المستحسن ، على أية حال ، الرجوع بهما إلى الورا حتى أقدم الأزمان ، ومن الطبيعي أن يقع شرف القيام بدور أول زوج « لأنانا » إلهة « الوركاء » وأكثر الآلهة تمتعاً بالاحترام ، على « دوموزي » حاكم « الوركاء » الذي أصبح خلال القرون شخصاً لا ينسى في الأساطير والمعارف السومرية .

أما فيما يتعلق بالكهنة المسؤولين عن إقامة الطقوس ، فإننا لا نعرف أكثر من أسماء وظائفهم إلا قليلاً . فقد كان الـ « سنجا » رئيس المعبد الإداري ، وكانت واجباته تتعلق بلا شك بحفظ أبنية المعبد وشؤونه المالية في حالة منتظمة والتأكد من قيام موظفي المعبد بتنفيذ واجباتهم بكفاءة . وكان رئيس المعبد الروحي يسمى الـ « أن en » الذي كان يسكن في جزء من المعبد يعرف باسم « جيارا^(١) » وكان من الممكن ، كما يبدو ، أن يكون الـ « أن » من النساء فضلاً عن الرجال ، وذلك يتوقف على جنس المعبود الذي كان الـ « أن » يقوم على خدمته . فمثلاً كان « أن » معبد « الوركاء » الرئيسي ، « أي — أنا » ، الذي أصبحت فيه الإلهة « إينانا » المعبودة الرئيسة ، رجلاً . وكان كل من البطلين « اينمركار » و « جلجامش » يلقبان في الأصل بـ « أن » ولو أنهما كانا على ما يحتمل ملكين أيضاً ، وكانا بكل تأكيد قائدين عسكريين عظيمين . وكانت امرأة تحتل منصب الـ « أن » في معبد « أي — كيشنوجال » في مدينة « أور » الذي كان إلهه الرئيسي « نانا » (الإله — القمر) ، وكانت هذه في العادة إحدى بنات الملك الحاكم بلاد سومر (نحن نمتلك في الواقع أغلب ، إن لم يكن كل أسماء الذين شغلوا وظيفة الـ « أن » في معبد « أي — كيشنوجال » من أيام الملك « سرجون » العظيم) .

(١) تلفظ الجيم كافاً فارسية . (المترجم) .

وكان تحت إمرة الـ « أن » عدد من الطبقات الكهنوتية — تضم الـ « جودا » والـ « ماخ » والـ « إيشيب » والـ « جالا » والـ « ننديجير » الذين لا نعرف شيئاً عن واجباتهم ماعدا احتمال كون الـ « أيشيب » موكلاً بالسكائب والتطهيرات ، واحتمال كون الـ « جالا » من مغنى المعبد أو شعرائه . وكانت توجد فرق كاملة من المغنين والموسيقيين وعدد كبير من الخصيان وعبيد المعابد ، خاصة فى المعابد المخصصة لـ « اينانا » وكانت هيئة المعبد تضم ، بالإضافة إلى أولئك الذين يتصلون بطريقة أو أخرى بالخدمات الدينية ، عدة موظفين يعنون بالشؤون الدنيوية ، وعمالا وعبيداً كانوا يساعدون فى إدارة مشاريع المعبد الزراعية والاقتصادية المتنوعة ، كما يستدل على ذلك من النصوص الإدارية العديدة التى تم الكشف عنها فى المعابد السومرية القديمة .

ويعتبر تهديم المعبد السومرى أقسى كارثة مشؤومة يمكن أن تحل بمدينة وسكانها كما يتضح من المراثيات الحزينة التى ألفها شعراء المعبد ومنشوده . وكمثل واحد على ذلك نقدم مقطعاً شعرياً من القطعة المعنونة « النحيب على تدمير مدينة أور » التى ترسم صورة للخراب الكامل الذى أصاب « أور » ومعبدها « أى — كيشنوجال » بعد هجوم العيلاميين على المدينة وأسره « إى-سين » ، آخر ملوك سلالة « أور » الثالثة (١) .

أيتها الملكة ، كيف أبقى عليك قلبك ، كيف تقدرين على البقاء حية !
« ننجال » ، كيف أبقى عليك قلبك ، كيف تقدرين على البقاء حية !
أيتها المرأة العادلة التى هدمت مدينتها ، كيف تقدرين الآن على البقاء !
أيا « ننجال » التى هلكت بلادها ، كيف أبقى قلبك عليك !
وبعد أن دمرت مدينتك — كيف تقدرين الآن على البقاء !
وبعد أن دمر بيتك ، كيف أبقى عليك قلبك !

(١) تذكرنا هذه المراثى الحزينة بمراثى إرعبيا الشهيرة فى العهد القديم . (المترجم)

إن مدينتك أصبحت مدينة غريبة ، فكيف تقدرين على البقاء !
 وأصبح بيتك بيتاً للدموع ، فكيف أبقى عليك قلبك !
 إن مدينتك التي حولت إلى خرائب — أنت لم تعودى سيدتها !
 وبيتك بيت العدل الذى سلم للعول ، لا تسكنين اليوم فيه .
 وشعبك الذى أقتيد للذبح — أنت لم تعودى ملكة له .
 ودموعك صارت دموعاً غريبة وأرضك لا تنتحب ،
 بلا « دموع التضوع » تستوطن هى بلاداً أجنبية ،
 إن أرضك كأرض تجزأت .. أغلقت فيها بأحكام ،
 وحولت مدينتك إلى أقباض ، فكيف تقدرين على البقاء !
 وترك بيتك مقفراً ، فكيف أبقى عليك قلبك !
 « داور » المزار ، قد سلمت إلى الريح ، فكيف تقدرين الآن على البقاء !
 ولم يعد كاهنها الـ « جودا » يعيش فى الرخاء ، فكيف أبقى عليك قلبك !
 إن « أن » ^(١) — لم يعد يسكن فى الـ « جييار » فكيف تقدرين الآن
 على البقاء !
 ... الذى يعز التطهيرات لا يقوم بأعمال التطهير لك ،
 أيها الأب « نانا » إن كاهنك الـ « أيشيب » لم يستكمل الآنية المقدسة لك ،
 و « ماخ » فى « جيجونا » المقدسة لم يكتس بالكتان ،
 و « أن » — لك العادل المختار . . . فى « أى — كيشنوجال » ،
 يخرج بلا سرور من المزار إلى الـ « جييار » .

(١) الـ « أن » رئيس المعبد الرومى ، أنظر ٨٨ . (المترجم)

فى الـ « آخو » بيت أعيادك ، لم يحتفلوا بالأعياد ،
 على الـ « أوب » والـ « آلا » لم يعزفوا لك موسيقى الـ « تيجى » ، التى
 تدخل السرور إلى القلب ،
 ذوو الرؤوس السود^(١) ، لا يستحمون من أجل عيدك ،
 وكما تنوسخ خيوط الكتان قدر لهم الوسخ ، لقد تغير مظهرهم ،
 إن أغنييتك قد استحالت إلى بكاء
 وتحولت الـ « تيجى » وهى موسيقاك إلى نحيب . . .
 إن ثورك لا يجلب إلى الحظيرة ، ولا يحضر سمته لك ،
 وشاتك لا تبقى فى حظيرتها ، ولا يقدم لبنها لك .
 ومن اعتاد على جلب لبنك لم يعد يجلب لك من زريبة الأغنام
 وصياد السمك الذى اعتاد على جلب السمك لك قد حلت به مصيبة ،
 وصيادو الطير الذين اعتادوا على جلب الطيور لك أسروا من قبل الـ . . .
 ولا تستطيعين العيش الآن إلا بشق الأنفس .
 إن نهرك الذى جعل صالحاً لسفن الـ « ماجور » — فى وسطه ينمو نبات الـ ... ،
 وعلى طريقك الذى أعد للعربات تنمو أشواك الجبل .
 أيا مليكتى ، مدينتك تنتحب بين يديك كأنك أم لها ،
 و « أور » ، كطيفل فى شارع خرب ، تبحث عنك ،
 البيت ، كرجل فقد كل شيء ، يمد يديه إليك ،
 البيت الصالح المشيد بالآجر يصيح ، كأنه بشر ، « أين — من فضلك ؟ » ،

(١) يطلق هذا التعبير على الشعب السومرى . (المترجم)

أيا مليكتي ، لقد غادرت البيت ، لقد غادرت المدينة .

حتى م ، أرجوك ، ستقفين جانباً في المدينة كأنك خصم ؟

أيتها الأم « ننجال » (حتى م) ستقفين بالتجديبات على المدينة كأنك خصم ؟

وعلى الرغم من أنك ملكة أحببتها مدينتها ، فإن مدينتك . . قد تخلّيت عنها ،

[وعلى الرغم من] أنك ملكة يحبها شعبها ، فإن شعبك . . قد تخلّيت عنه ،

أيتها الأم « ننجال » ، (عودي) كثور لاسطبلك ، كشاة لحظيرتك !

كطفل صغير إلى حجرتك ، أيتها العذراء (عودي) إلى بيتك !

عسى « أن » ملك الآلهة أن ينطق بكلمة « كفي » ،

عسى « أنليل » ملك الأقطار جميعها أن يقدر مصيرك (المفضل) ،

وعسى أن يعيد المدينة إلى مكانها لك ، وتمارسين ملكيتها !

وعسى أن يعيد « أور » إلى مكانها لك ، وتمارسين ملكيتها !

وعندما تنتقل إلى الميثولوجيا السومرية فإن من المهم أن نلاحظ قبل كل شيء أن
للأساطير السومرية اتصالاً ضعيفاً ، إن كان ثمة أي اتصال ، بالشعائر والطقوس ، على
الرغم من حقيقة أن هذه لعبت دوراً هاماً جداً في الممارسات الدينية السومرية . إن
جميع الأساطير الموجودة تقريباً أساطير أدبية ذات طابع استفساري ، فهي ليست « شعيرة
تنلي » (في حفل) كما وصفت الأسطورة في الثالب خطأ ، ولا ملاحق لفظية لتمثيلات
طقوسية ، وإنما هي تحوم بصورة رئيسة حول خلق الكون وتنظيمه وحول ولادة
الآلهة وعشقها وكرهها وأحقادها ومؤامرتها وبركاتها ولعناتها ، وأعمالها في الخلق
والتدمير . ولا يوجد فيها إلا النزر القليل من الصراع بين الآلهة من أجل السلطة ،
وحتى إذا حدث هذا ، فإنه لم يوصف على الإطلاق كصراع مرير مليء بالانتقام وملطخ
بالدماء .

وإذا تحدثنا من الناحية العقلية ، فإن الأساطير السومرية تكشف عن طريقة

ناضجة ومصقولة لفهم الآلهة وأعمالها ، فمن ورائها يمكن أن نلاحظ انعكاساً جديراً بالاعتبار للآراء الكونية واللاهوتية . وعلى كل حال ، كان كتاب الميثولوجيا السومريون بصورة عامة الورثة المباشرين لمعنى الأزمان الأولى ومنشديها الذين كانوا يجهلون القراءة والكتابة ، وكان هدفهم الأول هو تأليف قصائد قصصية عن الآلهة رائعة للناس وموحية وممتعة لهم . أما وسائلهم الأدبية الرئيسة فإنها لم تكن المنطق والحجة وإنما كانت التصور والخيال . ففي سرد قصصهم لم يترددوا عن اختلاق دوافع وأحداث توضع وفقاً لنموذج العمل البشري دون أن يكون لها أى أساس في التفكير العقلى والتأملى . كما لم يترددوا في تبني مواضيع أسطورية وفولكلورية لم يكن لها علاقة بالتحقيق والاستنتاج الكونيين .

ولم تكتشف حتى الآن أساطير سومرية تعالج بصورة مباشرة وبوضوح خلق العالم . أما القليل المعروف عن الأفكار السومرية الكونية فقد استنتج من أقوال مقتضبة مبشرة في كافة الوثائق الأدبية . غير أننا نمتلك عدداً من الأساطير التي تهتم بتنظيم العالم وفعاليتها الحضارية وخلق الإنسان وإقامة المدينة . أما الأبطال الرئيسون المرتبطون بهذه الأساطير فعددهم قليل نسبياً وهم : الإله - الريح « أنليل » ، الإله - الماء « أنكى » ، الإلهة - الأم « نينخورساج » (وتعرف أيضاً بـ « ننتو » و « نناخ ») ، وإله الريح الجذوية « نينورتا » ، والإله - القمر - « نانا - سين » وإله البدو « مارتو » ، وأكثرهم وروداً في النصوص الآلهة « إينانا » وخاصة فيما يتصل بعلاقتها بزوجهالسيء الحظ « دوموزى » .

وكان « أنليل » ، كما لوحظ سابقاً في الفصل ، أهم إله في مجمع الآلهة السومري ، فهو « أبو الآلهة » و « ملك السماء والأرض » و « ملك كل الأقطار » وكان وفقاً للأسطورة المعنونة « أنليل وخلق الفأس » الإله الذى فصل السماء عن الأرض وأخرج « بذرة البلاد » من الأرض وأوجد « كلما يحتاج إليه » وخلق الفأس لأغراض زراعية وبنائية وقدمه إلى « ذوى الرؤوس السود » أى إلى السومريين ، بل ربما إلى الجنس البشرى كله . وكان « أنليل » بمقتضى ماورد في المناظرة المعنونة « الصيف

والشّباء « الإله الذى خلق كل الأشجار والحبوب وأنتج الوفرة والرخاء فى البلاد ووكّل « الشتاء » بوصفه « فلاح الآلهة » بالهياذ واهبة الحياة وبكل ما ينمو على الأرض . وكانت الآلهة جميعها — حتى أهمها — تنوق إلى بركته ، فتروى إحدى الأساطير كيف رحل الإله — الماء « أنكى » بعد أن أتم بناء « بيته البحرى » فى « أريدو » إلى معبد الإله « إنليل » فى « نقر » من أجل الحصول على تأييده وبركته . وعندما أراد الإله — القمر « نانا — سين » ، إله مدينة « أور » الحامى ، أن يتأكد من تحقيق خير مملكته ورعاها ، رحل إلى « نقر » فى قارب محمل بالهدايا وبذلك حصل على بركة « إنليل » الكريمة .

ومع أن « إنليل » كان رئيس مجمع الآلهة السومرى ، فإن سلطانه لم تكن بأى وجه من الوجوه غير مقيدة . ففي أسطورة من أكثر الأساطير السومرية إنسانية ورقة نجد « إنليل » ينفي إلى العالم السفلى نتيجة للأحداث التالية :

فى الوقت الذى لم يكن فيه الإنسان قد خلق بعد ، ويوم كانت مدينة « نقر » مأهولة بالآلهة وحدها ، كان الإله « إنليل » فتاها وكانت الإلهة « ننليل » عذراءها وكانت أم « ننليل » « نونبارشيجونو » امرأتها السجوز . وفى أحد الأيام نصحت الأم ابنتها ، بعد أن عزمّت على (ما يبدو) فسكراً وقلباً على تزويج « ننليل » من « إنليل » ، بما يلى :

فى الجدول الصافى ، يا امرأة اغتسلى فى الجدول الصافى ،

يا « ننليل » سيرى على ضفة الجدول « نونبيردو » ،

فإن ذا العينين الوهاجتين ، إن السيد ذا العينين الوهاجتين ،

« الجبل الأشم » الأب « إنليل » ، ذا العينين الوهاجتين ، سيراك ،

إن الراعى . . الذى يقدر المصائر ذا العينين الوهاجتين ، سيراك ،

وعلى الفور سيعاتقك (؟) ويقبلك .

فاتبعت « نليل » بكل سرور تعليمات أمها :
 في الجدول الصافي ، تمتسل المرأة في الجدول الصافي ،
 وتمت « نليل » على ضفة الجدول « نوبيردو » ،
 ذو العينين الوهاجتين ، السيد ، ذو العينين الوهاجتين ،
 « الجبل الأثم » الأب « إنليل » ، ذو العينين الوهاجتين رآها ،
 الراعى . . الذى يقدر المصائر ، ذو العينين الوهاجتين رآها ،
 ويدلى الرب إليها (برغبته) بمضاجعتها (؟) ، إلا أنها لم ترغب بذلك ،
 « إنليل » يكلمها عن المضاجعة (؟) إلا أنها رفضت ذلك ،
 « إن مهبل صغير جداً ، لا يعرف الجماع ،
 وشفقتى صغيرتان جداً ، لا يعرفان التقبيل »

ويدعو « إنليل » عندئذ وزيره « نوسكو » ويوح إليه بهيامه بـ « نليل »
 الفاتنة . فيأتى « نوسكو » بقارب ، ويعتصب « إنليل » « نليل » في القارب وهو
 يجرى في الجدول ويحملها بالآله - القمر « سين » . فتفرع الآلهة من هذه الفعلة المنافية
 للأخلاق وتقبض على « إنليل » وتنفيه من المدينة إلى العالم السفلى على الرغم من أنه
 كان ملكاً عليها . وتقرأ الفقرة التى تتصل بهذا الموضوع ، وهى من الفقرات القليلة
 التى تلتقى بعض الضوء غير المباشر على تنظيم المجمع الإلهى وأسلوب عمله ، على
 الوجه التالى :

(كان) « إنليل » يتمشى فى « كى - أور » (معبد « نليل ») ،
 وبينما كان « إنليل » يتمشى فى « كى - أور » ،
 قبضت الآلهة العظيمة ، كل الآلهة الخمسين ،
 والآلهة التى تقدر الأقدار ، سبعتهم ،

على « إنليل » في « كي — أور » ، (وقالت له) :

« يا « إنليل » ، يا أيها الفاسق ، أخرج من المدينة ،

يا « نونامير » (لقب من ألقاب « إنليل ») أيها الفاسق اخرج من المدينة » .

وهكذا يفادر « إنليل » ، وفقاً للمصير الذى قرره الآلهة ، باتجاه الجحيم السومرى ولكن « نليل » ، وهى جبل ، ترفض البقاء بعده ، وتسير وراء « إنليل » فى رحلته التى فرضت عليه إلى العالم السفلى . بيد أن هذا يقلق « إنليل » لأنه يعنى أن ابنه « سين » الذى كان مقدراً له فى الأصل أن يكون موكلًا بأكبر جرم مضى وهو القمر ، سيسكن العالم السفلى الكئيب بدلا من أن يسكن فى السماء . ولأحياولة دون وقوع هذا ، دبر « إنليل » كما يبدو خطة معقدة على الوجه التالى : التقى فى طريقه من « نقر » إلى العالم السفلى بثلاث شخصيات ، كانت بلا شك من الآلهة الصغيرة ، وهى الحاجب الموكل بأبواب « نقر » و « رجل نهر العالم السفلى » والموكل بالمعبر ، « كلرون » السومرى الذى ينقل الموتى بقاربه إلى الجحيم . ويتقمص « إنليل » شخصية كل من هؤلاء بالتتالى — وهذا أول مثل معروف عن التحول الإلهى — ويحمل « إنليل » بثلاثة من آلهة العالم السفلى ليحلو محل أخيه الكبير « سين » ، الذى أصبح نتيجة ذلك حراً ليصعد إلى السماء .

إن واحدة من أكثر الأساطير السومرية تفصيلاً وإفصاحاً هى التى تتصل بتنظيم الكون من قبل الإله « أنكى » الإله — الماء وإله الحكمة السومرى ، وسنورد ترجمة جديدة وكاملة لها فى الفصل الخامس (الأدب : الآداب السومرية المحضة) وتروى أسطورة أخرى من أساطير « أنكى » قصة معقدة وما زالت تتصف بالغموض تتصل بأرض « دلون » ، التى ربما كان بالإمكان تعريفها بالهند القديمة^(١) . ويمكننا أن

(١) إن رأى المؤلف فى تحديد موضع « دلون » التى ورد ذكرها فى النصوص القديمة يختلف مع آراء أغلب الباحثين الذين يعتقدون بأن « داون » تشير إلى جزيرة البحرين فى الخليج العربى .
(المترجم)

نلخص أحداث أسطورة الـ « جنة » السومرية هذه ، التى تتكلم عن الآلهة دون البشر ، على الوجه التالى :

إن « دلون » أرض « نقيية » و « نظيفة » و « مشرقة » ، إنها « أرض الحياة » التى لاتعرف المرض ولا الموت ، ولكنها كانت تفتقر إلى المياه العذبة اللازمة لحياة الحيوان والنبات . ولذلك أمر إله الماء السومرى العظيم « أنكى » الإله الشمس « أوتو » بملئها بالمياه العذبة النابعة من الأرض . وهكذا تحولت « دلون » إلى حديقة إلهية خضراء عامرة بالحقول الملائى بالفاكهة وبالزروع .

وفى هذه الجنة الإلهية زرعت الآلهة « نينخور ساج » ، الإلهة الأم العظيمة عند السومريين ، ثمانية أصناف من النباتات ، وربما كانت « نينخور ساج » تعتبر فى الأصل الأرض — الأم . ولم تفلح هذه الإلهة فى خلق هذه النباتات إلا بعد سلسلة من العمليات المعقدة شملت ثلاثة أجيال من الإلهات اللواتى ولدن من إله الماء . وكانت ولادتهن ، كما تؤكد قصيدتنا دائماً ، بدون أدنى ألم أو معاناة . ولأن « أنكى » أراد على ما يرجح أن يتذوق طعمها ، اقتطف رسوله الإله « إيسموند » ذو الوجهين ، هذه النباتات الثمينة واحدة واحدة وقدمها إلى سيده الذى كان يأكل الواحدة بعد الأخرى . وعند ذلك نظقت « نينخور ساج » التى تملكها الغضب بلعنة الموت على « أنكى » واختفت من بين الآلهة حتى لاتضطر ، على ما يبدو على تغيير رأيها وتلين بسبب ما قد يقع عليها من تأثيرات .

وبدأت صحة « أنكى » تتردى وأصبحت ثمانية أعضاء من جسده بالمرض . وبينما كانت صحة « أنكى » آخذة بالتردى بسرعة جلست الآلهة العظيمة فى الرغام ، وحتى « إنليل » ، الإله — الريح ، ملك الآلهة السومرية ، بدا غير قادر على معالجة الأمر عندما بدأ ثعلب يتكلم بصراحة . لقد قال الثعلب لـ « إنليل » إنه سيأتى بالإلهة « نينخور ساج » إذا كوفىء بمكافأة لائقة . ونجح الثعلب بطريقة ما ، كما وعد — ولسوء الحظ أصيبت الفقرة الخاصة بهذا الموضوع بالتلف — بإقناع الإلهة الأم

بالعودة إلى مجمع الآلهة ومعالجة إله الماء المشرف على الموت . لقد أجلسته إلى جانب فرجها ، وبعد الاستفسار منه عن أعضاء جسمه الثمانية التي توجعه ، أوجدت ثمانية إلهات من الموكلات بالشفاء تقابل كل منهن عضواً من أعضائه المريضة ، وأعيد « أنكى » بذلك إلى الصحة والحياة .

وعلى الرغم من أن أسطورتنا تتصل بجنة إلهية لا علاقة لها بالبشر ، فإن فيها العديد من الأفكار الشبيهة بأفكار الجنة الواردة في التوراة . وهناك في الواقع من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن نفس فكرة وجود جنة أو حديقة للآلهة قد بدأت في الأصل عند السومريين . وتقع الجنة السومرية ، حسب ما ورد في قصيدتنا في « دلون » ، وهي بلاد كانت تقع في مكان ما إلى الشرق من بلاد سومر . وفي « دلون » هذه نفسها وضع فيما بعد البابليون ، وهم الشعب السامي الذي دحر السومريين ، « أرض الأحياء » ، موطن الخالدين منهم . وهناك دلالة مقنعة على أن جنة التوراة أيضاً ، التي وصفت كبستان زرع في الناحية الشرقية من « عدن » ، التي تنبع فيها مياه أنهار العالم الأربعة ، بما في ذلك دجلة والفرات ، كانت على ما يرجح مطابقة في الأصل لـ « دلون » مكان الجنة السومرية .

وتذكرنا أيضاً فقرة قصيدتنا التي تصف إرواء « دلون » من قبل الإله — الشمس بالماء العذب المستخرج من الأرض بالفقرة الواردة في التوراة « ثم خرج من الأرض ضباب فسقى وجه اليابسة جميعه » (سفر التكوين ٢ ، ٦) . وتوضح ولادة الإلهات بلا ألم أو عناء أساس اللعنة التي لعنت بها حواء وقضى عليها بأن يكون من نصيبها أن تحمل وتلد الأطفال بالأسى . وواضح بما فيه الكفاية أن أكل « أنكى » للنباتات الثماني واللعنة التي لعن بها بسبب فعلته السيئة يذكرنا بأكل « آدم » و « حواء » من ثمرة شجرة المعرفة والعنات التي لُعنا بها بسبب هذا العمل الأثيم .

ولكن أكثر النتائج التي توصلنا إليها من تحايلنا للقصيدة السومرية إثارة للاهتمام ربما كان ذلك التفسير الذي تقدمه لموضوع من أكثر المواضيع إثارة للحيرة

في قصة الفردوس الواردة في التوراة ، ألا وهي العبارة المشهورة التي تصف خلق « حواء » « أم جميع البشر » من ضلع « آدم » — لأنه لماذا خلقت من الضلع ؟ ولماذا وجد القصص العبراني اختيار الضلع أكثر ملاءمة من اختيار أى عضو آخر من أعضاء الجسم الأخرى لخلق المرأة التي يعنى اسمها « حواء » ، بحسب العقيدة التوراتية ، « هي التي تحيى » . إن السبب يتضح إلى درجة كبيرة إذا افترضنا وجود خلفية سومرية كالتي تقدمها قصيدة « دلون » التي بين أيدينا لتكون أساس قصة الفردوس في التوراة ، لأن الضلع كان واحداً من أعضاء « أنكى » التي أصابها المرض حسب ما ورد في القصيدة السومرية . والكلمة السومرية التي تعنى « ضلع » هي « تى » (TI) ، ولذلك سميت الإلهة التي خلقت لتشفى ضلع « أنكى » في اللغة السومرية « نن — تى » أى « سيدة الضلع » ، ولكن الكلمة السومرية « تى » تعنى أيضاً « يحيى » وعلى هذا فإن الاسم « نن — تى » يعنى « السيدة التي تحيى » بالإضافة إلى « سيدة الضلع » ولذلك أصبحت « سيدة الضلع » في الأدب السومري تعرف ، تورية وبالتلاعب بالألفاظ أيضاً بال « سيدة التي تحيى » . وكانت هذه التورية التي تعد من أقدم التوريات الأدبية ، هي التي نقلت وخلدت في قصة الفردوس التوراتية ، على الرغم طبعاً من أن التورية تفقد صحتها في التوراة لعدم وجود تشابه لفظي بين الكلمات العبرية التي تعنى « ضلع » و « من يحيى » .

وتوجد أسطورة أخرى من أساطير « أنكى — نينخورساج » تتصل بخلق الإنسان من ال « طين الذي فوق الحج » . إن هذه القصة تبدأ بوصف المصاعب التي تواجه الآلهة في الحصول على خبزهم خاصة ، كما يتوقع ، بعد أن ظهرت الإلهات إلى الوجود . وتبدأ الآلهة بالشكوى ولكن « أنكى » ، الذي ربما كان ينتظر منه أن يهب لمساعدتهم بوصفه إله الحكمة عند السومريين ، كان يقط في النوم في الأعماق ولا يسمعونهم ، وعند ذلك تضع أمه ، البحر الأول « الأم التي ولدت جميع الآلهة » ، دموع الآلهة بين يدي « أنكى » وتقول :

يا بني ، إنهمض من سريرك و... ك ، وافعل ما هو حكيم ،

اخلق خدماً للآلهة ، وعسى أن ينجب هؤلاء أضعافهم (؟)

ويفكر « أنكى » بالأمر ملياً ، ويقود جموع « الخالقين الخيرين ومن فيهم
صفة الإمارة » ويقول لأمه « نمو » البحر الأول :

يا أمى ، المخلوق الذى نطقت باسمه ، موجود ،

فاسبغى عليه صورة (؟) الآلهة ؛

امزجى لب الطين الذى فوق اللج ،

وسيكشف صانعو الأشكال الخيرون ، الذين فيهم صفة الإمارة ، الطين ،

أما أنت فاخلقى الأطراف ،

وستعينك « نماغ » (اسم آخر لنينجورساج) ،

وستقف إلهة (الولادة) ٠٠ إلى جانبك عندما تخلقين ،

أيا أمى ، قدرى قدره (أى قدر المولود الجديد) ،

أما « نماغ » فستطبق عليه قالب (؟) الآلهة ،

إنه الانسان

ثم تنتقل القصيدة من خلق الإنسان كشكل إلى خلق نماذج بشرية معينة مشوهة
وذلك فى محاولة واضحة لتفسير وجود هذه المخلوقات الشاذة . تتحدث القصيدة عن
وليمة ، أعدها « أنكى » للآلهة تخليداً على ما يرجح لذكرى خلق الإنسان ، يشرب
« أنكى » و « نماغ » فيها كثيراً من الخمر ويطغى عليهما الحماس والرح . فتتناول
« نماغ » جزءاً من الطين الموجود فوق اللج وتكوّن منه ستة نماذج مختلفة من
الشخصيات الشاذة ، إلا أن « أنكى » كان يقدر لكل منها مصيراً ويمدها بما يمكنها
من الحصول على خبز لتأكله . وبعد أن أتمت « نماغ » خلق هذه النماذج الستة من
البشر يصمم « أنكى » على خلق نموذج من عمده ، إلا أن الأسلوب الذى اتبعه غير

واضح فى القصة . ولكن مهما كان الأمر ، فإن المخلوق الذى ولد نتيجة لذلك مخلوق فاشل ، فهو ضعيف وواهن القوى جسداً وروحاً . وينتظر « أنكى » مثلهما لما ستفعله « نماغ » فى مساعدة مخلوقه البائس ، ولذلك يخاطبها على الوجه التالى :

لقد قدرت مصيراً لمن خلقت يدالك

وأعطيته خبزاً لئلاّ كل .

عيني الآن قدراً لهذا الذى خلقت يدي ،

أعطيه خبزاً لئلاّ كل .

وتحاول « نماغ » أن تكون ذات فائدة لذلك المخلوق ، ولكنها تبوء بالفشل — تكلمه فيعجز عن الجواب ، وتقدم له كسرة خبز لئلاّ كل ، فيعجز عن مد يده لها ، ولم يكن قادراً على الجلوس أو الوقوف ، ولم يستطع ثنى ركبتيه . وبعد جدل طويل ، ولكنه غير واضح حتى الآن ، بين « أنكى » و « نماغ » ، تنطق الإلهة بلعنة على « أنكى » بسبب ذلك المخلوق العليل الخالى من الحياة الذى خلقه ، لعنة يبدو أن « أنكى » تقبلها كأمر يستحقه .

أما بالنسبة لـ « ننورتا » إله الريح الجنوبية العاصفة ، فإن هناك أسطورة عنه ذات موضوع يتصل بذبج تنين . تبدأ القصة ، بعد فقرة تحتوى على تمجيد للإله ، بخطاب يوجهه إلى « ننورتا » سلاحه الذى شخص باسم « شارور » . فلا سبب لم تذكر عزم « شارور » على الدخول فى نزاع مع « آساج » ، شيطان المرض والسقم ، الذى كان مسكنه فى الـ « كور » أو العالم السفلى . وفى كلمة مليئة بعبارات التمجيد لخصائل « ننورتا » ومآثره البطولية ، يحث الإله على مهاجمة ذلك الوحش والقضاء عليه . ويشرع « ننورتا » بفعل ما حثه عليه ، غير أنه عجز فى بادئ الأمر ، على ما يبدو ، من مواجهة خصمه ، و « فرّ كطير » . ولكن « شارور » حثه مرة أخرى بعبارات مطمئنة ومشجعة ، فهجم « ننورتا » على « آساج » هجوماً عنيفاً بجميع ماله من سلاح وقضى على الشيطان .

ولكن حلت في بلاد سومر بعد القضاء على « آساج » كارثة خطيرة ، فعندما ارتفعت مياه « كور » الأولى إلى سطح الأرض ، وبسبب قوة اندفاعها لم يعد بإمكان المياه العذبة أن تصل إلى الحقول والبساتين ، وحلّ اليأس بآلهة بلاد سومر التي « كانت تحمل الفأس والسلة » ، أى التي كانت موكلة بإرواء بلاد سومر وإعدادها للزرع ، ولم يرتفع نهر دجلة وانعدام الماء « الطيب » من مجراه .

كانت المجاعة شديدة فلم ينتج أى شئ .
في الأنهار الصغيرة لم يعد بالإمكان « غسل الأيدي » ،
المياه لم ترتفع ،
ولم ترو الحقول ،
وتوقف حفر جداول (الرى) .
وانعدم النبات من البلدان كلها ،
ولم ينم سوى الأعشاب الضارة .

وعندها وجه الرب فكره الثاقب لتلك (المحنة)
« ننورتا » بن « إنليل » خلق أشياء عظيمة .

لقد وضع « ننورتا » الأحجار فوق « كور » وكدسها حتى أصبحت كجدار عظيم أمام بلاد سومر فاحتجزت هذه الحجارة « المياه الجبارة » مما جعل مياه « كور » غير قادرة على الارتفاع إلى سطح الأرض . أما بالنسبة للمياه التي سبق أن غمرت الأرض ، فإن « ننورتا » جمعها وأعادها إلى نهر دجلة الذي أصبح الآن قادراً على إرواء الحقول بفيضه :

ما كان قد تبدد (من المياه) جمعه ،
ما كان قد تبدد من (مياه) « كور »

جره وسلطه فى دجلة ،
المياه العالیه صبهـا على الحقول .
فانظر ، الآن كل شىء على الأرض ،
قد ابتـهج من بعد بـ « نـورتـا » ملك البلاد ،
وانتـجت الحقول القمح الوفير ،
وحملت الكروم والبساتين أثمارها ،
وكدست الغلة فى الصوامع والتلال ،
لقد أزال الرب الحزن من البلاد ،
وأسعد أرواح الآلهة .

وبعد أن سمعت الآلهة « نـماخ » ، بأعمال ابنها الباهرة والبطولية ، ملأتها الشفقة
عليه وصارت لا يقر لها قرار حتى إنها لم تعد قادرة على النوم فى مخدعها ، فخاطبت
« نـورتـا » من بعيد بدعاء ليأذن لها بزيارته والنظر إلى طلعتـه . وينظر إليها « نـورتـا »
بـ « عين الحياة » قائلاً :

أيتها السيدة ، لأنك — ترغبين بالجـىء إلى « كور » ،
يا « نـماخ » ، لأنك من أجلى ترغبين بدخول تلك الأرض المعادية ،
ولأنك لا تهابين هول المعركة المـحدقة بى ،
فليـسكن إسم التل الذى كدسته ، أنا البطال
« خورساج » (أى الجبل) ولتـكونى أنت ملكته^(١) .

ثم يبارك « نـورتـا » « خورساج » (أى الجبل) لـكى ينتـج جميع أنواع

(١) إن اسم هذه الآلهة « نـن — خورساج » يعنى « سيدة الجبل » . (المترجم)

الحشائش والنبذ والعسل ومختلف أصناف الأشجار والذهب والفضة والبرونز والماشية والغنم وجميع المخلوقات من «ذوات الأربع» . وبعد هذا الدعاء بالبركة التفت «ننورتا» إلى الأحجار فلعن تلك التي كانت خصما له في قتاله مع الشيطان «آساج» ، وبارك تلك التي وقفت إلى جانبه .

إن عدداً غير قليل من الأساطير السومرية يدور حول إلهة الحب الطموحة والمغامرة والكثيرة الطلبات «إينانا» — «عشتار» الأكديّة — وزوجها الإله — الراعى «دوموزى» — وهو تموز الذى ورد ذكره في التوراة . وذكر تودد «دوموزى» للالهة في روايتين . ففي الأولى نجد «دوموزى» يتنافس على كسب حبها مع الإله — الفلاح «أنكيمدو» ، ولم ينجح إلا بعد قدر كبير من النقاش الحاد الذى قاد أخيراً إلى تهديدات بالعنف . وفي الرواية الأخرى يبدو أن «دوموزى» وجد قبولاً سريعاً من لدن «إينانا» ليكون حبيبها وزوجاً لها ولكنه لم يكن يحلم بأن زواجه من «إينانا» سيفضى به إلى الهلاك وأنه سيجر إلى الجحيم جرأً . إن هذه القصة وردت في أسطورة من أحسن الأساطير السومرية من ناحية عدم تعرضها للتلف وهى «نزول إينانا إلى العالم السفلى» التى نشرت ونقحت ثلاث مرات في غضون الخمس والعشرين سنة الماضية ، وهى على وشك أن تنقح مرة رابعة بمساعدة الرجوع إلى عدة ألواح وكسر مدونة غير معروفة حتى الآن . وإذا ملخصت هذه الأسطورة فإنها تقص علينا القصة التالية :

إن «إينانا» «ملكة السماء» ، إلهة الحب والحرب الطموحة التى تودد «دوموزى» الراعى إليها حتى نجح بالزواج منها ، عازمت على النزول إلى العالم السفلى لتجعل من نفسها سيّدة له ، على أمل أن تخرج الموتى منه . فجمعت «إينانا» القوانين الإلهية المناسبة ، وأصبحت على استعداد لدخول تلك «الأرض التى لاربعة منها» بعد أن تزيت بحلّائها وحلّاه .

وكانت ملكة العالم السفلى ، أختها الكبرى وعدوتها اللدودة «إرشيكيغال»

إلهة الموت والظلام عقد السومريين . ولما كانت « إينانا » تخشى ، وليس بدون سبب ، أن أختها ستقضى عليها في مملكتها التي تحكمها ، فإنها أوصت وزيرها « نينشوبور » ، الذي كان رهن إشارتها وأمرها على الدوام ، بإقامة مأتم لها عند الخرائب في مجمع الآلهة إذا لم تعد بعد ثلاثة أيام ، ثم عليه أن يذهب إلى « نقر » مدينة « إنليل » ، الإله القائد في مجمع الآلهة السومري ، والتوسل إليه ليقتضها ولا يتركها تموت في العالم السفلي . فإذا رفض « إنليل » الطلب ، كان على « نينشوبور » الذهاب إلى « أور » مدينة الإله — القمر « نانا » وإعادة تضرعه هناك . فإذا رفض « نانا » أيضاً القيام بذمتها ، عليه أن يذهب إلى « أريدو » مدينة « أنكي » إله الحكمة ، الذي « يعرف طعام الحياة » و « يعرف ماء الحياة » . . . سيهبُ بكل تأكيد لإنقاذها .

وتنهبط « إينانا » إلى العالم السفلي وتقرب من معبد « إيرشكيجال » المشيد من حجر اللازورد . وعند البوابة قابها رئيس الحجاب الذي طلب أن يعرف هويتها وسبب مجيئها . فلفقت « إينانا » سبباً مزوراً لزيارتها وقادها الحجاب ، وفقاً لأوامر سيدته ، ومر بها من بوابات العالم السفلي السبع . وكانت كلما مرت من بوابة من البوابات تجرد من حلالها وحلاها قطعة قطعة على الرغم من احتجاجاتها على ذلك . وأخيراً ، بعد مرورها من البوابة الأخيرة ، أقتيدت عارية تماماً ومثنية الركبتين إلى حضرة « إيرشكيجال » و « الآتوناكي » قضاة العالم السفلي السبعة المرعبين الذين صوبوا نحوها نظرات الموت فتحولت إلى جثة معالقة بعد ذلك على عمود قائم .

ومرت ثلاثة أيام وثلاث ليال . وفي اليوم الرابع شرع « نينشوبور » ، بعد أن تأكد من عدم عودة سيدته ، بالقيام بجولاته بين الآلهة وفقاً لما أوصته به . ولكن ، كما توقعت « إينانا » ، رفض كل من « إنليل » و « نانا » تقديم المساعدة إلا أن « أنكي » وضع خطة لبعثها إلى الحياة . فقد خلق « كورجارا » و « كلاتورا » وهما لا ذكر ولا أنثى ، وعهد إليهما بـ « طعام الحياة » ، و « ماء الحياة » ليذهبا به إلى العالم السفلي حيث كانت ترقد « إيرشكيجال » الأم التي تهب الولادة « مريضة

بسبب أبنائها « ، عارية وبلا غطاء . وكانت تواصل أبنائها قائلة « ياويل جوفى » و « ياويل ظاهرى » . وكان على « كورجارا » و « كلاتورا » ترديد أناتها والتظاهر بالعطف مع إضافة عبارة « من جوفى إلى جوفك ، ومن ظاهرى إلى ظاهرك » . وعندئذ سيقدم إليهما ماء الأنهار وقح الحقول كهدية ، ولكن « أنكى » حذرهما بوجوب رفض ذلك وأمرها أن يقولاً بدلاً من ذلك « أعطنا الجثة المدلاة من على مسار » وأن يثر « طعام الحياة » و « ماء الحياة » اللذين زودها به « أنكى » على جثة « إينانا » وبذلك يعيدانها إلى الحياة . ففعل « كورجارا » و « كلاتورا » ما أمرا به وعادت « إينانا » إلى الحياة .

ولكن متاعب « إينانا » لم تنته على الرغم من عودتها إلى الحياة مرة أخرى ، لم تنته متاعبها لأن هناك قانوناً من قوانين العالم السفلى لا يمكن مخالفته يقضى بأنه ليس بمقدور أحد يدخل فيه العودة إلى العالم العلوى إلا إذا قدم بديلاً عنه ليحل محله هناك .

وما كان بإمكان حتى الإلهة « إينانا » الخروج على هذه القاعدة الثابتة . حقاً لقد سمح لها بالصعود إلى الأرض ولكنها كانت بصحبة عدد من الشياطين القساة الذين أمروا بإعادتها إلى المناطق السفلى إن هى أخفقت فى تقديم إله ليحل محلها فى العالم السفلى . وبدأت « إينانا » وهى محاطة بهؤلاء الحراس الأغوال أولاً بزيارة المدينتين السومريتين « أوما » و « باد — تيبيرا » ، فأصاب الذعر إلهى هاتين المدينتين الحاميين « شارا » و « لاتراك » عند رؤية القادمين الذين لا ينتمون إلى الأرض بصلة ولبسا المسوح وتمرعاً بالتراب أمام « إينانا » . ويبدو أن « إينانا » سرت بتذللها ، حتى إنها منعت الشياطين من حملها إلى العالم السفلى ، عندما هددوا بالقيام بذلك وأتخذت حياتهما .

ثم وصلت « إينانا » والشياطين بعد مواصلة رحلتهم إلى « كولا ب » وهى منطقة فى دولة — « الوركاء » . وكان ملك هذه المدينة الإله — الراعى « دوموزى » ، الذى بدلاً من البكاء على هبوط زوجته إلى العالم السفلى حيث قاست

ألوان العذاب والموت « ارتدى جبة نخمة وجلس متربعاً على عرش » ، أى إنه كان فى الواقع يحتفل بما حل بها من مصيبة . فاستشاطت « إينانا » غضباً ونظرت إليه بـ « عين الموت » وسلمته إلى الشياطين المتوثبين القساة ليحملوه إلى العالم السفلى . فامتقع لون « دوموزى » وبدأ بالبكاء ، ثم رفع يديه نحو السماء وتضرع إلى الإله — الشمس « أوتو » ، أخ « إينانا » ، أى عديله ، وتوسل « دوموزى » إلى « أوتو » ليعينه على الخلاص من الشياطين بتحويل يده إلى يد حية وقدمه إلى يد وقدم حية .

ولكن فى هذا الموضع من القصة — أى فى منتصف تضرع « دوموزى » — تنتهى الألواح الموجودة بين أيدينا ، وبقي القارىء حتى وقت قريب لا يعرف ما حصل . بيد أننا عرفنا النهاية المحزنة من مصادر أخرى ، وهى : أن « دوموزى » أخذ على الرغم من ثلاث محاولات للتدخل من جانب « أوتو » ليموت فى العالم السفلى بدلاً من زوجته « إينانا » الغاضبة الحاقدة . لقد وقفنا على هذا من قصيدة غير معروفة بصورة عامة حتى الآن ، ولم تكن فى الواقع جزءاً من أسطورة « نزول » إينانا إلى العالم السفلى « ولكنها على صلة وثيقة بها من حيث الجوهر ، كما تحدثت ، بالإضافة إلى ذلك ، عن إحالة « دوموزى » إلى غزال بدلاً من حية . لقد وجدت هذه القطعة الجديدة مدونة على ثمانية وعشرين لوحاً وكسرة لوح تعود فى تأريخها إلى سنة ١٧٥٠ ق.م . تقريباً . ولم يجمع النص الكامل من هذه الألواح والكسر ويترجم ، ترجمة أولية على الأقل ، إلا فى وقت قريب على الرغم من أن بعض أجزائه قد نشرت قبل عدة عشرات من السنين ، إذ نشرت أولى القطع العائدة إلى هذه الأسطورة فى الواقع فى تأريخ مبكر يعود إلى سنة ١٩١٥ من قبل « هيجو رادو » (Hugo Radan) ولكن هذه القطعة كانت تحتوى على الأسطر الأخيرة فقط من القصة . وفى سنة ١٩٣٠ نشر العلامة الفرنسى « هنرى دى جنويلاك » قطعتين أخريين تحتويان على الأسطر الخمسة والخمسين الأولى من القصيدة ، ولكن لما كان الجزء الأوسط كله ما يزال مجهولاً ، فإنه لم تكن هناك طريقة لمعرفة ما إذا كانت قطع « رادو » و « دى

جنوبلاك» تعود إلى تلك القصيدة ذاتها . وفي سنة ١٩٥٣ أصبحت ست قطع أخرى ، منشورة وغير منشورة ، من القصيدة تحت تصرف الباحثين . وكان « ثور كايلد جا كبسون » من معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو أول من قدم فكرة عن روايتها وترجمة فقرات منها (١) . ثم عرف منذ ذلك الوقت تسعة عشر لوحاً وكسرة أخرى ، منها عشرة كانت في متحف الشرق القديم في اسطنبول (وقد قمت مع امينتي مجموعة الأواح في المتحف المذكور السيدة «معزز جاك» والسيدة « هاتيس كيزيليلى » باستنساخ هذه القطع العشر) وكنتيجة لهذه الوثائق الجديدة جميعها أصبح بالإمكان أخيراً إعادة كتابة نص القصيدة بصورة كاملة تقريباً وترجمتها ترجمة أولية أعتمدنا عليها في إعداد الملخص التالى لمحتوياتها .

تبدأ الأسطورة التى يمكن أن تعنون بـ « موت دوموزى » بعبارات تقديم يضع فيها المؤلف نبرة القصة الحزينة التى يوشك أن يسردها . فقد كان لـ « دوموزى » فلاح « الوركاء » إحساس داخلى باقترابه من الموت ، ولذلك يهرع إلى السهل بعينين دامعتين ببكاء مريب ،

كان قلبه مليئاً بالدموع ،
لقد هرع إلى السهل ،
الفلاح — كان قلبه مليئاً بالدموع
لقد هرع إلى السهل ،
« دوموزى » كان قلبه مليئاً بالدموع ،

(١) Jacobsen and Kramer, « The Myth of gnanna and Bilulu » Journal of Near Eastern, Studies XII, 165-66, and Leo. Openheim, «Interpretation of Dreams in the Ancient Near East.» Transactions of the American Philosophical Society, 195 , P. 246.

لقد هرع إلى السهل ،
وعلق مزماره (؟) حول عنقه ،
وبدا بالنحيب
أقم مناحة ، أقم مناحة ،
أيها السهل ، أقم مناحة ،
أما السهل ، أقم مناحة (؟)
بين قواقع النهر ، أقم مناحة ،
وبين ضفادع النهر ، أقم مناحة
ولتنطق أى بكلمات (الرثاء) .
ولتنطق أى ، « سيرتور » ، بكلمات (الرثاء) ،
ولتنطق أى التى لا تملك (؟) خمسة (أرغفة) من الخبز (؟) بكلمات (الرثاء) (؟) ،
ولتنطق أى التى لا تملك (؟) عشرة (أرغفة) من الخبز (؟) بكلمات (الرثاء) ،
فى اليوم الذى أموت فيه سوف لن يكون لها من يعنى (؟) بها ،
وعلى السهل ، كأى ، لتذرف عيناي الدموع (؟) ،
وعلى السهل ، كأختى الصغرى ، لتذرف عيناي الدموع .
ثم تستمر القصيدة بقولها إن « دوموزى » إستلقى على الأرض لينام ورأى حلاًماً
يفنذر بالشؤم والشر :

بين البراعم (؟) يستلقى بين البراعم (؟) يستلقى ،
الراعى — ينام بين البراعم (؟)
ولما نام الراعى بين البراعم (؟) رأى حلاًماً ،

وأستيقظ — لقد كان حاملاً ، وأرتعشت (؟) أوصاله — فقد كانت رؤيا ،
وفرك عينيه بيديه ، فقد أصيب بالدوار .

ونادى « دوموزى » المرتبك أخته « جيشتيانا » ، الشاعرة الإلهية والمغنية ومفسرة
الأحلام وقص عليها حلمه الذى ينذر بالشؤم :

حلمى ، يا أختى ، حلمى ،
وهذا هو لباب حلمى !
أسل يرتفع من كل جانب حولى ، أسل تبرعم من كل جانب حولى ،
قصبة واحدة كانت تقف وحدها ، رأسها لى ،
من بين الأقصاب الواقفة زوجا زوجا ، واحدة نُقلت من أجلى ،
وفى البستان المشجر — ترتفع الأشجار (؟) حوالى بشكل يثير النعر ،
وعلى موقدى المقدس يسكب الماء ،
ومن مخضتى المقدسة ، تؤخذ قاعدتها (؟) ،
والقدح المقدس المتدلى من وتد ، سقط من الوتد ،
واختفت عصا الراعى العائدة لى ،
وتمسك بومة ... ،
ويمسك صقر على حمل بمخالبه ،
عنيزأتى الصغيرة ، تجر لحاها اللازوردية فى الرغام ،
وأغناى فى الإصطبل تضرب الأرض بأطرافها المخبية ،
ووقعت الممخضة (مهشمة) فلم يسكب منها اللبن ،

وسقط القدح (مهبثاً) - فلا يبقى «دوموزى» على قيد الحياة بعد الآن .
وسلمت حضيرة الغنم إلى الريح .

وقلقت «جيشتيانا» أيضاً قلقاً عظيماً بسبب حلم أخيها :
آه ، يا أخى ، إن حلمك الذى قصصته على لا يبشر بالخير
أسل يرتفع من حواليك ، أسل يشبرعم من كل جانب حولك ،
(هذا يعنى) أن الخارجين على القانون سيتورن للهجوم عليك .
قصبة واحدة تقف وحدها حانية الرأس لك ،
(هذا يعنى) أن أمك التى ولدتك ستحنى رأسها من أجلك ،
من الأقساب الواقعة زوجاً زوجاً ، واحدة نُقلت ،
(هذا يعنى) أنا وأنت - سيقتل واحد منا .

وتستمر «جيشتيانا» فى تفسير حلم أخيها الكئيّب المشؤوم عبارة عبارة إلى أن تنهى
بتحذيره من أن شياطين العالم السفلى الـ «جالا» على وشك الإطباق عليه وأن عليه
أن يختفى حالاً . ووافق «دوموزى» ورجا من أحقه ألا تخبر الـ «جالا» عن مخبأه .

ياصديقتى ، سأختفى بين النباتات

فلا تخبرى أحداً بمخبأى ،

سأختفى بين النباتات الصغيرة ،

فلا تخبرى أحداً بمخبأى ،

سأختفى بين النباتات الكبيرة ،

فلا تخبرى أحداً بمخبأى ،

سأختبئ بين قنوات « أراو »

فلا تخبرى أحداً بمخبأى .

وترد « جيشينانا » على ذلك :

لو أخبرت عن مخبأك ، فالتهمنى كلابك ،

كلابك السود ، كلابك الخاصة بال « رعى » ،

الكلاب المتوحشة - كلابك الخاصة بال « سيادة » ،

عسى كلابك هذه أن تلتهمنى .

وجاء ال « جالا » المخلوقات غير الإنسانية ، الشياطين الذين :

لا يأكلون طعاماً ، ولا يعرفون الماء ،

ولا يأكلون طحيئاً مبللاً ،

ولا يشربون الماء المسكوب (أى المقدم قرباناً) ،

ولا يقبلون الهدايا اللطيفة ،

ولا يشبعون حضن المرأة بالسعادة ،

ولا يقبلون الأطفال ... ، العذب ،

وبدأوا بالتفتيش عن « دوموزى » المختبئ ، ولكنهم لم يتمكنوا من العثور عليه . فقبضوا على « جيشينانا » وحالوا إرشاءها لتدلمهم على مخبأ « دوموزى » إلا أنها ثبتت على وعدها له .

غير أن « دوموزى » عاد إلى المدينة ، لأنه كان على ما يحتمل يخشى من أن تقتل الشياطين أخته . فقبض عليه ال « جالا » هناك ووقعوا عليه لكمة ونحساً وضرباً

بالسياط وقيدوا يديه وذراعيه بشدة وتأهبوا لجملة إلى العالم السفلى . فتوجه « دوموزى »
عندئذ نحو الإله - « أوتو » - أخ زوجته « إينانا » وتضرع إليه ليحليه غزالاً كي
يستطيع الهرب من الشياطين وينجو بنفسه إلى مكان يعرف باسم « شوبيرىلا » ،
(لم يحدد موقعه بعد) . أو كما جاء على لسان « دوموزى » نفسه :

يا « أوتو » ، أنت أخو زوجتى ،

وأنا زوج أختك ،

وأنا الذى يحمل الطعام إلى « أى - أنا » (معبد إينانا) ،

وفى « الوركاء » أتيت بهدايا الزواج ،

وقبلت الشفتين المقدستين (؟) ،

وربت بلطف (؟) الحضن المقدس ، حضن « إينانا » ؟

فحول يدي إلى يدي غزال ،

وحول قدمي إلى قدمي غزال ،

ودعنى أهرب من شياطيني الـ « جالا »

ودعنى أنجو بروحي إلى « شوبيرىلا » ...

واستجاب الإله - الشمس إلى تضرع « دوموزى » أو بعبارات الشاعر نفسه :

تقبل « أوتو » دموعه هدية ،

وكما يفعل رجل رحيم ، أظهر له الرحمة ،

وأحال يديه إلى يدي غزال ،

وأحال قدميه إلى قدمي غزال ،

ونجا من شياطينه الـ « جالا » ،

وحمل نفسه إلى « شوبيرلا »

ولسوء حظه لحق به الشياطين الذين كانوا يطاردونه مرة أخرى وضربوه وأذاقوه
قسوة العذاب كما فعلوا في المرة السابقة . ولذلك توجه « دوموزى » مرة ثانية إلى
« أوتو » بالصلاة ليحيله إلى غزال ، وكان في هذه المرة يود لو حمل نفسه إلى بيت
إلهة تعرف بـ « بيليلى السيدة الحكيمة المسنة » فاستجاب « أوتو » لصلاته ،
ووصل « دوموزى » إلى بيت « بيليلى » متضرعاً إليها بقوله :

أيها السيدة الحكيمة ، أنا لست إنساناً ، أنا زوج إلهة .

من ماء السكبية ، دعينى أشرب قليلاً (؟) ،

من الدقيق الذى رش (بالماء) دعينى آكل قليلاً (؟) ،

ولكنه ما كاد ينتهى من تناول الطعام والشراب حتى ظهر الـ (جالا) وبدأوا
بضربه وتعذيبه مرة ثالثة ، فأحاله « أوتو » مرة أخرى إلى غزال وهرب إلى حظيرة
غنم أخته « جيشتينانا » ، إلا أن كل ذلك لم يجد نفعاً ، إذ دخل خمسة من الـ « جالا »
إلى الحظيرة وضربوا « دوموزى » على خده بمسمار وعصا ، ومات « دوموزى » .
ولننقل ما ورد حرفياً فى الأسطر الحزينة التى تنتهى بها القصيدة :

دخل « الجالا » الأول إلى الحظيرة ،

وضرب « دوموزى » على خده بمسمار (؟) حاد (؟) ،

ودخل الثانى إلى الحظيرة ،

وضرب « دوموزى » على خده بعصا الراعى ،

ودخل الثالث إلى الحظيرة ،

ومن المخضفة المقدسة ، انزعت القاعدة (؟) ،

ودخل الرابع إلى الحظيرة ،

فسقطت الكأس المتدلية من على وتد ، من التود ،

ودخل الخامس إلى الحظيرة ،

فوقعت المخضفة المقدسة (مشهمة) فلا يسكب منها لبن ،

ووقعت الكأس (مشهمة) ، ولم يبق « دوموزى » على قيد الحياة ،

لقد سلمت الحظيرة إلى الرياح .

وهكذا وصل « دوموزى » إلى نهايته المفجعة ، وراح ضحية لحب « إينانا »
وحقدتها .

على أن أساطير « إينانا » لا تتصل جميعها بالإله « دوموزى » . فهناك مثلاً
أسطورة تقص علينا كيف حصلت الإلهة بالحديعة على النواميس الإلهية المروفة عند
السومريين باسم الـ « نى » (me) والتي كانت تتحكم بالإنسان ومؤسساته المختلفة .
ولهذه الأسطورة أهمية كبيرة بالنسبة لعلم دراسة الإنسان (انثروبولوجيا) ذلك لأن
مؤلفها وجد من المستحسن فيما يتعلق بالقصة أن يقدم جدولاً كاملاً بالـ « ميات »
(أى النواميس الإلهية) وتقسيم المدينة كما كان يفهمها إلى أكثر من مائة عنصر
ومقوم حضارى متصل بمؤسسات الإنسان السياسية والدينية والاجتماعية ، وبالفنون
والحرف ، وبالموسيقى والآلات الموسيقية وإلى مجموعة متنوعة من نماذج السلوك
الفكرية والعاطفية والاجتماعية (انظر ما قيل عن « الميات » فى بداية هذا الفصل) .

وتلخص أحداث هذه الأسطورة التى تكشف عن كثير من الظواهر الحضارية
على الوجه التالى :

كانت « إينانا » ملكة السماء وإلهة « الوركاء » الحامية تنوق إلى أن تريد من

خير مدينتها ورخائها وجعلها مركزاً للمدينة السومرية ، فتعلّى بذلك اسمها وشهرتها .
ولذلك اعترمت الرحيل إلى مدينة « أريدو » - مركز الحضارة السومرية القديم -
حيث كان الإله « أنكى » إله الحكمة « الذى يعرف ما فى قلوب الآلهة » -
يسكن بيته « الآزو » - أى مياه العمق ، وذلك لأن جميع النواميس الإلهية التى
تعتبر أساسية بالنسبة للحضارة كانت بعهدة « أنكى » . فإذا ما استطاعت
« اينانا » الحصول عليها - بطرق مشروعة أو غير مشروعة - والإتيان بها إلى
« الوركاء » ، فإن مجد « الوركاء » ومجدها سيكونان بكل تأكيد لا نظير لهما .
ولما قاربت « الآزو » فى « أريدو » ، دعا « أنكى » - وقد أخذ دون شك
بسحرها - رسوله المسمى « أيسموند » وخاطبه على الوجه التالى :

هلم يا رسولى « أيسموند » وأصغ إلى تعليماتى ،
سأقول لك كلمة ، فانتبه لكلماتى ،
إن العذراء قد قصدت « الآزو » بمفردها ،
« اينانا » - بمفردها توجهت إلى « الآزو » ،
فادخل العذراء إلى « آزو » « أريدو » ،
وأعطها كعك الشعير مع الزبد لتأكل ،
واسكب لها الماء البارد الذى ينعش القلب ،
وقدم لها جعة لتشربها فى (كأس) « وجه الأسد » ،
وعلى المائدة المقدسة ، « مائدة السماء »
أنطق بكلمات الترحيب بـ « اينانا »

ف فعل « ايسموند » ما أمره به سيده ، وجلست « اينانا » و « أنكى » للاحتفال
وتناول الطعام . وبعد أن انشرح قلباها بالشراب هتف « أنكى » :

وحق اسم السلطان ، وحق اسم سلطاني ،

لأقدمن النواميس الإلهية لابنتي « إينانا » المقدسة .

ثم يقدم لها على دفعات متتالية النواميس الإلهية التي تزيد على مائة والتي كانت — حسب رأى مؤلفنا — تتحكم بالنموذج الحضارى للمدينة . وكانت « إينانا » سعيدة جداً بقبول الهدايا التي قدمها « أنكى » الذي لعبت الخمرة بعقله وأخذتها جميعاً وحملتها في « قاربها السماوى » وغادرت متجهة إلى « الوركاء » مع شحنتها الثمينة . ولكن « أنكى » لاحظ بعد أن زالت آثار الوليمة بأن النواميس قد أخذت من موضعها الخاص بها . فالتفت إلى « إيسموند » مستفسراً عنها فأخبره بأنه ، أى « أنكى » نفسه قد أهداها لابنته « إينانا » . فقلق « أنكى » قلقاً عظيماً وندم على سخائه أشد الندم وصمم على منع « قارب السماء » من الوصول إلى « الوركاء » مهما كلف الأمر . وأرسل لذلك رسوله مع مجموعة من وحوش البحر لتتبع أثر « إينانا » وقاربها إلى المرحلة الأولى من مراحل التوقف السبع في الطريق بين « آبرو » « أريدو » و « الوركاء » . وكان على الوحوش أن يأخذوا « قارب السماء » من « إينانا » ، أما بالنسبة للإلهة فكان عليها أن تكون مستعدة لمواصلة رحلتها إلى « الوركاء » مشياً على قدميها .

وفعل « إيسموند » ما أهر به ولحق بـ « إينانا » و « قارب السماء » وأخبرها أن « أنكى » غير رأيه ، وأنه لابد من استرجاع القارب وحملته الثمينة وإعادته إلى « أريدو »^(١) ، في حين أن بإمكانها مواصلة السفر إلى « الوركاء » . فوبخت « إينانا » « أنكى » لأنه نقض كلمته وحث بقسمه وتلفتت إلى وزيرها الإله « نينشوبور » طالبة العون منه ، فأقنذها الوزير مع القارب من « إيسموند » ووحوش البحر ولكن « أنكى » بقي مصرّاً على رأيه وأرسل المرة بعد الأخرى « إيسموند » مصحوباً بأنواع مختارة من وحوش البحر للإستيلاء على « قارب السماء » ، غير أن « نينشوبور » ،

(١) لقد ورد في الأصل خطأ اسم « الوركاء » . المترجم .

كان يهب في كل مرة لنجدة سيده . ووصلت « إينانا » وقاربها أخيراً إلى « الوركاء »
بسلام حيث أنزلت النواميس الإلهية الثمينة من القارب الواحد بعد الآخر وسط تهليل
السكان الفرحين واحتفالهم^(١) .

ويلعب في أسطورة أخرى من أساطير « إينانا » بشرفان دوراً هاماً ، وتجري
أحداث هذه الأسطورة على الوجه التالي : كان يعيش في يوم من الأيام بستاناً اسمه
« شو كالتودا » لم تسفر جهوده المضنية في الزراعة إلا عن الفشل . فعلى الرغم من
عنايته بإرواء أخاديد وأجزاء بستانه ، فإن النباتات كانت تذوى وتموت . وكانت
الرياح العاتية تلفح وجهه ب « غبار الجبال » ، وكل ما كان يرعاه بعناية يتحول إلى
أرض مقفرة . وعندئذ رفع عينه شرقاً وغرباً نحو السماوات ذات النجوم ، ودرس
علامات الفأل ولاحظ القرارات الإلهية وعرفها . وكنتيجة لهذه الحكمة الجديدة
التي نالها من تطلعه إلى السماء غرس شجرة « السرباتو » (التي لم يعرف نوعها حتى
الآن)^(٢) في بستانه ، وهي شجرة يبقى ظلها الوارف من شروق الشمس إلى غروبها .
وكنتيجة لهذه التجربة البستانية القديمة (حماية الزراعة من الشمس) ازدهر بستان
« شو كالتودا » بجميع أنواع النباتات الخضراء اللون .

وفي ذات يوم ، كما تواصل أسطورتنا ، اضطجعت الإلهة « إينانا » بعد عبورها
السماء والأرض لترريح جسمها المنهوك قرب بستان « شو كالتودا » . فانتبهز
« شو كالتودا » الذي لمحا من حافة بستانه ، فرصة تعبها الشديد وجامعها . ولما أن طلع
الصباح وأشرقت الشمس ، نظرت « إينانا » حوالها بجزع وصمت مهما كلف الأمر

(١) لا تخلو هذه الأسطورة من إشارات إلى حقيقة تاريخية وهي أن مدينة « أريدو » كانت
من أولى المستوطنات في جنوب العراق ثم أصبحت « الوركاء » في منتصف الألف الرابع ق . م .
مركزاً للحضارة السومرية . فهي إذن تفسر تفسيراً أسطورياً تدهور « أريدو » وازدهار « الوركاء »
حضارياً . (المترجم) .

(٢) يقول الأستاذ طه باقر بأنها قد تكون شجرة « الغر » التي يكثر وجودها على ضفاف
الأنهار في العراق : أنظر : من ألواح سومر ، لمؤلف هذا الكتاب ، وترجمة الأستاذ طه باقر
ص ١٤٥ ملاحظة رقم (١) (المترجم) .

على القبض على هذا الإنسان الفساق الذى أساء إليها إساءة مخجلة . فسلطت من أجل ذلك ثلاثة أوبئة على بلاد سومر . (١) ملأت جميع آبار البلاد بالدم حتى تشبعت بساتين النخيل والكروم بالدماء . (٢) ثانياً سلطت الرياح والعواصف المدمرة على البلاد . أما الوباء الثالث فإن طبيعته غير مؤكدة لأن الأساطير الخاصة به مهشمة جداً ولكن « إينانا » ، على الرغم من هذه الأوبئة الثلاثة ، لم تتمكن من تحديد مكان من انتهك عرضها ، إذ أن « شو كالتودا » كان يذهب بعد حلول كل وباء إلى بيت والده ويخبره بالخطر المصدق به ، وكان الأب ينصح ابنه بالتوجه إلى إخوته « ذوى الرؤوس السود » أى سكان بلاد سومر ، وبالبقاء قريباً من مراكز المدن . وكان « شو كالتودا » يتبع نصيحته وكنهية لذلك ، لم تستطع « إينانا » أن تعثر عليه . وبعد إخفاؤها الثالث أدركت « إينانا » بمرارة بأنها لا تستطيع أن تثار للإثم الذى ارتكب بحقها ولذلك عازمت على الذهاب إلى « أريدو » أى إلى بيت « أنكى » ، إله الحكمة السومري ، لتطلب منه النصيح والعون .

وكان الناس ، إذا استثنينا بعض الإشارات إلى البشر جميعهم ، لا يلعبون الأدوراً ضئيلاً فى الأساطير السومرية . فهناك بالإضافة إلى أسطورة « إينانا » — « شو كالتودا » التى سردت قبل قليل ، أسطورة أخرى واحدة فقط تتناول فرداً من البشر الفانى ، وهى قصة الطوفان المعروفة بين الباحثين منذ وقت طويل . وهذه الأسطورة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للدراسات التوراتية المقارنة . ولسوء حظ لم يعثر إلى هذا التاريخ إلا على لوح واحد فقط يحتوى على هذه الأسطورة ، ولم يبق من هذا اللوح سائماً إلا ثلثه . أما بداية الأسطورة فقد ثلثت ، وأولى أسطر اللوح الواضحة تتصل بموضوع خلق الإنسان والنبات والحيوان ، وبالأصل السماوى للملكية ، وبتأسيس خمس مدن وتسميتها فى زمن ما قبل الطوفان ، قدمت لخمس آلهة حامية .

(١) للوقوف على ترجمة حرفيه وأولية للأسطورة انظر : كريم ، من ألواح سومر ، ترجمة الأستاذ طه باقر ، ص ١٤٦ وما بعدها . (المترجم)

ثم نعرف بعد ذلك أن عدداً من الآلهة كان يعيش بالمرادة والأسى بسبب قرار إلهي بإحلال الطوفان وإهلاك البشر . ثم قدم بعدئذ « زيوسودرا » ، النظير السومري لـ « نوح » الذي ورد في التوراة ، كملك طاهر يخشى الإله ، ملك كان يتلطف إلى معرفة الوحي الإلهي عن طريق الأحلام . وكان يجلس بجانب جدار منصتاً إلى أحد الآلهة - ربما كان « أنكي » - وهو يبلّغه بالحكم الذي اتخذ في مجمع الآلهة بإرسال طوفان و « تدمير بذرة البشر » .

ولا بد أن تكون الأسطورة قد واصلت الحديث ببيان الإرشادات المفصلة التي بلغها الإله لـ « زيوسودرا » بشأن بناء سفينة عظيمة ينقذ بها نفسه من الهلاك . ولكن هذا كله ضاع بسبب كسر كبير في اللوح . وعندما يبدأ النص مرة أخرى بالوضوح نجد أن الطوفان قد حل فعلاً بكل عنفوانه في البلاد وظل في ثورته العارمة سبعة أيام وسبع ليال . وفي نهاية تلك المدة أشرق الإله - الشمس « أوتو » وأضاء الأرض ونشر عليها الدفء ، وخر « زيوسودرا » ساجداً أمامه بخضوع وقدم له القرابين من الثيران والغنم . وتصف السطور الأخيرة الباقية من الأسطورة تأليه « زيوسودرا » : فبعد أن سجد بخضوع أمام الإلهين « آن » و « إنليل » وهب « الحياة كما لو كان إلها » ونقل إلى « دلون » أرض الجنة الإلهية « الموضع الذي تشرق الشمس فيه » .

وأخيراً هناك أسطورة سومرية تمدنا ، على الرغم من اتصالها بالآلهة فقط بمقدار هام من المعلومات « الأنثروبولوجية » عن الشعب السامي البدوي الذي عرف باسم « مارتو » . تقع أحداث تلك القصة في مدينة « نيناب » « مدينة المدن - بلاد الإمارة » (مازال موقعها غير محدد في بلاد ما بين النهرين) . وكان إلهها الخاص فيما يبدو « مارتو » ، إله الساميين البدو الذين عاشوا في المناطق الواقعة إلى الغرب والجنوب الغربي من بلاد سومر . أما تأريخ هذه الأحداث بالنسبة إلى أحداث بلاد سومر فقد وضعت بفقرات خفية المعنى ، فيها طباق وغموض ، على الوجه التالي :

لقد كانت « نيناب » موجودة ، أما « أكتاب » فلم تكن موجودة ،

وكان التاج المقدس موجوداً ، أما عُصابة الرأس المرصعة فلم تكن موجودة ،
وكافّت الحشائش المقدسة موجودة ، أما النيتروم المقدس فلم يكن موجوداً ..

وتبدأ القصة بعزم الإله « مارتو » على الزواج ، فيسأل أمه لتجد له زوجة ، ولكنها
تنصحه بالسعى بنفسه لعمشور على زوجة وفقاً لرغبته الخاصة . وذات يوم ، كما جاء في
القصة ، أقيمت في « نيباب » وليمة نخمة حضرها « نوموشدا » الإله — الحامي لدولة
مدينة تقع في شمال بلاد سومر مع زوجته وابنته . وأنجز « مارتو » أثناء هذه الوليمة
بعض الأعمال البطولية التي أدخلت السرور إلى قلب « نوموشدا » ومكافأة على ذلك
قدم له « مارتو » الفضة وحجر اللازورد . ولكن « مارتو » رفض قبولها ، وطلب
يد كريمة « نوموشدا » كمكافأة له ووافق « نوموشدا » بسرور ، كما وافقت كريمته
أيضاً على الرغم من محاولة صديقاتها باقناعها بعدم الزواج من « مارتو » لأنه لم يكن
في نظرهن سوى بدوى بربرى يقطن الخيام ويأكل اللحم نيئاً و « لا يدفن عندما
يموت » .

الفصل الخامس

الأدب: الأدب السومري المحض

إن علم الآثار ، ولا سيما دراسة ماضى الإنسان السحيق بالقدم ، كما تكشف عنه التنقيبات الجارية فى المدن والقرى التى طمرت منذ زمن طويل ، هو بطبيعته الخاصة أكثر وضوحاً فى الآثار المادية للحضارة عادة ، ذلك لأن البقايا الآثرية تتألف بالدرجة الأولى من الآجر والجدران والعدد والأسلحة ، ومن القدر والآنية ، والمجوهرات والحلى ، ومن التماثيل والهيكل الصغيرة ، وباختصار من كل ما أنتجه الإنسان فى الفنون والحرف . أما حياته الاجتماعية ، وتنظيماته الاقتصادية والإدارية ، وبصورة خاصة رأيه فى الكون كما يتضح فى معتقده الدينية ، ومثله الأخلاقية وتطلعاته الروحية — فإن كل هذه يجب أن تستنتج عادة من المصنوعات والبناء وعادات الدفن ، وهذه الاستنتاجات أيضاً لا تكون إلا على شكل تعميمات غامضة ومفككة .

على أن الحالة تختلف بالنسبة لبلاد سومر ، لأن المنقبين هنا أخرجوا من تحت التراب عشرات الألوف من الألواح الطينية المدونة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى — فأضافت ما يمكن أن نطلق عليه بعداً فى العمق بالنسبة لفهمنا حضارة بلاد سومر القديمة . حقا إن أكثر من تسعين بالمائة من المواد المكتوبة تتألف من وثائق اقتصادية وإدارية ، وإن هذه ، على ما هى عليه من أهمية من وجوه عديدة ، لا تكشف إلا عن القليل من الحياة الروحية لسكان بلاد ما بين النهرين القدامى . ولكن مجموعة من خمسة آلاف لوح وكسرة لوح مدونة بأصناف مختلفة من الأعمال الأدبية قد اكتشفت أيضاً — وهذه تمكننا من النفاذ إلى مدى معين إلى داخل قلوبهم وتقوسهم .

وتتراوح الوثائق السومرية الأدبية فى أحجامها بين ألواح كبيرة ذات اثنى عشر حقلاً (أو عموداً) كتبت عليها نصوص تضم مئات السطور المتلاحقة وكسر ألواح

صغيرة جداً لا تحتوى على أكثر من بضعة سطور مكسورة وتصل التأليف الأدبية المدونة هذه الألواح والكسر إلى المئات وتختلف أطوالها ، فمنها تراويل ذات أقل من خمسين سطراً ، ومنها أساطير مؤلفة مما يقرب من ألف سطر . يحتل الأدب السومري المحض باعتباره نتاجاً أدبياً منزلة عالية بين ابداعات الإنسان المتمدن الفنية ، حتى إن المقارنة بينه وبين الروائع الأغريقية والعبرانية لا تؤدي إلى أحكام لغير صالحة إلى درجة كبيرة . فثله مثل تلك الروائع يعكس الحياة الزوجية والفكرية لحضارة قديمة ، ولولاه لبقيت هذه الحضارة مجهولة بصورة عامة . ومهما قيل في أهمية هذا الأدب لتقويم التطور الحضارى والعقل فى كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم بشكل مناسب ، فإنه لا يكون قولاً مبالغاً فيه . فقد أخذ الأكديون والآشوريون والبابليون هذه الأعمال الأدبية بكاملها تقريباً ، وترجم الحثيون والحثيون والكنعانيون بعضاً منها إلى لغاتهم الخاصة ، وقلدوها بلا شك تقليداً واسعاً . وتأثرت صيغة الأعمال الأدبية العبرانية ومحتواها ، بل حتى أعمال قدماء الأغريق تأثرت إلى حد ما تأثراً عميقاً بالأعمال الأدبية السومرية ، وبما أن هذه الأعمال تؤلف عملياً أقدم أدب مدون بكمية كبيرة اكتشف حتى الآن — ولا يوجد أى احتمال بالكشف عن وثائق أدبية أقدم منها خارج بلاد سومر — فإنها تقدم مادة أساسية جديدة وثمينة لم تكن متوقعة لطلبة تاريخ المدنية ، وعلى الأخص لأولئك الذين يعنون بمظاهرها العقلية والروحية . وليس كثيراً توقعنا بأن يثبت اكتشاف وإعادة بناء هذا الأدب القديم الذى بقى منسياً فترة طويلة ، فى نهاية الأمر على أنه هبة رئيسة قدمها عصرنا الحاضر إلى العلوم الإنسانية .

على أن إنجاز هذه المهمة إنجازاً كاملاً ليس بالأمر اليسير . فهو يستلزم جهوداً مخلصه من أكثر من باحث واحد فى علم المسماريات خلال السنوات القادمة . لأنه على حين أن أكثر الوثائق قد اكتشفت قبل أكثر من نصف قرن فإن ضم أجزاء المؤلفات المدونة فيها إلى بعضها البعض وترجمتها لم يتقدما إلا تقدماً بسيطاً نسبياً خلال العقود التى تلت اكتشافها . فقبل كل شئ كانت الأغلبية العظمى من الألواح التى استخرجت من الأرض مكسرة ومهشمة ، حتى إن جزءاً صغيراً فقط من محتوياتها

الأصلية ظل محفوظاً على كل منها . إلا أن مما يعوض عن هذا النقص هو حقيقة أن الكتاب القدامى كانوا بصورة عامة يُعدون أكثر من نسخة واحدة لأي قطعة أدبية معينة . ولهذا فإن الثغرات والفراغات الموجودة في لوح أو في كسرة لوح قد يستحصل على كتاباتها في الغالب من أنواع أخرى مطابقة لها حتى وإن كانت هذ نفسها مهشمة أيضاً . وللاستفادة من هذه النسخ المتطابقة ومن القطع التي أعيدت كتاباتها نتيجة لهذا التطابق استفادة كاملة ، من الضروري على كل حال وضع أكثر ما يمكن من المادة الأصلية بين يدي الباحثين بشكل منشور . وهذا يستلزم في كثير من الأحيان استنساخ مئات ومئات من الألواح المدونة باليد استنساخاً دقيقاً ، وهذه مهمة مضيئة وتتطلب وقتاً طويلاً . فلا عجب إذا لم يتيسر حتى سنة ١٩٣٥ ، إلا جزء صغير نسبياً من الوثائق الأدبية السومرية على الرغم من الجهود المخلصة التي بذلها عدد من المختصين بالكتابة المساهية من أمثال : « هيرمن هلمبرشت » و « هيجورادلو » و « استيفان لانجدون » و « آل . دبليو . كنج » و « هاينرش زيمرن » و « سيريل جاد » و « هنري دي جنويلاك » و « آرنو پوبل » و « أدوارد كيرا » .

لقد كرسست لمعالجة هذه الحالة ، معالجة جزئية على الأقل ، كثيراً من الخمس والعشرين سنة الماضية في دراسة واستنساخ النصوص الأدبية السومرية غير المنشورة والمبعثرة في كافة المتاحف في العالم . ولكنه بمرور السنين بدأ يتضح أكثر فأكثر أن هذا العمل لم يكن مهمة رجل واحد . ولحسن الحظ أظهر في السنوات العديدة الماضية عدد من الباحثين كثيراً من الحماس والنشاط للتعاون في هذا الحقل وهم : « ادموند جوردون » الذي فتحت دراسته للأقوال المأثورة والقصص الخرافية السومرية آفاقاً جديدة في الدراسات المقارنة لأدب الحكمة في العالم ، و « معززجك » و « هاتيس كيز يلياي » أمينتا قسم الألواح في متحف الشرق القديم في اسطنبول ، و « اينزبيرنهارت » مساعد أمين مجموعة « هلمبرشت » في جامعة « فردريش شيلر » في « بينا » و « يوجين برجن » من المعهد البابوي لدراسات الكتاب المقدس في روما ، و « جورج كاستيلنو » من جامعة روما . وفي نفس الوقت مازال « ج . أى .

فإن دايك » ، تلميذ سابق من تلامذة « دى لياجر بويل » ، وأدم فلكنشتاين (لقد توفي هذا العلامة قبل بضع سنين) يعملان على استنساخ ونشر نصوص أدبية سومرية من نصوص المتحف العراقي في بغداد ، ومن مجموعة « بويل » في « لايدن » وأهم من هذا كله ، أن عدة مئات من الألواح الأدبية السومرية المكتشفة بين سنة ١٩٣٣ و ١٩٣٤ في مدينة « أور » ، والتي استنسخها في غضون عدد من السنين « سيريل جاد » ، ستنشر في المستقبل القريب . ومن كل ذلك نستطيع القول أن هناك سبباً وجيهاً للأمل بأن العقد القادم سيشهد نشر جزء كبير جداً من الألواح والكسر ذات التأليف الأدبية السومرية التي ما زالت منذ سنين راقدة هنا وهناك في خزانات المتاحف المختلفة .

ولكن ، كما أظهرت التجربة — وكما يشهد على ذلك أكثر من متخصص واحد باللغة السومرية — حتى إذا أعطى الباحث نصاً كاملاً لمؤلف أدبي سومري ، فإن ترجمته وتحليله يضعان أمامه مهمة شاقة ، وقد تكون في بعض الأحيان ممزقة للقلب . حقاً إن المشاكل النحوية السومرية لم تعد اليوم مشاكلاً حادة بالدرجة التي كانت عليها في الأيام الأولى . ويعزى التقدم المرضي في هذا الحقل إلى حد كبير إلى الجهود السابقة التي بذلها متخصصون بارزون بعلم المساريات أمثال « ديلج » ، و « ثيورو - دانجن » و « وزيمرن » و « لاندزجر » ، وبصورة خاصة « پوبل » . فكتاب « پوبل » « أساس النحو السومري »^(١) الذي نشر قبل حوالي أربعين سنة ، هو الذي وضع النحو السومري على قاعدة علمية ، وتبشر ، حتى في الميدان المعجمي السومري الصعب والمعقد ، إسهامات علماء من أمثال « فلكنشتاين » و « جاكبسون » و « لاندزجر » — مقتصرين على ذكر العالقة فقط — في التغلب على بعض أكثر العقبات تشبيهاً للعزم . وفي ضوء كل ذلك يبدو من المحتمل أن يشهد العقد القادم ، كنتيجة للإسهامات المتراكمة المشتركة لعلماء المساريات في العالم ، ترجمات موثوقاً بها نسبياً

لعدد كبير من التأليف الأدبية ذات الأهمية الكبيرة . ومهما سيحصل ، فإننا في الوقت الحاضر في موقف يمكننا من إلقاء نظرة جديدة على الأدب السومري بشكل عام . وهذا هو ما نهدف إلى إنجازه في الاستعراض العام التالي .

إن الأدب السومري ، كما يستخدم التعبير في هذا الفصل ، يقتصر على الأساطير والقصص الملحمية ، والترانيل والمرثيات والوثائق التاريخية ، وعلى المقالات الطويلة والقصيرة ، والإرشادات الأخلاقية والأقوال المأثورة ، وسوف لا يشمل الكتابات الفردية التي لبعضها قيمة أدبية غير قابلة (انظر مثلاً نصوص الملك « أينتميننا » في الملاحق) ، ونصوص « أوروكينا » الإصلاحية (أنظر الملاحق) ، والرسائل السياسية التي لبعض منها نكهة أدبية بينة (أنظر الملاحق) . لقد بدأ السومريون أقدم الوثائق الأدبية المكتشفة حتى الآن تعود في تأريخها إلى حدود سنة ٤٠٠ ق.م. فلدينا مثلاً من هذا القرن تقريباً أسطوانة طينية صلبة كتب عليها عشرون حقلاً لنص يتألف من أسطورة تتعاقب بالدرجة الأولى بالإله « أنليل » وأخته « نيننخورساج » وتذكر عدداً من الآلهة السومرية الأخرى المعروفة جيداً مثل « إينانا » و « أنكي » و « ننورتا » . أما رواية هذه الأسطورة فإنها ما زالت غير واضحة ، ولكن المفردات والفقرات والمواضيع الواردة فيها تكشف عن أسلوب وتركيب يشبهان تماماً أسلوب وتركيب الأساطير التي تعود إلى زمن متأخر جداً ، مما يشير إلى وجود تطور أدبي متواصل ودائم في غضون تلك القرون العديدة . وتأيد هذا بأسطورة أخرى دونت على لوح مهبشم يرجع إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد ، تتعلق بابن « أنليل » « أشكور » الإله - العاصفة الذي اختفى في داخل العالم السفلي ، فجمع « أنليل » الحزين « الآنوناكي » لطلب العون منهم ، وكان الثعالب على ما يرجح هو الذي تطوع لإعادة « أشكور » من العالم السفلي - وموضوع الثعالب يبيد إلى الذهن إلى حد ما الموضوع الذي نجده في أسطورة الجنة (أنظر الفصل الرابع) .

وهناك سبب وجيه يدفعنا على الاعتقاد بأن إنتاج السومريين الأدبي كان ينمو

على مر القرون ، حتى أصبح دون ريب غزيراً حوالى نهاية الألف الثالث ق . م .
عندها أصبحت المدرسة السومرية ، الـ « إيدوبا » ، مركزاً مهماً للتربية والتعليم .
واستمرت الأعمال الأدبية السومرية دون عائق يقف في طريقها خلال النصف الأول
من الألف الثانى على الرغم من حقيقة أن اللغة الأكديّة السامية كانت تحل تدريجاً
محل اللغة السومرية كخانة للكلام في بلاد سومر . ففي المدرسة ، (الأيدوبا) ، التى
كانت تعمل خلال فترة سلالـة « إيسن » كلها ، بل وحتى فيما بعد تلك الفترة ، كانت
الأعمال الأدبية القديمة تدرس وتستنسخ وتنفق بنشاط وتحمس ، وبعباية وتفهم ،
حتى إن الأعمال الأدبية التى وصلت إلينا كلها تقريباً لم تعرف إلا من نسخ وتنقيحات
أعدت فيما يمكن وصفه بفترة ما بعد الـ « أيدوبا » (أى المدرسة) السومرية . بل
إن المعلمين والشعراء والكتاب الناطقين على ما يفترض باللغة الأكديّة ، الذين
كانوا يؤلفون الهيئـة العاملة فى الـ « أيدوبا » ابتدعوا أعمالاً أدبية سومرية جديدة
على الرغم من أنهم كانوا يحذون فى أعمالهم — وهذا أمر طبيعى جداً — حذو
الوثائق القديمة فى الشكل والمحتوى والأسلوب والنمذج .

وكان غالباً ما يفترض بأن الأعمال الأدبية السومرية كلها ذات طابع دينى وأنها
كانت تؤلف وتنفق من قبل الكهنة من أجل استعمالها فى الطقوس المعبدية . ولكن
إذا استثنينا التراتيل والمراثيات ، يصعب الدفاع عن ذلك الرأى . فلو بدأنا بأكثر
الحالات وضوحاً ، فإنه مما ينافى العقل أن نفترض بأن الأقوال المأثورة والإرشادات
الخالقية أو المقالات السومرية التى تتعلق بالـ « أيدوبا » ، (أى المدرسة) ، كانت
تكتب من قبل الكهنة واللاهنة ، أو أنها كانت ذات صلة بأى شكل من
الأشكال مع الطقوس المعبدية . كما لا يوجد أى أساس صحيح للافتراض القائل إن
القصص الملحمية التى تحوم حول الأبطال « إينمركار » و « لوجال بندا »
و « جلجامش » كانت تؤلف من قبل الكهنة وترتل فى المعبد . ولا توجد إشارة
حتى بالنسبة للأساطير إلى أنها كانت ترتل فى صلوات المعبد والاحتفالات الدينية .
وعلى الأقل لم يحدث هذا خلال الفترات السومرية أو فى فترة مبكرة فيما بعد العهود

السومرية . ويبدو من المعقول في حالة التراتيل والمرثيات فقط أن نفترض بأنها كانت مؤلف وتنقح لفرض استخدامها في الطقوس المعبدية . ولكن بما أن الألواح التي دونت عليها التراتيل والمرثيات ، كالألواح التي دونت عليها النماذج الأخرى من الأعمال الأدبية ، لم يعثر عليها في المعابد ، كما نعرف من التنقيبات الحديثة التي أجريت في مدينة « نسر » ، وإنما في الحى الخاص بالكتاب ، فإنها لا بد أن تكون أيضاً قد ألفت في الـ « أيدوبا » ، (المدرسة) ، من قبل أعضاء هيئتها التدريسية وليس من قبل الكهان . وفي الواقع لم يذكر الكهان في أى مكان كجزء من هيئة الـ « أيدوبا » التدريسية .

وكان الـ « نار » ، أو المغنى ، الذى يذكر أحياناً في التراتيل جنباً إلى جنب مع الـ « دوسار » ، أو الكاتب ، شخصية بارزة في نمو الأدب السومرى وتطوره ، ولكن علاقته بالـ « أيدوبا » غير واضحة . وعلى أية حال ، كان بعض المتخرجين في الـ « أيدوبا » ، على ما يحتمل ، يتخصصون بالتأليف الدينية وينخرطون في خدمة المعبد لتعليم المغنين والموسيقين التابعين له ، والإشراف على الطقوس الدينية وإدارتها ، بينما كان آخرون يتخصصون بالأساطير والقصص الملحمية وينخرطون في خدمة القصر لتدريب وتدريب معنى القصر والقائمين بأعمال الترفيه فيه . بيد أننا لا نملك عملياً حتى الآن أية معلومات عن هذه التفاصيل وما شاكلها . كما لا نعرف أى شىء عن المستمعين أو « الجمهور القارىء » ، الذين كانت الأعمال الأدبية السومرية تهيأ لهم . وكان باستطاعة خريجى الـ « أيدوبا » فقط الكتابة والقراءة ، ولم يمارس حتى « المتعلمون » عملية جمع مكنبات خاصة لمتعلمهم وانتفاعهم الشخصى ، وعلى ما يرجح كانت الـ « أيدوبا » فقط تمتلك مكتبة ولو أن المعبد والقصر ربما كانا يمتلكان أيضاً نسخاً من تلك التأليف التي كانت ذات علاقة باحتياجاتهما الخاصة . ولم تبق الأعمال الأدبية السومرية على « رفوف » الـ « أيدوبا » لأغراض تعليمية فقط ، ولا بد أن تكون قد استخدمت بطريقة أو أخرى في اجتماعات عامة سواء عقدت هذه الاجتماعات في المعبد أو القصر أو في السوق العامة .

لقد كتبت الأغنية العظمى من الأعمال الأدبية السومرية بصيغة شعرية . ولم يعرف استخدام الوزن مطلقاً ، ولكن جميع الأساليب والوسائل الأخرى تقريباً ، كال تكرار والطباق والتورية والسُتبيه واللازمة والدور ، استخدمت بمهارة وخيال وفعالية كبيرة . والشعر القصصي السومري — كالأساطير والقصص الملحمية مثلاً — مليء بالنعوت الجامدة والتكرار المطول ، وبالصيغ المعادة وبالأوصاف المفصلة بروية وبالحطب المطولة . ولا يظهر الكتاب السومريون بصورة عامة إلا ميلاً ضعيفاً جداً نحو بناء رواية متماسكة ، وتنزع قصصهم إلى التجوال الواسع بلا ترابط وبصورة رتيبة ، مع قدر يسير من التنوع في التأكيد والنبرة . وفوق كل شيء ، كان ينقص الشعراء السومريين فيما يبدو إحساس بذروة الإنفعال في قصصهم إذ لا تظهر الأساطير والقصص الملحمية إلا تصعيداً ضعيفاً للعاطفة ولا تدفع القارئ إلى التقرب خلال تطور القصة ، وفي الغالب لا تكون آخر حادثة فيها أكثر تهيجاً وإثارة للقارئ من الحادثة الأولى . كما لا توجد أية محاولة لإبراز خصائص شخصيات الرواية ووصف حالاتهم النفسية . وهناك ميل نحو إبراز آلهة وأبطال القصص السومرية كمزاج عامة واسعة أكثر من إبرازهم كأفراد باحتمال ودم يمكن تمييز شخصياتهم .

وجاءت الأساطير السومرية المكتشفة في الوقت الحاضر كلها أو أغلبها على الشكل التالي : اثنتان يلعب فيهما الإله « إنليل » الدور الرئيسي وهما « إنليل وننليل : ولادة — الإله — القمر » و « خلق الفأس » ، وأربع أساطير يلعب فيها الإله « أنكي » دور البطولة وهي : « أنكي ونظام الكون : تنظيم الأرض ومقوماتها الحضارية » و « أنكي ونينخورساج : أسطورة جنة سومرية » و « أنكي ونماخ : خلق الإنسان » و « أنكي وأريبدو » . وأسطورة واحدة تتعلق بالإله — القمر « نانا — سين » وهي « رحلة نانا — سين إلى نقر » ، واثنتان تخصان الإله « ننورتا » وهما « أعمال ومآثر ننورتا » و « عودة ننورتا إلى نقر » وخمس تابع فيها الإلهة « إينانا » الدور الرئيسي وهي « إينانا وأنكي : حمل فنون المدنية من أريبدو إلى

الوركاء» و «إينانا واخضاع جبل إيبسخ» و «إينانا وشوكالتودا : اسم الفلاح الميت» و «نزول إينانا إلى العالم السفلى» و «إينانا ويبلولو» ؛ وأربع يلعب فيها الإله «دوموزى» الدور الرئيسى وهى «دوموزى وإنكىدو : التودد لإينانا» و «دوموزى والجالالا (الشياطين)» ، وأسطورة واحدة تتعلق بإله «المارتو» ، الساميين البدو الذين يعيشون إلى الغرب من بلاد سومر وهى «زواج مارتو» ، وأسطورة الطوفان ، التى ما زالت «هوية الإله (أو الإلهة) الذى كان البطل الرئيسى فيها مشكوكاً فيها . (لخصت أحداث هذه الأساطير جميعها تقريباً فى الفصل الرابع).

ومن الأمثلة الممتازة التى توضح الخيال الميثولوجى السومرى هو أسطورة (أنكى) ونظام الكون « وهى واحدة من أطول القصائد القصصية السومرية الموجودة وأحسنها من حيث الحفظ لأن جميع محتوياتها أو أغلبها وصلت سليمة . يتألف هذا النص من حوالى ٦٦٦ سطرًا ، حفظ منها حوالى ٣٧٥ سطرًا بصورة كاملة أو فى جزء كبير منها . وأخطر الثغرات هى الموجودة فى بداية النص ونهايته وفى الفقرة الواقعة بين سطر ١٤٦ و ١٨١ . وجمع النص المتيسر الذى قدم هنا لأول مرة باللغة العربية^(١) ، من اثني عشر لوحًا وكسرة لوح وأهم هذه كلها — وهى القطعة التى دلت على أنها أساسية لإعادة بناء القصيدة — لوى مكون من ثمانية حقول دُون عليه فى الأصل نص الأسطورة بأكمله . ولسوء الحظ وجد هذا اللوى مشطورًا إلى جزئين عندما استخرج من التراب فى تنقيبات «نقّس» القديمة ، واستقر نصف فى متحف الجامعة فى جامعة بنسلفانيا فى فلادلفيا والنصف الآخر فى مجموعة «هالبرشت» فى جامعة «فردريش شيلر» ن «بيننا» . إن نص الجزء الأخير لم يتيسر للباحثين إلا فى عهد قريب جداً وأصبحت إعادة كتابة الأسطورة الحالية ممكنة كنتيجة لربط نص القطعتين اللتين ظاننا متباعدين زمنًا طويلا .

(١) الأصل باللغة الانجليزية . (المترجم) .

يبدأ الشاعر بترتيلة حمد موجهة إلى الإله « أنكى » أصاب التلف قسماً منها مما جعلها غير مفهومة ، ولكن إذا تكلمنا بصورة عامة ، تبدو بأنها تمجد « أنكى » بصفته الإله الذى برقب الكون وموكل بمخسوبة الحقل والمزرعة ، والسرب والقطيع ، ثم تعقب ذلك أنشودة فى تمجيد الذات وضعت على لسان « أنكى » ، وتتعلق بصورة رئيسة بعلاقته بالهة المجمع الإلهى الرئيسة « آن » و « أنليل » و « ننتو » ، وبالآلهة الأقل شأنًا المعروفة بمجموعها بال « آنوناكى » وبعد فقرة مختصرة مكونة من خمسة أسطر تتحدث عن ولاء ال « آنوناكى » ل « أنكى » ينطق « أنكى » مرة ثانية بأنشودة تمجيد لذاته . فيبدأ بتمجيد قوة كلمته وأمره فى تزويد الأرض بالرخاء والخير العميم ، ثم يصف روعة معبده « الآزو » وينتهى بوصف رحلته المدرسة فى الأهوار فى قاربه ال « ماجور » « وعل الآزو » ، تلك الرحلة التى أرسلت بعدها بلدان « ماجان » و « دلون » و « ملوخا » سفنها المثقلة بشحنة من الهدايا الثمينة للإله « أنليل » . وبعد انتهاء هذه الفقرة ، يقدم « الآنوناكى » مرة أخرى الطاعة ل « أنكى » ولا سيما بوصفه الإله الذى « يستحوذ » على ال « ميات » (نواميس الآلهة وقواعدها) .

ويقدم الشاعر الآن وصفاً للشعائر والطقوس المتنوعة التى كان يؤديها بعض من أهم الكهنة والزعماء الروحانيين فى بلاد سومر فى « آزو » ، معبد « أنكى » . (لسوء الحظ أصاب التلف جميع النصف الثانى من الفقرة تقريباً) . وبعد فقرة أخرى لا يمكن التأكد من محتوياتها لأنها مهشمة ، نجد « أنكى » فى قاربه مرة أخرى . وبقية مخلوقات البحر بتقديم الولاء له ، وانتشار الخير العميم فى الكون أصبح « أنكى » مستعداً « لتقدير المصائر » مبتدئاً ، كما كان منتظراً ، ببلاد سومر نفسها ، فرفع أولاً من قدرها كبلاد مختارة مقدسة بـ « ميات » (أى نواميس) « سامية » و « لاتمس » ، بلاد اتخذت الآلهة مساكنها فيها ، وبارك أسرابها وقطعانها ومعابدها ومزاراتها . ثم انتقل من سومر إلى « أور » التى مجدها بلغة رفيعة فيها كثير من المجاز ، وأنعم عليها بالرخاء والسيادة ثم توجه نحو « ملوخا » وأنعم عليها بسخاء عظيم بالأشجار

والقصب والثيران والطيور والذهب والقصدير والبرونز . ثم بدأ بتزويد « دلون » ببعض احتياجاتها . أما بالنسبة لبلادى « عيلام » و « مرخاشى » ، وهما بلدان معاديان ، فقد تصرف أراءها تصرفاً غير ودى وشرع بتدميرها وأخذ كل ثرواتها ، بينما « قدم » من الناحية الأخرى إلى الـ « مارتو » البدو « ماشية كهدية » .

وترك الآن « أنكى » تقدير مصائر البلدان المختلفة التى كانت تؤلف العالم السومرى المأهول وأنجز سلسلة كاملة من الأعمال الحيوية بالنسبة لخصوبة الأرض وقدرتها على الإنتاج ، فأتجه أولاً إلى معالمها الطبيعية وبدأ بملء دجلة بالماء النخري الرائق الذى يهب الحياة — أو كما ورد فى خيال شاعرنا المجازى الصرف . من أن أنكى « ثور هائج يضاجع النهر الذى تخيله كبقرة وحشية . ثم ، ليتأكد من أن دجلة والفرات سيقومان بمهمتهما ، عين الإله « إينبيلولو » « مفتش القناة » مسؤولاً عنهما . و « يدعو » « أنكى » بعد ذلك منطقة الأهوار وأجمة القصب ويمدها بالأسماك والقصب ويعين إلهاً « يحب السمك » ، اسمه غير واضح ، مسؤولاً عنهما . ثم اتجه نحو البحر وشيد هناك مزاره المقدس ، ووضع الإلهة « نانشه » « سيدة سيرارا » مشرفة عليه . وأخيراً « دعا » المطر واهب الحياة ، وجعله يسقط على الأرض وعهد به إلى الإله — العاصفة « أشكور » .

وتوجه الآن « أنكى » نحو الأرض واحتياجاتها وأولى عنايته بالمحراث والقدان والحقل وعين فلاح « أنابيل » « أنكىمدو » ، إلهاً لها . و « دعا » بعد ذلك الحقل المزروع وخلق حبوبه وخضر واته المتنوعة وأوكل شئونها إلى إلهة القمح « أشنان » ونظر إلى المعول وقالب الآجر ، وعين إله الآجر « كولا » مشرفاً عليهما . ثم وضع الأسس وصف الآجر وشيد « البيت » وعين « موشداما » ، بنساء (أنليل) العظيم ، مشرفاً عليه .

وبعد أن ترك الزرعة والحقل والبيت توجه « أنكى » نحو السهل العالى وغطاه بنباتات خضراء ، وضاعف ماشيته وجعل « سوموجان » « ملك الجبال » مشرفاً

عليها . ثم أقام بعد ذلك مرابط وحظائر الغنم ، وأمدّها بأحسن السمن واللبن . وعين الإله — الراعى « دوموزى » مشرفاً عليها . ثم حدد « أنكى » « الحدود » — التى كانت على ما يفترض حدود المدن والدول — وأقام أحجار الحدود^(١) و وكل الإله - الشمس « أوتو » « بالكون كله » . وأخيراً التفت « أنكى » بعناية إلى « ذلك الذى هو من عمل المرأة » وخاصة حياكة الملابس ، وجعل « أوتو » إلهة النسيج مسؤولة عن ذلك .

وتأخذ الأسطورة الآن اتجاهاً لم يكن متوقّعا ، وذلك عندما يقدم الشاعر الإلهة « إينانا » الطموحة الغامرة التى كانت تشعر بأنّها قد أهمّات وتركت دون أن تكون لها سلطات وامتيازات خاصة بها ، وتشتكى « إينانا » بمرارة من أن أخت « أنليل » « آرورو » (المعروفة بـ « ننيو ») وأخواتها (أى أخوات « إينانا ») الإلهات « ننسنا » و « ننموج » و « نيدابا » ، و « نانشه » قد تساهمن جميعهن سلطاتهن والشارات الخاصة بكل واحدة منهن ، ولكنها هى « إينانا » قد خصت بمعاملة تنصف بالإهمال وعدم المراعاة لمشاعرها . ويبدو أن « أنكى » وضع فى موقف المدافع أمام شكوى « إينانا » فحاول إرضاءها بالإشارة إلى أنها كانت تمتلك فى الواقع عدداً كبيراً من الشارات والإمتيازات الخاصة — وهى « العصا والصولجان وعصا الرعوية » ، والقدرة على التنبؤ عن طريق الوحى بالنسبة للحرب والعركة ، وحياكة الملابس وصناعتها ، والقدرة على تدمير « ما هو غير قابل للتدمير » وإهلاك « ما هو غير قابل للهلاك » ، بالإضافة إلى ما أنعم عليها من نعمة خاصة . وبعد جواب « أنكى » لـ « إينانا » ، تنهى القصيدة على ما يرجح بترتيبة مكونة من فقرة ذات أربعة سطور موجبة لـ « أنكى » .

ونقدم الآن ترجمة لنص القصيدة الموجودة (تاركين ، على كل حال ، الخمسين سطراً الأولى المشتمة والفائضة) .

عندما يظهر الأب « أنكى » فى الأرض التى بذرت فيها البذور ، فإنها
تلتج بذوراً كثيرة الثمر ،

وعندما يظهر « نوديمود » إلى شاتى الولادة ، فإنها تلد الحمل ،

وعندما يظهر إلى بقرتى « حاملة البذرة » ، فإنها تلد العجل المخصب ،

وعندما يظهر إلى عزرتى الولود ، فإنها تلد الجدى المخصب ،

وعندما تذهب إلى الحقل ، إلى الحقل المزروع ،

فإنك تكس أكواماً وتلالاً من الغلة فوق السهل العالى ،

(أنت) ... ال ... من الأرض اليابسة (؟) .

« أنكى » ، ملك الآزو ، الذى لا يقاوم (؟) فى جلاله ، يتكلم بثقة :

« أبى ، ملك الكون ،

قد أتى بى إلى الوجود فى الكون ،

سلفى ، ملك البلدان كلها ،

جمع الـ « ميات » كلها ، ووضع الـ « ميات » بيدي .

من « ايكور » ^(١) ، بيت « إنليل » ،

جلبت المهارة الفنية إلى « الآزو » ، يبتى فى « أريدو » .

أنا البذرة المنتجة ، ولدنى الثور الوحشى العظيم ؛ أنا أبن « آن » البكر .

أنا الـ « عاصفة العظيمة » التى تنطق من « الأسفل العظيم » (أى الأعماق) ،

أنا سيد البلاد .

(١) « ايكور » معبد « إنليل » فى مدينة « نمر » ويعنى الاسم حرفياً « البيت الجبل »
(اى — كور) . المترجم

أنا « جوجال » الزعماء ، أنا والد البلدان كلها ،
أنا الـ « أخ الكبير » للآلهة ، أنا الذى يأتى بالرخاء الكامل ،
أنا أمين سجل السماء والأرض ،
أنا أذن وعقل (؟) البلدان جميعها ،
أنا الذى يدبر شؤون العدل مع الملك « آن » على منصة « آن » ،
أنا الذى يقدر المصائر مع « إنليل » فى « جبل الحكمة » ،
لقد وضع ييدى تقدير مصائر (الموضع الذى تشرق الشمس فيه) ،
أنا الذى تقدم له « ننتو » الطاعة الواجبة ،
أنا الذى سعى باسم حسن من قبل الإلهة « نينخورساج » ،
أنا زعيم « الآنونا كى » ،
أنا الذى ولدت كأبن بكر لـ « آن » المقدس ،

بعد أن نطق (؟) الرب بتمجيد (ذاته) ،
وبعد أن أعلن السيد العظيم الثناء (على نفسه) ،
حضر « الآنونا كى » أمامه متضرعين متوسلين :
أيها الرب الذى يدير شؤون المهارات الفنية ،
والذى يقرر القرارات ، أيها المبجل ، يا « أنكى » حمداً لك !

ومرة ثانية ، بسبب فرحه العظيم ،
« أنكى » ملك « الآبزو » ، بجلاله ، يتكلم بثقة :
« أنا الرب ، الذى أمره لا يعارض ، أنا الأول فى الأمور كلها ،

بأمرى شيدت الإصطبلات ، وسوَّرت الحظائر
 وعندما اقتربت من السماء هطل على الأرض مطر الخير من السماء
 وعندما اقتربت من الأرض حصل فيضان عظيم ،
 وعندما اقتربت من مروجها الخضراء ،
 تكدست أكوام وتلال (من الغلة) بأمرى .
 لقد شيدت [بيتى] ، وهو مزار ، فى موضع طاهر ، وأطلقت عليه اسماً حسناً .
 شيدت « الآزو » ، وهو مزار ، فى ... ، وقدرت له مصيراً حسناً .
 إن ظل بيتى [يمتد] فوق هور « الحية » ،
 ... بيتى يلتجئ بأجنية بين (؟) نباتات « العسل » (؟) ،
 الأسماك تهز الذيل له فى (؟) [قصب -- الجيزى الصغير] ،
 وترقز العصافير فى ... ها ،
 حامل السلاح ... ،
 جاء إلى ، إلى « أنكى » ،
 « الأيجال » ،
 ... [إلى] ... [ي] ...
 « الأنكوم » و الد [نينكوم] ... ،
 وملأت الأغاني المقدسة والرق « الآزو » (بيتى) .
 قاربى « الماجور » ، التاج ، « وعل آزو » —
 عمّ فى وسطه سرور عظيم ،
 أرض الأهوار العظيمة ، مكانى المفضل ،

تمدلى ذراعها ، وتحنى (؟) لى رقبها ،
كان « الكارا » يجذبون (؟) المجاذيف بانسجام ،
ويغننون أغاني عذبة ، تجعل النهر ينشرح ،
« نيمجير سيج » رئيس [قاربى — الما] جور ،
[حمل] الصولجان الذهبى [من أجل] ،
أنا ، « أنكى » [...] القارب « وعمل الآزو »
أنا ، الرب ...

أنا ، « أنكى » ، ...

(أصاب التلف هنا حوالى خمسين سطرًا)
أريد أن أشرف على أرزها الأخضر (؟) ؟
بلا [د] « ماجان » و « دلون » ،
رفعتنا بعصيريهما إلى ، « أنكى » [...]
أوثق (؟) سفينة « دلون » بالأرض (؟)
وحمل سفينة « ماجان » إلى علو السماء .
أما سفينة « ملوخا » « الما جيوم » ،
فتنقل الذهب والفضة ،
وتأتى بهما إلى « تـقـر » لـ « إنليل » [ملك] البلدان كلها ،

له ، للذى ليست له مدينة ، للذى لا يملك فرسًا ،
لـ « لمارتو » قد [م] « أنكى » الماشية كمدية ،
إلى الأمير [العظيم] ، الذى ظهر فى [بلاد] هـ ،

تقدم « الآنوناكى » بالطاعة الواجبة (قائلين) :
« أيها الرب الذى يحتفظ بـ « الميات » العظيمة ، « الميات » الطاهرة ،
ومن هو موكل بالكون الواسع ،
من تسلم « قرص الشمس » الرفيع فى « أريدو » ، الموضع الطاهر ،
أغ[لى] موضع ،
يا « أنسكى » ، يارب السكون ، حمداً لك ! »

للاُمير العظيم الذى يظهر فى أرضه ،
السادة جميعهم ، والزعماء جميعهم ،
وكمنة التعزيم فى « أريدو »
و « لابسو الكتان » فى بلاد سومر
يقيمون شعائر التعزيم الخاصة بـ « الآزو »
وإلى (؟) الأب « أنسكى » فى (؟) المكان المقدس ... يوجهون خطاهم ،
وفى صالة النوم ، البيت الأميرى ... ،
وفى المواقف ينادون أس[ة] [ه] ،
فى (؟) المزار الرفيع « الآزو » [هم] ... ،
(أصيبت فى هذا الموضع ستة وثلاثون سطرّاً بتلف كبير)
كان « نيمجير سيج » ، رئيس سفينة « الماجور »
ي[سك] بالصولجان المقدس لسيده ،
وأدى « لاختاما » البحر الخمسون الطا[عة] له [،
« الكارا » ... مثل طير ... السماء .

من أجل الملك ، الأب « أنكى » ، الواقف باعتراف في البلاد ،
الأمير العظيم الذى ظهر فى بلاده ،
عم الرخاء فى العالم .

« إنكى » يقدر المصير :

« يا سومر ، يا « أيها الجبل » العظيم « يا بلد العالم » ،
أنت مغمور بالنور الثابت ، يا من توزع « الميات » (أى نواميس الآلهة) ،
من شروق الشمس إلى غروبها (؟) على الناس ،
إن نواميسك نواميس سامية ، لا يمكن إدراكها ،
وقلبك عميق ، لا يسبر غوره .

... الثابت ، مكانك حيث تلد الآلهة ، لا يمس كالسما .

المولود ملكاً ، الذى يضع التاج الأبدى على رأسه ،
المولود سيداً ، الذى يضع التاج على رأسه ،
سيدك سيد مبجل ، إنه يجلس مع الملك « آن » على عرش « آن » ،
وملكك — هو « الجبل العظيم » ، الأب « أنليل » ،
قد ... لك من قبل (؟) ال ... كشجرة أرز — أبو الأقطار جميعها ،
و « الآنوناكى » — الآلهة العظيمة ،

اتخذت مواطنها فى وسطك ،

وتأكل (طعامها) فى « جيجونا » لك المشجرة ،

أيها البيت — ياسومر — عسى أن تشيد حظائك العديدة . وعسى أن
تتضاعف أبقارك .

وعسى أن تشيد حظائر أغنامك العديدة ، وعسى ألا تعد أغنامك ،
وعسى أن ترتفع « جيجونا » لك إلى السماء .
وعسى أن تقدر « الآنوناكى » المصارف في وسطك » .

وتابع رحلته إلى المزار « أور » .
« أنكى » ملك « الآزو » يقرر مصيرها :
أيتمها المدينة ، التى تمتلك كل ماهو لائق ، المطهرة بالماء ، أيها الثور الواقف
بثبات ،
يامنصة خير الجبال ، أيتمها الركب المفتوحة^(١) ، أنت خضراء كالجيل ،
أنت بستان « خاشور » الوارف الظل ، إن من هو جليل بسبب قوته (؟)
قد أدار نواميسك المثالية ،
« إنليل » الجبل العظيم قد أعلن اسمك السامى فى الكون .

يا « أور » يامن هى مزار ، عسى أن ترتفعى إلى عنان السماء » .
وتابع رحلته إلى بلاد « ملوخا » .
« أنكى » ملك « الآزو » [يقدر] قدرها :
أيتمها الأرض السوداء ، عسى أن تكون أشجارك أشجاراً كبيرة ، [عسى
أن تكون] أشجار [الجبل] ،
و [عسى] أن [تملأ] عروشها^(٢) القصر الملكى ،
وعسى أن يكون قصبك قصباً كبيراً ، [عسى أن يكون] قصب [الجبل] ،

(١) إن المقصود من هذا الوصف غير واضح . (المترجم) .
(٢) يعود الضمير إلى الأشجار ، ويقصد بذلك ما يصنع من الخشب ويستخدم فى التصور
الملكية . (المترجم)

وعسى الأبطال في ساحة المعركة [يستخدمون] [أسلحتهم بمهارة] ،
وعسى أن تكون ثيرانك ثيراناً كبيرة ، [عسى أن تكون] ثيران
[الجبل] ،

وعسى أن تكون صيحتها صيحة ثيران [الجبل] المتوحشة ،
وعسى أن تح[سن] نواميس الآلهة العظيمة [لك] .
و [عسى أن تلتحي] طيور — « الدارا » الجبلية كلها بلحي من
[العقيق] ،

و [عسى] أن يكون طيرك طير الـ « خايا » ،
و (عسى) أن تملأ تغريداته القصر الملكي ،
عسى أن تكون فضتك ذهباً ،
وعسى أن يكون نحاسك قصديراً وبرونزاً
وعسى أن [يتضاعف] سكانك ،
وعسى أن ينطلق .. لك كشور الى ...
... مدينة ...

عاملها (؟) كما ،
ونظف ، وظهر [أرض دلا] [ون] ،
وعين « نينسيكيلا » مسؤولة عنها ،
أعطى .. كما .. وهو يأكل سمكها الـ .. ،
وأعطى .. كحقل مزروع (؟) وهو يأكل (تم) (رها)
... عيلام ومرخاش ...
قد (قدر لها) أن يبتلعا كسمك الـ .. ،

الملك (وهو، أنكى على مايفترض) الذى وهبه « إنليل » القوة ،
دمر بيوتهما ، وهدم أسوارها .
ونقل معدنهما (الثمين) وحجر اللازورد (ومحتويات) عذارها .
إلى « نقر » من أجل « إنليل » — ملك الأقطار جميعها .

له ، لمن لايشيد مدينة ، ولا يبنى (بيتاً) ،
لد « مارتو » — قدم « أنكى » الماشية كهدية ،
وبعد أن ألقى ببصره من تلك البقعة ،
بعد أن رفعه الأب « أنكى » فوق نهر الفرات ،
نهض باعتزاز كثور هائج ،
ورفع قضيبه واستمنى ،
وملاً دجلة بالماء النمر ،
البقرة المتوحشة ، التى تخور من أجل عجلها فى المراعى ، والأسطبل
(الملىء) بالعقارب ،
د [جلة] استس [امت] له ، كما (لو تستسلم) لثور هائج .
ورفع القضيب ، وأتى بهدية العرس ،
ومنح نهر دجلة السرور ، وكثور متوحش كبير (ابتهج (؟)) به
عند ما أنجب ،

إن الماء الذى جاء به ماء نمر ، و « نبيذ » حلو المذاق ،
والغلة التى جلبها ، الناس يأكلون حبوبها المختلفة الألوان ،
لقد [ملاء] « الأيسكور » ، بيت « إنليل » بالمتلكات ،

« إنليل » يتهج بـ « أنكى » و « نسر » [يتهج] .

وضع الرب تاج السيادة على رأسه ،
و [لبس] العصابة الملكية الثابتة ،
ووطأ الأرض على جانبه الأيسر ،
فخرج الرخاء من الأرض لأجله .
بعد أن حمل الصولجان بيده اليمنى ،
ولكى يجعل دجلة والفرات « يأكلان معاً » ،
هو من ينطق بكلمة ... وفقاً لـ ... ،
السيد الذى يقرر المصير ، « أنكى » ملك « الآزو » ،
عين « أنيالولو » ، مفتش القنوات ،
مسؤولا عنهما ، (أى دجلة والفرات) .

ثم د [عا الأهوار] ، ووضع فيها سمك الشبوط^(١) (و) سمك الـ ..
ود [عاجة القصب] . ووضع فيها قصب الـ ... (و) القصب الأخضر ،
(فقد سطران)
ثم [أصدر] تحد [يا ...] .
هو ، من لا تنجو من (شبكته) سمكة ،
ومن لا ينجو من مصيدته ...
ومن لا ينجو طير من فتحة ،
... ابن ...
... (إله) يحب السمك ،

(١) نوع من السمك يكثر فى دجل و الفرات وخاصة فى القتم الجنوبي من العراق . (المترجم)

عينه « أنكى » مسؤولاً عنها (أى عن الأهوار وأجة القصب) .

الرب شيد مزاراً (؟) مزاراً مقدساً — قلبه عميق ،

شيد مزاراً (؟) فى البحر ، مزاراً مقدساً ، قلبه عميق

المزار — وسطه ... ، لا يعرفه أحد ،

الـ [المزار] — موقعه برج الـ ... « أيسكو » ... ،

الـ [المزار] السامى ، فى الأعلى (؟) يقع موقعه (؟) إلى جانب برج « العروة » ،

الـ ... من الرجفة .. (ميلامها) ... ،

جاء « الآنوناكى » بالصلاة والتضرع ،

[وأقاموا] لـ « أنكى » فى « أى — أنجورا » منصة عظيمة

للسيد ... ،

الأمير العظيم ... و [لد ...] .

طير الـ « أو » .. ،

(فقدت ثلاثة أسطر تقريباً فى هذا الموضع) .

هى التى فيضان العمق العظيم ،

التي .. طير — « الإيزى » وسمك « إيل » ... التى ... ،

التي تخرج من « زيباج » ، التى ... ،

سيدة سير [الأم نانشة] .

على البحر ومواضعه الـ ...

عينها « أنكى » مشرفة .

ثم دعا المطرتين ، مياه السماء ،

وصفهما كغنيوم عامة ،

ووجه (؟) نسمة [حيات] ها (؟) نحو الأفق ،
وحول (؟) الأرض الجبلية إلى حقول ،
هو ، من يمتطى العاصفة العظيمة ، ومن يهاجم بالبرق (؟) ،
ومن يوصد المزلاج المقدس في « قلب » السماء ،
ابن « آن » « جوجال » العالم ،
« إشكور » ابن « آن » ،
عينه « أنكى » مسؤولاً عنهما (أى عن المطارتين) ،
ووجه المحراث وفدان ال ... ،
الأمير العظيم « أنكى » وضع « الثور القرن » فى الـ ... ،
وفتح الأخاديد المقدسة ،
وجعل الغلة تنمو فى الحقل المزروع .
السيد الذى يلبس التاج ، زينة السهل المرتفع ،
القوى ، فلاح « إنليل » ،
« أنكىمدو » ، رجل القناة والسد ،
عينه « أنكى » مسؤولاً (أى عن المحراث والفدان والحقل) .
ودعا الرب الحقل المزروع ، ووضع هناك الغلة المتعددة الألوان
وكوم ... غلتها ذات الألوان المتعددة ، قمح - « الإينوبا » اكواماً ،
وضاعف « أنكى » الاكوام والتلال ،
ومع « إنليل » نشر الخير فى البلاد .

هى ، من رأسها وجانبها ورقطان ، ومن وجهها مغطى بالعسل ،

السيدة ، الولادة ، قوة البلا و « حياة » « ذوى الرؤوس السود » . (أى الشعب السومرى) .

« أشنان » ، الخبز المغذى ، خبز الجميع ،
عينها « أنكى » مشرفة على شؤونها (أى أ كداس القمح) .
الأمير العظيم وضع « الشبكة » فوق الفأس ثم وجه قالب (الآجر) ،
وأخصب الـ « أجارين » ، الزبدة اللذيذة ،
هو ، من سته يشبه الفأس المكسر ، حية تبتلع الأجداث
،

من قلبه الـ ٠٠ يأمر ... ،
« كولا » صانع آجر (؟) البلاد ،
عينه « أنكى » مسؤولا عنهما (أى عن الفأس وقالب الآجر) .
لقد شيد الإسطبلات ، ووجه شعائر التطهير ،
وشيد حظائر الأغنام ، ووضع فيها أجود السمن واللبن ،
وجلب السرور إلى قاعات طعام الآلهة ،
فى السهل الشبيه بالنبات ، نشر الرخاء ،
ممول معبد « أى — أنا » الوثوق به ، « صديق الإله آن » ،
الصهر المحبوس للإله « سين » المقدام ، وبعل « إينانا » المقدسة ،
السيدة ، ملكة « النواميس الإلهية » العظيمة كلها ،
الذى ، مرة بعد أخرى يشرف على ولادة الـ ٠٠ فى « كولا ب »
« دوموزى » « اشو مجال السماء » الإلهى « صديق آن » ،

عينه « أنكى » [مسؤولاً] عنها . (أى عن حظائر الأغنام وممتلكاتها) .
وملاً « إيكور » ، بيت « إنليل » ، بالممتلكات ،
وابتهج « إنليل » بـ « أنكى » ، وكانت « نقر » مبهجة ،
وثبت الحدود ، وحددها بأحجار الحدود ،
« أنكى » ، شيد لا- « آنوناكى » ،
مساكن فى المدن ،

وأقام الحقول فى الريف لهم ،
البطل ، الثور الذى ينطلق من (غابة) « حاشور » ، ومن يزأر كالأسد ،
البطل « أوتو » الثور الذى يقف آمناً — الذى يستعرض قوته بفخر ،
والد المدينة العظيمة ، الموضع الذى تشرق الشمس فيه ، [رسول] « آن »
المقدس العظم [يه]

القاضى ، صانع قرارات الآلهة ،
الذى ياتحى بالحية من حجر الازورد ، ومن ينطلق من السماء المقدسة ،
سماء ال ... ،

« أوتو » ، الإبن الذى أنجبه [ننجبا] ل ،
عينه « أنكى » ليشرف على شئون الكون كله .
ونسج نسيج « الموج » ، وأدار منطقة المعابد المقدسة ،
وحسن « أنكى » كثيراً كل ما هو من عمل المرأة ،
لـ « أنكى » ، الناس (....) كساء ال ... ،

تاج (؟) القصر ، وجوهرة الملك ،
« أوتو » — المرأة المؤمنة ، الجذلة (؟) ،

عينها « أنكى » لتدير تلك الشؤون .

بعدئذ بمفر [دها] ، بعد أن تخلت عن الصولجان الملكى ،
المرأة ... العذراء « إينانا » ، بعد أن تخلت عن الصولجان الملكى .
« إينانا » تد [خل] البيت إلى [ايها] « أنكى » ،
بأكية بتد [لل] وتعلن عن شكواها (؟) (التالفة) :
« إن مصير « الآنوناكى » ، الآلهة العظيمة —

وضعه « إنليل » بيدك ،

وأنا ، المرأة ، [رلتم] عاملتى بمعاملة مختلفة ؟

أنا — « إينانا » المقدسة — أين هى [امتيا] زاتى ؟

إن « آرورو » [أخت إنليل] ،

و [ننتو] ، ملكة الجبل [ل] ،

[حصلت لنفسها] ... المقدس الخاص بالسيادة ،

وأخذت لنفسها ... وكرائنا ،

وحصلت لنفسها على إناء السيلا المطعم المصنوع بين حجر اللازورد ، وحملت

لنفسها إناء « آلا » المقدس ،

لقد أصبحت مولدة البلاد ،

وفى يدها وضعت الملك الوليد ، والسيد الوليد ،

وأختى تلك نفسا « المقدسة » ،

أخذت لنفسها « أونو » الاماع ، وأصبحت أمة فى خدمة « آن » ،

وأسكنت نفسها قرب (؟) « آن » ، وتنطق بالكلمة التى تملأ (؟)

السماء .

وأختى تلك « نينموج » المقدسة ،

قد أخذت لنفسها المنحت الذهبي والمطرقة (؟) الفضية ،
 وأصبحت عاملة المعادن في البلاد ،
 ووضعت الملك (المولود) ، الذي يلبس التاج الدائم ،
 والسيد المولود الذي يضع التاج على رأسه ، [بيدها] .
 وأما أختي تلك — « نيدابا » المقدسة ،
 فقد حصلت لنفسها على قصبة المقاييس ،
 وربطت سلسلة من حجر اللازورد (؟) على ذراعها ،
 وتعلن عن النواميس العظيمة جميعها ،
 وتثبت الحدود ، وتضع علامات حدود التخوم — وأصبحت كاتبة البلاد ،
 ووضعت بيدها طعام الآلهة .
 وأما « نانشه » السيدة ، فقد وقع . . المقدس على قدميها ،
 لقد أصبحت مفتشة مصائد السمك في الـ [بحر] (؟) .
 سمكا لذيذاً (و) . . .
 تقدمه لـ [أبيها] « إنليل » .
 أنا (المرأة) ، لم عاملتني بمعاملة مختلفة ؟
 أنا « إينانا » المقدسة ، أين هي إمتيازاتي ؟
 (حوالى ثلاثة أسطر مفقودة)
 و . . . و . . . (١)
 قد زين (؟) لك . . .
 وترتدين هناك الكساء (؟) المسمى « قوة الشباب » ،

(١) هنا يبدأ جواب « أنكى » على شكوى « إينانا » . (المترجم)

وأنت وضعت الكلمات التي ينطق بها (الشاب) .
وأشرقت على عصا الكاهن والصولجان وعصا الرعوية ،
أيتها العذراء « إينانا » ، ماذا ، ماذا نزيد لك على ذلك .
الحروب (و) الهجمات — أنت تجيبين عن تساؤلات وسطاء الوحي بشأنها ،
في وسطهم ، أنت التي لست طير - «أرابو» ، تجيبين (؟) بجواب لا يرضى (؟) ،
وتقتلين الخيط المستقيم ،
أيتها العذراء « إينانا » ، أنت جعلت الخيط المفة [ول] مستقيماً ،
وأعطيت الأكسية أشكالها ، وأنت قابسين الخلل ،
وأنت التي نسجت نسيج — « الموج » ، وملأت المغزل بالخيط ،
في ٠٠ لك قد صبغت (؟) خيط الـ ٠٠ ذا الألوان المتعددة .
يا « إينانا » أنت قد ...
يا « إينانا » أنت حطمت ماهو غير قابل للتخطيط ، وأهلكت ماهو غير قابل للهلاك ،
وأنت أسكت (؟) الـ . . « دف النواح » .
أيتها العذراء « إينانا » أنت أعدت تراتيل — « التيجي » وتراتيل « أدب »
إلى بيتها ،
أنت التي لا يكل المعجبون بها من النظر إليها ،
أيتها العذراء « إينانا » أنت التي لا تعرفين الآبار البعيدة ؟ وحبال (؟)
الشد .
أنظري ! الفيضان ، آنى ، وعادت البلاد إلى الحياة ،
فيضان « أنليل » قد آنى ، وعادت البلاد إلى الحياة .
(لقد أصاب التلف التسعة عشر سطرًا الباقية) .

وبانتقالنا من الأسطورة إلى الملحمة ، نجد أن السومريين كانوا بلا أدنى شك أول من أوجد وطوّّر الأدب الملحمي المؤلف من روايات قصصية بطولية وضعت في صيغ شعرية . ومر السومريون كما مر الأغريق والهندوس والتوتونيون القدامى ، في تاريخهم المبكر خلال عصر بطولي تتكشف روحه ومزاجه في تقاليدهم الملحمية . وبدافع تعطشهم للشهرة والصيت ، ذلك الدافع الذي هو من خصائص الطبقة الحاكمة المميزة خلال أى عصر بطولي ، كان الملوك والأمراء يأمرون المنشدين والمغنين الملحميين بالقصر بارتجال قصائد أو أغنيات قصصية تمجد مغامراتهم وإنجازاتهم . وكانت هذه الأناشيد الملحمية ، التي كان هدفها الرئيسى تسلية المدعوين في ولائم القصر والأعياد المتعددة ، تنشّد على ما يرجح مصحوبة بالعزف على آلة موسيقية أخرى شبيهة بها .

ولم يصل إلينا أى من الأناشيد البطولية الأولى بصيغته الأصلية لأنها نظمت في وقت كانت الكتابة فيه إما غير معروفة تماماً ، أو إذا كانت معروفة ، لم تثر إهتمام المنشدين الذين كانوا من الذين لا يكتبون . إن ملاحم العصور البطولية الأغريقية والهندية والتوتونية المدونة تعود في تأريخها إلى أزمان متأخرة جداً عن الأزمان السومرية ، وتتكون من نسخ أدبية منقحة ومعقدة جداً ولا يدخل ضمنها إلا عدد مختار فقط من الأناشيد القديمة علاوة على أنها جاءت في صيغة معدلة ومفصلة إلى حد كبير . وهناك سبب وجيه يدفع على الاعتقاد بأن بعضاً من الأناشيد البطولية الأولى في بلاد سومر كتبت لأول مرة على ألواح الطين بعد نهاية العصر البطولي بخصمئة إلى ستمئة سنة ، وبعد أن حصلت فيها تغييرات كبيرة تمت على يد الكهنة والكتاب .

وتظهر ملاحم العصور الهندية — أوروبية الثلاثة عدداً من العناصر المتشابهة الملفتة للنظر في الصيغة والمحتوى . فقبل كل شيء تتصل جميع القصائد بصورة رئيسية بالأفراد . فأعمال البطل الفرد ومآثره هي التي تكون موضع عناية الشاعر الرئيسة وليس مصير أو مجد الدولة أو المجتمع . وعلى حين لا يوجد أدنى شك بأنه كان لبعض

المغامرات التي مجدت في القصائد أساس تاريخي ، فإن الشاعر لا يتردد بتقديم مواضيع وتقاليد غير تاريخية ، كالأفكار المبالغ بها عن قوى البطل وأحلامه المنذرة بالشؤم وجود المخلوقات الإلهية . ومن ناحية الأسلوب ، تمتلئ القصائد الملحمية بالنعوت الجامدة ، والمكررات المطولة ، والصيغ المعادة ، والأوصاف التي تنحو نحو التطويل الذي لا ضرورة له ، والتفصيلات غير الاعتيادية . ومما هو جدير بالملاحظة بشكل خاص هو حقيقة أن جميع الملاحم كانت تخصص مكاناً كبيراً للخطب . ويشبه الشعر السومري البطولي في هذه النواحي جميعها نماذج الأدب الملحمي الأغريقية والهندية والتيتونية .

حقاً إن هناك عدداً من الاختلافات البارزة بين المادة الملحمية السومرية والمادة الأغريقية والهندية والتيتونية . فثلاً تتألف القصائد الملحمية السومرية من قصص فردية لا تتصل ببعضها وذات أطوال مختلفة ، وتقتصر كل منها على حادثة واحدة . ولا توجد محاولة لتوضيح هذه الأحداث ودمجها في وحدة كبيرة . ولا يوجد في المادة السومرية إلا القليل نسبياً من محاولات إظهار الخصائص الشخصية والنفوذ في النفس الإنسانية . فكان الكتاب ينحون نحو جعل الأبطال نماذج واسعة دون تمييز تقريباً عن بعضهم البعض ، أكثر من جعلهم أفراداً ذوي شخصيات متميزة بوضوح . أضف إلى ذلك أن مواضيع الأحداث والرواية تتصل ببعضها بأسلوب جامد ووفقاً لقواعد بالأحرى ثابتة ، فلا يوجد إلا قليل من تلك الحركة التشكيلية المعبرة التي تميز قصائد كإلياذة « هومر » و « أوديسه » . ولا تلعب النساء من غير الإلهات أي دور في الأدب الملحمي السومري ، بينما لهن دور بارز في الأدب الملحمي الهندي — أوروبي . وأخيراً ، في موضوع الأسلوب الفني يحصل الشاعر السومري على تأثيراته الإيقاعية بصورة رئيسة من التنويع في نماذج التكرار . فهو لا يستخدم بأي شكل من الأشكال الأوزان أو البيت المسنق الذي هو من خصائص الملاحم الهندية — أوروبية الميزة الهامة . وعلى الرغم من كل هذه الاختلافات ، فإنه لا يحتمل أن تكون صيغة أدبية متميزة الأسلوب والطريقة إلى هذا الحد كالشعر القصصي قد خلقت

وطورت بصورة مستقلة وفي فترات متباعدة ومختلفة في كل من بلاد سومر واليونان والهند وشمال أوروبا . ولما كان شعر السومريين القصصى من جميع الوجوه أقدم الأربعة فإنه ليس مستحيلاً أن يكون الأسلوب الملحمى قد نشأ أولاً في بلاد سومر ، ثم انتشر من هناك إلى البلدان المجاورة .

ونستطيع الآن أن نعرف تسع قصص ملحمية سومرية ، تتراوح في أطوالها بين أكثر من مائة سطر بقليل وما يزيد على ستمائة سطر . وتدور اثنتان منهما حول البطل « إينمركار » ، ومن الجائز أن نغسونا به « إينمركار وبلاد أراتا » و « إينمركار وإينسكوسيرانا » . وتركز اثنتان حول البطل « لوجال بندا » ، على الرغم من أن « إينمركار » يلعب دوراً بارزاً في كليهما . ويمكن أن نعنون هاتان القصتان به « لوجال بندا وإينمركار » و « لوجال بندا وجبل حوروم » ، وتدور الخمس الباقية حول أكثر الأبطال السومريين شهرة ، البطل ، الذى لا مثيل له في الشرق الأدنى القديم كله ، « جلجامش » . لقد وصلت اثنتان منهما وهما « جلجامش » و « ثور السماء » و « موت جلجامش » . مهشمتين إلى درجة كبيرة . أما الثلاث الباقية فقد وصلت كاملة تقريباً ، وهى « جلجامش وآجا حاكم مدينة كيش » ، التى تمجد « جلجامش » كوطنى مخلص وك « حامي المملكة » و « جلجامش » وأرض الأحياء » حيث يلعب « جلجامش » دور قاتل التنين . وهذا ما يجعله يبدو وكأنه أول (جورج قديس) عند الإنسان ، وقصة « جلجامش وأنكىدو والعالم السفلى » التى تصفه كشخص معقد إلى درجة تدعو إلى الدهشة ، فهو فارس شهيم ، وجريء ومستبد ومخلص ، وكثيب ، ومتنبئ ، وفضولى .

إن قصيدة « جلجامش وآجا » أفصر من جميع القصص الملحمية السومرية ، فهى تتألف مما لا يزيد على مائة وخمسة عشر سطرًا ، بيد أنها على قصرها هذا ذات أهمية فى الواقع غير اعتيادية . فروايتها تتعامل مع أفراد من البشر فقط ، وخلافاً لكل القصص الملحمية السومرية الأخرى لاتقدم مواضيع ميثولوجية تمس أياً من الآلهة السومرية . والقصيدة هامة من الناحية التاريخية . فهى تلقى ضوءاً جديداً

كاشفاً عن نضال دول — المدن السومرية المبكر . وأخيراً تسجل هذه القصة اجتماع أول (برلمان) سياسى للإنسان ، وهو « برلمان » مزدوج (أى مكون من مجلسين) ، حصل على ما يفهم قبل خمسة آلاف سنة تقريباً .

وكانت بلاد سومر كما يتضح من تاريخها الذى أجهل فى الفصل الثانى ، تتألف ، كاليونان فى تاريخ متأخر جداً ، من عدد من دويلات — المدن المتنازعة من أجل تحقيق السيادة فى البلاد كلها . وكانت دولة كيش واحدة من أهم هذه الدويلات ، و « كيش » مدينة تسامت ، بمقتضى ما ورد فى الأسطورة السومرية ، « الملكية » من السماء بعد الطوفان مباشرة . ولكن بمرور الزمن ، كانت دولة — مدينة أخرى ، وهى دولة « الوركاء » ، تواصل سعيها فى كسب النفوذ والسيادة حتى أصبحت تهدد سيادة « كيش » فى بلاد سومر . وأدرك « آجا » آخر حكام سلالة « كيش » الخطر وأرسل إنذاراً نهائياً إلى « الوركاء » حيث كان « جاجامش » « سيداً » ، يطلب منه الخضوع لدولة « كيش » أو تحمل عواقب الرفض . وتبدأ قصيدتنا بوصول رسل « آجا » وهم يحملون إنذاره إلى « جاجامش » وسكان « الوركاء » .

أما « جاجامش » فقد صمم على القتال بدلاً من الإستسلام لـ « آجا » ، ولكن كان لا بد له من الحصول أولاً على موافقة مواطني « الوركاء » . ولذلك نراه يقصد « مجلس شيوخ مدينته المنعقد » ويقدم رجاء ملحاً على عدم الإستسلام لـ « كيش » وعلى حمل السلاح والقتال من أجل تحقيق النصر . بيد أنه كان لـ « لشيوخ » رأيهم المختلف ، إذ كانوا يفضلون التنازل لـ « كيش » والتمتع بالسلام . وكان هذا القرار مخيباً للأمل « جاجامش » ، فذهب إلى « مجلس شباب مدينته المنعقد » وكرر عليهم طلبه الداعى إلى الحرب . وفى تصريح طويل — يختتم بمدح لـ « جاجامش » ، وبكلمات مشجعة عن النصر ، يعلن مجلس « الرجال » الحرب والإستقلال . فسر « جاجامش » لذلك سروراً عظيماً ، وبدأ فى كلمة وجهها لخادمه الأمين ومراقبه الدائم « أنسكيدو » على ثقة تامة من الانتصار على « آجا » .

بيد أنه بعد فترة قصيرة جداً — أو كما ورد في كلمات الشاعر نفسه « لم تكن الأيام خمسة ، لم تكن الأيام عشرة » — حاصر « آجا » مدينة « الوركاء » وارتبك سكانها على الرغم من كلماتهم التي تنم عن الشجاعة . وعندئذ توجه « جلجامش » نحو « أبطال » الوركاء وطاب متطوعاً ليذهب لمقابلة « آجا » ، فتطوع واحد منهم اسمه « بيرخورتورى » بسرعة ، لأنه كان واثقاً من قدرته على دحض رأى « آجا » .

ولكن ما كاد « بيرخورتورى » يجتاز بوابات المدينة حتى أسر وضرب ، واقتيد إلى « آجا » . فبدأ بمخاطبة « آجا » ، ولكن قبل أن ينتهى من كلامه تسلى السور بطل آخر ، هو « زابارد ييونيوجا » ، فلما رأى « آجا » سأل « بيرخورتورى » فيما إذا كان هذا هو ملكه « جلجامش » . وعندما أجاب « بيرخورتورى » بالنفى ، لم يكن لهذا الجواب أى أثر فى نفس « آجا » ورجاله وواصلوا حصارهم لـ « لوركاء » وتعذيب « بيرخورتورى » .

بيد أن « جلجامش » نفسه تسلى السور لمقابلة « آجا » وجهاً لوجه ، وأصيب سكان « الوركاء » بالهلع . ولما عرف « آجا » من « بيرخورتورى » أن هذا أخيراً هو ملكه ، تأثر فى الحال وتحلى عن حصار المدينة . وعندئذ أعلن « جلجامش » عن شكره الحار لـ « آجا » على موقفه الكريم ، وتنتهى القصيدة بتسديحة حمد لـ « جلجامش » كمنقذ لـ « وركاء » .

وتقدم فيما يأتى ترجمة أولية لهذه القصة الملحمية لأن كثيراً منها ما زال مشكوكاً فيه وغامضاً ، ولكن هذا أفضل ما يمكن عمله فى هذا الوقت :

إن رسل « آجا » بن « اينمباراجيس » ،

شرعوا بالسفر من « كيش » إلى « جلجامش » فى « الوركاء » ،

فوضع السيد « جلجامش » أمام شيوخ مدينته ،

الأمر طلباً لكلماتهم .

« لنكمل الآبار ، لنكمل آبار البلاد جميعها ،

لنكمل الآبار ، تجاويف الأرض الصغيرة ؛

لنحفر الآبار ، ولننجز شد الحبال —

علينا ألا نستسلم لبئيت « كيش » ، ولنضربه بالسلاح » .

فأجاب مجلس كبار مدينته المنعقد

« جلجامش » :

« لنكمل الآبار ، لنكمل آبار البلاد جميعها

لنكمل الآبار ، تجاويف الأرض الصغيرة ،

لنحفر الآبار ، لننجز شد الحبال —

ولنذعن لبئيت « كيش » ، ولا نضربه بالسلاح » .

ولم يقتنع « جلجامش » سيد « كولا ب » ،

الذي أنجز أعمالاً بطولية للإلهة « إينانا »

بكلمات شيوخ مدينته قناعة قلبية .

مرة أخرى . « جلجامش » سيد « كولا ب »

عرض الأمر على « رجال »^(١) مدينته وطلب كلمتهم ، (وقال) :

لنكمل الآبار . لنكمل آبار البلاد كلها .

لنكمل الآبار . تجاويف الأرض الصغيرة .

لنحفر الآبار ولننجز شد الحبال

ولا تخضعوا لبئيت « كيش » ولنضربه بالسلاح » .

(١) المقصود هنا مجلس الشباب ممن يحملون السلاح . (المترجم)

فرد مجلس « رجال » مدينته المنعقد على « جاجامش » :
من بين أولئك الذين يقفون ، ومن بين أولئك الذين يجلسون ،
من بين أولئك الذين ترعرعوا مع أبناء الملوك ،
ومن بين أولئك الذين يضبطون على ورك الحمار ،
من له روحهم !

لا تدعن لبيت « كيش » ولنضربه بالسلاح .

إن الوركاء من صنع يد الآلهة .

و « أى — أنا » ، البيت النازل من السماء .

الآلهة العظيمة هي التي صاغت أجزاءها —

وتلامس أسوارها الشاهقة اليوم ،

وموقع سكنها الشاهق الذي أسسه (الإله) « آن »

لقد عنيت أنت بها — أنت الملك والبطال ،

الفاتح والأمير الذي يحبه « آن » .

كيف لك أن تخاف من قدمه !

ذلك الجيش جيش صغير ومؤخرته تترجح .

ورجاله لا يرفعون أبصارهم عالياً .

عندئذ سر « جاجامش » — سيد « كولاب » ،

بكلمات « رجال » مدينته ، وابتهجت روحه ،

وقال لخادمه « أنكيدو » :
« لتوضع الآن إذن عدة (السلام) جانباً ، وليجمل محلها عنفوان

المعركة ،

لَتُعَدَّ أَسْلِحَةُ الْعِرْكَ إِلَى جَانِبِكَ ،
وَلَتُسَبِّبَ الْفَزَعُ وَالرَّعْبُ ،
فَهُوَ ، عِنْدَ مَا يَأْتِي ، سَيَسْقُطُ عَلَيْهِ رَعْبِي الْعَظِيمُ ،
وَسَيَدْحُضُ حَكْمَهُ ، وَتَتَبَدَّدُ خَطَّتُهُ » .
وَلَمْ تَكُنِ الْأَيَّامُ خَمْسَةً ، وَلَمْ تَكُنِ الْأَيَّامُ عَشْرَةً ^(١)
(حَتَّى) حَاصِرُ « آجَا » بَنُ « اَيْنِمَبَارْجِيْسِي » « الْوَرَكَاءُ »
وَدَحْضُ حَكْمِ « الْوَرَكَاءُ » .

فَقَالَ « جَلْجَامَش » « سَيِد » كَوْلَابُ :
لَا بَطَالَهُ :

« يَا أَبْطَالِي ذَوِي الْوُجُوهِ السُّودَاءُ ،
مَنْ لَهُ قَلْبٌ ، لِيَقُمْ أَرِيدُ أَنْ أُبْعِثَهُ إِلَى « آجَا » .
« بِيْرْخُوْرْتُوْرِي » — الرَّعِيْمُ ، الْمَلِكُ ،
لِلْمَلِكَةِ نَطَقَ بِالْحَمْدِ :
سَأَذْهَبُ إِلَى « آجَا »

وَسَيَدْحُضُ حَكْمَهُ ، وَتَتَبَدَّدُ خَطَّتُهُ »
وَخَرَجَ « بِيْرْخُوْرْتُوْرِي » مِنْ بَوَابَةِ الْمَدِيْنَةِ —
وَلَمَّا أَنْ خَرَجَ « بِيْرْخُوْرْتُوْرِي » مِنْ بَوَابَةِ الْمَدِيْنَةِ .
أَسْرَوْهُ عِنْدَ مَنَافِذِ بَوَابَةِ الْمَدِيْنَةِ .

(١) أى بعد مدة قصيرة لم تتجاوز عشرة أيام . (المترجم) .

وسحقوا لحم « بيرخورتورى » —

إلى حضرة « آجا » جاؤا به .

وكلمه « آجا » .

ولم يكذبته من كلماته حتى تساق السور « زابار ديبونوجا »

فراه « آجا » .

وقال لـ « بيرخورتورى » :

« أيها العبد . أهذا الرجل ملكك ؟ »

« إن ذلك الرجل ليس ملكي .

« إن ذلك الرجل كان ملكي ،

لكن ذلك الجبين جبينه القوى ،

ولكن ذلك الوجه وجهه الذى يشبه الثور

ولكن تلك اللحية لحيته التى تشبه حجر اللازورد

ولكن تلك الأصابع أصابعه الفائقة » .

إن الجوع لم تمض ، ولم تنادر ،

ولم تنمرغ الجوع بالرغام .

إن الأجانب ، الكثير منهم ، لم يشعروا بوقوعهم تحت تأثيره ،

ولم يأكل المواطنون التراب ،

ولم تقطع قياديم السفن الطويلة .

أن « آجا » ملك « كيش » . لم يكبح جماح قواته .

فصنعوه ، وضر به ،

وسحقوا لحم « بيرخورتورى » .
 وبعد « زبارد ييئونوجا » تساق « جلاجامش » السور ،
 وحل الفزع بصفار « كولات » وكبارها ،
 وعند منافذ بوابة المدينة — تجمعوا .
 وخرج « أنكيدو » من بوابة المدينة .
 وأطل « جلاجامش » من على السور ،
 فرآه « آجا » (وقال) :
 « أيها العبد أذلك الرجل ملكك ؟ »
 « حقاً إن ذلك الرجل ملكى » .
 ولم يكذب ينطق بهذا ،
 حتى نهضت الجموع ، وغادرت الجموع ،
 وتمرغت الجموع فى الرغام .
 لقد شعر الأجانب ، الكثير منهم بوقوعهم ، تحت تأثيره ،
 والتمهم المواطنون التراب ،
 وقطعت قيادهم السفن الطويلة .
 وقال « جلاجامش » ، سيد « كولات » ،
 لـ « آجا » يا ضابطى ، يا « آجا » يا قائدى ،
 يا « آجا » ، يا جنرال جيشى ،
 يا « آجا » ، يا من أشبعت بالقميح الطائر الطائر ،
 يا « آجا » يا من وهبتنى نفسى ، أنت وهبتنى الحياة .

يا « آجا » أنت وضعت اللاجيء في حضنك .

« الوركاء » ، صنع يد الآلهة ^(١) ،
الأسوار الشاهقة التي تلامس السماء ،
السكن الشامخ الذى أسسه « آن » ،
أنت قد عنيت بها ، أنت الملك البطل ،
والفاتح ، والأمير الذى يحبه الإله « آن »
لقد أطلق « آجا » سراحك من أجل « كيش » ،
وفي حفرة الإله « أونو » ، أعاد إليك فضل الأيام السالفة ،
يا « جليجامش » ، يا سيد « كولا ب » ،
إن الحمد لك حسن !

إن الموضوع المحرك في الملحمة الثانية من قصصنا الملحمية عن « جليجامش » ،
وهي « جليجامش وأرض الأحياء » ، هو موضوع قلق الإنسان من الموت ، ثم
التسامي بهذا الموضوع حتى وصل إلى فكرة بناء الإسم الخالد بعد الموت . وبنيت
رواية القصة حول مواضيع وأحداث وثيقة الصلة بمزاجها الملىء في غالبته بإثارة
المشاعر . أما من الناحية الأسلوبية فإنه كان يحتفظ بنبرتها السكثية وترفع حدثها باختصار
الكاتب البارع لنماذج متنوعة من التكرار والطباق . إن عدداً من فقرات تلك القصة
مازال غامضاً ، إلا أن من الممكن أن تعاد كتابة أحداثها في الوقت الحاضر على
الشكل التالي :

كان السيد « جليجامش » مهووماً وحزيناً بسبب فكرة الموت . وكان قلبه يمتلىء

(١) يبدأ هنا خطاب أهل « الوركاء » . « جليجامش » بعد ان استطاع إقناع « آجا »
بفك الحصار عن المدينة . (المترجم)

بالألم وروحه ترهق بالهم كلما رأى رجلاً يموتون ويهلكون في « الوركاء » فقد كانت
جثث الموتى عائمة في النهر . ولما كان يدرك بمرارة بأنه كمثل البشر الفانين لا بد
أن يموت أيضاً إن عاجلاً أو آجلاً ، فقد عزم على الأقل على تكوين شهرة كبيرة له قبل
نهائيه المحتومة . فقرر بناءً على ذلك القيام برحلة إلى « أرض الأحياء » النائية ليقطع
أشجار أرزها الشهير وجلب أخشابها إلى « الوركاء » .

وبعد أن عزم على ذلك أطلع « جلجامش » خادمه الأمين « إنكيديو » على
مشروعه الذي فكر به . ولكن « إنكيديو » نصحه باطلاع « أوتو » الإله
— الشمس ، أولاً على خطته ، لأن « أوتو » كان هو الموكل بشؤون « أرض الأحياء »
فقدم « جلجامش » عملاً بهذه النصيحة ، القرابين إلى « أوتو » وطاب تأييده في هذه
الرحلة المقترحة .

وأبدي « أوتو » في أول الأمر شكوكه بمؤهلات « جلجامش » ، بيد أن
« جلجامش » كان مصرّاً وكرر طلبه بلغة أكثر إقناعاً . فعطف عنده « أوتو »
عليه ووعد به بشل حركة شياطين الجو السبعة الذين ربما كانوا خطراً يهدد « جلجامش »
في رحلته إذا لم توقف قدراتهم على الحركة . فجمع « جلجامش » وهو مفعم بالسرور
خمسين متطوعاً من « الوركاء » — من الرجال الذين لا تربطهم رابطة بأحد ،
ولا يملكون « بيتاً » ، وليس « لهم أم » ، والذين كانوا على استعداد للسير وراءه
إلى حيث يتوجه . وبعد أن أتم تهيئة أسلحة من البرونز والخشب له ولأتباعه ، خرج
وأياهم من « الوركاء » متجهين نحو « أرض الأحياء » .

واجتازوا خلال رحلتهم سبعة جبال ، إلا أن « جلجامش » لم يجد « أرزقلبه »
إلا بعد أن اجتازوا الجبل السابع . فبدأ بقطع الأشجار بفأسه ، وقام « إنكيديو » بقص
أغصانها ، بينما كان أتباعه يضعونها فوق بعضها على هيئة تل ، ولكن هذا العمل أثار
وأزعج « هواوا » ، الوحش الموكل بشؤون « أرض الأحياء » ونجح في إيقاع
« جلجامش » في سبات عميق أو في إغفاءة لم يستيقظ منها إلا بعد وقت وجهد كبيرين .
وأقسم « جلجامش » وهو في حالة هياج شديد ، بسبب تأخره غير المتوقع ،

بأمة الإلهة « نيسون » ، وبأبيه البطل الإلهي « لوجال بندا » ألا يعود إلى « الوكاء » إلا بعد القضاء على ذلك الوحش « هواوا » سواء أ كان رجلاً أم إلهاً ، وتوسل إليه « أنكيديو » بأن يعود أدراجه لأنه قد رأى هذا الوحش المرعب ، وهو واثق من أنه ليس بمقدور أحد الوقوف أمام هجمته . إلا أن « جلجامش » رفض هذا التحذير ، وطلب من « أنكيديو » أن يطرد الخوف ويتقدم بصحبته ، لأنه كان واثقاً بأن الأذى لن يصيبهما إذا ما وقفا جنباً إلى جنب .

بيد أن الوحش كان يرقبهما من بيته المشيد من خشب الأرز ، وبذل جهوداً مسعورة لطرد « جلجامش » . ولكن « جلجامش » رفض الوقوع تحت تأثير الخوف وكان فيما يبدو يحاول تطمين « هواوا » بقوله الخداع من أنه جلب إليه الهدايا وعلى أية حال ، نجد « جلجامش » وهو يقطع الأشجار السبع التي كانت تسد الطريقي إلى صالة « هواوا » الداخلية ، بينما كان أتباعه يقصون أغصانها ويضعونها على شكل حزم عند قاعدة الجبل .

واقترب « جلجامش » حتى أصبح وجهاً لوجه مع « هواوا » ، وربت على خده بلطف ، وألقى عليه حلقة أنف ثم شده بحبل حول جسمه . عندئذ توجه « هواوا » بالتضرع والبكاء نحو الإله — الشمس « أوتو » وبدأ بالتذلل أمام « جلجامش » في محاولة لإستعادة حريته ، ورق له في الواقع قاب « جلجامش » . وبعبارات أشبه ما تكون بالألغاز اقترح على « أنكيديو » أن يطلق سراح « هواوا » . ولكن « أنكيديو » حذره من عواقب تصرف كريم كهذا لا ينطوى على الحكمة لأنه مخوف بالمخاطر . ولما رد « هواوا » الناظم بإجابة مهينة لـ « أنكيديو » ، أسرع هذا بقطع رقبتة .

وحمل البطلان رأس « هواوا » المقطوع إلى حضرة « أنليل » ملك الآلهة وهما يتوقان بلا شك إلى إستحسانه وإلى مكافأة إلهية . ولكن « أنليل » فقطق عندما رأى رأس « هواوا » بلعنة قضت على ما يبدو عليهما بالطواف الأبدى فوق الجبل والسهل ، تسعهما خلاله الشمس المحرقة . ثم قدم « أنليل » لـ « جلجامش »

ما يحتمل أن يكون سبعة أشعة إلهية يعرف كل شعاع منها عند السومريين باسم « ميلام » ، وذلك ربما كحماية له من الجبال والغابات والحيوانات المتوحشة التي تجوب فيها . وعند هذه الملاحظة الشديدة الغموض والتي تحتل معنيين متناقضين تصل القصيدة إلى نهايتها . وفيما يلي ترجمة لهذه القصيدة :

لقد وجه السيد فكره نحو « أرض الأحياء » ،
السيد « جاجامش » وجه فكره نحو « أرض الأحياء » ،
فقال لخادمه « أنكيدو » :
« يا « أنكيدو » ، إن الآجرة والختم لم يجلبا بعد النهاية المقدرة ،^(١)
أريد أن أدخل « الأرض » وأريد أن أخلد اسمي ،
في مواضعها^(٢) التي أقيمت فيها الأسماء ، أريد أن أقيم اسمي ،
وفي مواضعها التي لم تقم فيها الأسماء ، أريد أن أقيم أسماء الآلهة » .

فأجابه خادمه « أنكيدو » :
« سيدي ، لو أزمعت على دخول الأرض ، فأطلع « أوتو » ،
أطلع « أوتو » — البطل « أوتو » ،
فإن « الأرض » في عهدة « أوتو » ،
إن أرض الأرز المقطوع ، هي في عهدة « أوتو » المقدام ،
فأطلع « أوتو » . » .

(١) يقصد بذلك أن (النهاية المقررة) المكتوبة على الآجر والختم لم يحن أو أنها بعد .
(المترجم)
(٢) يعود الضمير إلى « أرض الأحياء » ويتصد بالاسم الصيت والشمرة أو الاسم الخالف .
(المترجم)

فأمسك « جلعامش » بيده جدياً أبيض اللون ،
وضم على صدره جدياً أرقط (ليقدمه) قربانا ،
ووضع في يده صولجان إمرته الفضى :
وقال مخاطباً « أوتو » السماوى :
« يا « أوتو » ، أريد أن أدخل « الأرض » فكن حليفي ،
أريد أن أدخل أرض الأرز المقطوع ، فكن حليفي » .
فقال له « أوتو » السماوى :
« حقاً إنك لمحارب أميرى ، ولكن ما أنت بالنسبة لتلك الـ « أرض » ؟
يا « أوتو » كلمة أود أن أقولها لك ، فاصغ لكلمتى !
أريد بها أن تصل إليك ، فاصغ لها !
فى مدينتى يموت الرجل وهو محزون القلب ،
ويهلك الرجل ، والقلب مثقل بالهموم ،
لقد أنعمت النظر من فوق السور ،
فرأيت الأجداث عائمة فوق مياه النهر ،
أما بالنسبة لى ، فأنى سأعامل بمثل هذا ، وهذا هو ما سيقع بكل تأكيد !
فهما طال الرجل ؛ لا يستطيع بلوغ السماء ؛
ومهما عرض الرجل ؛ لا يستطيع تغطية الأرض .
وما دامت الآجرة والختم لم يأتيا بعد بالنهاية المقررة ؛^(١)
فإنى أريد أن أدخل الـ « أرض » ؛ وأريد أن أقيم اسمى ؛

(١) أى مادام قدرى المكتوب لم يحن بعد . (المترجم)

في مواضعها حيث أقيمت الأسماء ؛ أود أن أرفع إسمي ؛
وفي مواضعها التي لم ترفع فيها الأسماء ؛ أريد أن أرفع أسماء الآلهة » .

فتقبل « أوتو » دموعه كمقربان ،
وكرجل رحيم ، أظهر له الرحمة ،
أبطال الجو السبعة ، أبناء أم واحدة ،
أدخلهم كهوف الجبل .^(١)

إن من اقتلع الأرز ؛ كان يغمره السرور ؛
السيد « جليجامش » غمره السرور ؛
وعباً (رجال) مدينته كرجل واحد ؛
وحشد (رجالها) كرفيقين توأمين ؛
« من كان يملك بيتاً ؛ فليعد إلى بيته !
ومن كان له أم ؛ فإلى أمه !
وليقف الذكور من العزاب الذين سيفعلون ما أفعل إلى جنبي ! »

من كان يملك بيتاً ؛ (عاد) إلى بيته !
ومن كان له أم ؛ (عاد) إلى أمه !
ووقف خمسون من العزاب من الذين كانوا سيفعلون ما يفعل إلى جانبه .
ووجه خطاه إلى بيت صنائع المعادن ؛

(١) أى حبس الشياطين في الكهوف حتى لا تتدخل في رحلة « جليجامش » (المترجم)

وصاغ السيف — وصنع الفأس المهشم ؛ « قوة السماء » العائدة له ،
ثم وجه خطاه نحو غابات السهل السوداء ،
واقطع هناك شجرة الصفصاف ؛ والتفاح ، والبقس ،
وتناولها أبناء مدينته الذين رافقوه ؛ بأيديهم ،
وأدخل شياطين الجو السبعة في كهوف الجبل .

لقد اجتازوا الجبل الأول ،

ولم يجد أرز قلبه^(١) ،

وبعد أن اجتازوا الجبل السابع ،

وجد أرز قلبه .

(لقد أصاب التلف عدداً من الأسطر في هذا الموضع ، ولم يكن واضحاً ما حدث بالضبط ، وربما تنبه « هواوا » بما كان يجري من اقتلاع للشجر فأوقع « جلجامش » في سبات عميق . وعلى أية حال ، نجد عند ما يصبح النص واضحاً مرة أخرى أحد الأشخاص ، ربما « أنكيديو » ، يحاول إيقاظ « جلجامش » من سباته) :

لقد لسه ، إلا أنه لا يستيقظ

وكلمه ، إلا أنه لا يجيب

« أيها النائم ، أيها النائم » ،

يا « جلجامش » ، أيها السيد ، يا ابن « كولا ب » ،

إلى متى ستظل نائماً ؟

(٢) يعود الضمير إلى « جلجامش » والمقصود أنه لم يعثر على الأورز المناسب الذي كان يبحث عنه .
(الترجم)

لقد اظلمت الأرض ، وامتلاّت بالأشباح ،
وجاء الفسق بضوئه (الخافت) ،
وذهب « أوتو » (الشمس) مرفوع الرأس إلى أمه « نفيجال » .
أيا « جلعامش » ، حتى مَ ستظل نائمًا !
لا تترك أبناء مدينتك الدين رافقوك
يقفون بانتظارك عند سفح الجبل ،
لا تدع أمك التي ولدتك
تطرد إلى ميدان المدينة .

فأنتبه وأصغى باهتمام ،
وغطى نفسه « بكلمته البطولية » كما لو كانت رداء ،
ولف حول صدره حلته التي (ترن) ثلاثين « شيقلا » ، وكان يحملها بيده .
ونفض قائمًا على الـ « أرض العظيمة » كأنه « ثور » .
وعض التراب ، وعفر أسنانه (وأقسم) :
« بحياة « نسون » أمي التي ولدتني .
من أبي « لوجال بندا » المقدس ،
عسى أن أصبح كمن يجلس على ركبة « نسون » التي ولدتني ،
ليعجب بي الناس . »
ثم قال له بالإضافة إلى ذلك مرة ثانية :
« بحياة « نسون » . أمي التي ولدتني ،
من أبي « لوجال بندا » المقدس ،

إلى أن أقضى على ذلك « الند » إن كان رجلاً ،
إلى أن أقضى عليه ، وإن كان إلهاً ؛
لن أحول نحو المدينة خطاى التى وجهتها نحو تلك « الأرض » .
فناشده الخادم الأمين ؛ وهو متعلق بالحياة .
وأجاب سيده :

« يا سيدي ؛ أنت لم تر ذلك « الرجل » ولهذا لم ترتعب ،
أنا الذى رأيت ذلك « الرجل » واستولى على الرعب ؛
إن المحارب ؛ أسنانه أسنان تنين ؛
ووجهه وجه أسد ؛

وزثيره مياه الطوفان الهادرة ،
من جبينه الذى يلتهم القصب ، لا ينجو أحد ،
فيا سيدي ، أرحل أنت إلى « الأرض »
أما أنا فسأرحل إلى المدينة ^(١)
وسأحدث أمك عن مجدك ،
وأجعلها تضحك عالياً (من السرور) ،
ثم سأخبرها بموتك ،
وأدعها تذرّف الدموع المريرة »

« ما من أحد سيموت من أجل ^(٢) ،

(١) أى المدينة « الوركاء » التى بدأت منها الرحلة . (المرجم)
(٢) يبدأ هنا رد « لجلاهش » على تحذيرات « أنكيو » ومخاوفه . (المرجم)

والقارب المحمل لن يفرق ،
والثوب ذو الطيات الثلاث لن يُقص ،
وعلى السور لن يُقهر أحد ،
والنار لن تدمر البيت والكوخ ،
فإن أنت نصرتنى ، سيأُصرك ،
فما عسى أن يقع لنا !
بعد أن غرقت بعد أن غرقت ،
بعد أن غرقت سفينة « ماجان » ،
بعد أن غرقت السفينة « قوة — ماجيلوم » ،
الأحياء جميعهم يقيمون فى « سفينة الأحياء » ،
هيا ، لتتقدم ، وسوف نرشقه بالنظرات !
فإذا حل بنا الخوف عندما نتقدم ،
(إذا) حل بنا الخوف ، فعد راجعاً !
(فأجابه أنكيديو) :
« كما يتمنى قلبك ! هيا بنا نتقدم ! »
وعندما لم يكونا قد وصلا إلى مسافة ربع ميل ،
بقى « هواوا » بالقرب من بيته (المشيد) من الأرض ،
وركز نظره عليه ، وهى نظرة الموت ،
وألقى برأسه فجأة عليه ذلك الرأس المغطى بالإثيم ،
وصرخ به صرخة تثير الرعب .
فارتعشت أعصاب « جاجامش » وقدماه ،

فقد حل به الخوف ،
إلا أنه لم يعد أدراجه على الجادة المطروقة .
ووقف « هواوا » على قدميه ذاتي الخالب الهائلة ،
وراح ينتقل من مكان إلى مكان (قائلًا) .
« يا كثيف الشعر ، يا من يرتدى كساء » « أو لوختا » ،
يا من هو أميري ، يا بهجة الآلهة ،
أيها الثور المتهيج ، يا وطيد العزم في المعركة ،
يا من جعلت أمك التي ولدتك نفورة (بك) ،
يا من جعلت المربية التي أرضعتك ، طفلا في الحجر ، نفورة (بك) ،
لا تخف ، ضع يداً على الأرض .
إلا أن « جلجامش » لم يضع يداً على الأرض ، وقال :
بحياة « نسون » أمي التي ولدتنى ،
من أبي « لوجال بندا » المقدس ،
أنت تعرف حق المعرفة من يعيش في الـ « أرض » ،
لقد هيأ لك الصغيرتين ، صنعت حذاءً صغيراً .
واقطع « جلجامش » نفسه (الشجرة) الأولى ،
وقطع أبناء مدينته الذين رافقوه ،
الأغصان ، وجعلوها حزاماً ،
ووضعوها عند سفح الجبل
وبعد أن أتم (إقتلاع الشجرة) السابعة ، اقترب من حجرته ،^(١)

(١) أى الى حجرة « هواوا » . (المترجم)

ودفعه إلى جدار كأنه حية « مرفأً الخمر » ،
وربّت على خده كما لو كان يضع قبلة عليه ،
وعلق حلقة — أنف على أنفه (فأصبح) كأنه ثور مأسور ،
وربط ذراعيه . بجمل (فأصبح) كأنه محارب مأسور .

فأصطكت أسنان « هواوا » ،
وأمسك السيد « جليجامش » من يده (قائلاً) :
« أود أن أقول كلمة لـ « أوتو » ،
يا « أوتو » ، إنني لا أعرف الأم التي ولدتنى ،
ولا أعرف الأب الذى ربّانى ؟
إن الـ « أرض » ، ولدتنى ، وأنت ربّيتنى »

واستحلف « جليجامش » بالسماء والأرض والعالم السفلى ،
وأخذه بيده ؛ وانبطخ على الأرض (تذلاً) أمامه .
عندئذ رق قلب « جليجامش » الأميرى له ،
وقال لخادمه « أنكيديو » ،
« يا أنكيديو دع الطير الحبيس يرجع إلى بيته ،
دع الفارس المأسور يرجع إلى صدر أمه » .
فأجاب « أنكيديو » « جليجامش » :
« إن أطول الناس إذا لم يحسن التقدير ،
سيلتهمه القدر — القدر الذى لا يميز بين الناس .

لو ذهب الطير الحبيس إلى بيته
وعاد الفارس الأسير إلى صدر أمه ،
فإنك لن تعود إلى مدينة أمك التي ولدتك .
فقال « هوأوا » له « أنكيدو » :
« أيها الرجل المستأجر ، أيها الجائع والعطشان والخنوع ،
لم تحدث إليه بالسوء عنى ! »

ولما نطق بهذا ؛
قطع « أنكيدو » ؛ من غضبه رأسه ،
ورماه في كيس تحمل باليد ،
وجلباه إلى حضرة « أنليل » ،
وفنحا الكيس ؛ وأخرج رأسه (المقطوع) ،
ووضعه أمام « أنليل » .

فنظر « أنليل » إلى رأس « هوأوا » ؛
وغضب لكلمات « جالجامش » (وقال) :
« لماذا تصرفنا هكذا !
لأنكما وضعنا أيديكم عليه ،
ودمرتها اسمه ،
وعسى أن يُسقع وجهها كما ،
وعسى أن تلهم النار الطعام الذى تأكلانه .

وعسى أن تشرب النار الماء الذي تشربانه » .

ثم يعقب ذلك تقديم الـ « ميلامات » (أى الأشعة الإلهية) السبع من قبل « أنليل » لـ « جلجامش » وتنتهى القصيدة بفقرة مكونة من ثلاثة أسطر غامضة) .

وفى القصة الثالثة من قصصنا الملحمية « جلجامش وأنكىدو والعالم السفلى » ، وصف البطل بدوره كفارس شهيم ، ومستأسد معتد ، ومنتخب يائس ، وحكيم ناصح وكسيد وفى ، وكبشر حزين تواق لمعرفة شئ ما عن الحياة فى العالم السفلى . ولعب خادمه « أنكىدو » دور الصديق الأمين الشجاع ؛ بيد أنه لم ينجح فى إيقاف لوم سيده له فى لحظة حرجية ، وفقد حياته نتيجة لذلك . ووقفت وراء ذلك « إينانا » ؛ « أفردويت » السومرية ، بدموعها التى لا تقاوم ، وهداياها المنحوسة اللطخة بالموث .

تبدأ القصيدة بمقدمة تتألف من فقرتين مختصرتين لا علاقة لهما بـ « جلجامش » وأحداث القصة . فالفقرة الأولى تتصل بأعمال الخلق الإلهية ؛ بما فى ذلك فصل السماء عن الأرض ؛ وهى لذلك ذات أهمية كبيرة فى نظرية نشأة الكون وعلم الكونيات عند السومريين . أما الفقرة الثانية من المقدمة فتصف الصراع بين الإله « أنكى » ؛ « بوزيدون »^(١) السومرى ؛ والعالم السفلى الذى تقمص شخصية تين متوحش ، وحدث هذا الصراع فيما يبدو بعد فصل السماء عن الأرض بوقت قصير ، وذلك بعد أن أختطفَت الإلهة « إيرشكيجال » بالقوة إلى العالم السفلى — وتذكرنا هذه الحادثة بأسطورة إغتيصاب « بيرسفونة » الإغريقية^(٢) . أما بالنسبة لنتيجة المعركة

(١) إله البحر عند الإغريق . (المترجم) .

(٢) « بيرسفونة » ابنة إلهة الذرة « ديمتر » التى اختطفَت إلى العالم السفلى ، واكلت هناك الرمان مما أدى إلى قضائها وقتاً من زمن فى كل عام هناك حتى بعد أن ساعد الإله زيوس على إعادتها إلى العالم العلوى ، وربما كان لهذه القصة علاقة بالدورة الزراعية . (المترجم)

فإن الشاعر يتركنا في ظلام لأنه كان على ما يبدو متلهفاً للبدء بقصته عن « جاجامش »
التي بقدر ما يفهم منها في الوقت الحاضر ، تجرى على الوجه التالي :

في قديم الزمان ، اقتلعت الرياح الجنوبية شجرة « الخولوپو » (لعلها شجرة
الصفصاف) ، التي غرست على ضفة نهر الفرات وترعرعت على مياهه ، وجرفتها
ببيدأ على مياه هذا النهر . وهناك رأتهما الإلهة « إينانا » التي كانت تمشي في منطقة
مجاورة في حالة من الرعب — لسبب غير مذكور — بـ « أمر » « آن » و « إنليل » ،
الإلهين القائدين في مجمع الآلهة السومري . فتناولت « إينانا » الشجرة بيدها وأتت
بها إلى مدينتها « الوركاء » حيث غرستها في بستانها المثمر وتعهدها بالرعاية على أمل
أن تصنع من خشبها عرشاً وسيراً بعد نموها .

وهزت السنون ونمت تلك الشجرة وكبر حجمها ، إلا أن جذعها بقي أجرد
بلا غصون وأوراق ، وذلك لأن الحية التي لا تؤثر فيها التعاويذ قد بنت عشها في
قاعدتها ، ووضع طير « الأمدوجود » المفترس صغاره على رأسها ، وشيدت في وسطها
« ليايت » ، مصاصة الدماء مسكنها . وهكذا ذرفت عينا « إينانا » ، وهي الإلهة التي
لم تعرف الهم والحزن ، دموعاً مريرة .

ولما انبثق الفجر ، وأشرق أخوها الإله — الشمس « أوتو » من « حقله الأثيري »
أخبرته « إينانا » وهي باكية بما حل بشجرتها « الخولوپو » . ولكن « أوتو » لم
يشأ أن يفعل شيئاً لمساعدتها .

وأعادت « إينانا » عندئذ شكواها لـ « أخيها » « جاجامش » الذي صمم على
الوقوف إلى جانبها . فتمنطق بدرعه الذي يزن خمسين « منا »^(١) ، وتناول بيده « فأس
الطريق » وذبح الحية ، التي لا تؤثر فيها التعاويذ ، عند قاعدة الشجرة . ولما رأى :
« أمدوجود » ماجرى للحية طار هارباً مع صغاره إلى الجبال النائية ، وهدمت

« ليليت » مسكنها الذى كان فى وسط الشجرة وهربت إلى خرائبها المقفرة وقطع « جلجامش » ورجال « الوركاء » الذين رافقوه عندئذ الشجرة وقدمها له « إينانا » لتصنع منها عرشها وسريها .

فما صنعت « إينانا » ؟ لقد صنعت من قاعدة الشجرة « پوكسو » (ولعله كان طبلا) ، ومن أعلاها صنعت « ميكسو » (ولعله كان مضرب الطبل) وقدمت كلا منهما إلى « جلجامش » . بيد أن « جلجامش » استخدمهما فى اضطهاد مواطني « الوركاء » ، وعلى الأخص باستخدامهما ، فيما يبدو ، فى دعوة الشباب إلى الحرب . وملا بذلك نساءهم . وعلى أية حال سقط ، بسبب استغاثة العذارى الصغار « كما يقول الشاعر نفسه ، الـ « پوكسو » والـ « ميكسو » فى « السكن العظيم » ، أى فى العالم السفلى . وبذل « جلجامش » كل ما فى وسعه من جهود لاستعادتهما ولكنه لم ينجح فى تحقيق ذلك . وهكذا جلس « جلجامش » عند الـ « جنزير »^(١) ، التى وصفت بأنها « عين » العالم السفلى ، وبدأ يفوح على ملحت به من خسارة .

ولما رأى « أنكىدو » خادم « جلجامش » حزن سيده ، تطوع بشجاعة للنزول إلى العالم السفلى لإخراج الـ « پوكسو » والـ « ميكسو » . فحذره « جلجامش » . عندئذ من محرمات العالم السفلى التى كان عايمه أن يحتس منها حتى لا تمسك به بشدة « صيحة العالم السفلى » ، خاصة الصيحة التى تطلق من أجل أم الإله الموكل بالشفاء ، « ننازو » ، التى كانت تغط بالنوم عارية وبلا غطاء ، فى العالم السفلى . ولكن « أنكىدو » لم يلتزم بنصيحة سيده ، فأمسك به العالم السفلى بقوة ، ولم يعد بإمكانه الصعود مرة أخرى إلى الأرض .

وشرع « جلجامش » وهو على أشد ما يكون من الاضطراب بسبب محنته الجديدة ، بالسفر حالا إلى مدينته « ناسر » ، موطن « إنليل » ملك الإلهة ، وأخبره

(١) تناظر الجيم كافأ فارسية ويقصد بها على ما يرجح باب العالم السفلى . (المترجم)

وهو يذرف الدموع بما حل بـ « أنكيديو » . بيد أن « أنليل » لم يتأثر بذلك وأبى أن يقدم العون له .

فتوجه « جاجامش » عندئذ إلى مدينة « أريدو » ، موطن « أنكى » إله الحكمة وأعاد عليه شكواه ، فصمم « أنكى » على مساعدة « جاجامش » بقدر ما كان مستطاعاً على الأقل في مثل تلك الظروف . وبأمر منه ، فتج الإله — الشمس « أوتو » فتحة في العالم السفلي صعد من خلالها شبح « أنكيديو » — لأن هذا هو كل ما تبقى منه الآن — إلى الأرض . وتعانق السيد والخادم ، أو بالأحرى السيد وشبح الخادم ثم بدأ « جاجامش » يسأل « أنكيديو » عما رآه في المناطق السفلى . وبهذا الحديث المحزن تأتى القصيدة ، التى بدأت بأيام الخلق السعيدة ، إلى نهاية أبعد ما تكون عن السعادة . وفيما يلي ترجمة لنص القصيدة المتيسر فى الوقت الحاضر :

فى سالف الأيام ، فى الأيام الخوالى القديمة ،

فى الليالى الخوالى ، فى الليالى الخوالى القديمة ،

فى الأيام الخوالى ، فى الأيام الخوالى القديمة ،

بعد أن مُخلق فى سالف الأيام كل ما هو ضرورى من الأشياء ،

وبعد أن أُر في الأيام الخوالى بمُخلق كل ما هو مفيد من الأشياء ،

وبعد أن مُتذوق الخبز فى مزارات البلاد ،

وبعد أن مُخبز الخبز فى مخازر البلاد ،

وبعد أن مُصّات السماء عن الأرض ،

وبعد أن مُصّلت الأرض عن السماء ،

وبعد أن مُثبت اسم الإنسان ،

وبعد أن أخذ « آن » السماء ،
وبعد أن أخذ « أنليل » الأرض ،
وبعد أن سحلت « إيرشكيجال » إلى العالم السفلي كجائزة له —

بعد أن أبحر ، بعد أن أبحر ،
بعد أن أبحر الأب إلى العالم السفلي ،
على الملك كانت الصغيرة^(١) يرمى
وعلى « أنكى » ، كانت الكبيرة ترشق ،
أحجاره الكبيرة^(٢) حجارة اليد ،
وأحجاره الكبيرة أحجار القصب الراقص ،
تقهرها عارضة سفينة « أنكى » ،
في المعركة كأنها عاصفة مهاجمة ،
ضد الملك (الماء) على مقدمة السفينة ،
يلتهم كأنه ذئب ،
ضد « أنكى » الماء على مؤخرة السفينة
يضرّب كأنه أسد^(٣) .

(١) المقصود هنا المجارة الصغيرة والمجارة الكبيرة (المترجم) :

(٢) الضمير يعود إلى العالم السفلي (المترجم) :

(٣) إن هذا المقطع المؤلف من اثني عشر سطرًا غير واضح المعنى . وفي كتاب سابق أشار المؤلف نفسه إلى عدم الوضوح هذا حتى أنه أهمل ترجمته . انظر : كتاب « من ألواح سومر » ، ص ٣٢٦ لنفس المؤلف ، وترجمة الاستاذ طه باقر . (المترجم)

في قديم الزمان ، شجرة « خولوبو » ، شجرة ،

غُرست على ضفة نهر الفرات ،

وكانت تروى بماء الفرات .

عنف الرياح الجنوبية إقتلعها من جذورها ،

وقطع تاجها ،

وحملها (نهر) الفرات بعيداً على مياهه ،

وكانت المرأة تنهش هنا وهناك خوفاً من كلمة « آن » ،

إنها تجوب المكان هنا وهناك خوفاً من كلمة « إنليل » ،

وتناولت بيدها الشجرة ، وإلى « الوركاء » أتت بها :

« سأخذها إلى بستان « إينانا » المشر الطاهر »

وكانت المرأة ترعى الشجرة بيدها ، ووضعتها بالقرب من قدمها ،

« إينانا » بيدها رعت الشجرة ، وبالقرب من قدمها وضعتها (لتكون

على مقربة منها) ،

وقالت « متى ستصبح لى عرشاً مشمراً لأجاس عليه ؟ »

ونمت الشجرة ولكن جذعها لم يورق ،

لأن الحية التي لا تعرف التعاويذ بنت عشاها في جذورها ،

وعلى رأسها وضع طير « الأمدوجود » صغاره ،

وفي وسطها بنت الفتاة « ليامت » بيتها ،

الفتاة الضحوك ،الفرحة على الدوام ،

الفتاة « إينانا » — يالشدة بكائها !

وما إن اثبتق النور ، وما أن أضى الأفق ،

وما أن خرج « أوتو » (الشمس) من « الحقل الأميري » ،

أخته ، « إينانا » المقدسة ،

قالت لأخيها « أوتو » :

« يا أخى ، بعد أن قُدرت المصائر فى الأيام الخوالى ،

وبعد أن أشبعت الوفرة الأرض ،

وبعد أن أخذ « آن » السماء ،

وبعد أن أخذ « إنليل » الأرض ،

وبعد أن نُقلت « ايرشيكجال » إلى العالم السفلى كجائزة له -

بعد أن أبجر ، بعد أن أبجر ،

بعد أن أبجر الأب إلى العالم السفلى

(تعيد « إينانا » هنا الفقرة كلها وتنتهى بالاسطر التالية :)

العذراء الضحوك ، الفرحة على الدوام ،

أنا العذراء « إينانا » ، يالشدة بكأى !

إن أخاها ، البطل « أوتو » المقدام ،

لم يقف إلى جانبها فى هذه المشكاة .

وما أن انبثق النور ، وما أن أضى الأفق ،
عندما خرج « أوتو » (الشمس) من « الحقل الأميري »

أخته ، « إينانا » المقدسة ،
خاطبت البطل « جلجامش » :
« يا أخي ، بعد أن قُدرت المصائر في الأيام الخوالي ،
وبعد أن امتلأت الأرض بالخير ،
وبعد أن أخذ « آن » السماء ،
وبعد أن أخذ « أنليل » الأرض ،
وبعد أن مُهملت « إيرشيكيجال » إلى العالم السفلي كجائزة له —

وبعد أن أبجر ، بعد أن أبجر ،
وبعد أن أبجر الأب إلى العالم السفلي . . . ،
(تعيد « إينانا » مرة أخرى الفقرة بكاملها ، منتهية بالأسطر التالية :)
العذراء الضحوك ، الفرحة على الدوام ،
أنا العذراء « إينانا » يا لشدة بكائي !

فوقف أخوها ، البطل « جلجامش » ، إلى جانبها في هذه المشكلة ،
وتمنطق بدرع يزن خمسين « منا » —
خمسون « منا » حملها وكأنها ثلاثون « شيقلا »^(١) —
وحمل « فأس الطريق » العائدة له —

(١) يعادل « الشيقل » ١/٣ من « المنا » التي تعادل ٥٠٠ غرام تقريباً .

(التي زن) سميع « تلتنتات »^(١) وسيع « منات » ، بيده ،
وعند جذورها (أى الشجرة) قتل الحية التي لا تعرف التعاويذ ،
ومن على رأسها حمل طير « الأمدوجود » صفاره ، وطار هارباً إلى الجبال ،
وفي وسطها ، هدمت الفتاة « ليليت » بيتها ، وهربت إلى القفار .
واقطعت الشجرة من جذورها ، وقطعت تاجها ،
وقطعت أبناء المدينة الذين رافقوه أغصانها ،
وقدمها لـ « إينانا » المقدسة لتصنع منها عرشاً لها ،
وقدمها لها لتصنع منها سريراً لها ،
وصنعت هي من جذورها « بوكّو » له ، (أى الجلجامش) ،
ومن تاجها صنعت « ميكّو » ،
« بوكّو » الدعوة للإجماع — جعل الـ « بوكّو » يدوى في الشوارع والطرقات
وقرع الطبل العالى — جعل أصداء القرع تنجاوب في الشوارع والطرقات ،
كان شباب المدينة ينادى عليهم (بقرع) الـ « بوكّو » ،
وكانت المראה والبلاء — وكان هو بلوى أرامهم^(٢) ،
وكن يندبن « يا قريبي ، ويا زوجي »
من كان له أم — كانت تجلب الحبز لإينها ،
ومن كان له أخت — كانت تجلب الماء لأخيها .

(١) التنت يساوى ٦٠ « منا » أى حوالى ٣٠ كيلو غرام . (المترجم)
(٢) إشارة إلى دعوة « الجلجامش » الشباب إلى الحرب بقرع الطبل مما سبب الحزن والألم
لنساءهم . (المترجم)

وبعد أن اختفت نجمة السماء ،
وحدد الأماكن التي كان (يضع) فيها الـ « بوكو » ،
حمل الـ « بوكو » أمامه وأتى به إلى بيته .
وعند الفجر ، (لم يجد بوكو) في الأماكن التي حددها ، فيالأسى والالأسف !
أسرى ! وموتى ! وأرامل !
ومن أجل العذارى الصغار ،
سقط الـ « بوكو » ، والـ « ميكسو » في « السكن العظيم » .
فأدخل يده ، ولكنه لم يستطع الوصول إليهما ،
وأدخل قدمه ، ولكنه لم يستطع الوصول إليهما ،
جلس عند البوابة العظيمة « جزير » « عين » العالم السفلى .
وبكى « جليجامش » ، وشحب لون وجهه .
« يا لـ « بوكو » ، يا لـ « ميكسو » ،
إن « بوكو » فتنته لا تقاوم ، وإيقاعه لا يقاوم —
آه لو كان « بوكو » في بيت النجار ،
باليته كان عند زوجة النجار ، التي كانت كالأم التي ولدته ،
آه لو كان عند إبنة النجار التي كانت كأختي الصغيرة —
آه يا « بوكو » ، من ذا الذي سيخرجه من العالم السفلى !
ويا « ميكسو » ، من ذا الذي سيعيده من العالم السفلى !

فقال له خادمه « أنكيدو » :

« يا سيدي - علام تبكي ،

وعلام حل المرض الشديد بقلبك !
إن « بوكك » ، هو ذا سأخرجه من العالم السفلى ،
و « ميكك » سأخرجه لك من خلال « عين » العالم السفلى !

فقال « جلعامش » لـ « أنسكيدو » :

إذا ما هبطت إلى العالم السفلى ،
سأقول لك كلمة ، فاستمع لكلمتي ،
وسأقدم لك النصيح ، فخذ بنصيحتي :

لا تلبس ثياباً نظيفة ،
لئلا يهجم عليك أصحاب السلطة كأنهم أعداء ،
ولا تمسح جسمك بالزيت الطيب من الإناء ،
مخافة أن يتجمعوا عليك عند ثم رائحته ،
ولا ترم عصا الرماية في العالم السفلى ،
لئلا يتجمع عليك من تصيبهم بعصا الرماية ،
ولا تحمل عصا بيدك ،
لئلا تهيج الأشباح من حولك
ولا تلبس نعلا في قدميك ،
ولا تحدث صوتاً في العالم السفلى ،
لا تقبل الزوجة التي تحبها ،
ولا تصنع الزوجة التي تكرهها ،

لا تقبل الإبن الذى يحبه ،
ولا تضرب الإبن الذى تكبره ،
لئلا يمسك بك صراخ العالم السفلى —
ذلك الصراخ من أجلها ، من أجل تلك النعمة ، تلك النعمة ،
من أجل أم « نواز » ، النعمة ،
التي لا يغطى جسمها المقدس رداء ،
والتي لا يغطى قدميها المقدس كساء .

هبط « أنكىدو » إلى العالم السفلى ،
إلا أنه لم يلتزم بكلمات سيده —
ولبس ثياباً نظيفة ،
فهمج أصحاب السلطة عليه كأنهم أعداء ،
ومسح جسمه زيت الكأس العذب ،
فتجمعوا من حوله من جراء رائحته ،
ورمى عصا الرماية فى العالم السفلى ،
فأحرق به أولئك الذين أصعبوا بها ،
وحمل عصا بيده ،
فاضطربت أشباح الموتى من حوله ،
ولبس نعلاً فى قدميه ،
وأحدث صوتاً فى العالم السفلى ،
وقبّل الزوجة التى أحبها ،

وصفع الزوجة التي كرهها ،
وقبل الإبن الذي أحبه ،
وصفع الإبن الذي كرهه ،
فأمسكت به صيحة العالم السفلى بقوة —
لقد كانت الصيحة من أجل تلك النأمة ، تلك النأمة ،
من أجل أم « نناز » ، النأمة
من لا يغطي جسدها المقدس رداء ،
ومن لا يغطي ثديها المقدس كساء .
ولم يستطع « أنكيڤو » الصعود من العالم السفلى
إن من يمسك به بقوة ليس المصير ،
ولا يمسك به المرض بقوة .
إن العالم السفلى هو الذى يمسك به بقوة .
ليس الشيطان « نرجال » ، عديم الرحمة ، من يمسك به بقوة ،
إن العالم السفلى هو الذى يمسك به بقوة .
إنه لم يسقط فى المعركة « مكان الرجولة » ،
إن العالم السفلى هو الذى يمسك به بقوة .

وعندئذ قصد « جاجامش » مدينة « نقر » ،
وصعد وحيداً إلى « أنليل » فى نقر ، وبكى :
« أيها الأب « أنليل » ، إن « بوكى » سقط فى العالم السفلى ،
وسقط « ميكسى » فى « جنزير » (عين العالم السفلى) ،

فأرسلت « أنكيديو » لأُخرجهما ،
ولكن العالم السفلى أمسك به بقوة .
إن من أمسك به بقوة ليس المصير ،
وليس المرض هو الذى أمسك به بقوة .
إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .
لم يكن الشيطان « نرجال » ، عديم الرحمة ، من أمسك به بقوة ،
إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .
ولم يقع فى المعركة « مكان الرجولة » ،
إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .

ولكن الأب « أناييل » لم يقف إلى جانبه فى هذه القضية ،
فذهب إلى مدينة « أريديو » .

وصعد وحيداً إلى « أنكى » فى « أريديو » ، وبكى :
« أيها الأب « أنكى » إن « بوكى » سقط فى العالم السفلى ،
و « ميكى » سقط فى « جزير » (عين العالم السفلى) ،
وأرسلت « أنكيديو » لأُستخرجهما ،

فأمسك به العالم السفلى بقوة ،
إن الذى أمسك به بقوة ليس المصير ،
ولم يمسك به المرض بقوة ،
إن الذى أمسك به بقوة هو العالم السفلى
إن الشيطان « نرجال » ، عديم الرحمة ، لم يمسك به بقوة ،

إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .
إنه لم يقع فى المعركة « مكان الرجولة » ،
إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .

ووقف الأب « أنكى » إلى جانبه فى هذه القضية ،
وقال للبطل « أوتو » المقدام (الإله — الشمس) ،
الإبن الذى ولدته « نرجال » :
« إفتح فتحة العالم السفلى ،
وأخرج شبح « أنكىدو » من العالم السفلى » .

ففتح فتحة فى العالم السفلى ،
وأخرج شبح « أنكىدو » من العالم السفلى .
فتعانقا وقبل كل منهما الآخر ،
وتهدأ وتشاورا :
« حدثنى ، ما الذى رأيته فى العالم السفلى ؟ »
« سأحدثك يا صديقى ، سأحدثك .

وتنتهى القصيدة بحوار ، وصل إليها بحالة سيئة ، مكون من أسئلة وأجوبة بين
الصديقين تتعلق بالمعاملة التى يعامل بها الأموات فى العالم السفلى .

وبانتقالنا من الملحمة إلى الترتيلة ، نجد أن صياغة التراتيل فى بلاد سومر كانت
فناً يرمى بعناية ، وكان مضطرباً إلى درجة عالية . ووصلت إلينا عشرات التراتيل التى
تترواح فى أطوالها بين أقل من خمسين سطراً وما يقرب من أربعائة سطر . وهناك

سبب وجيه يدفعنا على الاعتقاد بأن ما وصل إلينا لم يكن سوى جزء يسير من التراتيل التي ألفت في بلاد سومر في غضون قرون عديدة . ويمكن تقسيم التراتيل السومرية المتيسرة في الوقت الحاضر ، استناداً إلى محتوياتها ، إلى أربعة أصناف رئيسية : (١) التراتيل التي ألفت لتمجيد الآلهة ، (٢) التراتيل التي تمجد الملوك (٣) الأدعية الترتيلية التي تحتوى على أناشيد الحمد للآلهة موشاة بتبريكات وصلوات من أجل الملوك (٤) التراتيل التي كتبت تمجيذاً للمعابد السومرية .

وجاءت التراتيل الإلهية أما على صورة خطاب موجه من الشاعر إلى الإله أو على شكل تمجيد للإله وإنجازاته بصيغة الشخص الغائب . ومن بين أطولها وأهمها التراتيل التالية : (١) تريلة لـ « إنليل » جديرة بالاهتمام بسبب تلخيصها الشعري لما تدين به المدنية لأحسانه ، (٢) تريلة للإله « نذورتا » لم توجه إليه باسمه هذا فقط ، وإنما باسمي « باجيلمساج » و « نينجرسو » أيضاً ، (٣) تريلة للإلهة « إينانا » من قبل « إينيدوانا » التي عرفت منذ مدة طويلة بأنها كانت ابنة « سرجون » العظيم ، (٤) تريلة « إينانا » بوصفها كوكب الزهرة وهذه الترتيلة جديرة بالملاحظة لوصفها احتفال الزواج المقدس الذي أقيم احتفاءً بزواج الإلهة والملك « ايدن — داجان » ملك « إيسن » في عيد رأس السنة الجديدة ، (٥) تريلة « إينانا » كإلهة الحرب والغضب (٦) تريلة « أوتو » بوصفه إله العدالة الذي يضع قواعد السكون ويشرف على نظامه ، (٧) تريلة للإلهة « نانشه » بوصفها وصية على أخلاق ومعنويات البشر الفاني ، (٨) تريلة لـ « هندورساج » وزير « نانشه » المنتخب بشكل خاص والموكل المسؤول بالحكم على حسنات وسيئات الإنسان ، (٩) تريلة للإلهة « نانسينا » بوصفها « طبيبة ذوى الرؤوس السود المعظمة » ، الإلهة الحامية لفن الدواء والعلاج ، (١٠) تريلة « نكاسي » بوصفها إلهة المشروبات المسكرة ، (١١) تريلة « نيدابا » بوصفها إلهة الكتابة وفن تدوين الحسابات والحكمة ، (١٢) تريلة للإله « سوموجان » بوصفه « سيد القصر » وكقاضى ذوى « الرؤوس السود » وحاميتهم .

وأهم مجموعة من التراتيل التي تمجد الملوك هي المجموعة العائدة إلى الملك « شولجى »
ثانى ملوك سلالة أور الثالثة ، ويمكننا فى الوقت الحاضر إعادة بناء خمس منها إلى
مثل ما كانت عليه كلياً أو جزئياً . وتعنى ترتيلتان بمحمد والد « شولجى » الملك
« أور — نامو » . ويوجد عدد كبير من التراتيل التى تخلد حكام سلالة « إيسن »
التي أعقبت سلالة أور الثالثة وبصورة خاصة « إيدين — داجان » و « أشمى —
داجان » و « لبت — عشتار » . وكانت أغلب التراتيل الملكية عبارة عن مديح
مبالغ فيه للذات ، وهناك ما يفيد على أن الملوك أنفسهم كانوا ينشدون أناشيدنى تمجيد
الذات طنانة ومليئة بالغرور ، دون تردد أو تمنع . إن هذا السلوك الملكى غير
الاعتيادى ، والذي من وجهة نظرنا لا يليق كثيراً بملوك ، لم يكن بلا أهمية من الناحية
النفسية ، لأنه كان يتفق مع سعيهم الدائب من أجل الشهرة والرفعة ، ذلك السعى
الذى كان سمة متميزة من سمات الملوك السومريين (أنظر الفصل السابع) .

ومن النماذج المفضلة كثيراً عند مؤلفى التراتيل السومريين نموذج من التأليف
تظهر فيه الأناشيد الموجهة للآلهة ممزوجة بالتهنئات والأدعية من أجل خير
الملوك . وكانت الآلهة الرئيسة جميعها تقريباً ، باستثناء الإله الأم « نينخور ساج » ،
وهذا أمر لم يكن بالأحرى متوقفاً ، ممثلة فى هذا الصنف من التراتيل ، وهم : « آن »
و « أنليل » « أنكى » و « نانا » ، و « أوتو » ، و « نورتا » و « رجال »
و « إيفانا » و « باو » و « ننسنا » . أما بالنسبة للملوك الذين كانت البركات تطلب
لهم ويصلى من أجلهم فهم حكام سلالة « أور » الثالثة جميعهم ، وأوائل حكام سلالة
« إيسن » الأولى . لقد وجهت واحدة من هذه التراتيل إلى الإلهة « باو » بوصفها
صديقة « أيانا تم » ملك « لجش » وحليفته ، مما يشير بشكل قاطع إلى أن هذا النموذج
من التراتيل كان سائداً بالفعل فى بلاد سومر فى العصر الذى سبق العهد السرجونى .

وأخيراً ، فإن تراتيل المعبد ممثلة بأغنية حمد لـ « أيكور » ، معبد « أنليل »
فى « نسر » ، وبرتيلة موجهة لمعبد الإلهة « نينخور ساج » فى مدينة « كش » (١)

(١) مدينة « كش » (Kesh) هى غير مدينة « كيش » الشهيرة . المترجم

وأفضل هذه التراتيل كلها هي الترتيلة الممثلة بقطعة تتكون من أكثر من أربعائة سطر تضم تراتيل مختصرة موجهة إلى جميع معابد سومر وأكد المهمة . وأكثر تراتيل المعبد الموجودة جدارة بالإهتمام هي تلك الترتيلة المدونة على إسطوانات «جوديا» المعروفة منذ مدة طويلة ، والمؤلفة مما يقرب من أربعائة وألف سطر من الكتابة ألقت أحتفاء بأعادة بناء معبد «أيننو» في مدينة «لجش» .

وإذا تحولنا الى مظاهر المؤلفات الترتيلية الشكلية ، فاننا نجد مما يسترعى الإلتباه هو أن كتابة التراتيل قد أصبحت فناً أدبياً مصقولاً في بلاد سومر بحيث كانت مصنفة إلى أصناف متنوعة من قبل الشعراء القدامى أنفسهم ، وألحق كثير من التراتيل الموجودة بمجموعاتها المناسبة بملاحظة تأتي على شكل تذييل خاص يكتب في نهاية القطعة . وكانت الكلمة السومرية الشائعة التي تعبر عن التراتيل هي «سير» التي قد ترتبط أولاً ترتبط بالكلمة العبرية «شير» . وكانت من أصناف الـ «سير» الـ «سير - خامون» ولعلها كانت «تراتيل الإيقاع» ، و «سير - ناهنار» ، «تراتيل موسيقية» ، و «سير - ناجالا» ، «تراتيل خاصة بوظيفة الجالا» ، و «سير نامورساجا» ، «تراتيل البطولة» ، و «سير ناميسباد - إيناناكا» ، «تراتيل رعية الإلهة إينانا» ، والمقصود في هذه الحالة بلا شك الإله الراعي «دوموزي» (زوج إينانا) . أما الأصناف الترتيلية التي يبدو أنها سميت بأسماء الآلات الموسيقية التي تصاحبها عندما تنشد ، فهي «تيجي» ولعلها كانت ترتيلة تصطحب بقيثارة ، و «إرشيا» ، ولعلها كانت ترتيلة تصطحب بآبل ، و «أداب» وهي ترتيلة تصطحب بآلة من الآلات الموسيقية الوترية ، مازالت حتى الآن مجهولة . وكانت تراتيل الـ «تيجي» والـ «أداب» مقسمة من قبل الشعراء القدامى إلى أقسام تحمل الملاحظتين «ساجارا» و «ساجيدا» - ويبدو أن معنى الأولى الحرفي هو «مجموعة الأوتار (؟)» ، ومعنى الثانية «الأوتار الطويلة» ، وهذا دليل آخر على أن هذه التراتيل كانت تصطحب بالآلات الموسيقية . وتشمل تراتيل الـ «أداب» أيضاً أجزاء خاصة تحمل الملاحظتين «أرسود» و «شاباتوكو» اللتين مازال معناها غير معروف ، وتختتم هذه التراتيل عادة بدعاء من أجل خير الملك مكون من

ثلاثة أسطر ، يطلق عليه إسم « أورو نيم » ، وهو عنوان مازال معناه مشكوكاً فيه . ويستخدم كل من صنفى الـ « أداب » والـ « تيجى » أيضاً ترنمة تجاوبية ، تتألف من سطر إلى أربعة أسطر ، وهى شئ شبيه بالدور الذى تردده مجموعة المنشدين ، وتحمل أيضاً ملاحظة مازالت غامضة المعنى يمكن قراءتها مبدئياً بـ « أز كيج » . وأخيراً يوجد عدد من التراتيل المقسمة إلى مقاطع شعرية مع ملاحظة « كيروجو » أى « ثنى الركبة » ، التى تعقبها غالباً قاعة تشبه الدور تسمى « أز كيج » .

وتتألف المناحات السومرية بصورة رئيسة من صنفين : تلك التى تبكى على تدمير المدن السومرية ، وتلك التى تنوح على موت الإله « دوموزى » أو على واحد من نظرائه . وتتصل اثنتان من أحسن ما وصل إلينا من النوع الأول بتدمير مدينة « أور » . بينما تتصل ثالثة بتدمير مدينة « نهر » ، وتبدأ هذه كهرثية ولكنها تنتهى بملاحظة تم عن السرور بإعادة بناء المدينة من قبل « أشمى - داجان » ملك « إيسن » . أما بالنسبة للمناحات على « دوموزى » فإنها تتراوح فى أحجامها بين تأليف طويلة ذات أكثر من مائتى سطر إلى مرثى مقتضبة ذات أقل من خمسين سطرًا . ولقد نشر عدد لا بأس به من نصوص « دوموزى » هذه حتى هذا التاريخ إلا أن عدداً كبيراً منها مازال بلا ترجمة يعتمد عليها ؛ وعلى الأخص تلك النصوص المدونة بطريقة لفظية وليس بالأسلوب التاريخى ، مما جعل حتى تقسيم الكلمات أمراً غير مؤكد ، ناهيك عن المعنى والتفسير .

ويتصل الرثاء ، أو أناشيد الدفن بأدب المناحة والبكاء ، وكان هذا الضرب من الأدب السومرى مجهولاً تماماً حتى سنة ١٩٥٧ عندما عثرتُ خلال زيارة إلى الاتحاد السوفياتى على لوح فى متحف « بوشكين » (فى موسكو) دونت عليه مرثيتان من هذا الضرب الأدبى ، وقتُ بإعداد نسخة مفصلة من النص بمعاونة متحف « بوشكين » نشرت فى سنة ١٩٦٠ . وقد استند ملخص متويات هاتين القصيدتين والترجمة المقدمة هنا على تلك الدراسة .

لقد كان اللوح ، الذى دون بلا ريب فى مدينة « نقر » القديمة فى حدود سنة ١٧٠٠ ق م . - ومن الجائز طبعاً أن يكون قد ألف لأول مرة قبل هذا التاريخ بوقت طويل - مقسماً من قبل الكاتب القديم إلى أربعة حقول (أو أعمدة) . ويحتوى هذا اللوح على قطعتين بحجمين مختلفين يفصل بينهما خط مستقيم . وتتألف أولى القطعتين وأطولهما من ١١٢ سطراً من الكتابة ، بينما تتألف الثانية من ٦٦ سطراً فقط . ويعقب نص القطعتين ، بعد فاصل مكون من خطين ، تذييل مؤلف من ثلاثة أسطر يعطى عنوانى القطعتين مع عدد الأسطر الذى تحتوى عليه كل قطعة على انفراد ومجموع الأسطر فى كليهما معاً . وتتألف الجزء الأكبر من كلا القطعتين من ترينيات جنائزية كانت تنشأ من قبل شخص يسمى « لودينجيرا » . فى الأولى نجد « لودينجيرا » يندب على موت أبيه « نانا » ، الذى ، إذا كان فهمى للقطعة المتعلقة بالموضوع صحيحاً ، توفى من جروح أصيب بها فى نوع من أنواع الصراع الجسدى . وفى الترنيمة الثانية نجد « لودينجيرا » نفسه ينوح على وفاة زوجته الطيبة المحبوبة « ناويرتوم » ، التى ماتت فيما يبدو ميتة طبيعية .

وسبقت الترنيمتين فى كلا القطعتين مقدمات الغرض منها تهئية المشاهد . وكانت مقدمة الترنيمة الأولى تتألف من عشرين سطراً ، ولذلك تعتبر مختصرة نسبياً إذا ما قورنت ببقية القطعة . أما مقدمة الترنيمة الثانية فتتألف من ٤٧ سطراً وهى على هذا أطول من بقية القصيدة بحوالى مرتين ونصف . ومن ناحية الأسلوب تستخدم كلا القطعتين أسلوباً شعرياً رقيقاً يتميز بنماذج متنوعة من التكرار والطباق والأدوار التى ترددها مجموعة المنشدين ، والتشبيهات والاستعارات . وكانت أعمال المتوفى وحسناته ، وما ألم بأولئك الذين تركوا وراءه من الحزن والألم ، تذكر إنشاداً بعبارات طنانة مليئة بالزهو . على أن هذا الأسلوب (أى الإطناب بفضائل المتوفى) مظهر مفهوم من مظاهر الأناشيد والخطب الجنائزية فى كل مكان وزمان .

إن مقدمة القطعة الأولى تبدأ بعبارة نثرية مكونة من سطرين تبين ، على ما يبدو أن أحد أبناء المتوفى كان قد رحل إلى أرض نائية وإنه استدعى إلى « نقر » حيث

كان أبوه يرقد مريضاً بعلّة لا شفاء منها . ويعقب تلك العبادة ستة أسطر يصف كل سطر منها الأب بعبارات من الإطراء الكبير وتنتهى بالدور القائل « لقد أصابه المرض » ثم تلى هذه السطور فقرة تصف شدة مرض ومعاناة الأب وموته الذى كان أمراً لا بد منه . ووصلت أنباء المصيبة إلى الإبن الذى كان فى « رحلة بعيدة » فعاد بعدئذ — كما يمكننا أن نفترض — إلى « نَـقَر » وألف بعد أن غمره الأسى المراثية التى ستأتى فيما بعد .

تبدأ الترنيمة نفسها بوصف الحزن الشديد الذى ألم بزوجة المتوفى التى كانت ، على ما يفترض ، أم « لودينجيرا » ، وبكاهنة من صنف « لوكور » من كاهنات الإله « نئورتا » لم يذكر اسمها ، وحزن كاهنة من صنف (إن en أن من كاهنات الإله « نوسكو » لم يذكر اسمها أيضاً ، وحزن أولاد المتوفى ، وتواصل الترنيمة وصفها للحداد على المتوفى الذى أعلن من قبل بناته ، وكبار وكبيرات مدينته « نَـقَر » وعبيده . وعند هذه النقطة ، وبصورة تدعو بالأحرى إلى الإستغراب ، يدخل فى الوسط ما يبدو بأنه دعاء مكون من سطر واحد يتعلق بابن المتوفى الأكبر . وتأتى بعد هذا الدعاء فقرة تحتوى على عدد من اللعنات على قاتل « نانا » وعلى ذريته . ثم تنتهى الترنيمة بسلسلة من الأدعية : فهناك دعاء من أجل خبر المتوفى فى العالم السفلى وآخر يدعو له بالمعاملة الحسنة على يد إله الشخصى وإله مدينته ، ودعاء من أجل رخاء زوجته وأولاده وذوى قرباه .

وتحتل مقدمة المراثية الثانية ، كما ذكرنا سابقاً ، الجزء الأكبر من القصيدة ، فهى تبدأ بالإعلان عن وفاة « ناورتوم » فى سلسلة من التشبيهات الموضوعة فى صيغة طباق ، والإستعارات ، وتواصل وصف الحزن الذى ألم بعد ذلك بسكان « نَـقَر » . وبعد فقرتين شديتى الغموض — تصف أولاهما على ما يبدو توقف بعض الشعائر الدينية المهمة فى « نَـقَر » نتيجة لوفاة « ناورتوم » — يظهر على المسرح « لودينجيرا » ليتلو مرثيته . ومن الممكن تقسيم الترنيمة نفسها إلى قسمين : نواح مرير على فقد

« لودينجيرا » لزوجته يتألف من سلسلة من المتطابقات يعقب كل منها دورة شابه ،
وسلسلة من الأدعية من أجل خير المتوفاة وخير زوجها وأبنائها وأهل بيتها .

أما بالنسبة لأهمية الرثيتين ودلالتهما ، فإننا لسنا بحاجة إلى القول بأن لها فضيلة
حقيقية كبيرة كجهد أدبي ، فهما تحاولان في صغية شعرية خيالية ، نقل مشاعر
الإنسان وعواطفه العميقة التي تولدها الحسارة المحزنة بالموت الذي لا بد منه ، لأقرب
الأقرباء وأعزهم . ومثلان من وجهة نظر تأريخ الأدب أولى أهميته الثمينة من أدب
الرثاء - فهما أسبق بدة قرون من الترنيمات الداوودية من أجل « شاول »
و « يونانان »^(١) ، والرثيات الهوميرية من أجل « هيكتور »^(٢) التي تحتّم الألياذة
بعبارة محزنة جداً - وعلى ذلك لا بد أن يبرهننا على أن لها قيمة لا تقدر بالنسبة
لأغراض الدراسة المقارنة . إن أولى القصيدتين ذات أهمية أيضاً بالنسبة لفهمنا للنظرية
الكونية السومرية ، لأننا نعرف منها أن الحسكاء السومريين ، أو على الأقل بعضاً
منهم - كانوا يعتقدون بأن الشمس تواصل بعد النروب ، رحلتها خلال العالم السفلي
في الليل ، وأن الإله - القمر « نانا » كان يقضى « يوم سباته » . أى آخر يوم من
كل شهر في العالم السفلي .

وأهم من هذا كله ، إن القصيدتين ، وعلى الأخص الأولى منهما ، تلقيان ضوءاً
جديداً قويا على أفكار السومريين عن الحياة في العالم السفلي . وعلى هذا ، مثلاً ،
نعرف الآن لأول مرة عن « مقاضاة الموتى » وإن الإله - الشمس « أوتو » قاضى
البشر بلا منازع - كما هو المتوقع ، هو الذى كان يقرر القرارات ، ونعرف أيضاً

(١) كان « يونانان » بن شاول صديق داوود . (المرجع)

(٢) كان « هيكتور » في الميثولوجيا الإغريقية أكبر أبناء الملك ابن « بريام » ملك طروادة ،
وأشجع أبطال هذه المدينة . وكانت شخصيته على ما يرجح من إبداع « هومر » إذ ظهر في
الإلياذة كقائد بقود الطرواديين إلى المعركة . ولكنه قتل على يد « خيلس » الذى ربط جثته
ببريته وجرها إلى السفينة . وأصبح « هيكتور » موضوع طمس في أماكن مختلفة وخاصة في
طروادة وطيبة ، ويعتقد أن عظامه «لمت إلى المدينة الأخيرة بمعجزة . (المترجم) :

بأن الإله — القمر « نانا » ، كان بطارية ما ، « يقرر مصير » الأموات في اليوم
الذي كان يزور فيه العالم السفلي .

أما بالنسبة لمؤلف التريمتين والدوافع التي كانت وراء تأليفهما ، فليس هناك أدنى
شك بأن كاتب القصيدتين كان واحداً من الـ «أومايا» ، أى خريجى المدرسة الذين
كانوا يعملون ويدرسون في « أيدوبا » ، (أى المدرسة) السومرية وأن نفس
القائمتين كانتا تستخدمان كمنصوص لتدرس وتستنسخ من قبل طلاب الـ «أيدوبا» .
وعثر في الواقع حديثاً على سطر واحد من أسطر المراثية الأولى مكتوباً بخط المعلم
والطالب على لوح صغير من الألواح الذي كان يستخدم في التمرن على الكتابة وجد
في مدينة « نقر » . وكان المؤلف في ظاهر الأمر يكتب كما لو كان يقوم بمجرد تأليف
مقدمتين للقصديتين ، بينما قدمت الترانيم نفسها ، على ما يفترض ، كما لو كانت في
الحقيقة من كلمات « لودينجيرا » أضف إلى ذلك أن المؤلف يفتص ، في التريمة الأولى
على الأقل ، على أن «لودينجيرا» قد كتب مراثيته ، مما يدعو إلى الافتراض ضمناً بأنه
كانت أمام المؤلف في الواقع نسخة من تريمتي «لودينجيرا» . ولكن ذلك كله لا يبدو
بالأحرى محتملاً ، خاصة في ضوء وحدة الأسلوب التي تميز المقدمتين والتريمتين .
وأهم من كل ذلك أن المرء يترك مع الإحساس بأن المراثيتين لم يكونا سوى جهود
تخليقية خلاقة من جانب شاعر هزه حافظ جمالي إلى تأليف أنشودة جنازية بليدة ومؤثرة ،
كما لو كان قد دفع مثلاً إلى تأليف قصيدة ميثولوجية أو ملحمة .

ونقدم فيما يأتي ترجمة حرفية للمراثيتين مع كل ما يرافقها من علامات الاستفهام
والثغرات على ما في هذا من إرباك للقارئ وذلك لأن أجزاء من النص لسوء الحظ
معقدة وغامضة جداً .

المراثية الأولى

لقد بعث [ولد] (رسولا) إلى مكان بعيد في طلب ابنه ،
ذلك الابن الذي كان قد رحل إلى السكان النائي لم [يهمل] إرشادات

« تلـكم الأيام » .

إن الأب الذى يقطن المدينة قد مرض ،
اللامع الغالى ، الذى لا وجود له (إلا) فى الجمال النائية ، قد مرض ،
من كان وسيماً (و) جذاباً (؟) فى كلامه ، من ٠٠٠ قد مرض ،
من كان له جسم جذاب (؟) ورأس (جذاب) ، قد مرض ،
من كان حكيماً فى تخطيطه ، ومؤهلاً جداً (لعضوية) المجمع ،
قد مرض ،

من كان رجل صدق ، ويخشى الإله ، قد مرض ،
لقد مرض ، ولم يأكل — لقد كان يضئ (؟) ،
بفمه (؟) المطبق تماماً ، لم يتذوق طعاماً ، فهو يضطجع جائعاً ،
كلوح (ماينى) (؟) ، كجدى (؟) ، إنه ٠٠٠ ،
البطل ، القائد (؟) ، لا [يحرك (؟)] قدماً (؟) ،
من (؟) ٠٠ المريض ، كان يذوى من النحر [يب (؟)] من أجل (؟)
أبنائه (؟) ،

القلب مكروب ، [يرتجف (؟)] من النواح ،
لقد مات العلامة فى « نحر » (من جروح أصابته) فى هجوم (؟) ،

ووصل (نبأ) هذا الأمر إلى ابنه وهو على سفر بعيد ،
وكابن لم ينفصل (؟) عن أبيه ،
لم يرجع (؟) الرداء (؟) الذى أرسل (.) إليه ،
لقد ذرف الابن الدموع ، وألقى بنفسه فى الرغام وأنشد من أجله « تريلة

نُشيد « ،

وألف « لودينجيرا » من قلبه المحترق (؟) مرثية :

« أيا أبتى — يامن مات فى هجوم (؟) ،

أيا « نانا »^(١) — يامن أخذ إلى العالم السفلى بالشر الذى خطط ضده ،

امراتك — ياللعجب ! فقد كانت سابقاً (؟) امرأته ، (ولكن) هى الآن

أرملة —

تدور (؟) حواليك كأنها دوامة هوائية ٠٠٠ ، لأن الفرح ٠٠٠ ،

وكانها ٠٠٠ هى تعمل من أجلك ، (نعم) من أجلك — لقد فقدت صوابها ،

وأطلقت [صرخة ألم] كما لو كانت على وشك أن تلد ،

تحول الـ ٠٠٠ ، [تئن (؟)] كأنها بقرة ،

٠٠٠ أطلقت صرخة (ألم) ، وتذرف الدموع ،

وغطت (؟) ٠٠٠ ها ، و (؟) أخذت (؟) ماهو حق (؟) ،

٠٠٠ فى الظلام (؟) ٠٠٠ ؛

من يجمع (؟) ٠٠٠ ،

ويلمسك ، الـ (؟) قلب ٠٠٠ هموم (؟) .

» من (؟) ٠٠ يبرغ (؟) ٠٠ عند الفجر (؟) ،

من بين الـ ٠٠ التى تستوطن فى ٠٠ ، كاهنة [الإله نفورتا] (؟) من

صنف « لوكور » ،

من الـ ٠٠ قد ألفت نفسها [فى التراب (؟)] ،

(١) اسم الأب المتوفى . (المترجم)

كَيْلَهُ حَزِين (؟) هِيَ ... ،

صِيحَاتُهَا (؟) (مِنْ الْحَزْنِ) ... تَشْرِيرُ ،

فِي (؟) وَسْطَ (؟) الْعَبْدِ (؟) هِيَ (؟) ... ، ... ،

قَدْ جَعَلَتْ (؟) الـ [نَاسَ الْمُنْتَشِرِينَ اتِّشَارًا] وَاسِعًا (؟) ... الْقَمَحِ
وَالنَّاءِ (؟) .

« فَوْضَى (؟) الْمَعَارِكِ (؟) كَاهِنَةُ (الْإِلَهِ نَوْسَكُو) (مِنْ صَنْفِ)
الـ « أَنْ » ،

... مَزَقَتْ (؟) مِنْ أَجْلِكَ (؟) — لِأَنَّكَ ... هَا (؟) ... ، ... ،
،

، مِنْ حَجَرِكَ ،

،

،

« أَبْنَاؤُكَ [الَّذِينَ « ؟ »] كَانُوا يُعَامِلُونَ (؟) كَمَا يُعَامِلُ أَبْنَاءَ ذَلِكَ ،
مَهْمَاهُم (؟) يَا كَلُونَ ... ،

مَهْمَاهُم (؟) يَشْرَبُونَ ... ،

عَسَلِ (و) سَمْنِ هُم (؟) ... ،

الْمَائِدَةُ (؟) يَمْلَأُونَهَا (؟) بِالذَّهْنِ لَكَ ،

الذَّمُوعَ الَّتِي ذَرَفُوهَا مِنْ أَجْلِهِ دَمُوعَ تَثِيرِ الشَّفَقَةِ (؟) ،

وَحَدَادِهِمْ (؟) مِنْ أَجْلِهِ هُوَ (حَدَادِ) (أَنَاسِ) مُحِبِّينَ (وَذَوَى) قُلُوبِ نَقِيَّةٍ ،

وَكَالْقَمَحِ الذَّابِلِ أَنَّهُمْ ...

فراخ الطيور تعود (؟) ... ، رفعت (؟) ... ،
وعرائس (؟) أبنائك اللواتى قلن : « أين (آه) أين هو الآن ؟ » —
لقد وقع (؟) عليهن (؟) ... لك ،
وفى ... قد أسكت (؟) من أجلك ... ،
وفى أحضان (أعضاء) البيت (؟) ... من أجلك .
... لك ... أصوات عذبة ... ينام ... ،
مثل ... قد كان ... ،
نواح الـ ... من أجلك (؟) لا يذتطع .

« يا أبى ، [عسى أن يطمئن قلبك] ،
أيا « نانا » (عسى أن تسعد) روحك ،
الرؤساء والحكام ...
[عسى (؟)] أولئك الذين تخلصوا من يد الموت ... ،
إن يد الموت كانت ... فى (؟) ... هم (؟) ، و (لا) أحد ... ،
الموت منه ... (؟) الآلهة ، الموضع الذى يقرر فيه المصير ...
عسى ذريتك ... ركبتيك (؟) .
بناتك قد ... من أجلك فى ... هن (؟)
كبار مدينتك [أفاموا (؟)] الحداد (؟) (من أجلك) ،
سيدات مدينتك قد ... من أجلك ،
العبيد [عند (؟)] حجر الرحى — [ذرفوا (؟)] ... الدموع من أجلك ،
المنزل حيث (؟) وضع (؟) — .

عنده — فضة (؟) ، وحصل على القمح ، و [تضاعفت (؟)] ممتلكاته ،

« عسى الأبن الأكبر [أن يؤسس (؟)] لك — أسسا ثابتة » ،

« الرجل الذى قتلك ، [الذى (؟)] كأمريء ... القلب ... ،

من هجهم (؟) عليك (نعم) عليك ، بقوة قاسية ...

النار المؤكد (؟) يعود للملك (؟) ، الراعى ، إلهيك (الشخصى) ،

المشورة الصادقة (؟) تعود لـ « أوتو » —

ذلك الرجل [عسا] ه أن يكون رجلا ماعونا ، والموت [سيكون نصيبه] ،

[و] عسى ألا يدفن [أحد عظامه ،

وذريته ، [عسى أن يمحي] (؟) اسمها ،

وعسى ممتلكاتهم كعصافير ... طائرة (؟) ...

وعسى ... البلاد (؟) ...

يجلبون (؟) كلماتك المرضية ... عسى أن يجعلوك مرتاح البال ،

أيا « نانا » عسى أن تسعد روحك (؟) وعسى أن يرتاح قلبك ،

إن « أوتو » ... سيد مئوى الأموات العظيم ،

بعد أن يضىء الأماكن المظلمة ، سيقضى فى قضيتك (لصالحك) ،

وعسى أن يقرر « نانا » ^(١) مصيرك (بشكل مرضٍ) ،

و [عسى] « رجال » ، « أنليل » العالم السفلى ^(٢) ... قبله (؟) ،

(١) المقصود هنا الإله — القمر « نانا » وليس « نانا » الرجل المتوفى . (الترجم)

(٢) يقصد بهذه العبارة أن الإله « رجال » يتمتع بنفس صلاحيات الإله العظيم « أنليل »
الإله — العاصفة فى العالم السفلى . (الترجم)

وعسى أن ينطق الأبطال (؟) آكلو الخبز باسمك ٠٠ ، ٠٠٠ طعام ،
و [عسى] ٠٠٠ ، العالم الأسفل ٠٠ عطف ٠٠٠ ،
وعسى (؟) شاربو الـ ٠٠٠ [أن يطفئوا « ؟ »] ظمأك بالماء العذب ،
[عسى « ؟ »] ٠٠٠ ،
و [عسى « ؟ »] « جاجامش » ٠٠ قلبك (؟) ، بتوة ،
و [عسى] أن يكون « نيدو Nedu »^(١) و « إيتانا » حليفين لك ،
آلهة العالم الأسفل سوف [تقرأ (؟)] الأدعية من أجلك ،
وعسى أن يقول إلهك (الشخصى) « كفى ! » وعسى أن [يقرر (؟)]
مصيرك بصورة ودية ،
وعسى إله مدينتك ٠٠ من أجلك ، قلب ٠٠٠ ،
وعسى أن [يلغى] لك وعود (ك) (؟) وديون (ك) ،
وعسى أن (يحو) إثم الأسرة [من] التقارير (؟) ،
و [عسى أن يجر إلى العدم] الشر المخطط ضدك ٠٠ ،
وعسى أن يسعد أولئك الذين تتركهم وراءك ، (عسى) ٠٠ ،
وعسى الـ ٠٠ يأخذ (؟) ٠٠٠ ،
وعسى الأرواح (الخيرة) (و) الجن [أن تحمى (؟)] ٠٠ ك ،
وعسى أن يكتب (؟) للأبناء الذين أنجبتهم الزعا [مة « ؟ »] .
وعسى أن تزوج (جميع) بناتك ،
وعسى أن تبقى امرأتك بخير ، عسى أن يتضاعف (عدد) أقربائك ،

(١) يرد أحياناً (Nilc) وهو رئيس حراس «جبل الازورد» في العالم السفلي . (المترجم)

عسى أن يفرحهم الرخاء والخير (؟) يوما بعد يوم ،
في ... لك عسى ألا تنقطع قط الجمعة والخمرة (وكل) الطيبات أبداً .
وعسى أن يكون ابتهاج (؟) أسرتك إلى الأبد (كأنه) ابتهاج (؟) إلهك
(الشخصي) ! «

المريثة الثانية

لقد [حل « ؟ »] يوم مشؤوم بالسيدة في (؟) . . . ها (؟) .
وعلى السيدة الوسيمة ، السيدة المفضلة . [وقعت (؟)] العين الشريرة .
و [وقعت] على الطيرة الصغيرة لخارجية ، (؟) من عشا الشبكة (؟) ،
لقد [قبض] على الأم الولود ، أم الأبناء العديدين « [بقوة] » من قبل
فتح (؟) ،
إن البقرة الودودة الملونة ، البقرة الوحشية الخصبية (؟) ، [تنام مهشمة (؟)] ،
كأنها أناء من من نوع « (جا كول) » .
« (ناويرتوم) » ، البقرة الوحشية المنخبية (؟) [تنام مهشمة (؟)]
كأنها أناء من نوع « (جا كول) »
هي التي لم تقل (قط) « إنني مريضة ؟ » لم يعنَ بها ،
هي التي لم . . (قط) لم . . إله المسكان (؟) ،
كأنه مكان راحتهم (؟) . . هم المقذوف (؟) لم يكن . .

« نقر » ملبدة بالغيوم (؟) ، وفي المدينة . . . ،
على المجموع وقعت صرخة (؟) بلاء (؟) . . . ،

... ■

... ■

وغمرتهم الشفقة على تلك التي انتهت حياتها (؟) ،
وعلى كونها طرحت (؟) كتمثال ذهبي ، إهمهم (؟) مصابون
بالكرب (؟) —

إن الذي ينظر إليها ، (كيف) لا يحزن (؟) ؟
النساء الباقيات ... ،

إن أحسن (؟) أناشيد المشدين (؟) ذات الكلمات العذبة ،
تحولت في كل مكان إلى عويل (و) أنات (؟) .

لأن (؟) ... قد عاد (؟) [أنشدوا] ها (؟) كانشودة من أجلها .
لأن (؟) من ٠٠ لها الصغير ،
الـ ٠٠ الحجري ... ،

لأن (؟) أيامها في حجر زوجها لم تكن طويلة لذلك ينقطع البكاء ،
ولأن (؟) من ٠٠٠ لم يرجع (؟) « ندورتا » الصيحة
الليئة بالفرح ،

لأن (؟) كاهنة « أن » المحبوبة لم تدخل الـ « جيبار » ،
الحجارة التي أختيرت كزوجة (؟) لم تقبل (؟) كقربان (؟) ،

لأن (؟) ٠٠ قد أنهى (؟) بجانيه ،
أنه (؟) ينهض (؟) بعظمة (و) عطف ، ويلقى مرثية من أجلها ،

لأمها (؟) التي أنجبتها (؟) هو .. هو .. من أجلها ،
 حصصهم (؟) يحولها من أجلها إلى (؟) ...
 وأرواحهم (؟) خرجت أمامها (؟) وأجسامهم (؟) الشريرة (؟) تمزقت
 (؟) أربا (؟)
 ... هم (؟) عمالهم (؟) و ذو القربى ... هم (؟) .
 لأن (؟) .. من الركبة (؟) — ،
 أنهم لـ (؟) يقفوا — ،
 (جميع) حسناتهم كن ... ،
 — — ، ()
 كرجال حائقين ، الأحجار ... مريض (؟) ،
 في مدينتها (؟) النور من أعلى .. لم يتزايد يزداد (؟) .

عندئذ زوجها [الحب] بمفرده ... ،
 في مدينته ، في « نفر » ، المدينة (؟) .
 « لودينجيرا ، زوجها [الحبيب] [وحنيدا] ،
 في مدينته ، في « نفر » ، المدينة (؟) .. ،
 دنا منها بقلب معذب (؟) [في (؟)] .. مكان السكن العظيم ،
 أخذوا (؟) يده (؟) وقلوبهم منعمة [بالحزن] (؟)
 .. قطع [؟] من الغذاء ، وكان نفسه كان مختلفاً [؟] ،
 ذلك الذي لم ثياب الـ .. [؟] .
 وأطلق الإناث [؟] كأنه بقرة .

ويرتدى ٠٠ [؟] إنه ينتحب أمامها [ويقول] :

« آه أين الآن ٠٠ أريد أن أصرخ لك ،

أين الآن [الإلهة] « ميمى » [و] [الجنى ، الفتان] [؟] أريد أن أصرخ لك ،

أين الفم [؟] [الجميل] « ؟ » [الفم الجذاب] [؟] [الفم المذهب] [؟] أريد

أن أصرخ لك ،

أين سلاحى [؟] [الجذاب] [؟] ، [الكفانة المصنوعة] [؟] [بفخامة] [؟] ،

أريد أن أصرخ لك

أين ذلك الذى يجعل الوجه [؟] مشرقاً مستشارتى الأميرية أريد أن أصرخ لك ،

أين ٠٠ العائدلى ، ماستى المتألقة أريد أن أصرخ لك ،

أين أغانى العذبة التى تفرح القلب ! أريد أن أصرخ لك ،

أين سلاحى [؟] [الجذاب] [؟] [الكفانة الذهبية التى تضيء الروح] ! أريد

أن أصرخ لك ،

أين رقصى ، رقص « رفع اليد » والسعر [؟] ، أريد أن أصرخ لك ،

« عسى أن لا تنمحي طريقتك (فى الحياة) (من الذاكرة) ، وعسى أن

ينطق باسمك (فى الأيام القادمة) ،

وعسى أن يمحي ذنب أسرتك ، وعسى أن تلغى ديونك ،

وعسى أن يبقى زوجك بخير ، وعسى أن يوفق كرجل شجاعة وكشيخ (؟) ،

وعسى أن يبقى زوجك بخير ، وعسى أن يوفق كرجل شجاعة وكشيخ (؟) ،

وعسى يبشر أبناؤك بالخير ، وعسى أن يكون مصيرهم (مصيراً) سعيداً ،

وعسى أن تتقدم أسرتك إلى الأمام ، وعسى أن يكون مستقبلها

(مستقبلاً) حياً ،

وعسى أن يجلب « أوتو » ضياء لك من العالم السفلى — هو الذى . . .
لأن العاصفة العاتية قد تحولت (؟) ضدك ، عسى أن يردّها الأفق على عقبها .
إن الشيطان الذى جعل يده ضدك — عسى أن تعلن (؟) لعنة قاسية عليه ،
ولأن السيدة الكريمة تنام كأنها ثور فى أبيتها (؟) — إن النواح مرير
من أجلك ! »

إن التدوين التاريخي^(١) — كما سبق أن أشرنا إلى ذلك فى هذا الكتاب ، لم يكن
من الصيغ الأدبية المحببة بين الأدباء ، السومريين ، ولا يمكن ، تصنيف المؤلفات التى
سندكرها بعد قليل على أنها « تدوين تاريخي » إلا بالتساهل فى توسيع المعنى المقبول
لهذا المصطلح . إن أطول المؤلفات (التاريخية) السومرية وأحسنها من ناحية سلامة
نصوصها ووصولها إلينا بحالة جيدة هي « لعنة مدنية أجادة . أيكور يثأر^(٢) » التى
تحاول توضيح أسباب تدمير المدينة المفجع على يد جموع « الجوتيين » البرابرة (أنظر
الفصل الثانى) . وتدور وثيقة أخرى وصلت إلينا فى حالة جيدة حول هزيمة هؤلاء
« الجوتيين » أنفسهم على يد « منقذ » بلاد سومر « أوتو حيجال » وتتعلق وثيقة
ثالثة مختصرة جداً ، ولكنها ذات أهمية كبيرة من الناحية التاريخية ، وبصورة
رئيسة بالأضاحات المتعاقبة التى أجربت فى الـ « تومال » مزار الإلهة « ننليل »
فى مدينة « نقر » ، (أنظر الفصل الثانى) . وهناك أيضاً ألواح وكبر ألواح تشير
إلى وجود سلسلة قصص أسطورية تنصل بشخصية الملك « سرجون » العظيم ومآثره
— وعلى الأخص ما يتصل منها بمعاصريه « أور — زبابا » و « لوجال زاجيرى » ،
ولكن لم يكتشف حتى الآن من هذه المادة ما يكفى لأعطاء صورة واضحة عن محتوياتها .

Historiography (١)

(١) « إجادة » هي عاصمة الدولة الأكديّة وجاءت بصيغة « أكد » أما « إيكور »
فهو معبد الآلهة العظيم « ننليل » فى مدينة « نقر » ، ويبدو أن أحد الملوك الأكديين قد أساء
إلى هذا المعبد فحلت — حسب رأى مؤلف الوثيقة المشار إليها — الكارثة بالدولة الأكديّة .

وأخيراً ، توجد قطعة تهتم بحياة الملك « أور — نامو » في العالم السفلى التى ربما ألفت بدوافع تاريخية (أنظر الفصل الثالث) .

إن آخر مجموعة من الوثائق الأدبية السومرية التى سنأخذها بنظر الاعتبار فى هذا الفصل هى مؤلفات « الحكمة » المكونة من مناظرات ومقالات مطولة وقصيرة ، ومن مجموعة من الإرشادات الأخلاقية والأقوال المأثورة . لقد كانت المناظرة ، وهى من الأمور المحببة جداً عند الكتاب السومريين ، النموذج الأول وسلف الضرب الأدبى المعروف بـ « شعر المجادلة » الذى كان شائعاً فى أوربوا فى نهاية العصور القديمة وفى العصور الوسطى . وتتكون المناظرة بصورة رئيسة من جدل ، أو معركة كلامية بين بطلين متخاصمين فى القصة ، يشخصان عادة أزواجاً متغائرة من الحيوانات أو النباتات أو المعادن ، أو المهن أو فصول السنة ، أو حتى الآلات والعدد التى يصنعها الإنسان . ويتألف الحوار ، الذى ينتقل من مجادل إلى آخر مرات عديدة ، بالدرجة الأولى من « الإعلاء » من شأن قيمة الشخص وأهميته ، بأكثر التعابير إطرأ ، أو التقليل من شأن قيمة الخصم وأهميته ، بيد أن كل ذلك كان يدون بأسلوب شعرى ، لأن الكتاب السومريين كانوا الورثة المباشرين لمنشدى العصور القديمة الذين كانوا يجهاون الكتابة والقراءة ، ولأن الشعر وصل إليهم بصورة طبيعية غير معقدة على عكس النثر الذى كان يصعب حفظه . وكان التأليف الجدلى غالباً ما يبدأ بمقدمة ميثولوجية مناسبة تتحدث عن خلق بطل القصة ، وينتهى بخاتمة ملائمة يحسم فيها الجدل بقرار إلهى لصالح هذا أو ذاك من المتخاصمين .

وعرفت سبع من هذه المناظرات حتى هذا التاريخ ، وهى : « المناظرة بين الصيف والشتاء » ، و (٢) « المناظرة بين الماشية والغلة » و (٣) — « المناظرة بين العاير والسمك » و (٤) « المناظرة بين الشجرة والقصب » و (٥) « المناظرة بين الفضة والنحاس الجبار » و (٦) « المناظرة بين الفأس والحراث » و (٧) « المناظرة بين الرعى وحجرة الـ « جوجال » . وتتراوح هذه المؤلفات فى طولها ، باستثناء المناظرة الأخيرة بين ما يقرب من مائتى سطر وما يزيد على ثلثمائة سطر بقليل . وأطول

مناظرتين وأحسنهما حفظاً هما « المناظرة بين الصيف والشتاء و « المناظرة بين الماشية والغلة » وفيما يلي تقدم ملخصاً لمحتوياتها يوضح أسلوب وصياغة هذا الضرب الأدبي ولهجته وصفته الغالبة .

تبدأ « المناظرة بين الصيف والشتاء » بمقدمة (ميثولوجية) تخبرنا بأن «أنليل» الإله القائد في مجمع الآلهة السومري قد عزم على خلق جميع أصناف الأشجار والحبوب وتعميم الخير والرخاء في البلاد، فخلدنى تحقيقاً لهذا الغرض مخلوقين شبيهين بالآلهة، وهما الأخوان « أيمنش » أى « الصيف » و« أيئتن » أى « الشتاء » . ثم عين «أنليل» لكل منهما وظائفه الخاصة به التى أنجزها على الوجه التالى :

لقد جعل « أيئتن » جعل النعجة تلد الحمل ، والعزرة تلد الجدى ،

(وجعل) البقرة والعجل تتضاعف أعدادهما ، وكثر السمن واللبن ،

وفى السهل أفرح قلب المعز البرى والنعمة والحمار ،

وطيور السماء — جعلها تبنى أعشاشها فى الأرض الواسعة ،

وجعل أسماك البحر — جعلها تضع بيضها فى أحراش القصب ،

وفى بساتين النخيل والكروم والعسل والحمر ،

والأشجار ، أينما غرست ، جعلها تحمل الثمر ،

وزين البساتين بالخضرة ، وجعل نباتها وفيراً ،

وكثر الغلة فى الحقول ،

ومثل « أشنان » (إلهة الغلة) ، العذراء الرحيمة ، جعلها تنمو بوفرة .

أما « أيمنش » (أى الصيف) فإنه خلف الأشجار والحقول ووسع الاسطبلات

وحظائر النعم .

وضاعف فى الحقول القتأج ، وزين الأرض ،

وجعل الحصاد الوفير يجلب إلى البيوت ، وتعلو أكدسة في الصوامع ،
وجعل المدن ومواطني السكن تشاد ، والبيوت تبنى في البلاد ،
وترتفع المعابد كالجبال »

وبعد أن أنجزنا مهمتهما ، قرر الاخوان أن يذهبا إلى « نقر » إلى « بيت الحياة »
وجلبا قرايين الشكر إلى أبيهما « أنليل » فجلب « إيمش » أنواعاً عديدة من الحيوانات
البرية والمذجنة ، والطيور والنباتات كهدية منه لـ « أنليل » ، في حين أن « إينتن »
اختار المعادن الثمينة والأحجار والأشجار والأسماء كقربان منه لـ « أنليل » .
ولكنهما ما إن وصلا « بيت الحياة » حتى بدأ « إينتن » الغيور خصاماً مع أخيه .
واشتد الجدل بينهما حتى بلغ الأمر أخيراً إلى درجة تحدى معها « إيمش » دعوى
« إينتن » بكونه « فلاح الآلهة » . وقصداً أخيراً معبد « أنليل » العظيم « أيكور »
وبدأ كل منهما بعرض قضيته . فقدم « إينتن » شكواه لـ « أنليل على الوجه الآتي :

« يا أبتى « أنليل » ، قد عهدت إلى بشؤون القنوات ،

فجلبت مياه الخير ،

وجعلت الحقل تلو الحقل — وملاّت صوامع الحبوب

وأكثرت الغلة في المزارع ،

ومثل « أشنان » ، العذراء الرحيمة ، جعلتها تنمو بفزارة ،

ولسكن « إيمش » . . . ال . . . ، الذي لا يفهم شيئاً في زراعة الحقول ،

قد زاحني . . . بالرفق . . . والمنكب ،

وفي قصر الملك . . . ،

أما رواية « إيمش » عن النزاع التي تبدأ بعبارات الإطراء بجئت إلى « أنليل »

يجيب « أنليل » « إيمش » و « إينتن » ،

« مياه كل البلدان المنتجة للحياة — (اينتن) موكل بها ،

إنه فلاح الآلهة — إنه ينتج كل شيء

« اينمش » ، يابنى كيف تقارن نفسك باخيك « اينتن » !

(هذه هي) كلمة « أنليل » السامية ، بمعناها العميق ،

« أنليل » الذى حكمه لا يبدل ، فن ذا الذى يجراً على تخطيه ؟

فتى « اينمش » ركبته أمام « اينتن » ، وصلى له ،

وإلى بيته جلب رحيقاً ونبيذاً وجعة ،

واشبعاً تقسيمهما بالرحيق والنبيذ والجمة المفرحة للقلب ،

وأهدى « اينمش » « اينتن » الذهب والفضة وحجر اللازورد ،

وسكبها سكائب مفرحة وهما على أتم ما يكون من الأخوة والعودة ... ،

وفى الجدل بين « اينمش » و « اينتن »

انتصر « اينتن » فلاح الآلهة الأمين على « اينمش » ،

... الأب « أنليل » حمداً له !

وفى « المناظرة بين الماشية والغلة » كانت التجارلتان إلهة الماشية « لهار » وأختها

« أشنان » إلهة الغلة ، أن هاتين الإلهتين خلقتا ، وفقاً لما ورد فى أسطورتنا ، فى صالة

الخلق الخاصة بالآلهة لى يحصل « الأنوناكى » أبناء الإله — السماء « آن » على

طعام يأكلونه ولباس يرتدونه . ولكن « الأنوناكى » لم يتمكنوا من الاستفادة

استفادة كبيرة من الماشية والغلة إلا بعد أن خلق الإنسان . إن هذا كله ورد فى فقرة

جاءت مقدمة تقرأ على الوجه التالى :

بعد أن عمل « آن » (إله السماء) وهو على جبال السماء والأرض ،

على ولادة « الآنوناكى » (أتباعه)
ولأن اسم « أشنان » لم يكن قد ولد ، ولم يكن قد خلق ،
ولأن « أوتو » (إلهة الملابس) لم تكن قد خلقت ،
ولأن المعبد لم يكن قد شيد لـ « أوتو » ،
ولم تكن هناك المعجزة ، فلم يولد حمل ،
ولم تكن هناك المعزة ، فلم يولد جدى ،
ولم تلد المعجزة حملها ،
ولم تلد المعزة جديانها الثلاثة ،
ولأن إسم « أشنان » ، الحكيمة ، (إسم) « لهار » ،
لم يعرفهما « الآنوناكى » الآلهة العظيمة
ولم يكن هناك وجود لفلة « ال » شش » ذات الثلاثين يوماً ،
ولم يكن هناك وجود للفلات الصغيرة ، وغلة ، وغلة الأحياء الطاهرة ،
ولأن « أوتو » لم تكن قد ولدت ، ولأن تاج (النبات) لم يرفع ،
ولأن الرب ... لم يولد ،
ولأن « سوموجان » إله السهل ، لم يأت إلى الوجود ،
مثل البشر لما خلقوا لأول مرة ،
لم يعرف « الآنوناكى » أكل الخبز ،
ولم يعرفوا ارتداء اللؤلؤ ،
وكانوا يأكلون النبات بأفواههم كالأنعام ،
ويشربون الماء من الجدول .
فى تلك الأيام ، فى صالة الخلق الخاصة بالآلهة ،

فى بيتهم المسمى « دوكو » خلقت « لهار » و « أشنان » ،
 فتاج « لهار » و « أشنان » ،
 أكله « الآنوناكى » فى الـ « دوكو » ، ولكنهم ولم يشبعوا ،
 وفى حظائر أغنامهم الطاهرة شرب « الآنوناكى » فى الـ « دوكو » لبن
 « شوم » الطيب ،
 ولكنه لم يرتوا ،
 ومن أجل حظائر أغنامهم الطاهرة ، الطيبة ،
 مفتح الإنسان نفس (الحياة) ، (أى ولد الإنسان) ،
 وتصف الفقرة التى تلى المقدمة نزول الإلهتين « لهار » و « أشنان » من السماء
 إلى الأرض والمتافع الحضارية التى انعمنا بها على البشر :
 فى تلك الأيام قال « أنكى » لـ « أنليل » :
 « يا ابنى » « أنليل » ، إن « لهار » و « أشنان » ،
 وهما اللتان خلقتنا فى الـ « دوكو » ،
 لتدعما تهبطان من الـ « دوكو » .
 وبكلمة « أنكى » و « أنليل » الطاهرة ،
 هبطت « لهار » و « أشنان » من الـ « دوكو » ،
 وشيدا (أى أنليل وأنكى) لـ « لهار » حظيرة الغنم ،
 وقدا لها النباتات والأعشاب الوفيرة .

وأقاما لـ « أشنان » بيتاً ،

وقدما لها المحراث والنير:

وتقف « لهار » في حظيرة — غنمها .

فهى راعية تزيد محصول حظيرة الغنم ،

وتقف « أشنان » بين الغلات ،

فهى عذراء رحيمة وسخية .

إن الخير الوفير الذى يأتى من السماء ،

كانت « لهار » و « أشنان » تظهر أنه (فى الأرض) .

وكانتا تجلبان الخير الوفير فى المجمع ،

وفى البلاد أحلنا نفس الحياة ،

ووجعنا « ميات » (أى نواميس) الإله ،

وضاعفتا محتويات المستودعات

وملأنا المخازن .

وفى بيت الفقير ، الذى يعانق التراب ،

دخلنا وجلبنا الخير العميم ،

كانتا ، حيماً وقفنا ،

تجلبان إلى البيت الخير الوفير ،

وتشبعان المكان الذى تقفان فيه ، وتزودان المكان الذى تجلسان فيه

(بالغذاء) ،

ولكن « لهار » و « أشنان » شربتا بعد ذلك كثيراً من الخمر وبدأ النزاع من

جراء ذلك يدب بينهما فى المزارع والحقول . وكانت كل إلهة تمجد فى النقاش الذى حدث بينهما إنجازاتها الخاصة بينما تحط من شأن إنجازات الإلهة الأخرى . وأخيراً تدخل « أنليل » و « أنكى » بينهما وحكما للإلهة « اشنان » بالنصر .

وتوجد أربعة مؤلفات من صنف المناظرات الجدلية تتصل بطريقة أو أخرى بالمدوسة السومرية وهيئتها التدريسية والطالبة المتخرجين فيها . إن اثنتين منها ، وهما المناظرة بين « إنكيمانسى » و « كيرنيشاج » و « الحوار بين « أوجولا » و « كاتب » ، قد بحثنا بالتفصيل فى الفصل السادس الخاص بالتربية والتعليم ، ويمكننا أن نضيف إليهما هنا « المناظرة بين « إنسكيتالو » و « إنكيجيجال » و « المناظرة بين متخرجين فى المدرسة » .

تبدأ المناظرة بين « إنسكيتالو » و « إنكيجيجال » ، التى تتألف من حوالى ٢٥٠ سطرًا . بفقرة تدعو فى الواقع إلى الدهشة ، وهى : « أيها الرفاق ، اليوم لا نعمل ! » ثم تواصل بسلسلة من حوالى عشرين فقرة يتراوح طول أغلبها بين أربعة وخمسة أسطر ، طاغية بالشتم والتوبيخات المهنية التى يوجهها المتخاصمان أحدهما للآخر . فنجد هنا ، مثلاً ، أحدهما يقول للآخر بسخرية لاذعة .

أين هو ، أين هو (ذلك الشخص) الذى يقارن نسبه بنسبى ! فلا من جهة الأم ولا من جهة الأب يستطيع هو مقارنة نسبه بنسبى ، ولا من جهة السيادة ولا من جهة العبودية يشبه نسبك نسبى .

ويرد الآخر على هذا القول :

تمهل ، لا تتباه هكذا ، فأنت لا مستقبل لك ،

فلا يضيف هذا الجواب إلى النار إلا وقوداً :

ماذا تعنى (بقولك) لا مستقبل لى ! إن مستقبل من كل الوجوه كستقبلك ،

فن ناحية الثراء ، أو من ناحية المسب ، في كلتا الناحيتين مستقبل حسن كاستقبالك .
أو لتأخذ هذه الفقرة اللاذعة التي يسخر فيها أحدهما من الآخر لأنه لم يكن يعرف
الموسيقى مطلقاً :

إنك تملك قيثارة ، ولكذك تجهل الموسيقى .

أنت يا من هو « خادم ماء » لرفاك (١)

إن حنجرتك (؟) لا تستطيع إخراج نغمة ،

أنت يا من تفأفئ باغبتك السومرية ولا تقدر على إلقاء خطبة صحيحة .

ولا تستطيع إنشاء ترتيلة وتعجز عن فتح فك .

(وفوق ذلك تدعى) أنك شخص ضليع !

وأخيراً ، وبعد أن شمر أحد المتخاصمين بأفراد عائلة خصمه ، قررا الذهاب إلى
« مدينتهما » ووضع الأمر أمام رفاقهما للفصل في الأمر بينهما . إلا أنهما ، إذا كان
فهمي للنص الذي هو بالأحرى غامض وغير واضح عند هذه النقطة فهماً صحيحاً ،
ينصحان بالذهاب إلى الـ « أوجولا » ، أي « المشرف في الـ «ايدوبا» (المدرسة) ،
وإنه هو ، أي الـ « أوجولا » ، الذي قرر بأن كلا منهما كان على خطأ وبخهما
على إضاعة وقتهما في المنازعات والجدل .

إن « المناظرة بين المتخرجين في المدرسة » عبارة عن قطعة مؤلفة من حوالي مائة
وأربعين سطرًا ، تبدأ بخطاب لأحد المتخاصمين مليء بالتباهي قدم إليه . بجملة « هلم
أيها المتخرج القديم ، دعنا تتناظر » . فيجيبه الخصم بجواب مناسب وتتناذف
الشتائم بينهما مراراً حتى نهاية القطعة التي تختتم بهجوم عنيف من قبل أحد
المتخاصمين يتألف من ثمانية وعشرين سطرًا مفعمة بالإهانات اللاذعة .

(١) أي لا يليق الإحسنة رفاقه في حمل الماء لهم . (المترجم)

وأخيراً توجد مناظرة بين سيدتين لم يذكر أسماءهما . (إن هذه المناظرة لم تكتب باللهجة السومرية الرئيسية — وإنما باللهجة الـ «أيماسال Emesal» ، وهى لهجة وصلت إلينا فى النصوص الأدبية السومرية الخاصة بالأنث من كل أصناف الحيوانات) . وتشابه هذه المناظرة إلى درجة كبيرة تلك المناظرة التى جرت بين طالبى المدرسة المتخصصين من حيث أنها مليئة بالذم والقذح المسموم . وتتألف هذه المناظرة من أكثر من مائتى سطر مقسمة إلى حوالى ٢٥ فقرة مليئة بالأهانات الساخرة ، والهزء التهمكى البذى .

أما المقالة فقد كان ميل الأدباء السومريين إليها ضعيفاً جداً ، على عكس فن المناظرات ، ولذلك لا نمتلك ، فى الوقت الحاضر على الأقل ، سوى بضعة مقطوعات يمكننا أن نضعها ضمن صنف المقالات . فهناك الوثيقة الشعرية الشبيهة بقصة «أيوب» التى تتصل بمذاب البشر واستسلامهم ، ومقاتلتان ، جاء جزء منهما على شكل حوار ، تتعلقان بالحياة فى الـ «أيدوبا» (أى المدرسة) وبقيمة التعليم (لقد عولجت كتابهما بالتفصيل فى الفصل السادس) ومقالة قصيرة جداً كتبت على لوح موجود فى مجموعة «هلبرشت» فى «بيندا» (فى المانيا الشرقية) تصف على ما يبدو رجلاً شريراً بغيضاً اسمه «تانى» كان يمارس العنف ويكره العدل والصدق وكما يتحكم فى الجمع ، ويتصرف فى الواقع تصرفاً مقيتاً فى كل ناحية من النواحي . وهناك أيضاً فيما يحتل عدد من المقالات المقتضبة جداً فى مواضع متعددة ولكننا لا نستطيع فى هذه اللحظة أن نقول شيئاً عن طبيعة محتوياتها الحقيقية .

وتوجد ثلاث مجاميع سومرية من النصائح الخلقية والتوجيهات وهى «تقويم الفلاح» (أنظر الملحق ط) و «إرشادات شورباك لابنه زيوسودرا» التى تتكون من نصائح عملية فى السلوك الحكيم الصالح ، وثالثة يبدو أنها تتألف من نصائح روحية وخلقية على الرغم من أنها وصلت بحالة سيئة . وتثير المجموعة الثانية

من هذه المجاميع ، وهى « إرشادات شورويباك لابنه زيوسودرا » كثيراً من الاهتمام من جراء ابتكارها الأسلوبى فى نسبة مجموعة الحكمة كلها إلى حكام من الماضى البعيد كانوا متعمقين - على ما يفترض - بالحكمة ، وهذا الأسلوب من الصفات المميزة لسفر الأمثال فى التوراة ، وذلك لأنه على الرغم من أن هذه الوصايا الأخلاقية كتبت على ما يرجح فى وقت ما حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، فإنها نسبت إلى الملك « شورويباك » والد « زيوسودرا » ، « نوح » السومرى ، الذى كان مرشحاً كما هو واضح ليجتلى مقام الحكيم الذى لا منازع له . وتتجلى الفكاهة التوراتية لهذه القطعة حتى فى أسطرها الأولى التى يمكن قراءتها جزئياً على الوجه الآتى :

لقد قدم « شورويباك » الإرشادات لابنه ،

« شورويباك » بن « أوبارتوتو » ،

قدم الإرشادات لابنه « زيوسودرا » :

يابنى ، سأرشدك ، فأصغ لإرشادى ،

يا « زيوسودرا » ، سأقول لك كلمة ، فأصغ لها ،

ولا تهمل إرشادى ،

ولا تخالف الكلمة التى نطقت بها ،

نفذ إرشاد الوالد ، الإرشاد القيم يا تقان .

وهكذا نصل إلى آخر نموذج من التأليف فى أدب الحكمة ، وهو المثل السائر . إن مجموع مادة الأمثال السومرية المتيسرة فى الوقت الحاضر تتألف من حوالى سبعةائة لوح وكسرة لوح تقريباً ، إلا أن القسم الأعظم منها لم يعرف حتى سنة ١٩٥٣ . وكان قسم لا بأس به من تلك الألواح يضم فى الأصل مجموعات كاملة من الأمثال أو مقتطفات كثيرة من مجموعات كهذه ، أما البقية منها فكانت ألواح تمارين مدرسية تحتوى على

مقتطفات قصيرة جداً من المجاميع السابقة ، أو ، كما هو الحال في الغالب ، على مثل واحد فقط ، وقام « آدموند جوردون » ، تلميذى ومساعدى السابق ، بدراسة مادة الأمثال المتيسرة كلها دراسة دقيقة ، وخلص إلى أن الكتاب السومريين القدامى قد أنتجوا خمسة عشر إلى عشرين مؤلفاً على الأقل في الأمثال المختلفة ، التى يمكن الآن إعادة كتابة أجزاء كبيرة من حوالى عشر إلى إثني عشر مؤلفاً منها ، وتحتوى هذه جميعها على أكثر من ألف مثل . وقسمت هذه الأمثال في نصف المؤلفات إلى مجموعات وفقاً للعلامات الكتابية التى تبدأ بها . أما في النصف الآخر منها فلم تقسم الأمثال إلى مجموعات استناداً إلى الكلمات الرئيسية — وعلى الرغم من ظهور أمثال ذات مواضيع متشابهة جنباً إلى جنب أحياناً ، فإن المعيار في وضع التقسيم ليس واضحاً . ومهما يكن الأمر ، فإن الأمثال السومرية تكشف عن تقييم ، إذا لم يكن جذاباً دائماً ، فإنه تقييم رائع للمشاهد البشرية وللحوافز والبواعث ، والآمال والرغبات العامة ، والمتناقضات والاختلافات المنتشرة فيها . ونقدم فيما يأتى بضعة أمثال وحكم مختارة من تلك التى يمكن أن تفهم بشكل أحسن من غيرها وذلك كما ترجمها على الأغلب « آدموند جوردون » :

- (١) لبيب ماهولى بلا استعمال ، ولكن دعنى استعمل ما هو لك — إن هذا (القول) لا يحبب الرجل من أسرة صديقه .
- (٢) إنك لا تخبرنى بما وجدت ، ولكنك تخبرنى بما أضعت ،
- (٣) المقتنيات عصافير طائرة لا تستطيع أن تجد مكاناً لتحط عليه .
- (٤) لا تقطفها الآن ، وستحمل الثمر فيما بعد .
- (٥) إن من يأكل كثيراً لا يستطيع أن ينام .
- (٦) القلب لا يقود إلى العداوة ، إن اللسان هو الذى يقود إلى العداوة .
- (٧) إكذب مرة واحدة ، ومن ثم إذا قلت الحقيقة ستعتبر أ كذوبة .

- (٨) فى فم مفتوح ، تدخل ذبابة .
- (٩) المسافر (الآتى) من أما كن نائية كذاب دائماً .
- (١٠) شيد كأنك سيد — تعش كأنك عبد ،
وشيد كأنك عبد — تعش كأنك سيد (١) !
- (١١) يد إلى يد ، يشيد بيت المرء ، ومعدة إلى معدة يخرب بيت المرء !
- (١٢) من أكل قليلاً — عاش بأبهة !
- (١٣) إذا مامشيت ، انتظر ! ثبت قدميك على الأرض !
- (١٤) الصداقة تدوم يوماً ، أما القرابة فتبقى إلى الأبد !
- (١٥) إن من يملك كثيراً من الفضة قد يكون سعيداً ، ومن يملك كثيراً من الغلة قد يكون مسروراً ، ولكن من لا يملك شيئاً يستطيع أن ينام (١) .
- (١٦) الكلمة الحلوّة صديقة كل إنسان .
- (١٧) القلب الحيون يبني البيت ، أما القلب الحقود فيهدم البيت .
- (١٨) مزادة الصحراء حياة الرجل ،
والفعل عين الرجل ،
والزوجة مستقبل الرجل ،
والابن ملاذ الرجل ،
والبنت خلاص الرجل ،
أما الكنة فشیطان الرجل .

(١) أى من قلد من هو أغنى منه عاش بائساً ومن قلد من هو أدنى منه عاش سيئاً نفسه . (المترجم) .
(٢) الفلاس مع الفافلة أمين . (المترجم) .

(١٩) تزوج امرأة حسب اختيارك ،

فتنجب طفلاً كما يشتهي قلبك .

(٢٠) «الابن الجانح» ، كان على أمه ألا تلهه قط ، وكان على إلهه ألا يخلقه .

(٢١) كاتب لا يعرف (اللغة) السومرية ، أى كاتب هو ؟

(٢٢) كاتب تتحرك يده بسرعة ، لهو كاتب لك .

(٢٣) مغنٍ صوته ليس عذباً ، لهو حقاً مغنٍ ضعيف .

(٢٤) مدينة بلا كلاب (حراسة) يكون الثعالب هو المشرف عليها .

(٢٥) داس الثعالب على ظلف ثور وجشئ قائلاً « ألم يؤلك » ؟

(٢٦) القطعة — من أجل أفكارها !

والنمس . من أجل أفعاله !

وفي الختام لا بد أن نقول كلمة قصيرة عن الفهارس الأدبية السومرية القديمة التي ظهرت بلا شك بسبب الحاجة إلى معالجة وحفظ الألوف من الألواح ذات الأشكال والأحجام المتنوعة التي كتبت عليها مئات التأليف الأدبية . لقد اكتشفت حتى هذا التاريخ سبعة فهراس يعود تأريخها إلى الألف الثاني ق م . وتوجد الآن في الأماكن التالية : واحد منها في المتحف العراقي في بغداد ، وواحد في متحف اللوفر (في باريس) ، وواحد في متحف الجامعة التابع لجامعة بنسلفانيا (في الولايات المتحدة الأمريكية) ، وواحد في متحف برلين ، واثنان مع مجموعة « هلمبرشت » في جامعة « فردريش — شيلر » في « بينا » (في ألمانيا الشرقية) ، وواحد في المتحف البريطاني على سبيل الإعارة المؤقتة . وأهم من هذا كله هو أن هذه الفهارس السبعة تدرج عناوين أكثر من مائتي مؤلف أو « كتاب » سومري ، ويتكون العنوان عادة من الجزء الأول من السطر الأول في القطعة . وتقتصر محتويات اثنين من الفهارس على التراثيل ، أما الخمسة الباقية فليست محددة بمواضيع معينة ، وإنما

تضم عفاوين نماذج متنوعة من التأليف . أما المبادئ التي سار بموجبها كتاب هذه الفهارس فليست واضحة بأي شكل من الأشكال وربما يتوقع المرء بالبداهة أن تكون طبيعة محتويات التأليف هي المعيار الذي يقرر تنظيم ذلك الفهرس ، ولكن هذه الحالة كانت نادرة . ونص أحد الفهارس ، وهو الموجود حالياً في المتحف العراقي ، بشكل خاص على أنه جدول ألواح جمعت في خزانات معينة ، ولعل هذا كان يصدق أيضاً على عدد من الفهارس الأخرى .

وعرف قبل فترة قصيرة فقط فهرس أدبي ثامن من صنف يختلف بالأحرى عن الفهارس السبعة الأخرى من قبل القائمين على تحرير القاموس الآشوري الصادر في معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو ، كما أنهم قاموا أيضاً بترجمة بضعة أسطر منه . إن هذا ذو أهمية خاصة لأنه ، يعود في تأريخه إلى فترة سلالة « أور » الثالثة ، وذلك استنتاجاً من خطه ، وهي فترة لم تكتشف منها تقريباً أية وثائق أدبية حتى هذا التأريخ . إن ترجمة النص لسوء الحظ صعبة جداً ، وذلك لعدم وجود نص مشابه له من فترة متأخرة (للاستفادة من المقارنة بين النصين) ، وينبغي أن يُنظر إلى الترجمة التالية التي يعود الفضل فيها إلى درجة كبيرة إلى مساعدى « ميشيل سميثيل » ، على أنها مجرد جهد رائد وأولى .

(الترجمة):

من اللوح الأول (من المؤلف المعلنون) « صعد أنكى إلى صاله الطعام » إلى
(اللوح الذى يبدأ بالكلمات) « سمت السماء » (الألواح الأربعة التالية التى تبدأ
بالكلمات) :

من يعرف الكسوف والخسوف ، أمم من يعرف التعاويذ ؛

عند أحراش القصب المتمايل ،

ال ... آلهة المعركة ،

التوأمان المعاديان المتخاصمان ،

(لقد كتبت هذه الألواح) بأجزاء متتالية من (المؤلف المعنون) « صعد أنكي إلى صالة الطعام » (ووجدت) داخل « بئر » .

ومن اللوح الأول (من التأليف المعنونة) « الإله ليليا » إلى (اللوح الذى يبدأ بالكلمات) « ... الرحلة هي سبعة » (توجد الألواح الثلاثة التالية التى تبدأ بالكلمات):

فى ال ... السبعة جعلته يدخل ،

لتوثق ذراع الشاب بشدة ،

ال ... ، ... العظيمة .

(لقد كتبت جميع هذه الألواح) بأجزاء متتالية من (المؤلف المعنون) « الإله ليليا » (ووجدت) داخل « بئر » .

(أما بالنسبة للقطعة المعنونة) « قدما الرجل ذى الكلمات الموثوق بها الذى ... » (الألواح التى كتبت عليها) الأجزاء المتتالية من (القطعة المعنونة) « من ينطلق ضد المدينة المعادية » .

(انتهت الترجمة)

ومن الممكن أن يكون هذا الفهرس بالذات قد أعد لبيان الألواح التى استخرجت من آبار أخفيت فيها على ما يحتمل لسبب أو آخر . أما القول بالقرب من نهاية النص بأنه لم يعثر على التأليف ، فإنه يؤيد على ما يبدو هذا الحدس إذا كان التفسير صحيحاً . أما بالنسبة للسطرين الآخرين فإنهما على ما يبدو تركا دون توضيح ، ولا توجد وسيلة لمعرفة ماذا كان يعنى الكتابة القدامى بهذه الملاحظة .

الفصل السادس

التربية والتعليم: المدرسة السومرية

إن أبرز إنجازات بلاد سومر من وجهة نظر تاريخ المدنية هو تطوير نظام الكتابة السومرية ونظام التعليم المنتظم الذي كان نتيجة مباشرة لتطوير الكتابة . وليس من المبالغة القول بأنه لولا جهود العلماء والمعلمين السومريين المجهولي الهوية من ذوى الاتجاه العملي الذين عاشوا فى أوائل الألف الثالث ق . م . وقدرتهم الإبداعية ودأبهم المتواصل لما كان بالإمكان تحقيق إنجازات العهود الحديثة العقلية والعملية . فمن بلاد سومر انتشرت الكتابة والتعليم فى كافة أرجاء العالم . حقاً ، لم يتوقع مخترعو أقدم العلامات والصور الكتابية السومرية أن يتطور النظام المدرسى إلى ما تطور إليه فى العهود المتأخرة ، ولكننا نجد حتى بين أقدم الوثائق المدونة المعروفة فى الوقت الحاضر — وهى التى وجدت فى « الوركاء » — والمكونة من أكثر من ألف لوح صغير من الطين منقوش بالكتابة الصورية التى يحتوى أ كثرها على أجزاء من مذكرات اقتصادية وإدارية جملة ألواح تشتمل على جداول بمفردات لغوية دونت لفرص الدرس والتمرين . أى إن بعض الكتبة كانوا يفكرون فى زمن موغل فى القدم يعود إلى ٣٠٠٠ ق . م . بعقلية التدريس والتعليم . لقد كان التقدم فى العصور التى أعقبت ذلك التاريخ بطيئاً ، ولكن فى حوالى منتصف الألف الثالث ق . م . ظهر بكل تأكيد عدد من المدارس فى كافة أنحاء بلاد سومر حيث كانت الكتابة تدرّس تدريجاً منتظماً . وفى «شورويك»^(١) القديمة موطن «نوح» السومرى ، وعثر خلال التنقيبات التى تمت قبل أكثر من خمسين سنة^(٢) على عدد كبير من « الكتب المدرسية » التى يرجع تأريخها إلى حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . تتألف من جداول بأسماء آلهة وحيوانات ومصنوعات دقيقة ومجموعة متنوعة من الكلمات والعبارات .

(١) مدينة قديمة بالقرب من مدينة « الوركاء » تعرف خرائطها اليوم باسم « فارة » ويعتقد السومريون بأن الطوفان بدأ فيها .

(٢) لقد جرت هذه التنقيبات ما بين ١٩٠٢ — ١٩٠٣ . (المترجم)

ومهما كان الأمر ، فإن النظام المدرسي السومري قد نضج وأزدهر خلال النصف الأخير من الألف الثالث . فمن هذا العهد اكتشفت عشرات الألوف من ألواح الكتابة الطينية وليس هناك أدنى شك في أن مئات الألوف من الألواح الأخرى لا تزال مطمورة في الأرض تنتظر منقب المستقبل . والغالبية العظمى من هذه الألواح ذات طابع إداري وتشمل جميع أوجه الحياة الاقتصادية عند السومريين . ونعرف من هذه الألواح بأن عدد الكتبة الذين كانوا يمارسون مهنتهم خلال تلك السنين بلغ الألوف وأنه كان هناك مبتدئون وكتبة « متقدمون » وكتبة ملكيون ، وكتبة للمعابد ، وكتبة من ذوى التخصص العالى في نواح خاصة بالأعمال الإدارية ، وكتبة صاروا موظفين في الدولة والحكومة . وعلى هذا فإن هناك أسباباً وجيهة للإفتراض بأن عدداً من المدارس المهمة والكبيرة التي كانت تعد الكتبة ، قد ازدهر في جميع أرجاء البلاد .

على أنه ليس من بين هذه الألواح القديمة ما يتصل مباشرة بنظام المدرسة السومرية وإدارتها وطريقة العمل فيها . ولكن نحصل على هذه المعلومات يجب علينا أن نوجه اهتمامنا إلى النصف الأول من الألف الثاني ق . م . فمن هذه الفترة المتأخرة اكتشف الفقهاء مئات من الألواح الدراسية المليئة بمختلف أنواع التمارين المدرسية التي كانت تهيأ من جانب الطلاب أنفسهم كجزء من واجباتهم المدرسية اليومية . وتختلف خطوط هذه الألواح من حيث الجودة ، فمنها ما هو رديء جداً كتبها طلاب « مبتدئون » وبعضها خطوط نُقِشت بأفاعة من جانب الطالب المتقدم الذي كان على وشك أن يصبح « خريجاً » . وعمدنا هذه النسخ القديمة عن طريق الاستنتاج بمعلومات غير قليلة عن طرق التعليم التي كانت متبعة في المدرسة السومرية وعن طبيعة مناهج التدريس فيها . وأفضل من ذلك كله أن الاساتذة والمدرسين القدامى كانوا يحبون الكتابة وقد اكتشف عدد من مقالاتهم في هذا الموضوع وإن كانت ناقصة ، وأصبح بإمكاننا أن نحصل من كل هذه المصادر على صورة للمدرسة السومرية ، عن أغراضها وأهدافها ، عن طلابها وهيئة التدريس فيها ، عن مناهجها وأساليب التعليم ، وهذا أمر فريد في بابه بالنسبة إلى مثل هذا العهد المبكر من تاريخ الإنسان .

لقد كانت المدرسة السومرية تعرف بكتابة « أيدوبا » أى « بيت الألواح » ، وكان هدفها الأساسى ما يصح أن نسميه بـ « التخصص المهني » أى إنها أسست فى بادئ الأمر لفرض تدريب الكتبة الذين كان يُحتاج إليهم لسد متطلبات البلاد الاقتصادية والإدارية ، ولا سيما ما يتصل بالطبع بأغراض المعبد والقصر . وقد استمر هذا الغرض هدفاً أساسياً للمدرسة السومرية خلال وجودها كله . على أن المدرسة أصبحت خلال نموها وتطورها وعلى الأخص كنتيجة للتوسع المستمر فى مناهجها ، مركز الثقافة والمعرفة فى بلاد سومر . فقد ازدهر بين جدرانها العالم الباحث ، ذلك الرجل الذى كان يدرس ما كان معروفاً فى زمانه من فروع المعرفة اللاهوتية والنباتية والحيوانية والجغرافية والرياضية والنحوية واللغوية ، والذى كان فى بعض الحالات يسهم فى الإضافة إلى هذه المعرفة .

أضف إلى ذلك أن المدرسة السومرية كانت ، على خلاف معاهد التعليم الحديثة ، مراكز أيضاً لما يمكن تسميته بالتأليف الإبداعى . فهنا كانت مبتكرات الماضى الأدبية تدرس وتستنسخ ، وهنا أيضاً كانت توضع المؤلفات الجديدة . ومع أن معظم المتخرجين فى المدارس السومرية كان مصيرهم فى الواقع أن يعملوا كتبةً فى خدمة المعبد والقصر وصاروا من بين الأغنياء والمتنفذين فى البلاد ، إلا أنه كان من بينهم من كرسوا حياتهم للتدريس وتحصيل العلم ، وكان العديد من هؤلاء العلماء القدامى يعتمدون فى معيشتهم ، كأساتذة الجامعات فى الوقت الحاضر ، على رواتبهم من مهنة التدريس ، وكانوا يكرسون أنفسهم للبحث والكتابة فى أوقات فراغهم . وأصبحت المدرسة السومرية التى ربما بدأت كملحق للمعبد مع مرور الزمن مؤسسة دنيوية ، وكان يدفع للمدرسين على ما يبدو لنا من الأجور الدراسية التى كانت تجمع من الطلاب . وأصبحت أيضاً مناهج تدريسها بصورة عامة دنيوية .

ولم يكن التعاليم بالطبع عاماً ولا إلزامياً ، وجاء معظم الطلبة من الأسر الثرية . أما الفقراء فكان من الصعب عليهم توفير المال والوقت اللذين تتطلبهما دراسة طويلة الأمد . وإلى زمن قريب كان هذا رأى فى التعليم يفترض بالبداية ، ولكن قبل حوالى عقد

واحد من السنين برهن على صحته بشكل بارع عالم في علم المسمايات من لكسمبورغ وهو « نيكولاس شنايدر » (Nikolaus Schneider) من المصادر القديمة المعاصرة .
ففي آلاف من الوثائق الاقتصادية والإدارية المنشورة التي يرجع تأريخها إلى حوالي ٢٠٠٠ ق . م . دون حوالي خمسمائة شخص أسماءهم على أنهم من الكتبة . ولزيادة التعريف أضاف العديد منهم أسماء آبائهم ومنهمهم . وجمع « شنايدر » ثبوتا بهذه الحقائق فوجد أن آباء الكتبة ، أي خريجي المدرسة ، كانوا من الحكام ومن « وجهاء المدينة » ومن السفراء والمشرفين على إدارة المعبد ومن ضباط الجيش والضباط البحريين ومن كبار موظفي الضرائب ومن طبقات الكهنة المختلفة ، والمشرفين ومن رؤساء العمال ومن الكتبة الموكلين بإدارة دور السجلات ومن المحاسبين .

وخلاصة القول كان جميع آباء الكتبة من أغنى مواطني مجتمع المدينة . وبما أنه لم تذكر في الوثائق إلا امرأة واحدة ككاتبة ، فإن قوام طلاب المدرسة كان على ما يرجح إذن من الذكور فقط .

كان مدير المدرسة السومرية يدعى « أوميّا » أي « خبيراً » أو « أستاذاً » . وكان يلقب أيضاً « أبا المدرسة » بينما كان التلميذ يسمى « ابن المدرسة » والعضو المتخرج « ابن المدرسة في الأيام الماضية » . وكان الأستاذ المساعد يسمى « الأخ الكبير » ، وكانت من بين واجباته كتابة الألواح الجديدة ليستنسخها الطلبة ، وفحص نسخ التلاميذ والاستماع إليهم وهم يستظهرون دروسهم من الذاكرة . وكان من أعضاء هيئة التدريس الآخرين مثلاً « الرجل المشرف على الرسم » و « الرجل المشرف على اللغة السومرية » ، كما كان هناك مراقبون يشرفون على حضور الطلبة ، ومراقبون يشرفون بصورة خاصة على النظام . ونحن لا نعرف شيئاً عن درجات أعضاء هيئة التدريس بالنسبة إلى بعضهم البعض ، ما عدا بالطبع أن مدير المدرسة كان يسمى « أبا المدرسة » .






وإذا انتقلنا إلى مناهج المدرسة السومرية ، فإن في متناول أيدينا مادة غزيرة من المعلومات جاءتنا من المدارس نفسها ، وهذا في الواقع أمر فريد في تاريخ الإنسان

القديم . لأنه في مثل هذه الحالة لا توجد حاجة إلى الاعتماد على الأقوال التي صدرت عن القدماء أو على الاستنتاج من معلومات جزئية مشتتة ، إذ تمتلك نفس الأعمال المدونة من قبل طلاب المدارس أنفسهم ابتداء من أولى محاولات المبتدئ إلى نسخ الطالب المتقدم التي كانت تعد إعداداً متقناً إلى درجة يصعب معها تمييزها من تلك التي كان يعدها الأستاذ نفسه . ومن هذا الإنتاج المدرسي ندرك بأن منهج الدراسة في المدرسة السومرية كان مكوناً من مجموعتين رئيسيتين ، المجموعة الأولى يمكن وصفها بأنها شبه علمية وقائمة على البحث العلمي والثانية بأنها أدبية وخلاقة .

وإذا تناولنا المجموعة الأولى من المواضيع ، أو المجموعة شبه علمية — فإن من المهم التأكيد على أنها لم تتبع عما يمكن أن نسميه بالحافظ العلمي ، أي البحث عن الحقيقة من أجل الحقيقة نفسها ، إنما بالأحرى نشأت وتطورت من هدف المدرسة الأساسي نفسه الذي كان عبارة عن تعليم الكاتب كيفية كتابة اللغة السومرية لأنه من أجل سد هذه الحاجة في فن التعليم أوجد معلو الكتابة السومريون طريقة في التعليم كانت تقوم بالدرجة الأولى على التصنيف اللغوي ، أي إنهم صنفوا اللغة السومرية إلى مجموعات من الكلمات والعبارات ذات الصلة ببعضها وكان الطلاب يجبرون على استظهارها واستنساخها إلى أن يصبحوا قادرين على استعادتها بسهولة . وأصبحت هذه الكتب المدرسية خلال الألف الثالث ق . م أكثر تكاملاً ونمت تدريجاً حتى أصبحت تقريباً قوالب ثابتة وقياسية تتبع في جميع المدارس السومرية . ونجد من بينها أثباتاً مطولة بأسماء الأشجار والأقصاب وأسماء أصناف كثيرة من الحيوانات (بما في ذلك الحشرات والطيور) وبأسماء الأقطار والمدن والقرى ، وبأسماء أصناف كثيرة من الأحجار والمعادن . وفي مجملها تكشف لنا هذه المجموعات عن معرفة واسعة بما يمكن التعبير عنه بمعارف عامة نباتية ومعنوية ، وهي حقيقة لم يبدأ مؤرخو العلوم إدراك أهميتها إلا في الوقت الحاضر .

وهياً مدرسون أيضاً أصنافاً متنوعة من الجداول الرياضية وعدداً كبيراً من المسائل المطولة مع حلولها . ونجد في حقل اللغة دراسة نحو اللغة السومرية ممثلة تمثيلاً

جيداً ، إذ نرى عدداً من الألواح المدرسية وقد كتبت عليها أثبات مطولة من المركبات الإسمية والصيغ الفعلية مما يدل على وجود طريقة حاذقة جداً في دراسة النحو . أضيف إلى ذلك أنه كان لتغلب الأكديين الساميين التدريجي على السومريين في الربع الأخير من الألف الثالث ق . م أثر في قيام أساتذتنا القدامى بتهيئة ما يعتبر من جميع الوجوه أقدم المعاجم اللغوية المعروفة لدى الإنسان ، ذلك لأن الفاحين الساميين لم يقتصروا على استعارة الخط السومري فحسب ، وإنما كانوا أيضاً يعترفون بالتأليف الأدبية السومرية اعترافاً كبيراً فقدراسوها وقلدوها حتى بعد مضي مدة طويلة على اندثار السومرية كلمة يتحدث بها الناس . ومن هنا نشأت الحاجة التعليمية إلى القواميس التي كانت تترجم الكلمات والعبارات السومرية إلى اللغة الأكديّة (انظر الشكل التالي) .

الكلمة السومرية	العلامة المسمارية	الترجمة الأكديّة	المعنى العربي
il - ar		ti-il-pa-nu	عصا الرماية
ta - al		ru-up-šum	عرض
na - gá		e-si-tum	مدق (هاون)
ga - az		pa-ha-su-um	تكسير إلى قطع صغيرة
"		da-a-ku-um	القتل
nin - da		mi-i-rum	شور
"		pa-ar-si-ik-tum	مقياس
"		it-tu-ú-um	فمخ تحمير البذور منه الحُرث إلى الأرض

شكل ٥ - جزء من قاموس سومري - أكدي

أما بالنسبة إلى مظاهر المنهج السومري الأدبية والإبداعية فقد كانت تتألف بالدرجة الأولى من دراسة واستنساخ وتقليد مجموعة التأليف الأدبية الكبيرة والمتنوعة

التي لا بد أن تكون قد نشأت وتطورت بصورة رئيسية في النصف الأخير من الألف الثالث ق م . ويبلغ عدد هذه التأليف القديمة المئات ، وكانت غالبيتها العظمى شعرية الصيغة وتتراوح في أطوالها من قطعة قوامها ألف سطر تقريباً إلى قطعة تتألف من أقل من خمسين سطراً . ويعتقد بأن ما اكتشف منها حتى الآن تشتمل غالبيته على المواضيع التالية : والملاحم التي جاءت في صيغ قصصية تشيد بأعمال ومآثر آلهة السومريين ، وأبطالهم والتراويل التي تعبد الآلهة والملوك ، والمراثي ، وهي قصائد في نذب الدمار الذي كثيراً ما كان يحل بالمدن السومرية ، وتأليف الحكمة بما في ذلك الأمثال والقصص الخرافية والمقالات . ويوجد بين الألواح والكسر ، التي يقرب عددها من الخمسة آلاف لوح وكسرة التي كشف عنها في خرائب بلاد سومر ، عدد غير قليل مدون بخط المبتدئين من الطلاب القدامى أنفسهم .

ولا يعرف حتى الآن إلا النزر القليل عن طرق ووسائل التعليم التي كانت تتبع في المدرسة السومرية . ففي الصباح ، عند ما يصل الطالب إلى المدرسة ، كان يبدأ بدراسة اللوح الذي أعده في اليوم السابق . وبعد هذا يقوم « الأخ الكبير » ، أي الأستاذ المساعد بتهيئة لوح جديد يشرع طالب باستنساخه ودراسته ، ويقوم على ما يرجح كل من « الأخ الكبير » و « أبي المدرسة » بفحص استنساخه ليتأكد من صحته .

ومما لا شك فيه أن الاستظهار كان له دور كبير جداً في سير دراسة الطالب . وكان المدرس والمساعدون بعد ذلك يضيفون أيضاً إلى الأبحاث والجداول المجردة والنصوص الأدبية التي يقوم الطالب باستنساخها ودرسها مادة توضيحية وتفسيرات شفهية كثيرة . ولكن هذه « المحاضرات » ، التي لا تقدر قيمتها بالنسبة لفهمنا للفكر العلمي والديني والأدبي عند السومريين ، لم تدون على ما يرجح وبذلك ضاعت منا إلى الأبد .

وبينما لم تكن المدرسة السومرية بأي شكل من الأشكال « موسومة » بما

يمكننا تسميته بالتعليم التقدمي ، فإن المنهج كان موجهاً إلى درجة ما على الأقل توجيهاً تعليمياً . وعلى هذا ، كان المبتدئ يبدأ دراساته بتمارين ذات مقاطع لفظية بسيطة جداً مثل تو - آ - تي ، ونو - نا - ني - وبو - با - بي - وزو - زا - زي ، . . . إلخ . وكانت هذه تعقب بدراسة جدول علامات يحتوي على ما يقرب من ٩٠٠ مادة تقدم كل منها علامات مفردة مع تلفظها والتمرن على كتابتها ، ثم تأتي جداول تحتوي على مئات الكلمات التي أصبحت لا تكتب بعلامة واحدة وإنما لسبب أو آخر بمجموعة من علامتين أو أكثر . وكان يعقب هذه مجموعات تحتوي على آلاف الكلمات والتعابير التي رتبت وفقاً لمعانيها . ففي حقل « العلوم الطبيعية » مثلاً كانت هناك جداول بأجزاء الجسم الحيواني والبشري ، والحيوانات البرية والداجنة والطيور والأسماك والأشجار والنباتات ، والأحجار والنجوم . أما قوائم المصنوعات اليدوية فكانت تشمل المصنوعات الخشبية ، وهناك أكثر من ألف وخمسة مائة مادة تبدأ من قطع الخشب الخام إلى صناعة السفن والعربات ثم الأشياء المصنوعة من البردي والجلد المدبوغ وغير المدبوغ والمعدن كما يشمل أصنافاً متنوعة من الفخار والملابس والأطعمة والمشروبات . وكانت هناك مجموعة خاصة من هذه الجداول التي تذكر أسماء الأماكن كالأقطار والمدن والقرى ، بالإضافة إلى الأنهار والقنوات والحقول الزراعية . وأدخلت في الدراسة أيضاً مجموعة من أكثر التعابير شيوعاً وهي التعابير التي كانت تستعمل في الوثائق الإدارية والقانونية كما أدخل جدول يحتوي على حوالى ثمانمائة كلمة تبين المهن وعلاقات القرابة ، وعاهات الجسم البشري . . . إلخ .

وبعد أن يلم الطالب ألاماً جيداً بكتابة المفردات يبدأ باستنساخ وحفظ سجل قصيرة وأقوال مأثورة وقصص خرافية ، وكذلك مجموعات من نماذج العقود ، وكانت هذه النماذج ضرورية لتنقيح الوثائق القانونية التي كان لها دور كبير في حياة بلاد سؤمر الاقتصادية . ويُعطى الطالب أيضاً ، إلى جانب هذا التدريب اللغوي ، تعليماً في الرياضيات كان على شكل دراسة واستنساخ الجداول الفلكية ، ومقاييس الطاقة

والطول والوزن بالإضافة إلى جداول الضرب وجداول المتداولات لأغراض حسابية .
ويطلب من الطالب بعد ذلك حل مسائل عملية تتصل بالإجور وحفر القنوات
وأعمال البناء .

أما مسألة النظام فإنه كان على ما يبدو ، وكما سنرى فيما يأتى ، مشكلة رئيسة
فى المدرسة السومرية حتى إن المدرس كان لا يتردد أبداً باستخدام العصا فى الوقت
الذى كان فيه المدرسون ، بلا شك ، يشجعون طلابهم على إنجاز عملهم إنجازاً متقناً عن
طريق المديح والإطراء فإنهم كانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على عصيهم فى تقييم أخطاء
الطلاب وأعمالهم غير الصحيحة . ولم تكن الدراسة بالنسبة للطالب أمراً يسيراً .
فقد كان يحضر إلى المدرسة يومياً من شروق الشمس إلى غروبها . كان دون ريب
يتمتع بعطلة ما أثناء سنة ال ، بيد أننا لا نعرف عن هذا الأمر شيئاً . وكان يخصص
سنوات عديدة لدراساته المدرسية إذ كان يلزم المدرسة من صباه إلى أن يصبح رجلاً شاباً ،
هذا وسيكون من الممتع جداً لو أننا عرفنا فيما إذا كان ينتظر من الطلاب التخصص فى فرع
أو آخر — ومتى يبدأ ذلك التخصص وإلى أى مدى يذهب فيه ، ولكن مصادرنا تخيب
آمالنا فى هذا الأمر ، كما تخيبها فى الواقع فى أمور أخرى كثيرة تتصل بالنشاط المدرسى .

وفى الختام ، نود أن نقول كله موجزة عن بناية المدرسة . لقد اكتشفت
أثناء التنقيبات العديدة فى بلاد ما بين النهرين مبانٍ قليلة عنها لسبب أو آخر بأنها ربما
كانت بيوتاً مدرسية ، فقد عثر على واحد منها فى مدينة « تـر » وعثر على آخر فى
مدينة « سيار »^(١) ، وعلى بيت ثالث فى مدينة « أور » . ولكن إذا استثنينا
حقيقة أن عدداً كبيراً من الألواح وجد فى غرفها ، فإننا لا نجد فى هذه الغرف على ما يبدو
إلا القليل مما يميزها عن حجرات البيوت الاعتيادية ، وعلى هذا فقد يكون القول
بأنها كانت أبنية مدارس قولاً خاطئاً ، بيد أن الفرنسيين الذين كانوا ينقبون قبل خمس

(١) تقع خرائب هذه المدينة التى تعرف فى الوقت الحاضر باسم « أبو حبة » بالقرب من مدينة
المعمودية القريبة من بغداد .
(المبرجم)

وعشرين سنة تقريباً في مدينة « ماري »^(٢) التي تقع على مسافة بعيدة إلى الغرب من « نسر » اكتشفوا حجرين يبدو عليهما بلا شك بأنهما تكشفان عن خصائص مادية يمكن أن توصف بأنها خصائص حجرات المدرسة ، ولا سيما أنهما تشتملان على عدة صفوف من مقاعد للجلوس مشيدة بالآجر تتسع للجلوس طالب أو طالبين أو أربعة طلاب .

ولعل هناك إشارة إلى شكل بناية المدرسة وهيئتها في أحجية مبهمة ابتدعها أستاذ سومري قديم ، تقرأ كما يأتي :

(ماهو :)

بيت كالسماء له محراث
ينطى بالثياب كأنه إبريق من النحاس
والذي يقف على قاعدة كأنه أوزة ،
يدخل فيه من عيناه مسدودتان
ويخرج منه من عيناه مفتحتان !
حله : إنه المدرسة .

ومع أن القسم الأول من هذه الأحجية ، التي وجدت على لوح مازال غير منشور عشر عليه في مدينة « أور » واستنسخه « سيريل جي . جاد » الذي كان يعمل في المتحف البريطاني ، مبهم تماماً ، فإن السطرين الأخيرين يلخصان بشكل بارع هدف المدرسة ، وهو تحويل الجاهل والأمي إلى رجل حكمة ومعرفة .

وكما ذكرنا سابقاً ، يوجد تحت تصرفنا عدد لا بأس به من المقالات التي تتصل

(٢) تعرف خرائبها باسم تل الحيري وتقع على نهر الفرات في الأراضى السورية . وقد اشتهرت في الألف الثالث والثاني ق . م . (المترجم) .

بالتعليم أَعَدَّها رجال المدرسة القدامى أَنفُسهم لِفرض تثقيف تلامذتهم . وتمدنا هذه المقالات بصورة كتابية وحية بوجوه متنوعة من الحياة المدرسية ، بما في ذلك العلاقات الداخلية بين أعضاء الهيئة التدريسية والطلاب والآباء والمتخرجين من المدرسة . وفيما يأتى أربع من أحسن المقالات حفظاً ، التي يجوز ، استفاداً إلى محتوياتها أن نضع لها العناوين التالية : (١) « أيام المدرسة » ، (٢) « المشاكسون في المدرسة (النزاع بين إنفكيمايسى وجيرينشاج) » (٣) « كاتب وابنه الضال » (٤) « حوار بين أجيالاً وكاتب . »

إن المقالة المعنونة « أيام المدرسة » ، التي تصف فعاليات الطلاب اليومية كما أعاد سردها فيما بعد « خريج قديم » بشيء من التفصيل المليء بالحُنين إلى الماضي الذي يشبه ما يردده المتخرج الحديث في اللقاءات مع أعضاء صفه القدامى ، تعتبر واحدة من أكثر الوثائق المكتشفة في الشرق الأدنى القديم اتصالاً بالطبيعة البشرية . لقد أَلَفَ المقالة في الأصل مدرس مدرسة مجهول الإسم عاش حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م وتكشف لنا كلماتها البسيطة والصريحة عن قلة ما تغير فعلاً في الطبيعة البشرية خلال الألف من السنين ، فنحن نجد تلميذنا القديم ، كثيلة الحديث ، يخشى أخشية شديدة من الوصول متأخراً إلى المدرسة « مخافة أن يضربه المعلم بالعصا » . فعندما يستيقظ صباحاً يحث على الاستعجال في تهيئة طعام غدائه . وكان يتصرف في المدرسة أحياناً تصرفاً شائناً فيضربه المعلم ومساعدوه بالعصا أكثر من مرة . ونحن على ثقة تامة من معنى العبارة التي ترجمت بـ « يضرب بالعصا » لأن العلامة السومرية التي تؤدي هذا المعنى مركبة من « عصا » و « لحم » . أما بالنسبة للمعلم ، فقد كان مكسبه في ذلك الوقت ضئيلاً على ما يبدو كمكسب نظيره في الوقت الحاضر ، وكان على الأقل يسعده جداً الحصول على « زيادة قليلة » من الآباء ليضيف شيئاً إلى مكسبه المحدود .

وتبدأ القطعة ، التي كانت من ابتكار أحد الـ « أوميا » (أى أحد المدرسين) في « الأيدوبا » ، (أى المدرسة) ، بسؤال يوجه لطالب من المتخرجين القدامى على الوجه التالى : « أمها المتخرج القديم ، إلى أين كنت تذهب (عندما كنت صغيراً) ؟

فيجيب المتخرج « كنت أذهب إلى المدرسة » ، ثم يسأله الأستاذ المؤلف : « وماذا كنت تفعل في المدرسة » ؟ . وكان هذا التساؤل بالنسبة للمتخرج القديم تلميحا للاستفراق في ذكرياته عن فعالياته في المدرسة على الصورة التالية :

« كنت أقرأ لوحى ، وآكل طعام غدائى ، وأهوىء لوحى (الجديد) ، كنت أكتبه وأكمله . ثم تجلب الألواح النموذجية إلى . وبعد الظهر تجلب إلى الألواح التى أتمرن عليها ، وعندما تنصرف المدرسة أذهب إلى البيت وأدخل الدار . وكنت أجد أبى جالسا هناك ، فأشرح (؟) ألواح التمارين لوالدى (؟) وأتلو ما فى اللوح عليه . وكان يسر بذلك . (وكان سروره عظيما إلى درجة) أقوم معها على خدمته (بكل سرور) .

ويحول المؤلف الآن طالب المدرسة نحو خدم البيت (الذى كان كما هو واضح بيت ثراء) بالكلمات التالية :

« إننى عطشان ناولنى ماء لأشرب ، إننى جائع ناولنى خبزا لآكل ، إغسل قدمى ، وهىء لى سرير (ى) إننى أريد أن أنام . أيقظنى مبكرا فى الصباح ، إذ يجب على ألا أتأخر كي لا يضربنى المعلم بالعصا .

وكان كل ذلك ينجز على ما يفترض ، لأننا نجد فيما يأتى طالبنا يقول : « عندما استيقظ فى الصباح الباكر ، كنت أواجه أمى وأقول لها : إعطينى طعام غدائى ، أريد الذهاب إلى المدرسة ، وكانت أمى تزودنى برغيفين وأسرع بالذهاب . لقد أعطتنى أمى رغيفين وذهبت إلى المدرسة . وفى المدرسة قال لى الشخص الموكل بالنظام : لم أنت متأخر ؟ ودخلت خائفاً وبقلب يخفق على معلمى وأدبت له التحية باحترام » .

ولكن سواء قدم له التحية باحترام أم لم يقدمها ، فقد كان ذلك اليوم سيئاً بالنسبة لطالبنا القديم — أو على الأقل كما كان يتذكره المتخرج القديم بحنين شديد — فقد تلقى الضرب بالعصا من قبل عدة أعضاء من هيئة التدريس فى المدرسة ، أو بكلمات المؤلف التى وضعها على لسان المتخرج :

- لقد قرأ مدير مدرستي لوحى وقال :
- « هناك شىء غير موجود » وضربنى بالعصا .
- (يعقب هذا السطر سطران غير واضحين)
- وقال الشخص المشرف على الأناقة :
- « لقد تسكعت فى الطريق ولم تنظم (؟) ملا بسك (؟) » ، وضربنى بالعصا .
- (يلى هذا خمسة أسطر غير واضحة)
- قال الشخص المسؤول عن السكون (أثناء التدريس) :
- « لم تكلمت بلا إذن » ، وضربنى بالعصا .
- وقال الشخص الموكل بالأصطفاف :
- « لم استرخيت بالوقوف بلا إذن ؟ » وضربنى بالعصا .
- وقال المسؤول عن حسن السلوك :
- « لم نهضت بلا إذن ؟ » وضربنى بالعصا .
- وقال مراقب البوابة :
- « لم خرجت (من البوابة) بلا إذن ؟ » وضربنى بالعصا .
- وقال المسؤول عن السوط :
- « لماذا أخذت . . . بلا إذن ؟ » وضربنى بالعصا .
- وقال المسؤول عن اللغة السومرية :
- « لماذا لم تتكلم باللغة السومرية (الصحيحة) ؟ » وضربنى بالعصا .
- وقال معلمى الـ « أميا » :
- « خط يدك سيئ لا يرضى » وضربنى بالعصا .
- (وعلى هذا) (بدأت) أكره فن الكتابة . (وبدأت) أهمل فن الكتابة .

إن معلمى لم يسر بى (حتى أنه) [أوقف تعليمى] مهارته فى فن الكتابة . ولم يبذل أى جهد فى القضايا (الجوهرية) بالذمة لفن (تكوينى) « كاتباً صغيراً » (أو) لفن (تكوينى) « أخا كبيراً » .

وفى يأس ، يتوجه الطالب ، وفقاً لقول متخرجنا القديم ، نحو والده قائلاً : أعطه زيادة قليلة فى مرتبه ، (و) دعه يصبح أكثر عطفاً (؟) ، دعه يتحرر (لفترة ما) من الحساب^(١) ، (وعندما) يفكر بشؤون الطالبة المدرسية ، دعه يفكر بى (أيضاً كطالب من بينهم ، أى ربما لا تدعه يهملنى بعد الآن) .

ومن هذه النقطة فصاعداً ، يتناول المؤلف نفسه الموضوع ويصف الحوادث كما لو كان هو هناك وشاهدها شخصياً على الوجه التالى :

لقد استمع الأب لما قاله تلميذ المدرسة ، وجاء بالمدرس من المدرسة ، وبعد أن دخل البيت أجلس على « كرسي كبير » . وحضر تلميذ المدرسة وقام على خدمته ، ثم كشف لوالده عن كل ما تعلمه من فن الكتابة . عندئذ امتلأ قلب الأب فرحاً وقال بسرور لمدير المدرسة : « لقد فتح ولدى الصغير يده (بشكل واسع) ووضعت أنت الحكمة فيها ، لقد بينت له جميع النقاط الحسنة فى الكتابة ، وجعته يرى حلول (المسائل) الرياضية والحسابية ، و (علمته كيف) يعمق (؟) الخط المسمارى (يا)

ثم يحول المؤلف الأب نحو خدم بيته قائلاً لهم :

اسكبوا زيت — « أردا » ، وأجلبوه له إلى المائدة . واجعلوا الزيت المعطري سليل كالماء على بطنه وظهره ، وأريد أن أكسيه بحلة وأعطيهِ مرتباً إضافياً وأضع خاتماً فى إصبعه .

(١) يقصد بذلك التحرر من التفكير المتواصل بتكاليف معيشته . وربما كانت هذه أول محاولة رشوة مسونة فى التاريخ .
(المترجم)

وينجز الخدم ما أمروا به . ويخاطب المعلم عندئذ التلميذ :

أيها الشاب ، (لأنك) لم تذكره كلمتي ، ولم تهملها (عسى) أن تتقن فن الكتابة من بدايته إلى نهايته . ولأنك أعطيتني كل شيء بلا قيد ودفعت لي مرتباً أكبر مما (تستحق) جهودي (و) كرمتي ، عسى أن تكون الإلهة « نيدابا » ، ملكة الملائكة الحامية ، ملاكاً حامياً لك ، وعسى قلمك المذنب أن يكتب لك كتابة حسنة وعسى أن تخلو تمارينك من الأخطاء . وبين إخوانك ، عسى أن تكون القائد ، وبين أصدقائك ، عسى أن تكون الرئيس . وعسى أن تكون منزلتك بين الطلاب أعلى منزلة ، وترضى (؟) كل من يمشي (؟) إلى القصور ويخرج منها (؟) . أيها الشاب أنت « تعرف » (منزلة) أبيك وأنا أجيء بعده مباشرة (في المنزل) إن تأدية الطاعة لك ومباركتك ، عسى أن يحققهما لك إله والدك بيدنا بنة . إنه سيؤدي الصلاة والابتهاال لـ « نيدابا » ، ملكتك كما لو كان هو إلهك . وبهذا عندما تضع يداً عطوفة على الـ . . . (المائدة) للمعلم ، (و) على جبين « الأخ الكبير » ، عندئذ (؟) سيظهر أصحابك الشباب تأييدهم لك . لقد أجبت في إنجاز أعمالك المدرسية . إنك رجل معرفة . لقد مجدت « نيدابا » ، ملكة المعرفة : أيا « نيدابا » الحمد لك !

وليس من السهل أن نقرر مما ورد في المقالة السابقة فيما إذا كانت هيئة التدريس في المدرسة السومرية مكونة من أشخاص يتلذذون عادة بالتعذيب أو أن هيئة الطلبة تتكون من مجموعة مشاغبين يتصفون بالفضاضة . ومن الجائز أن يكون الرأي الأخير هو الحقيقة ، جزئياً على الأقل ، لأنه على ما يبدو مؤيد بالمقالة الثانية من مقالاتنا المعنونة « النزاع بين إينكيماشى وجيرينشاج » ، فوفقاً لهذه الوثيقة ، كان رجال التعليم القدامى على ما يبدو منهمكين في محاولاتهم للسيطرة على الطلاب الذين كانوا يتلذذون بالتدافع وبإحداث الضجيج والنزاع وشتم أحدهما الآخر .

إن هذه المقالة السومرية المؤلفة من مائة وستين سطراً لم توضع أجزاؤها سوية

بعد جمعها من سبعة ألواح وكسر إلا حديثاً من قبل « سيريل . جى . جاد » وهو أستاذ شرف في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن ، ومن قبل مؤلف هذا الكتاب . فقد عثر على لوحين من هذه الألواح في مدينة « أور » من قبل السير « ليونارد وولى » قبل (أكثر) من خمس وعشرين سنة ، ونشر جزءاً منها البروفسور « جاد » في سنة ١٩٥٦ تحت عنوان « المعلمون والطلبة في أقدم المدارس » على شكل محاضرة أُلقيت في حفل افتتاح معهد الدراسات الشرقية والإفريقية . ولكن هذين اللوحين كانا يشتملان على بداية المقالة ومهايتها فقط ، ويوجد في حوزتنا في الوقت الحاضر نص أكثر تكاملاً كنتيجة لتعريف خمس قطع وجدت في مدينة « نقر » دلت قطعة منها ، وهي عبارة عن لوح كبير فيه ثمانية حقول تضم مجموعة المقالات السومرية كلها ، على أنها ذات أهمية خاصة بالنسبة لإعادة كتابة نص مقالاتنا . إن هذه القطعة التي اكتشفت قبل (أكثر) من ستين سنة ، توجد في الوقت الحاضر ضمن مجموعة « هلمشت » في جامعة « فريدرش - شيار » في « بينا » في ألمانيا الشرقية ، ولم تتيسر محتوياتها للباحثين إلا في وقت قريب . بيد أنه يجب التأكيد على أنه بالرغم من وجود النص الكامل في الوقت الحاضر فإن الكثير من معنى المقالة الحرفي وغير قليل من معانيها الضمنية لا يزال أمراً مشكوكاً فيه جداً ، لأنه لم يبق من عدد كبير من الفقرات سوى أجزاء قليلة . ولذلك يجب أن ينظر إلى الملخص المقدم هنا على أنه أولى ومبدئي ، ومن الجائز أن تؤدي الاكتشافات أخرى في المستقبل إلى تعديل التفسير تعديلاً كبيراً .

ويتصل جزء قليل من المعلومات الخاصة بالدراسة الحضارية المقارنة التي تمدنا بها مقالاتنا ، وهو أمر لم يكن بالأحرى متوقعاً كما لم يكن بلا أهمية خاصة ، بالمعنى الحرفي ومعاني الإزدراء الضمنية للكلمة الانكليزية (سوفومور) التي يعرف بأنها استخدمت لأول مرة كتعبير انكليزي في كمبردج سنة ١٦٨٨ . وهناك سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الكلمة ، أي « سوفومور » ، هي صيغة انكليزية من كلمة اغريقية مركبة من « سوفوس - موريوس » التي تعني حرفياً « الماهر - الأحمق » . والآن ،

كما أشار إلى ذلك الأستاذ « جاد » لأول مرة ، نجد مقالتنا السومرية تحنوى على مثيل يقابل تماماً « سوفوس — موروس » اليونانية . ففي أثناء المناقشات الحادة المهمة التي دارت بين متنافسين في المدرسة والتي تكون الجزء الرئيسى من تلك المقالة ، سخر أحدهما بالآخر لأنه كان « جالام — حورو » (galam - huru) وهى كلمة سومرية مركبة تعنى حرفياً « ماهراً — أحمق » أى « سوفومور » . إن هذه المقالة تتكون بالدرجة الأولى من نزاع كلامى حاد وقع بين طالبين فى صف واحد ، اسم الأول « إينكيماسى » والثانى « جيرينشاج » وكان كلاهما قد وصل إلى مرحلة دراسية متقدمة ، بل وربما كان « جيرينشاج » قد وصل فى الواقع إلى منزلة « أخ كبير » أى مساعد معلم فى المدرسة . وفى أثناء النقاش كان كل منهما يتبجح بفضائله وقدراته بتعابير مفعمة بالإنفعال ، ويسخر من فضائل خصمه بألفاظ ساخرة مهلكة وشتائم مهينة . وفى مكان قريب من بداية الوثيقة مثلاً خاطب أحد هذين الفاضلين الآخر بما يأتى :

أنت أبله مغفل ، حشرة مدرسة مؤذية ، أنت أمى . أنت سومرى جهول ، يدك فضيحة ، إنها لا تقدر حتى على الإمساك بالقلم بصورة صحيحة . إنها لا تصلح للكتابة ، ولا تقدر على كتابة إملاء ، (وتدعى مع كل ذلك) بأنك كاتب مثلى .

ويجب الفاضل الآخر على هذا الكلام :

ماذا تقصد (بقولك) إننى لست كاتباً مثلك ؟ إنك حينما تكتب وثيقة لا يفهم منها شيء . وعقدما تكتب رسالة ، لا يمكن قراءتها (؟) . إنك تذهب لتقسيم مقاطعة زراعية غير أنك تعجز عن تقسيم المقاطعة ، لأنك عندما تذهب لقياس الحقل لا تقدر على الإمساك بجبل القياس . إنك تعجز حتى عن الإمساك بمسار بيدك ، فأنت لا عقل لك ، إنك لا تعرف كيف تحكم بين متخاصمين ، بل إنك تزيد اشتعال النزاع بين الإخوة . أنت واحد من أقل كتاب الألواح كفاءة . فلائى ، لأى شيء أنت تصلح ، أيستطيع أحد القول (؟) ؟

ويرد خصمه على هذا :

ما تقول ! إننى كفف فى كل شئ . فإذا ذهبت لتقسيم مقاطعة — اقسم المقاطعة ، وإذا ذهبت لمسح الحقل ، فإننى أعرف كيف أمسك بجبل القياس . وأعرف كيف أحكم بين المتخاصمين . وأعرف كيف أهدى النزاع بين الإخوة وألطف مشاعرهم . ولكنك أنت أكسل (؟) الكتاب وأكثر الرجال إهمالا (؟) . إذا مارست عمليات الضرب ، فإنها تكون مليئة بالأخطاء (؟) . وفى مجالات (الحساب) تخطئ بين الطول والعرض ، وتعالج المربعات والمثلثات والدوائر (؟) والمقاطع بلا فهم كما لو . . . أنت مهذار وغد ، وساخر متنهر ، كيف (تجرأ على القول) بأنك أنت « قلب » الهيئة الطلابية !

ثم بدأ خصمه ، متخذاً من الجملة الأخيرة حجة للتساؤل : « ماذا تعنى بقولك بأننى لست « قلب » الهيئة الطلابية ؟ » ويستمر بعد ذلك فى وصف قدراته فى عمله كأمين للحسابات حتى ينتهى بالأسطر التالية :

إننى رُبيت على السومرية ، أنا ابن كاتب . أما أنت فعامل أخرق ومدعٍ . إذا حاولت عمل لوح طينى للكتابة فإنك لا تقدر حتى على تنعيم (؟) الطين (؟) . وإذا حاولت كتابة سطر واحد فإن يدك لا تستطيع مداراة (؟) اللوح . . . إنك « سوفومور » . غط أذنيك ، غط أذنيك ! (ومع هذا أنت (تدعى معرفة) اللغة السومرية مثلى !

وعند هذه النقطة تأتى فقرة طويلة فى حالة سيئة إلى درجة أصبح من الصعب معها متابعة حتى تتابع المتكلمين . وأخيراً ، نجد شخصاً (لعله كان ال « أوجولا » أى أحد المشرفين على الطلاب) قد استاء من أحد الطالبين ، وهو « أنكياسى » — بحيث أوشك على حبسه وتقييده بالسلاسل ، وذلك استنتاجاً من الفقرة التالية الواردة فى نهاية النص ، والتي ترجمت ترجمة مبدئية على الوجه الآتى :

لَمْ تَسْلُكْ سُلُوكاً كَهَذَا ! لَمْ أَنْتَ تَنْدَافِعْ وَأَنْتَ تَشْتَمُ أَحَدَكَ الْآخَرَ ، وَيَهِنُ أَحَدُكَ

الآخر ! لم تعملان اضطراباً في المدرسة ! . . . (تأتي أربعة أسطر غير واضحة) .
الفوضى بلغت ! لِمَ أنتما متغطسان (؟) ومهملان (؟) . (لِمَ أنت) تلعن وتلقى
بالإهانات على من هو « أخوك الكبير » ومن علمك فن الكتابة من أجل نفسك (؟)
حتى الـ « أوميا » (أى الأستاذ) العارف بكل شئ هز رأسه بشدة (؟)
(قائلاً) : « افعل به ما تشاء » لو أننى (حقاً) فعلت بك ماأشاء — بشخص تصرف
كما تصرف (و) كان مهملاً (؟) لـ « أخيه الكبير » — لضربتك (أولاً)
بعضاً غليظة — يالها من عصا خشبية (إذا ما حان وقت الضرب) — (و) بعد أن
أقيد قدميك بسلاسل نحاسية ، أحبسك في البيت ولم أسمح لك بالخروج من (بناية)
المدرسة لمدة شهرين .

وتنتهى القطعة ، بعد أربعة أسطر غير واضحة ، بالكلمات التالية : في النزاع
بين « جيرنسياج » و « انكيانسي » أصدر الـ « أوميا » أى (الأستاذ) حكمه .

وكانت المدرسة كما يمكن أن يستنتج من المقالتين السابقتين مخيفة مرعبة وغير
جذابة ، وكان منهج الدراسة « شاقاً » وطرق التدريس رتيبة ، والعقوبة قاسية .
فلا عجب إذا كان بعض الطلبة على الأقل يتهربون من أداء واجباتهم إذا
مأتيح لهم ذلك وصاروا « مشكلة » بالنسبة لعلهم وآبائهم . ويقودنا هذا الافتراض
إلى مقالتنا المدرسية الثالثة المعنونة « كاتب وابنه الضال » وهى نص جمع من أكثر
من عشرين لوحاً وكسرة لوح . وهذه المقالة جديرة بالاهتمام باعتبارها واحدة من أولى
الوثائق في تاريخ الإنسان التى استخدمت فيها عبارة « إنسانية » (ناملولو فى اللغة
السومرية) لا للدالة على البشر فقط وإنما بمعنى التصرف والسلوك الذى يناسب
المخاوف البشرية .

تبدأ هذه القطعة ، التى يبلغ طولها حوالى مائة وعشرين سطراً بمقدمة مؤلفة من
حوار ودى إلى حد ما بين « والد وولده » ، ينصح فيه الأب ابنه بالذهاب إلى المدرسة
والعمل بجِد والعودة إلى البيت بلا تسكع فى الطرقات . ولغرض التأكد من أن الابن قد
أصغى باهتمام شديد جعله الأب يردد ماقاله له كلمة كلمة .

وتصبح المقالة من هذه النقطة فصاعداً حديثاً من جانب الوالد فقط . فهي تبدأ بسلسلة من الإرشادات العملية لتساعد على تكوين رجل من ابنه : فقد كان عليه أن لا يتسكع هنا وهناك في الطرقات والشوارع : وأن يتواضع أمام المشرف عليه ، وأن يذهب إلى المدرسة ويتعلم من تجارب الرجل (أى المشرف) الماضية . ثم يلي ذلك توبيخ شديد موجه للإبن المشاكس الذى كإيدعى والده — قد سبب له مرضاً مهلكاً لخوافه المستمرة عليه وسلوكه اللاإنسانى ، ويقول بأن الوالد قد أصيب بخيبة أمل شديدة بسبب جحود ابنه ، على الرغم من أنه لم يضطره على العمل قط خلف محراث أو ثور ، كما لم يطلب إليه قط جلب الأخشاب للإشغال ، أو لأعالتهم كما يدفع آباء آخرون أبناءهم على فعل ذلك . ومع ذلك فقد أصبح ابنه أقل رجولة من الآخرين .

وكالعديد من الآباء في الوقت الحاضر الذين تخيب آمالهم بأبنائهم ، كان الأب على ما يبدو متألماً بصورة خاصة لأن ابنه رفض السير على نفس خطواته المهنية ليصير كاتباً كأبيه . فنصحته بأن يحاكي رفاقه وأخوته وأصدقاءه وأن يسير في مهنة أبيه ، وهى فن الكتابة ، على الرغم من حقيقة كونها أصعب كل المهن التى فكر بها إليه الفنون والحرف وأخرجها إلى الوجود . ويواصل الأب نقاشه بقوله إن الكتابة نافعة جداً لنقل خبرات الإنسان بشكل شعري . ثم يستمر بقوله إن الإله « أنليل » ، ملك الآلهة جميعها ، هو الذى على أى حال فرض على الإبن أن يتبع مهنة أبيه .

وبعد توبيخ الإبن توبيخاً شديداً أخيراً بسبب سيره في الطريق التى كانت تقود إلى النجاح المادى بدلا من السير في طريق المساعى الإنسانية ، يصبح النص غامضاً ويبدو بأنه يتألف من أقوال مختصرة بليغة أريد بها على ما يَحتمل ، أن تقود الإبن على طريق الحكمة الحقيقية . وعلى أية حال ، تنتهى المقالة بملاحظة سعيدة ، يبارك فيها الوالد ابنه ويدعوه بأن يجد قبولاً في عيني إلهه الشخصى الإله — القمر « نانا » وزوجته الإلهة « ننجال » .

ونقدم فيما يلى ترجمة حرفية ، وإن كانت أولية ، للأجزاء الواضحة من المقالة ، تاركين فقط هنا وهناك عبارة غامضة أو سطرًا مكسوراً . يبدأ الأب بسؤال ابنه :

« إلى أين ذهبت ؟ »

« لم أذهب إلى أى مكان » .

« فإذا لم تذهب إلى أى مكان لم تقضى وقتك متكاسلا ؟ اذهب إلى المدرسة وقف أمام « والد مدرستك » ، (أى الأستاذ) واقرأ واجبك . وافتح محفظتك المدرسية ، وأكتب لوحك ، ودع « أخاك الأكبر » يكتب لك لوحك الجديد . وبعد أن تنهى واجبك وترفع تقريرك إلى المشرف عليك ، عد إلى ، ولا تتسكع في الطريق ، اسمع ، هل تعرف ماذا قلت ؟

« اعرفه ، وسأتلوه عليك » .

« ابدأ وأعد لي (ما قلت) » .

« سأعيد قوله لك » .

« هلم أخبرني به » .

« لقد قلت لي بأن اذهب إلى المدرسة ، واقرأ واجبي وافتح محفظتي المدرسية ، وأكتب لوحى ، بينما يقوم « أخى الكبير » بكتابة لوحى الجديد . وبعد الانتهاء من واجبي على أن أبدأ عملي وأعود إليك بعد أن أكون قد رفعت تقريراً إلى المشرف على . هذا ما قلته لي » .

« اتبته ، كن رجلاً ، ولا تقف في الميدان العام أو تتسكع في الشارع . وإذا مشيت في الطريق لا تنظر هنا وهناك . كن متواضعاً واطهر الخوف أمام المشرف عليك . فإذا أظهرت الخوف فإن المشرف سيجبك » .

(لقد أصيب حوالى خمسة عشر سطرًا بالتلف) .

« أنت يا من تتسكع في الميدان العام ، هل تريد أن تحقق النجاح ؟ إذن فاقصد

الأجيال الأولى . اذهب إلى المدرسة . إنها ستكون ذات نفع لك . يا بني ، اذهب إلى الأجيال الأولى واستفسر منها .

« شخص ضال أقف مراقبا عليه — لن أكون رجلا إذا لم أراقب ابني — لقد كنت أقرأني ، وضاهيت (بينك وبين) رجالهم ، ولكنني لم أجد بينهم واحداً مثلك » .

« إن ما سأرويه لك بعد قليل يحيل الأحمق إلى رجل حكيم ، يمسك الحية كما لو كان يمسكها بفعل الرق ، وسوف يمنعك عن تقبل العبارات الكاذبة .

« لأن قلبي قد امتلأ بالمتاعب منك ، ابتعدت عنك ، ولم أعر اهتماماً إلى مخاوفك وتدمرك . كنت حائفا عليك — نعم كنت حائفا عليك . ولأنك لا تنظر إلى إنسانيتك ، اختطفقت قلبي كما لو اختطفته ربح شريرة . إن تدمرك وضع نهايتي ، لقد أوصلتني إلى نقطة الهلاك .

« أنا لم أدفعك قط طول حياتي إلى حمل الأقصاب إلى أجمة القصب ، وحزم البردي التي يحملها الصغير والكبير ، أنت لم تحملها في حياتك قط . إنني لم أقل لك أبداً سر وراء عرباتي ، ولم أرسلك للعمل ، وحرث حقلي ، إنني لم أرسلك للعمل في حفر حقلي ، ولم أرسلك للعمل كاملاً . ولم أقل لك قط في حياتي اذهب واعمل وساعدني في معيشتي ؟ »

« إن آخرين مثلك يعملون آباءهم بالعمل . فلو كنت أقرئك وقدرتهم ، لكنت مثلهم . إن كلا منهم يقدم ١٠ « جور » من الشعير — وحتى الصغار يمد كل منهم أباه بـ ١٠ « جور » . إنهم يضاعفون الشعير لآبائهم ويساعدونهم دائماً بالشعير والزيت والصوف . أما أنت ، فإنك رجل عندما يصل الأمر إلى الحقوق — ولكنك إذا قورنت بهم فإنك لست برجل أبداً . فإنك بكل تأكيد لا تتعب نفسك مثلهم — إنهم أبناء آباء يدفعون أبناءهم إلى العمل . أما أنا فلم أدفعك إلى العمل مثلهم .

« إنني أفأسى العذاب بسببك أثناء الليل والنهار أنت ضائع في الملذات ليلاً ونهاراً .

لقد جمعت كثيراً من المال ، وتوسعت طولا وعرضا ، لقد سمعت ، وكبرت وعرضت وقويت وانتفخت ، إلا أن أقرباءك ينتظرون مصيرك السيء وسيفرحون بسوء مصيرك لأنك لم تنظر إلى إنسانيتك » .

(وتأتى هنا فقرة غامضة مؤلفة من واحد وأربعين سطراً تبدو أنها مكونة من أقوال مأثورة وأمثال قديمة . ثم تختم المقالة بدعاء الوالد الذى جاء بصيغة شعرية) .

- عسى أن ينقذك « نانا » ، إلهك ، من ذلك الذى يخاصمك .
- وعسى أن ينقذك « نانا » إلهك ، من ذلك الذى يهاجمك .
- وعسى أن تجد الرضا فى حضرة إلهك ،
- وعسى أن ترفعك إنسانيتك ، رقبة وصدر ،
- وعسى أن تكون رئيس حكاء مدينتك ،
- وعسى أن تنطق مدينتك باسمك فى الأماكن المفضلة ،
- وعسى أن يناديك إلهك باسم حسن ،
- وعسى أن تجد الرضا فى حضرة إلهك « نانا » .
- وعسى أن ينظر إليك بعطف من قبل الإلهة « نذجال » .

وعلى الرغم من منهاج الدراسة الصعب والبعيد كل البعد عن الإثارة ، وعقوبات المعلمين الصارمة والخصومة المريرة من قبل أقران صفه الإعتدائيين ، فإن الطالب الطموح المثابر كان يوفق فى التخرج من المدرسة ، وكانت هناك إمكانيات عمل عديدة مفتحة أمامه ، فقد كان بإمكانه مثلاً الدخول فى خدمة القصر أو المعبد ، أو كان بإمكانه أن يصير كاتب إدارة ومحاسباً فى إحدى المقاطعات الكبرى التى كانت تنتشر فى البلاد . وفى المقالة الرابعة من المقالات المدرسية الممنونة « حوار بين أوجولا وكاتب » نجد خريج الـ « أيدوبا » (أى المدرسة) ، وقد أصبح الآن كاتباً قديراً فى إحدى

هذه المقاطعات ، في نقاش مع الـ « أوجولا » ، (لعله كان المشرف على المقاطعة) ، الذى كان نفسه من خريجي الـ « أيدوبا » . لقد جُمعت القطعة المؤلفة من ثمانية وسبعين سطرًا من اثني عشر لوحًا وكسرة لوح ، تبدأ بخطاب من قبل الـ « أوجولا » هذا نصه :

أيها المتخرج القديم ، تعال إلى ودعنى أخبرك بما أخبرنى به الـ « أوميا » (أستاذى) المسؤول عن المدرسة .

لقد كنت أيضاً مرة مثلك شاباً صغيراً وكان لى « الأخ الكبير » وكان الـ « أوميا » يحدد لى عملاً (وكان ذلك العمل فى الواقع كثيراً جداً حتى بالنسبة لرجل كبير) .

(ولكنى) كنت أندفع كسهم من قصب وأستغرق فى العمل ، ولم أهمل كلمات الـ « أوميا » (أستاذى) ، ولم أنصرف وفقاً لـ (أهوائى الأنانية) . وكنتيجة لذلك كان « الأخ الكبير » يفرح بإنجازى .

لقد كان يتبع لأننى كنت أفق أمامه بتواضع وكان يتكلم (؟) بما فيه صالحى (؟) .

ومهما خطط لى أنجزته . لقد كنت أضع كل شئ فى موضعه — (حتى) الأحمق كان باستطاعته أن يتبع (؟) إرشاداته بسهولة (؟) .

كان يقود يدي على (لوح) الطين ويرينى كيف أنصرف تصرفاً مناسباً و « كان يفتح » فى بالكلمات ، ويسدى النصيحة الحسنة ، ويركز (؟) عيني على القواعد التى تهدى الرجل الذى ينجز الأعمال . الجد هو جوهر (حرفياً : قدر) الانجاز الحقيقى وإضاعة الوقت محزنة ، والشخص الذى يتسكع هنا وهناك (و) يضيع وقت عمله يقصر فى عمل واجبه .

إنه (أى « الأخ الكبير ») لم يتبعج بمعرفته ، وكانت كلماته متحفظة — فلو تبجح بمعرفته « لجلحظت » العيون .

(ولذلك) كنت أحضر إليه قبل شروق الشمس وقبل أن ينتهى الليل ؛ لا تطرد
السعادة المتأتية من كونك إلى جانب « الأخ الكبير » ، وبعد أن تقترب من
« المتقدمين الكبار » ستحترم كلماتك .

إنه (أى « الأخ الكبير ») لم يحول مرة ثانية العيون المركزة . . . لقد وضع
حول عنقك إكليل زهر (؟) (مكوناً) من مجاملة الرجل واحترامه (؟) .
إن قلب المصاب (؟) بعد أن يهدأ يتحرر من الذنب .

الرجل (الذى يأتى بـ) قرايين من اللبن (؟) كان يجعل هديته مناسبة (؟) ،
الرجل الثرى قد ضم طفله ذا الركبة المثنية إلى صدره — لذلك (؟) يجب أن تكون
للرجل ، والمراقب ، ويجب أن تجعل قلوبهم راضية .

ونسكتفى بهذا القدر من كلام الـ « أوجولا » المسهب الذى يحتوى على لفٍّ
ودوران مطولين ، وبعد مقدمة مكونة من سطر واحد يقرأ بالصورة التالية : «الكاتب
المتعلم يجيب « أوجولا » بتواضع ، يواصل النص بما يبدو أنه أبعد ما يكون عن الإجابة
المتواضعة :

لقد تلوت على . . . مثل . . . (ولكنى) سأدعك الآن تسمع جواب ذلك فأما
بالنسبة لخوارك الشبيه بخوار الثور ، فإنك تحيلنى إلى رجل جاهل بما فى ذلك الخوار
من عدم التفهم — وسأجيب عنه بشكل كامل (؟) (لعل هذه العبارة تعنى حرفياً ،
« ستين مرة ») .

كأنك جرو عينك متباعدتان عن بعضهما (؟) (حتى لو) تصرفت كبشر .
لم تضع القواعد لى كما لو كنت مهملاً ؟

لو سمعك أى إنسان لأسقطت (؟) يديه يائساً (؟) .

دعنى أوضح لك بدقة (حرفياً « دعنى أضع بيدك ») فن الصيرورة كاتباً لأنك
(؟) ذكرت ذلك .

لقد وضعتني مسؤولاً عن بيتك ولم أدعك أبداً ترانى متراخياً .

لقد أبقيت الإماء والعبيد (وبقية) أعضاء بيتك في أعمالهم ، وتأكدت من أنهم كانوا يستمتعون بجزهم وكسائهم وسمنهم وهم يعملون بشكل مناسب (حرفياً « كما هي طريقهم ») .

ولم تكن (مضطراً) على تتبع عبدك في بيت سيدك ، فقد قمت أنا بالعمل (؟)
القبيح (؟) وتتبعته كما لو كان نعيمة .

لقد تلوت يومياً صوات له (؟) أمرت أنت بها ، أما أغنامك (و) ثيرانك فإنها تبعث السرور وتجلب الحبور إلى إلهك ، وفي اليوم الذى رسا فيه قارب إلهك ، وضعوا (أى الكهنة) أيديهم عليك (ليباركوك) . لقد حددت لى صدر الحقل (أى ربما الجزء المرتفع الذى لا يمكن سقيه) فجعلت الرجال يعملون هناك — إنها مهمة فيها تحيد ولا تسمح بالنوم أثناء الليل أو فى حرارة النهار .

(ومع ذلك) كل ال . . (و) (؟) أبناء الفلاحين يومئون (؟) بالموافقة (؟) .

لقد استخدمت اليد الرقيقة فى حقلك وامتدحنى الناس ، وجعلت الثور يأتى بما ملا (؟) طريقك (؟) وجعلته يحمل (؟) أحماله من أجلك .

لقد ربيتنى من أيام شبابى وراقبت سلوكى ، وعاملتنى بلطف كأنى فضة جيدة ، ولم . . (لذلك أبعدت) (؟) عنك ذلك الذى « لا يمشى بعظمة » كأنه شيء محرم عليك ، لقد أبعدت عنك « الرياح الصغيرة » ولم أسمح بالوجود لها من أجلك .
إرفع الآن رأسك عالياً — أنت الذى كنت فيما مضى شخصاً صغيراً تستطيع (الآن) أن ترفع يدك (؟) ضد أى رجل (ولذلك) تصرف بما يليق بك .

ولعل جواب الكاتب ينتهى عند هذه النقطة . على الرغم من عدم وجود سطر يشير إلى بدء متكلم آخر . وكان جواب ال « أوجولا » غير المنتظر ، جواباً ودياً يقرأ على الوجه التالى :

أنت يا من أدت الطاعة (؟) لى ، ويا من باركتنى (؟) وأدخلت النصح
 فى جسمى كما لو كان لبنا وسمنا قابلين للأكل — لأنك لم تتسكع عاطلا حصات على
 طبيبات الأرض ولم أصب بمصائبها . الـ « أوميا » (الأساتذة) « عارفو — الكلمة »
 يشيرون بالموافقة (؟) ويتحدثون (؟) بكل ما يخصك فى بيوتهم (؟) وحيثما يكونون
 (؟) وينطق باسمك للخير (فقط) وأوامرك تستقبل استقبالا حسنا (؟) . لقد [أنهى]
 سائقو الثيران (؟) نزاعهم بأغنياتك العذبة ، وسيوقف (؟) المتخاصمون (؟)
 [نزاعهم] بأغنياتك العذبة . الـ « أوميا » يؤدى لك الطاعة بقلب سعيد (قائلا) :
 « أنت يا من جلست كشاب تستمع لكلماتى وأدخلت السرور إلى قلبى — لقد وضعت
 « نيدابا » (إلهة المدرسة الحامية) فى يدك شرف (كونك) « أوميا » ، أنت
 مكرس من قبل « نيدابا » فعسى أن تعلو علو السماء ، وعسى أن تبارك بقلب مليء
 بالحبور ، ولا [تعانى] من ألم القلب . عسى أن [تجيد (؟)] فى كل شئ فى
 الـ « أيدوبا » ، بيت المعرفة ، عسى [أن تعطيك (؟)] « نيدابا » العظيمة سعادة
 [لا مثيل] لها (؟) . بحكمتك العطوفة [سينتهى (؟)] الخصام . وسيوقف (؟)
 الصغار [خصامهم (؟)] فى [.] وسيلهج الصفاع [باسمك إلى الأبد] الـ . . .
 سيرددون . . . [لك] فى الشارع الذى تتردد فيه أصداء الأغنية (؟) ، الشارع
 حيث . . . ، أنت جلبت « الميات » (أى النواميس الإلهية) التى لا مثيل لها .
 وتمكنت (؟) من إدارة السلوك المتناسق (؟) .

وتأتى بعد هذه الفقرة العبارة الختامية النموذجية « أيا نيدابا ، الحمد لك » وهى
 عبارة ربما كان على الأستاذ الحديث أن يستجيب لها بقوله « آمين » وهى كلمة
 تحمل فى طياتها الكتابة بسبب واقعنا المؤلم وحسداً لأولئك الأقدمين .

الفصل السابع

الحوافز والبواعث والقيم

إن الدراسات المخصصة للحضارة والمدنية السومريتين تعالج في الغالب موضوعها من وجهة النظر الوصفية فقط . فهي تبدأ عادة بتجزئة الحضارة السومرية إلى مظاهرها المتنوعة ؛ الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإدارية والقانونية والدينية والتقنية والفنية والأدبية . ثم يوصف كل مظهر من هذه المظاهر بقدر ما تسمح به المعلومات المتيسرة من تفصيل وبقدر ما يستدعي الفرض الخاص من الدراسة . ونادراً ما ينظر إلى الحضارة السومرية من وجهة النظر النفسية ، أى الأخذ بنظر الاعتبار لشخصية الشعب الذى ابتدعها وخلقها ولأجل ملء هذه الفجوة ، كرست سلسلة من الدراسات خلال السنوات العديدة الماضية لبحث المظاهر النفسية في المدنية السومرية ، وعلى الأخص ، كما يكشف عنها في وثائقها الأدبية . ففي مقالة معنونة « التنافس والتفوق : سمتان بارزتان في النموذج الحضارى السومرى ^(١) » حاولت أن أعزل وأصف إحدى القوى المحركة الرئيسة في السلوك السومرى ، ألا وهي الاندفاع من أجل التفوق والبروز مع ما في ذلك الإندفاع من تأكيد شديد على التنافس والتجاذب . وفي مقالة معنونة « حب وبغض وخوف : مظاهر نفسية في الحضارة السومرية » خلصت دور الحب والكراه والخوف كدوافع عاطفية محركة في السلوك السومرى . وسأحاول في هذا الفصل تلخيص نتائج هاتين الدراستين . ولا يمكننا إلا التأكيد بما فيه الكفاية على أن النتائج المقدمة هنا ما هي إلا نتائج أولية ومبدئية بطبيعتها ، إذ لا يمكن فهم حتى الوثائق الأدبية ذات النصوص الكاملة فهمًا تاماً ناهيك عن تلك الوثائق التي مازالت فيها فجوات وثغرات عديدة - وهذه هي التي تمثل أغلبية النصوص - ومع كل ذلك ، يمكننا القول باطمئنان بأن من الممكن الاعتماد إلى درجة معقولة على قسم من النتائج المقدمة في هذا الفصل على الأقل ، وأن هذه النتائج ستقف أمام اختبار الزمن .

Selected Paperes of the Fifth international Congress of (١)
Anthropological and Ethnological Science (1960). pp. 287-91.

ولنبداً بالدوافع العاطفية الثلاثة التي تعمل على تكوين قيم غير قابلة عند الإنسان ،
وهي الحب والكره والخوف . إن الكلمة السومرية التي تعبر عن معنى الحب «عبارة
عن فعل مركب يبدو بأنه يعنى حرفياً « قياس الأرض » و « تحديد مكان ما » ، أما
كيف تطور هذا إلى معنى « الحب » فإنه أمر مشكوك فيه . ٤

وكما هو صحيح بالنسبة لكل البشر ، كان الحب عند السومريين عاطفة متنوعة
بطبيعتها وشدها . فهناك الحب المشبوب بالعاطفة والإحساس بين الرجل والمرأة ، الذي
كان يتوج عادة بالزواج ، والحب بين الزوج والزوجة ، وبين الآباء والأبناء والحب بين
مختلف أفراد العائلة ، والحب بين الأصدقاء والمتألفين والحب بين الآلهة والملوك والناس .
ومن الجائز أن نبداً ملخصنا عن الحب في بلاد سومر بالحب الطبيعي العاطفي بين
« الرجل والمرأة » .

من المعروف جيداً أن الزواج في بلاد سومر القديمة ، وبالتأكيـد في الشرق الأدنى
القديم بصورة عامة ، كان في العادة عبارة عن ترتيب عملي يكون فيه للفضة الموزونة بدقة
اهتمام أكثر مما يتطلبه الحب العارم . وعلى الرغم من ذلك يوجد لدينا دليل جدير
بالاعتبار على أنه كانت هناك فترة تودد وأحاديث عن الغرام غير قليلة قبل الزواج .
وكان أكثرها يجري دون ريب في الخفاء مما يجعلها أكثر حلاوة عند المحبين . ومن
الوثائق التي تمدنا بمثل يوضح ذلك توضيحاً كبيراً قصيدة مدونة على لوح من مجموعة
« هلمرشت » في جامعة فردريش — شيلر في « بينا » التي يجوز أن تعنون بـ « الحب
يجد طريقاً » أو « الأم المخادعة » . أما بطلا الرواية في القصيدة فهما الإلهة « إينانا »
« ملكة السماء » ، فينوس السومرية ، والإله « دوموزي » ، حبيبها أولاً وزوجها
فيما بعد . وتفقسم القصيدة التي سميت من قبل الكتّاب القديم بـ « تيجي » (tigi) ولعلها
كانت أغنية تشد بمصاحبة القيثارة ، يبدأ المقطع الأول بمناجاة من قبل
« إينانا » تقص فيها بأنه في يوم من الأيام وبينما كانت تغنى وترقص ببراعة هنا وهناك
في السماء ، قابها « دوموزي » وأمسك يدها وعانقها . وبدأت تتوسل إليه ليتركها

وشأنها لأنها لا تعرف كيف ستخفى خبر هذا الحب السرى عن أمها « ننجال » زوجة الإله — القمر « سين » ، فاقترح « دوموزى » عليها بأن تخدع أمها بالقول لها إنها قضت الساعات مع صديقة لها فى ميدان المدينة العام • وبهذا القول الذى هيهك كعذر يبدآن بتعاطى الحب فى ضوء القمر • وفيما يأتى كلمات الشاعر نفسه :

البارحة ، بينما كنت أنا الملكة أشع مشرقة ،
البارحة ، بينما كنت أنا ملكة السماء أشع مشرقة ،
بينما كنت أشع مشرقة ، وأرقص هنا وهناك ،
وبينما كنت أغنى تغلب (؟) الضوء المشع على الليل •

قابلى ، قابلى —
السيد « كولى — أنا » « دوموزى » قابلى ،
ووضع السيد يده بيدي ،
« أو شومو جال — أنا » أى « دوموزى » •

ثم يعقب ذلك حديث جذاب ورقيق وغرامى بين الجيبين وجها لوجه تتوسل فيه « إينانا » (بقولها) :

هلم (؟) دعنى الآن (؟) وشأنى ، يجب أن أعود إلى البيت •
يا « كولى — أنليل » أى « دوموزى » أتركنى ، يجب أن أعود إلى البيت ،
ماذا أستطيع أن أقول لتضليل أُمى !
ماذا أستطيع أن أقول لتضليل أُمى « ننجال » !

بيد أن هذا التوسل لا يردع « دوموزى » الذى كان لديه جواب حاضر !
سأخبرك ، سأخبرك

يا « إينانا » ، يأحلى النساء ، سأخبرك ،
(قولى) « صديقتى أخذتنى معها إلى الميدان العام ،
وهناك منعنا لآعب (؟) برقصه ،
أغنيته العذبة ، غناها لنا ،
وبسرور عظيم أنهى لنا الوقت •
هكذا قفى فى وجه أمك مخادعة إياها ،
فى حين أننا تتمتع بحبنا كاملاً فى ضوء القمر ،
وسأهـى لك (؟) سريراً طاهراً ، وحلواً ومهيّبا •
وسيحقق لك اليوم الجميل أمراً مفرحاً •

ويتألف المقطع الثانى من مناجاة مبهجة تتحدث بها « إينانا » مع نفسها ،
ولا عجب فى ذلك ، لأن « دوموزى » على ما يبدو قد وافق على الزواج منها بعد
ليلتها السعيدة • ول سوء الحظ أصاب التلف الجزء الأول من المقطع ، وعندما يتضح
النص مرة ثانية ، نجد « إينانا » تعلن عن نبأ سار وهو أن « دوموزى » كان على
وشك أن يكلم أمها بشأن طلب يدها على ما يفترض للزواج •

وتنتهى القصيدة ، وهذا أمر طبيعى جداً ، بمديح « إينانا » الوجدانى لزوج
المستقبل وضحية غضبها الرهيب فيما بعد .

أنا « إينانا » قد جئت إلى بواية أمى ،

ماشية يغمرنى السرور ،
لقد جئت إلى بوابة « ننجال » ،
ماشية يغمرنى السرور ،
سيقول « دوموزى » لأى الكلمة ،
وسيرش الأرض زيت السرو ،
هو الذى يبتته معطر •
والذى كلمته تجلب كلمة الفرح •

سيدي ذو الأطراف الطاهرة الجذابة ،
« أما — أوشوجال — أنا » صهر « سين » •
سيدي حلوة غلتك •

نباتاتك وأعشابك فى السهل حلوة المذاق •
« أما — أوشوجال — أنا » حلوة غلتك •
نباتاتك وأعشابك فى السهل لذينة المذاق •

وعلى الرغم من أن « إينانا » و « دوموزى » ، وفقاً لما ورد فى هذه القصيدة
كانا يحتفظان بجهما سراً وكانا على استعداد حتى لتضليل أم « إينانا » ، فإن هناك
رواية أخرى عن هذه العلاقة الغرامية جاء فيها إن « دوموزى » كان يتودد لعروسه
علناً وبموافقة أمها • فقد كان « دوموزى » الراعى وفقاً لهذه الأسطورة يقصد بيت
« إينانا » ويطلب السماح له بالدخول • وكانت « إينانا » بنصيحة من أمها ، تستحم
وتمسح نفسها بالزيت ، وترتدى الحلل الملكية وتزين بالأحجار الكريمة ثم تفتح
لـ « دوموزى » الباب ويتعاقبان بعبطة ولعلهما كانا يمارسان الاتصال الجنىسى •

وفي رواية أخرى عن غرام « دوموزى » و « إينانا » وزواجهما ، يبدو أن موافقة والد « إينانا » ، الإله — القمر « سين » ، كانت شرطاً أساسياً ، وكانت « إينانا » ، وفقاً لهذه القصيدة التى تتألف من مقطعين شعريين ، تلتقى بعد أن تزين أجزاء جسمها المختلفة بحلى من المعادن والأحجار الكريمة مع « دوموزى » فى ال « جيبار » ، معبد « أى — أنا » فى « الوركاء » . وكانت « إينانا » تشتهق للذهاب معه إلى الفراش بسرعة إلا أنها تجد ، على ما يبدو ، أن من المستصوب الحصول على موافقة والدها ، وعلى أية حال ، نجد أنها ترسل رسولا إلى أبيها طالبة السماح لـ « دوموزى » بمغازلتها .

وعلى حين يبدو وفقاً للروايات الثلاث التى لخصت أعلاه أن حب « إينانا » لـ « دوموزى » كان متقدماً ومشوباً بالعاطفة بقدر ما كان حب « دوموزى » لها تماماً — بل كان أكثر حدة من بعض الوجوه — فإننا نحصل على صورة مختلفة تماماً من قصيدة سومرية أخرى تعود إلى صنف المجادلات من التأليف الأدبية . إن « إينانا » وفقاً لهذه الأسطورة التى جاءت على شكل مسرحية قصيرة ، كانت تعشق فى الواقع الفلاح « أنكىمدو » وليس الراعى « دوموزى » . وعلى الرغم من جهود أخيها الإله — الشمس « أوتو » التى بذلها لإقناعها على تغيير رأيها فإن « إينانا » رفضت فى أول الأمر « دوموزى » رفضاً باتاً ولم تحد عن رأيها إلا بعد كلسة مليئة بالغضب والتهجم تفوه بها « دوموزى » وأكد فيها على تفوق ما كان له من ممتلكات على ممتلكات « أنكىمدو » . وكان « دوموزى » فى الواقع مضطرباً من تفضيل « إينانا » لـ (لـفلاح) حتى إنه حاول الدخول فى قتال مع غريمه « أنكىمدو » ، ولم تهدأ هذه الخصومة بين الإثنين إلا بعد تهدئة الفلاح له بكلمات ووعود تنطوى على الود والصدقة .

ولم يكن « دوموزى » و « إينانا » الإلهين الوحيدين اللذين سبقت زواجهما علاقات غرامية مليئة بالعاطفة ، فه « إنليل » الإله القائد فى مجمع الآلهة « السومرى » فى « نقر » عشق من أول نظرة « ننليل » عذراء « نقر نيبور الشابة » عندما لحما

على ضفة مجرى ماء ، اسمه « نونيردو » في مدينة « نقر » بعد أن استحمت في « مياهه الثقية » . ولما رفضت الاستسلام لعروضه المتهبة ، أمر رسوله « نوسكو » بحلب سفينة اغتصبها فيها وحبلها ببذرة الإله — القمر « نانا » وبسبب فعلته الشنيعة هذه عوقب من قبل الآلهة الخمسين العظام بالنفي إلى العالم السفلي ، ولكن « نليل » المخلصة لحقت به وأنجبت منه هناك ثلاثة أطفال . ولا بد أن يكون الزواج قد تم بينهما في وقت ما بعد ذلك لأن « نليل » تظهر في كل النصوص الأدبية السومرية كزوجة فاضلة ومحترمة للإله « إنليل » .

ومن الناحية الأخرى لم تكن هناك ضرورة للإله البدو « مارتو » لاغتصاب فتاته التي اختارها ، وهي « أدنيجكيشار » ، ابنة « نوموشدا » إله مدينة « كزالو » الحامى ، لأنه عندما عبر « مارتو » في ولية إلهية في مدينة « أكتاب » عن رغبته في أن تصبح زوجة له ، قبلت « أدنيجكيشار » بكل سرور على الرغم من محاولة صديقتها الشديدة لاقناعها بالعدول عن ذلك لأن « مارتو » كان مشهوراً بأنه :

ساكن خيمة [تعصف بها (؟)] الريح والمطر ، [وإنه لا يعرف (؟)]
الصاوات وبالسلح [يجعل] الجبل مسكنه

ومثير للنزاع إلى درجة غير معقولة ، ويتحول (؟) ضد الأقطار التي عرفت
بعدم ثنى الركبة .

وياً كل اللحم نيئاً .

ولا يمتلك بيتاً طول حياته .

ولا يدفن حين يموت .

وأخيراً ، قد يستنتج الدور الهام الذى كان العشق والجنس يلعبانه في الفترة التي تسبق الزواج في بعض الحالات على الأقل من أغاني الحب التي يفهم منها بأنها كانت تمنى من قبل كاهنات ينتخبن كعرائس للملك في مناسبة احتفالات الزواج المقدس

الذى كان يحتفل به في يوم عيد رأس السنة . فقد وصلت إلينا أغنيتان من هذا النوع
تكشفان عن حب عنيف ونشوة جنسية . فهنا مثلاً بإحدى هاتين القصيدتين التي
كانت موجهة إلى الملك « شو — سين » من قبل « عروسه » المحبوبة .

يا عريس ، يا من هو حبيب قلبي
جمالك فتان ، حلو كالشهد
أيها الأسد ، يا حبيب قلبي ،
جمالك فتان ، حلو كالشهد .
لقد أسررتي ، فدعني أقف مرتجفة بين يديك .

أيها العريس ، بودى لو أحمل من قبلك إلى حجرة النوم ،
لقد أسررتي ، فدعني أقف مرتجفة بين يديك .
أيها الأسد ، بودى لو أحمل من قبلك إلى حجرات النوم .
يا عريس ، دعني أداعبك ،
إن مداعبتى الغالية أذ مذاقا من العسل ،
في حجرة النوم ، الملائى بالعسل ،
دعني استمتع بجمالك الباهر ،
إن مداعبتى الغالية أذ مذاقا من الشهد ،

يا عريس ، لقد استمتع بي ،
فاخبر أُمى ، وستقدم لك ما طاب من الطعام ،

وسيقدم لك أبى الهدايا .
أمارو حك ، فإننى أعرف أين أدخل السرور إلى روحك ،
أيها العريس ، نم فى بيتنا حتى الفجر .
وأما قلبك ، فإننى أعرف أين أدخل السرور إلى قلبك ،
أيها الأسد نم فى بيتنا حتى الفجر .
وأنت ، فلا نك تهوانى ،
هبنى بحقك شيئاً من ملاطفتك ،
يا سيدى الإله ، يا سيدى الحامى ،
يا « شو — سين » — الذى يدخل البهجة فى قاب « إنليل » ،
هبنى بحقك شيئاً من ملاطفتك .

إن موضعك حلو كالشهد ، ضع بحقك يد (ك) عليه
قرب يد (ك) عليه كرداء الـ « جيشبان » ،
غطه بيد (ك) كرداء « جيشبان — سيكين » .

وهكذا فإن هناك سببا يدعو إلى الاعتقاد بأن الزيجات لم تكن جميعها منافع
عملية بل كانت ، فى بعض الحالات على الأقل بدافع الحب واليهام . وليس من
المستغرب إذن أن نجد أحد الأمثال السومرية يقول :

تزوج زوجة وفقا لاختيارك ،
وانجب طفلا كما يشتهى قلبك .

ومما لا شك فيه لم يكن الزواج حملا خفيفا بالنسبة للسومرى كما هو واضح من
المثل السائر :

من لم يُعل زوجة أو طفلا

لم يحمل مقودا

أضف إلى ذلك أن الزوج السومري غالباً ما يجد نفسه مهملاً من قبل زوجته ،
أو كما يضع أحدهم ذلك بقوله :

زوجتي في المزار الخلوى ،

وأى هناك على النهر ،

وهنا أنا أموت جوعاً .

وفي الواقع ، كان الرجل السومري ، في بعض الأحيان على الأقل ، يأسف
لواجهه ، كما يمكن أن يلاحظ من القول التالي :

من أجل متعته — زواج ،

وعند إعادة النظر فيه — طلاق .

وسواء أكان هناك عشق قبل الزواج أم لم يكن ، فقد كان الزوجان يستقران بعد
الزواج مباشرة في حياة يومية رتيبة يتراجع فيها الحب إلى الوراء أكثر فأكثر .
ومع ذلك فإن الحب بعد الزواج لم يكن أمراً غير معروف تماماً . وكثيراً ما تتردد
عبارات مثل « الزوج الحبيب » و « الزوجة الحبيبة » في النصوص السومرية .
وعلى هذا نجد « جلجامش » مثلاً في قصيدة « جلجامش وأنكيبدو والعالم السفلي »
ينصح خادمه المخلص « أنكيبدو » ، الذي كان على وشك النزول إلى العالم السفلي
لإخراج الـ (بوكو) والـ (مكسو) العائدين لـ « جلجامش » ، بما يأتي :

لا تقبّل زوجتك التي تحبها ،

ولا تضرب زوجتك التي تكرهها ،

ولا تقبّل ابنك الذي تحبه ،

ولا تضرب ابنك الذى تكرهه .

أو عندما لا يجد الملك « أور - نامو » ، بعد وفاته ورحيله إلى العالم السفلى ، الراحة فيقيم مناحة طويلة ومريّة من أجل زوجته التى لم يعد قادراً ، بعد الآن على ضمها إلى صدره وابنه الذى لم يعد قادراً على مداعبته وهو فى حجره . وكان الملك يسمى دائماً بـ « زوج إينانا المحبوب » . وكان الزوج دائماً يشمل فى كتاباته النذرية زوجته وأولاده — أى إنه كان لا يكرس شيئاً إلى الإله من أجل حياته فقط وإنما من أجل حياة زوجته وأبنائه أيضاً .

ويقودنا هذا إلى الأسرة ، الوحدة الأساسية فى المجتمع السومرى . وتتضح حقيقة ترابط أفراد العائلة مع بعضهم ترابطاً قوياً بالحب والاحترام والواجبات العائلية المشتركة فى المثل السائر التالى :

حافضة الماء فى الصحراء حياة الرجل ، والحذاء عين الرجل والزوجة مستقبل الرجل ، والولد ملاذ الرجل ، والبنت خلاص الرجل ، أما زوجة الابن فشیطان الرجل ،

وفى فقرة تأبينية تقول :

العاصفة لا تعرف الأم ، العاصفة لا تعرف الأب ،
العاصفة لا تعرف الزوجة ، العاصفة لا تعرف الابن الصغير .
العاصفة لا تعرف الأخت ، العاصفة لا تعرف الأخ ،
العاصفة لا تعرف الصديق ، العاصفة لا تعرف الصديقة .

وفى الفقرة التالية التى تصف الأحوال المحزنة التى كانت على وشك الوقوع فى مدينة « أور » وفقاً لقرار اتخذته الآلهة الحانقة :

الأم لن تهتم بابنها ،

ولن يصيح الأب ، أيا زوجتي ،
والمحضية لن تبتهج في الحجر ،
لن يرت على ركب الأطفال .

ويشابه هذا ، عندما أصيب « أيوب » السومري بعناء وألم مبرحين ، دعا باكياً
إلهه الشخصي ، و « ملاكه الحامي » ، الأب الذي أنجبه ، كما لو أنه كان يدعو أفراد
عائلته ويفدبهم للوقوف إلى جانبه :

انظرا ! لاتدعُ أُمى التي حملتني توقف البكاء علىَّ في حضرتك ،
ولا تدعُ أختي تمنى الأغنية والأنشودة السعيدتين .
بل دعها تنطق بأكية بمصائبي في حضرتك ،
ودعُ زوجتي تعلن عن معاناتي ،
ودعُ المغني الماهر ينوح على مصيري المرير .

من الأمور التي تكشف لنا عن الكثير في هذه الناحية هو وصف الـ « جالا » وهم
شياطين العالم السفلي القساة اللاإنسانيون والذين لا يحبون أحداً كمخلوقات :

تخطف الزوجة من حضن الرجل ،
وتخطف الطفل من ثدى مربيته .
أو وصفهم بشكل أكثر شمولاً بأنهم :
لا يملأون حضن الزوجة بالسعادة ،
ولا يقبلون الأطفال الحسنى التغذية ،
يخطفون ابن الرجل من على ركبته ،
ويأخذون زوجة الإبن من بيت والد زوجها .

وباتتالنا من الأسرة ككل إلى علاقة الآباء بأبنائهم ، فإن من الواضح من الفقرات التي ورد ذكرها قبل قليل بأن حب الأبناء والعناية بهم كانا من الأمور العادية بالنسبة للآباء السومريين ، كما كان أيضاً من الأمور المألوفة بالنسبة للأبناء أن يحبوا آباءهم ويصغوا إلى نصائحهم . ففي مقالات الـ « إيدوبا » (أى المدرسة) ، التي تعالج شؤون المدارس السومرية ورجال التعليم ، تُكشف العلاقة بين الأب وابن بصورة خاصة على أنها كانت علاقة وثيقة وودية وملئية بالتفهم . ونجد الإرشاد والنصح من قبل الآباء لخير ورءاء أبنائهم شائعين في الأساطير السومرية وتأتي على نخط ثابت ، وكانت الإلهة « نماغ » ، أم الإله — العاصفة ، « ننورتا » مليئة بالعطف على ابنها الذي أنجز أعمالاً خطيرة وبطولية في كفاحه ضد وحوش « كور » إلى حد أنها لم تكن قادرة على الراحة والنوم حتى سافرت إلى « كور » على الرغم من « الخوف والرعب من المعركة » التي كانت محتدمة في كل مكان . بل نظر حتى إلى الحيوانات على أنها محبة لأطفالها حباً عارماً . فالحب بين البقرة وعجلها كان يضرب به المثل في كافة الآداب ، وحب الكلبة لجروها يعبر عنه تعبيراً يثير الإعجاب في المثل البليغ التالي :

هذا ما . . . (؟) تقوله الكلبة ، « سواء أولدتهم باون الضبي أم ولدتهم باون رمادى مخطط ، فإننى أحب صفارى ! »

وحتى طير الـ « أمد وجود » المهول وزوجته صرخا بمرارة لما وصلا إلى عشهما ولم يجدا صفارهما .

وفي الحالات العادية أيضاً كانت هناك بلا شك علاقة وثيقة وحارة بين الأخ وأخته إلى جانب العلاقة بين الآباء والأبناء . وكان الأخ على ما يبدو بصورة خاصة ، يحتل مكان الأب في بعض الحالات . فـ « إينانا » ، مثلاً ، اتجهت نحو أخيها « أوتو » طلباً للمساعدة عندما أعتدى على شجرتها المقدسة في « الوركاء » من قبل الحية ، وطير الـ « أمد وجود » و « ليليث » المتوحشة . وعندما آن الأوان لـ « إينانا »

لاختيار زوج لها ، فإن أخاها « أوتو » هو الذى كان يحاول التدخل فى اختيارها واقناعها بالزواج من الراعى « دوموزى » بدلا من الفلاح « أنكيبدو » لأنه رأى فى ذلك مصلحة لها . وعندما حاول البستاني « شوكاليتودا » الهرب من غضب « إينانا » أخذ بنصيحة والده القائلة بأن « يبقى بالقرب من مدن أخوته ! وعلى حين تشير هنا الكلمة « أخوة » إلى الناس « ذوى الرؤوس السود » ككل ، (أى إلى السومريين) فالحقيقة هى أن « شوكاليتودا » كان يشعر بالسلامة والأمان بالقرب منهم لأنه كان يفتار إليهم كـ « إخوة » . وحينما حوَصر « أينمركار » من قبل « مارتو » فى مدينته « الوركاء » أرسل « لوجال بندا » لـ « أخته » « إينانا » فى « أراتا » طلبا للنجدة . ولما قبضت الشياطين على « دوموزى » تضرع للإله « أوتو » لاحتاله إلى غزال حتى « يلجأ بروحه » إلى أخته الإلهة « جيسيتينا » التى كانت تحبه بشدة وبجنان . وعندما مرض « أنكى » وبدأت « نينخورساج » الهادئة بعلاجه ، كانت تتساءل باستمرار وبحنو : « يا أخى ، ما الذى يؤلمك ؟ »

ويستدل من المثل القائل « تبقى الصداقة يوماً وتبقى القرابة إلى الأبد » بأن الحب بين الأصدقاء لم يكن بقوة ودعومة الحب بين ذوى القرى ، ومع ذلك فإن الصداقة والإخلاص كانا يحضيان بتقدير كبير فى بلاد سومر . فكانت الصداقة بين « جلجامش » و « أنكيبدو » أسطورية ويضرب بها المثل فى كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم . وكان أصدقاء « لوجال بندا » قلقين قلقاً شديداً من رحلته المتوقعة إلى « أراتا » التى كانت تشمل عبور جبال عالية ونهر « كور » المرعب . وعندما أصيب « لوجال بندا » خلال الزحف الذى قام به سكان « الوركاء » ضد « أراتا » بمرض مميت وهو فوق جبل « حوروم » ، لم يتدخل عنه أصدقاؤه المفجوعون إلا بعد أن حاولوا إعادته إلى الحياة بكل الوسائل الممكنة وتأكدوا بأن كل أمل قد ضاع ومع ذلك قطعوا عهداً على أنفسهم بالتقاط جثمانه وحمله إلى « الوركاء » عند عودتهم . وترجع معاناة « أيوب » السومرى ومراراته إلى حد كبير إلى حقيقة أنه وجد نفسه وقد غرر به من قبل أصدقاؤه ورفاقه .

أما بالنسبة للحب الإلهي ، أى حب الله للإنسان ، فإنه ينبغي أن نضع في الأذهان بأن علماء اللاهوت السومريين ، من الناحية النظرية على الأقل ، كانوا يعلمون الناس بأن الآلهة قد خلقت الإنسان لغرض خدمتها والقيام بشؤونها فقط. ولذلك كانت علاقة الإله بالإنسان ، على ما يفترض ، تقابل علاقة السيد بالعبد. ولكن الاتجاهات والممارسات الدينية نادراً ما تتفق مع النظرية والفكر اللاهوتيين ، وكان حب الإله ، على نمط الحب بين الآباء والأبناء ، والحب بين الزوج والزوجة ، ظاهرة متكررة في الوثائق السومرية . وأول ما نبدأ به هو أنه كانت هناك عقيدة بوجود الإله الشخصي ، أى يعبر عنه المتعبد بعبارة « إلهي » الذي كان يفكر به كآب أو أم له . وكان حب « إينانا » له « وركاء » وسكانها هو الذي دفعها إلى الذهاب إلى مدينة « أريدو » ونقلها إلى « ميات » أى « النواميس الإلهية » في « سفينة السماء » على ما كان في ذلك العمل من خطورة . وفي أدب المناحات ، تكشف الآلهة مرة بعد أخرى عن حبها وعاطفتها . فتوصف مثلاً ، « ننجال » زوجة الإله — القمر من قبل مؤلفي « النواح على دمار أور » كمستجدية ومتضرعة وبأكية بين يدي الإلهين « آن » و « أنليل » حتى لا يدمرا مدينتها وسكانها . ووفقاً لآرثية أخرى على « أور » ، كان « نانا » نفسه هو الذي يتوسل إلى « أنليل » لإنقاذ مدينته وسكانها . وعندما تقرر حدوث الطوفان ، بكت « ننتو » وأقامت « إينانا » مناحة من أجل الناس ، حتى الإله « أنليل » ، على ما هو عليه من عدم المبالاة ، وما فيه من إثارة للعرب ، كان يتصور في الأذهان كإله رحيم وأبوى .

وكانت الآلهة من حين لآخر تعامل البشر الأفذاذ بحب وعاطفة وحنان . فكان كل من « آن » و « أنليل » يعتزان ببطل الطوفان « زيوسودرا » ومنجاء الخلود ونقلاه ليسكن بين الآلهة في « الموضع الذي تشرق الشمس فيه » . وعندما حوضر « أينمر » في « الوركاء » من قبل « مارتو » ، أرسل « لوجال بندا » مع طلب النجدة إلى « أخته » « إينانا » في « أراتا » يقول في قسم منه :

إذا كانت « إينانا » تحب المدينة « الوركاء » ولكنها تبغضني ،

فلم تربط بين المدينة وبينى ؟
وإذا كانت (من الناحية الأخرى) تكره المدينة وتحبني ،
فلم تربط بينى وبين المدينة ؟

ورفع «لوجال بندا» ، وهو مريض على حافة الموت بعد أن تخلى عنه رفاقه
وتركوه على جبل «حوروم» نظره إلى السماء وبكى أمام الآلهة «أوتو» و «إينانا»
و «سين» ، وفي كل حالة — حتى في حالة الإلهة «إينانا» — يقول الشاعر بأنه
بكى أمام الإله وكأنه كان أباه الذي أنجبه . وعندما قدم «جلجامش» قرباناً لـ «أوتو»
وتوسل إليه من أجل تأييده عندما كان على وشك السير إلى «أرض الأحياء» ،
يكتب الشاعر :

تقبل «أوتو» دموعه كقربان ،
وكانه «رجل رحمة» أظهر له الرحمة .

وكان «جلجامش» وفقاً لقصيدة أخرى «الأمير محبوب آن» وكان «جوديا»
الرجل «الذي يحبه نينجرسو» يتضرع إلى الإلهة «جاتومدوج» (بقوله) :

لا أم لي ، أنت أمي ،

ولا أب لي ، أنت أبي .

وكان الملك «شولجي» حبيب الإله «أنليل» ، وكان ابنه «شو — سين»
«حبيب قلبه» . وأخيراً كان ملوك بلاد سومر يعرفون بأنهم «أزواج «إينانا»
المحبوبون» في كافة النصوص السومرية من عهد «أينهركار» حتى عهود ما بعد
الفترة السومرية ، لأنهم على ما يبدو كانوا يعرفون رمزياً بـ «دوموزي» ، وهو ملك
قديم موّله في مدينة «الوركاء» ، تزوج ، وفقاً لآراء كتاب الأساطير السومريين ،

فعلا بـ « إينانا » ، ثم سلم ، حسب رواية واحدة على الأقل ، من قبلها إلى الشياطين الذين حملوه إلى العالم السفلى .

وكانت الوطنية ، أى حب البلاد، وعلى الأخص حب المدينة الخاصة ، قوة محرّكة قوية في الفكر والعمل السومريين . ومن الطبيعي أن حب دولة — المدينة هو الذى بدأ أولا ، ولم يحل محله حب بلاد سومر ككل أبداً . وكان سكان أية مدينة يعرفون بـ « أبناء » ها وكانوا يعتبرون وحدة قوية التماسك والتداخل . وكانوا عادة يفخرون بمدنيتهم وإلههم وحاكمهم ، وكانوا دائماً على استعداد لحمل السلاح من أجلهم . وكان النزاع بين دويلات المدن ، الذى برهن من بعض النواحي على أنه كان سبب خراب بلاد سومر ، مريراً وبلا انقطاع ، وكانت المدن ترفض التخلي عن استقلالها بكل عناد . أما متى بدأت بلاد سومر تفكر بنفسها كشخصية سياسية مؤلفة من بلاد مجزأة إلى عدد كبير من دويلات المدن ، فإنه أمر مازال غير مؤكد ، على أن هذا التفكير لا بد أن يكون قد ظهر قبل عام ٢٥٠٠ ق . م . ببضعة قرون . وكما تظهر التراتيل المسكية ، كان واجب الملك المقدس والوطني الدفاع عن البلاد ضد الأعداء وتحقيق الأمان والرفاه « للبلاد » ، كما كان يشار في الغالب إلى سومر . وكان السومريون « أبناء سومر » من أيام سلالة « أور » النالشة على الأقل يعرفون بـ « الرؤوس السود » و « الإخوة » . ويكشف حب الناس لمدينتهم ودولتهم عن نفسه بشكل خاص في المراثى المريرة المحزنة التى كان الشعراء ينوحون فيها على تدمير كل من المدينة والدولة .

وحيثما يوجد الحب يوجد الكره ، ولم تشذ بلاد سومر في هذه الناحية . فـ « جلجامش » يقابل بين الزوجة المحبوبة والزوجة المكروهة ، وبين الابن المحبوب والابن المكروه في الأسطر التالية التى سبق ذكرها .

لا تقبّل زوجتك التى تحبها ،
ولا تقبّل ابنك الذى تحبه ،

لا تضرب زوجتك التي تكرهها ،
ولا تضرب ابنك الذي تكرهه .

ويقابل « أينمركار » بين إلب والكركه بواقعة معبرة في تضربه إلى « إينانا »
الذي ذكر سلفاً . وكان الإله « هندورساج » ملكا « يحب العدالة »
ولكنه « يكره العنف » . حقاً ، لقد كان الكركه يلعب ، إذا لم أكن على خطأ ،
دوراً بارزاً في السلوك السومري . وكما ستري فيما بعد ، كانت المؤسسات السومرية
السياسية والاقتصادية والتعليمية مصبوغة بعمق بالمنافسة العدوانية وبالإندفاع نحو
تحقيق الشهرة والبروز اللذين لا بد أنهما أوحيا بمقدار كبير من الكركه والإزدراء
والاحتقار .

وكانت الآلهة أيضاً ، وبصورة متكررة تظهر الكركه والغضب . فـ « أنليل »
نفسه بـ « جبين مقطب » يميت سكان « كيش » (ويسحق بيوت « الوركاء » حتى يحميها
إلى تراب) ثم ، لأن « يكور » (أى معبده) في « نقر » قد نهب ودنس ، جلب
« أنليل » « الطوفان العارم الذي لا مثيل له » الدمار الكامل تقريباً على بلاد سومر
كلها وذلك بالإتيان بالـ « جوتين » البرابرة من جبالهم . ولم يكن بالإمكان زحزحة
الآلهة الأربعة العظيمة « آن » و « أنليل » و « أنكي » و « ننتو » عن قرارها لتدمير
« أور » وسومر في حكم الملك « أبي - سين » وأما « نينخورساج » فقد أعلنت
بحق لعنة موت على « أنكي » الذي أكل النباتات الثماني اللواتي خلقتهن .
ويلعن « ننورتا » بمنضب الأحجار التي تصرف نحوه تصرفاً عدائياً في نضاله مع
الشیطان « آساج » وأما « إيريشكيغال » ، مملكة العالم السفلي فقد « عضت وركها
وكان الغضب يستولى عليها » عندما أعلن رئيس حجابها « نيتي » عن وصول أختها
« إينانا » إلى « قصر العالم السفلي » .

ولكن التي كانت تصور في الميثولوجيا السومرية على أنها تكره بعنف ، كانت

تصور أيضاً ، كما يتوقع ، كأعظم العاشقات ألا وهي « إينانا » التي كانت قاسية طموحة مغامرة ، بيد أنها كانت كما هو واضح جذابة أيضاً . فعندما « ارتدى دوموزي حلة نجمة » و « تربع على كرسيه » بدلا من التذلل أمام زوجته « إينانا » ، بعد صعودها من العالم السفلي بقليل تملكها الغضب وسلمته إلى شياطين العالم السفلي السبعة الذين كانوا يراقبونها ، أو كما وضع الشاعر ذلك :

لقد حملت بعينها فيه ، عين الموت ،
ونطقت بالكلمة ضده ، كلمة الموت ،
وأطلقت الصيحة ضده صيحة الجريمة

وعندما استغل البستاني « شو كاليتودا » تعب « إينانا » المهوكة وقام باغتصابها غضبت غضباً شديداً حتى إنها أرسلت ثلاثة أوبئة مدمرة على بلاد سومر في محاولة يائسة لاعتور على مكان المعتدى عليها : ولما رفض « جلجامش » اقتراحات « إينانا » في الحب ، أنزلت « ثور السماء المتوحش » لتدمير « الوركاء » مدينة « جلجامش » . حتى في الأدب الخاص بالترانيم ، كانت « إينانا » توصف في بعض الأحيان بأنها إلهة غضب شديد ودمار عنيف .

وكان الخوف ، كالكره يفضى إلى صبنغ أسلوب الحياة السومرية بالعتمة العميقة . فمن المهد إلى اللحد كان للسومري من حين لآخر سبب يدفعه إلى الخوف من والديه ومن معاميه ومن أصدقائه ورفاقه المواطنين ، ومن رؤسائه وحكامه ومن العدو الأجنبي ، ومن عنف الطبيعة ، ومن الحيوانات المتوحشة ، ومن الوحوش والشياطين الشريرة ، ومن المرض والموت ومن نسيان الناس له . فلا عجب إذن إذا كان التجحر من الخوف أهم مظهر من مظاهر العصر الذهبي للإنسان حسب رأى المفكرين السومريين ، أو كما ورد على لسان الشاعر :

في يوم من الأيام لم توجد هناك حية ولم توجد عقرب ،

لم يوجد ضبع ، ولم يوجد أسد ،
ولم يوجد كلب متوحش ولا ذئب ،
ولم يوجد هناك خوف ، ولا رعب ،
ولم يكن للإنسان منازع .

ولنتقل الآن من الدوافع والحوافز العاطفية إلى القيم التي عمت الحياة السومرية ونبدأ بما هو أساسى وجوهري في كل الحضارات وهي الحياة نفسها ، والأهمية التي أعطيت لها . لقد كان حب الحياة يعم المدينة السومرية في كل أشكالها ومظاهرها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية . وكان السومريون يكتبون بصراحة وبشكل معبر على الهدايا الفندرية العديدة التي كانت تقدم للإله أو آخر بأنهم كانوا يفعلون ذلك من أجل مدّ أمد حياتهم الخاصة ومن أجل حياة أولئك المقربين إليهم ، كما أن الصلوات الترنيمية للملكية طامخة بأدعية خاصة من أجل حياة الملك الطويلة . وكان البحث العقيم والحزن عن الحياة الخالدة من المواضيع المحببة في الملحمة العراقية . وعلى حين كانت الشعوب والحضارات جميعها تعزّز بالحياة وتقدرها تقديراً كبيراً إلا أن السومريين تعلقوا بها تعلقاً شديداً بسبب اعتقادهم الديني بأن الروح الضعيفة تهبط بعد الوفاة إلى العالم السفلى المظلم والحيف ، حيث لم تكن الحياة هناك في أحسن حالتها سوى انعكاس كئيب بائس للحياة على الأرض . هذا ولم يكن هناك أمل بحياة في جنة يشد من القلب ويهدىء الروح ، على الرغم من وجود إشارات إلى أنه كان للصالح والمستحق مصير أكثر سعادة من مصير المؤذى والشرير ، على ما في هذا من تناقض واضح مع معتقدات السومريين الدينية .

وكانت القيمة التي توضع لارضاء والخير الماديين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحب الحياة . فقد كان السومريون يقدرون تقديراً كبيراً الثروة والممتلكات ومواسم الحصاد الغنية . وأهراء الحبوب اللينة والحظائر والرباط التي تعج بالماشية كبيرةا وصغيرها ، والصيد الناجح في البر وصيد السمك الموفق في البحر . وكان الملوك يفخرون دائماً في ترانيمهم

بجلبهم الرخاء والخير إلى البلاد وأهلها . وتطفح النصوص الخاصة بالمجادلات ، كنتك
التي تتمصل بـ « أيمش » و « أينتن » ، و « لاهار » و « أشنان » بالفقرات التي
تمجد الزراعة وتربية الماشية . وفي المراثي ، كان الشعراء باستمرار ، وفي تعابير لاشك
فيها ، ينوحدون على خسارة الممتلكات المادية . ونقدم هنا مثلاً واحداً في فقرات
معبرة من مرثية ألفت بعد دمار مدينة « أور » :

لقد سلبت ممتلكاتي كما لو كان « سالبها » جراداً كثيفاً زاحماً ،
آه ، يا ممتلكاتي ، سأقول ،
ممتلكاتي ، من جاء من الأراضي السفلى ، أخذها إلى الأراضي السفلى ،
آه ، يا ممتلكاتي ، سأقول ،
ممتلكاتي ، من جاء من الأراضي العليا ، أخذها إلى الأراضي العليا ،
آه ، يا ممتلكاتي ، سأقول .
معدني وحجري الثمين وحجري اللازوردى قد بعثرت هنا وهناك ،
آه ، يا ممتلكاتي ، سأقول .

وتحتوى الأمثال السومرية على العديد من الأقوال التي تهزأ بضعف الفقير وعجزه
وتعاسته ، فمثلاً !

إذا مامات رجل فقير لا يحاول إعادته إلى الحياة ،
فهو إذا امتلك الخبز ^{عُدم} الملح ، وإذا امتلك الملح ^{عُدم} الخبز فإذا كان لديه اللحم ،
لم يكن لديه البهار وإذا كان لديه البهار ^{عُدم} اللحم . الثراء صعب المنال ، ولكن
الفقر معنا على الدوام .

ليس للفقير سلطة .

ما أحط الرجل الفقير ، حافة التنور مطحنته

ردائه ، المزق يبقى بلا رتق ، وما يفقده لا يفقدش عنه أحد

ولا يوجد على ما يبدو أى أثر لوعود تنرى الفقير السومرى مثل (الوعد بـ وراثته الأرض) فى وقت ما خلال آلاف السنين القادمة ، أو (بوجود) « فطيرة فى السماء » كما تقول العبارة الأمريكية ولذلك من الجاز أن نخلص إلى أن اللهشة وراء الثروة كانت تلعب بلا شك دوراً مهماً فى الحياة السومرية .

وأخيراً ، على المستوى الخلقى والروحى ، تكشف الوثائق على أن السومريين كانوا يقدرون ويعتزون بالخير والصدق والقانون والنظام والعدل والحرية والحكمة والمعرفة والإخلاص ، وباختصار ، كانوا يقدرون جميع الفضائل والسجايا التى يرغب فيها الإنسان أكثر من كل شئ آخر . وكان يعتز حتى بالرحمة والعطف ، إذ يمارسان على الأقل فى حالة عدم التقيد بالقانون ، وذلك استنتاجاً من الإشارات العديدة إلى معاملة الأرامل واليتامى واللاجئين والفقراء والمظلومين بمعاملة خاصة من شأنها أن توفر لهم الحماية مما قد يتعرضون له من سوء معاملة الآخرين ، ومن الصعب أن تتابع تطور هذه القيم الخلقية الذى تم خطوة بعد خطوة فى الحضارة السومرية كما يصعب أيضاً تتبع مثل هذا التطور فى حضارتنا الراهنة . ولا بد أن تكون تلك القيم قد نشأت فى جزء منها على الأقل من امتداد عاطفة الحب الذى يشعر به الفرد نحو عائلته المباشرة إلى المجتمع بصورة عامة ، بل حتى إلى الإنسانية ككل وذلك لأن السومريين أو « الرؤوس السود » ، كما أصبحوا يعرفون ، قد أدركوا بكل وضوح بأنهم ليسوا إلا جزءاً من مجتمع بشرى أكبر كان يستوطن الـ « أوبدا » الأربع ، أى المناطق الأربع التى قسموا إليها العالم كله . وفى الواقع ، أصبحت الكلمة السومرية « نامالو » التى تعبر عن معنى « بشرية » ، كما أشار إلى ذلك حديثاً باحث شاب ، وهو « فان دايك » (J. J. A. Van Dijk) لا تعبر فى اللغة السومرية عن البشر بالمعنى السكلى فقط ، وإنما تعبر ، كالكلمة الإنكليزية التى تعنى « بشرية » ،

عن كل التصرفات والسلوك المميز للبشرية والجدير (للاطلاع على الأفكار السومرية عن العالم الذى يحيط بهم أنظر الفصل الثامن) وعلى هذا ، مثلاً ، يوضح الأب ابنه فى مقالة الـ « أيدوبا » (أى المدرسة) التى نقلت فى أعلاه ، وهى « كاتب وابنه الضال » ، ليس فقط بسبب العقوق الذى يصدم النفس ، أو بسبب فشله فى السير على نفس الطريق الذى سار فيه الأب ليصبح كاتباً ، وإنما بسبب أفعال ارتكبها لاتليق بإنسانيته .

ولكنه على الرغم من مثاهم العالية وأخلاقياتهم السامية ، فإنه ربما لم يكن بمقدور السومريين أبداً الوصول إلى هذا المدى من التطور ، أو إنجاز هذا القدر ، مادياً وروحياً ، لو لم يكن هناك حافز نفس خاص جداً حرك كثيراً من سلوكهم وصنع بعمق أسلوب حياتهم ، وهو الحافز إلى البروز والشهرة ، إلى الانتصار والنجاح ، الحافز الذى كان ينطوى على الطموح والتنافس والمفاخرة وكان على ما يبدو بعيداً كل البعد عن المثل الخلقية . لقد توصلت لأول مرة إلى فكرة أن إرادة التفوق ، أى الطموح الدافع إلى الانتصار على منافس ما ، كانت مصدراً مهماً للجوافز فى السلوك السومرى خلال جمع وترجمة القصائد والمقالات السومرية التى صنفها الكتاب الأقدمون أنفسهم بـ « منازعات » أو « محادلات » . فقد وصل إلينا عدد كبير من هذه المحادلات الأدبية التى لا تنقيد بشئ ، والتى تتصف بروح المفاخرة ، وتشير شعبيتها بصورة خاصة إلى أنها تعكس نمطاً من السلوك كان معروفاً عند السومريين حق المعرفة وموافقاً عليه من قبلهم . ولتورد بضعة أمثلة نموذجية فقط من الأسلوب المستخدم فى محاورات النزاع هذه ، إذ تقدم هنا أولاً جزءاً من أكثر الأجزاء وضوحاً من خطاب موجه معدن النحاس إلى معدن الفضة فى الجدل بين « النحاس والفضة » :

أيها الفضة^(١) أنت لا تجد مكاناً إلا فى القصر فقط ، هذا هو المكان الذى خصصت له ، ولو لم يكن القصر موجوداً ، لما وجد لك مكان ، ولزال ما كان يمكن أن يكون مكاناً لك (أربعة أسطر لا يمكن فهمها) .

(١) مخاطب الفضة فى النص بصيغة المذكر لأنها قد شخصت . (المترجم)

... في البيت (العادي) أنت تدفن في أكثر أماكنه ظلاماً ، في مقابر ، في « أماكن الهروب » (من هذا العالم) . وإذا حان وقت الإرواء ، أنت لا تمد الإنسان بالمعول النحاسي الذي يكسر جذامات النبات ، وهذا هو سبب عدم اهتمام أحد بك ! وإذا حان موسم الزرع ، أنت لا تمد الرجل بالفأس النحاسي صانع الحرث ، هذا هو سبب عدم اهتمام أحد بك ! وإذا حل الشتاء أنت لا تمد الرجل بالفأس النحاسي الذي يقطع خشب النار ، هذا هو سبب عدم اهتمام أحد بك ! وإذا حان موسم الحصاد ، أنت لا تمد الرجل بالمنجل النحاسي الذي يحصد القمح ، هذا هو سبب عدم اهتمام أحد بك ! ... (أربعة أسطر لا تقرأ) . أيها الفضة لو لم يكن هناك قصر لما كان لك موضع ولا سكن ، وسيكون القبر فقط « مكان الهروب » موطناً لك . أيها الفضة لو لم تكن هذه القصور ، لما كان لك مكان تخصص له ! ... (سطر ونصف لا يمكن قراءتها) . . . كأنك إله لا تضع يدك في أي عمل (نافع) كيف تجرأ إذن بالهجوم (؟) على كأنك ذئب (؟) ؟ ادخل إلى هياك المظلمة (؟) ونم في قبرك !

بهذا تنتهي كلمات النحاس ، ثم يواصل المؤلف قوله :

إن الإهانات التي ألقى بها النحاس الجبار عليه (أي على الفضة) جعلته يشعر بالبؤس ؛ هذه الإهانات المليئة بالخزي (؟) والمرارة جعلته يستشعر بالألم (؟) والحطة (؟) كما لو كانت ماء من بئر ملحة ... (سطر لا يقرأ) . . . ثم أجاب الفضة النحاس الجبار : ... (يأتي خطاب الفضة الشديد اللهجة للنحاس الذي لا يمكن قراءة أكثره في الوقت الحاضر) .

أو لئلاخذ فقرة من « الجدل بين الصيف والشتاء » :

ثم رد الصيف على الشتاء ، الذي ألقى باهاناته عليه : « أيها الشتاء لا تتباه بقوتك غير العادية ! إنني أعرف مخابك (؟) . دعني أخبرك أين « تنجحر » في المدينة ، إنك لا تستطيع أن تجد غطاء كافياً (؟) . أنت شخص سقيم (؟) وضعيف الإرادة ! الموقد (؟) حافة النار ذاتها ، التنور ، هذا هو جبلك (؟) !

رعائك ورعاة القطيع مع (قطعانهم) السكيفة من النعاج والخراف ، ضعاف الإرادة ،
يركضون أمامك كأغنام تهرب من موقد (؟) إلى تنور ، ومن تنور إلى موقد (؟) .
وخلال ذروة العاصفة أنت تحكم عليهم بالسعال المستمر (؟) .

بسيبك ، تصطك أسنان أهل المدينة على الدوام ، وخلال الأيام المبللة بالمياه (؟)
لا يمشی أحد في الطرقات . العبد يفرح بموقد النار (؟) ويقضى أيامه داخل البيت .
والأمة لا تخرج إلى حيث يهطل المطر ، وثقضى وقتها مع الملابس . خلال الشتاء
لا تزرع الحقول ولا يقوم أحد على شؤون أخايدها . . . (ثلاثة أسطر لا تفهم) . . .
لا تتباه بقوتك غير العادية ، دعنى أخبرك بالقواعد والأنظمة (التي تتحكم فيك) .

وأخيراً يوجد نموذج من خطاب مباهاة قدمه الإله ، الراعى « دوموزى » الذى
رفضت الإلهة « إينانا » طلبه للزواج منها تفضيلاً للإله — الفلاح « أنكىمدو » .

ولعب حافز التنافس من أجل التفوق والبروز دوراً كبيراً في التعليم المنتظم عند
السومريين ، الذى كان يستغرق سنوات عديدة من المواظبة على المدرسة والدراسة ،
وكان يستفاد من هذا الحافز ، مع ما يرافقه من الضرب بالسوط والعصا ، بشكل
مقصود من قبل الآباء والمعلمين جميعهم لدفع الطالب إلى إجهاد نفسه إلى أقصى ما يمكن
للإمام بمنهاج دراسة معقد ، وأبعد ما يكون عن الاثارة ، وذلك لأجل أن يصبح كاتباً
ناجحاً ، وباحثاً خبيراً ذا معرفة . فمثلاً نجد في مقالة « أيام المدرسة » التى بحثت في
الفصل السادس ، المعلم يشجع الطالب الطموح بكلمات الإقناع التالية : « من بين
إخوتك عسى أن تكون قائدهم ، ومن بين رفاقك عسى أن تكون زعيمهم ، وعسى
أن تبلغ أعلى مرتبة بين طلاب المدرسة » . أو ، لنأخذ المقالة « الجدل بين أنكىمانسى
وجير ينشاج » ، حيث نجد كلمات الطالبين المتخاصمين تعج بشتائم مهينة ومليئة بالذم
مثل « أبله » و « مغفل » و « وباء » و « أمى » و « عامل أخرق » ، و « كيس
هواء » الخ . أضف إلى ذلك أن هذه المقالة بالذات تنتهى بجملة تثير حدى محيراً ولكنه
حدس موضح يتصل بمظهر هام آخر من مظاهر الحضارة السومرية ، ألا وهو

التأ كيد على القانون والقانونية والولع بسن الشرائع وكتابة الوثائق القانونية الذي اتقه إليه منذ زمن طويل على أنه مظهر سائد في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. إن هذه الجملة تقرأ على الوجه التالي : « في الجدل بين أنكيانسي وجير ينشاج المعلم يصدر الحكم » . إن الكلمة السومرية المستعملة هنا بمعنى « حكم » هي نفس التعبير المستعمل للأحكام في مرافعات المحاكم . وليس بوسع المرء أن يكبح فكرة أن الأهمية غير العادية التي ربطها السومريون بالقانون والضوابط القضائية تعود جزئياً على الأقل ، إلى ذلك النمط من السلوك المثير للمشاكسة والمغامرة الذي كان يميز حضارتهم .

وإذا انتقلنا إلى المسرح السياسي ، نجد في حوزتنا في الوقت الحاضر قصتين ملحميتين على الأقل تمجدان انتصار رئيس دولة — المدينة السومرية في « الوركاء » على خصم وقح كان يحكم دولة — مدينة « أرتا » التي لم تكن واقعة في بلاد سومر ، وإنما على ما يحتمل ، في مكان ما بالقرب من بحر قزوين . ونجد استنتاجاً من محتويات هاتين القصيدتين ، طموح كل من هذين الحاكمين هو أن يضعف روح خصمه المعنوية بنوع من « حرب الأعصاب » ، وبهذا يجعل منه ومن رعيته أتباعاً خاضعين له . إن القصتين طافحتان بالشتائم ، والتهديدات التي كانت تنقل حيئة وذهاباً من قبل الرسل والسفراء ، بالإضافة إلى التحديات والمنازعات . وأخيراً يبرز سيد مدينة « الوركاء » كمنصرف يقدم له ، حسب رواية إحدى القصيدتين ، خصمه المهزوم سيد مدينة « أرتا » الخضوع الميّن في هذه الكلمات التي تفصح كل الإفصاح عن ذلك :

أنت محبوب الإلهة « إينانا » ، أنت وحدك ممجد ،

حقاً ، لقد اختارتك « إينانا » لحجرها المقدس ،

من (الأقطار) السفلى ، إلى (الأقطار) العليا ، أنت سيدها ،

وما أنا إلاّ بعدك .

من (لحظة) الحمل ، لم أكن قريباً منك أنت « الأخ الكبير » .

ولا يمكن مقارنتي بك قط !

ومن الأمور التي تكشف أيضا بالنسبة للدوافع التي تدفع السومريين للعمل من أجل تحقيق الجبهة السياسية هو العدد الكبير من التراثيم الملكية في معجيد الذات التي يعدد فيها الملك السومري فضائله وإنجازاته الشخصية دون خجل وبلا حدود ، بلغة تنسم بالأحرى بالغلو والمبالغة .

وهكذا يتضح تمام الوضوح بأن الحافز إلى التفوق والشهرة قد طبع بعمق النظرة السومرية إلى الحياة ولعب دوراً هاماً في تعليمهم وسياساتهم واقتصاديتهم . ويوحى هذا بنظرية مبدئية مفادها أن الولع الملىء بالغامرة نحو النزاع والحركة الطموحة من أجل البروز كان يمد السومريين بشكل لا يختلف عما في الحضارة الأمريكية الحديثة من تأكيد شديد على المنافسة والنجاح ، وكان ذلك بحافز نفسى قوى يوقد وينذى التطورات المادية والحضارية التي اشتهر بها السومريون بحق : مثل تعميم الرى ، والاختراع التقنى والمباني الضخمة وتطوير نظام الكتابة والتعليم . ومن الحزن القول بأن حب المنافسة والبروز حمل في طياته بذرة تدمير النفس وساعد على إثارة الحروب الدموية المصحوبة بالكوارث بين دول - المدن وعرقلة توحيد البلاد بكاملها ، وبهذا تعرضت بلاد سومر للهجمات الخارجية التي قضت عليها في نهاية الأمر . وكل هذا يمدنا بمثل تاريخي آخر على متناقضات القدر اللاذعة المتأصلة في الإنسان ومصيره .

1

1

1

الفصل الثامن

تراث سومر

إذا افترضنا بأن للمدينة قيمة ما بالنسبة للإنسان فإن للسومريين الذين اقترضوا منذ زمن طويل أن يشيروا باعتزاز « بعيد عن الكبرياء » إلى الإبداعات والاختراعات والمؤسسات العديدة التي ساعدوا على تأسيسها . حقاً ، قد يقال بأن هذه الإنجازات كانت ستخرج إلى الوجود على أية حال سواء أوجد السومريون أم لم يوجدوا ، ولكن هذا القول ليس في صميم الموضوع — لأن السومريين كانوا الأوائل في هذه الميادين وليس من العدل أن يعطى الفضل إلى من لا يستحقه . ومهما يكن الأمر ، فإننى سأحاول في هذا الفصل أن أصف باختصار وبتأن بعضاً من إسهاماتهم الأكثر وضوحاً وأهمية في حضارة الإنسان . بيد أنه قبل أن نتحول إلى تراث سومر للأجيال المتأخرة — دعنا نلقى نظرة على الأخذ والعطاء اللذين تحققا بين السومريين وجيرانهم القريبين والبعيدين في العهود التي كانوا فيها أحياء وصناعاً للتاريخ بدلاً من أن يصبحوا أنفسهم مادة تاريخية . ولنبداً بـ « أراتا » وهي مدينة بعيدة كانت تقع على ما يحتمل في شمال غرب إيران على مسافة قريبة من بحر قزوين ، لا تدين لشهرتها واسمها إلى إنجازاتها الخاصة ، ولو أن هذه كانت على ما يبدو إنجازات لا بأس بها ، وإنما إلى منشدى بلاد سومر وشعرائها الذين كانوا لسبب ما زال مجهولاً حتى الآن ، يتغنون بمعادنها وأحجارها وبصناعاتها وعمالها المهرة ويحماكمها التحدى بوقاحة وبـ « مشاشا »^(١) الواصل بنفسه إلى درجة التباهى وبإلهتها المحبوبة ، التي تبدو بأنها لم تكن سوى « إينانا » إلهة بلاد سومر .

فقد نشرت في سنة ١٩٥٢ قصيدة سومرية بعنوان « إنهمكار وسيد أراتا : قصة ملحمة سومرية من العراق وإيران » ، وتؤلف القصة من أكثر من ستائة سطر ، جاءت بحالة حسنة نسبياً ، جمعت من عشرين لوحاً وكسرة لوح توجد في

(١) صنف من أصناف الكهنة (المترجم)

الوقت الحاضر في متحف الشرق القديم في اسطنبول وفي متحف الجامعة التابع
لجامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية . إن بطلي هذه القصة الملحمية الرئيسين
هما « إينموكار » ، وهو حاكم كهنوتي - أو (أن en) ، إذا استعملنا الكلمة
السومرية نفسها ، في « الوركاء » وهي مدينة سومرية قديمة نقب فيها الألمان على
فترات متقطعة خلال الثلاثين سنة الماضية ، وحاكم (أن) ، مجهول الاسم في « أراتا » ،
وهي دولة مدينة هامة ولكن موقعها ما زال غير محدد في إيران القديمة . وتسير
محتويات هذه القصة الملحمية السومرية التي ستقدم باختصار على الوجه التالي :

في قديم الزمان ، بعد أن عزم « إينموكار » ، ابن الإله - الشمس « أوتو »
على جعل « أراتا » دولة تابعة له ، ناشد أخته « إينانا » ، إلهة الحب والحرب
السومرية القوية لتحمل سكان « أراتا » على جلب الذهب والفضة وحجر اللازورد
والأحجار الكريمة والقيام بتشييد المزارات والمعابد المختلفة له ، ولا سيما معبد البحر
الخاص بالإله « أنكي » في مدينة « أريدو » .

ونصحت « إينانا » « إينموكار » ، بعد أن استجابت إلى التماسه باختيار رسول
لائق ليعبر جبال « أنشان » العظيمة وأكدت له بأن سكان « أراتا » سيذعنون
له وينجزون أعمال البناء التي يريدها . فاختار « إينموكار » رسوله وبعث به إلى سيد
« أراتا » مع رسالة تتضمن تهديداً بتدمير مدينته وتحويلها إلى أرض مقفرة ما لم
يجلب هو ورعاياه الفضة والذهب ويشيدوا ويزينوا له معبد الإله « أنكي » . ولكي
يكون التأثير فيه أكثر عمقا ، أوصى « إينموكار » رسوله بأن يتلو عاينه « رقية أنكي »
التي تتحدث عن الكيفية التي وضع بها الإله « أنكي » نهاية « عصر » الإنسان
« الذهبي » تحت حكم الإله « أنليل » العام على الأرض وسكانها .

ووصل الرسول ، بعد عبور سبعة جبال ، إلى « أراتا » وأعاد كلمات سيده على
مسمع حاكمها على الوجه الأكمل وطلب منه جواباً على ذلك . بيد أن هذا رفض
الإذعان لـ « إينموكار » ، مدعياً بأنه نحمي من قبل « إينانا » وإنها هي التي أتت به

إلى « أراتا » ليكون حاكماً عليها . فأخبره عندئذ الرسول بأن « اينمركار » قد جلب « اينانا » إلى « الوركاء » وأقامها ملكة في معبدها « أى — أنا » وأن الإلهة نفسها قد وعدت « اينمركار » بخضوع مدينة « أراتا » له .

وصفق سيد « أراتا » بهذا النبأ ، وكتب جواباً سلمه إلى الرسول ليعود به إلى ملكه « اينمركار » محذراً فيه إياه من اللجوء إلى السلاح وقال بأنه يفضل القيام بـ « مبارزة » ، أى قتال بين بطلين يختاران لذلك . ثم استرسل بقوله ، لأن « اينانا » أصبحت عدوة له ، فإنه على استعداد للإذعان إلى « اينمركار » بشرط أن يبعث له بمقادير كبيرة من القمح . وعاد الرسول إلى « الوركاء » بأقصى ما يمكن من السرعة وسلم الرسالة إلى « اينمركار » في ساحة باحة قاعة الاجتماع .

وقبل أن يخطو « اينمركار » خطواته التالية ، أنجز عدداً من الأعمال التي كانت على ما يبدو ذات طبيعة تعبدية . فقد استشار أولاً « نيدابا » إلهة الحكمة السومرية . ثم أمر بتجهيل حيوانات النقل بالحبوب ، وسار بها إلى « أراتا » الرسول الذي كان عليه أن يسلم الحاكم رسالة تنطوى على الإشادة بصولجان « اينمركار » فأمر الحاكم بإرسال حجر العقيق واللازورد إليه . وكدس الرسول عند وصوله الحبوب في الباحة وسلم رسالته وأظهر الناس ، بعد أن فرحوا برؤية القمح ، استعدادهم لإعطاء « اينمركار » ما كان يرغب فيه من العقيق (ولم يذكر شيء كإيدوعن حجر اللازورد) وقيام « كبار المدينة » ببناء بيته العاشر له . ولكن حاكم « أراتا » الذي فقد أعصابه رفض ذلك وأصر ، بعد الإشادة بصولجانه بكلمات مطابقة لكلمات « اينمركار » ، على أن على الأخير أن يرسل إليه حجر العقيق واللازورد .

وعند عودة الرسول إلى « الوركاء » قام « اينمركار » على ما يبدو باستخارة الفأل ، وعلى الأخص الفأل الذى يتصل بقصبة من نوع « سوشينا » أخذ ينقلها من « الضوء إلى الظل » ومن « الظل إلى الضوء » إلى أن قطعها أخيراً « بعد مضي خمس سنوات وعشر سنوات » . وبعث بالرسول مرة أخرى إلى « أراتا » مكتفياً في هذه المرة بمجرد

وضع الصولجان بيده دون أن يرسل رسالة معه . ويبدو أن منظر الصولجان أثار الرعب عند سيد « أراتا » فالتفت إلى « شاتامه » وبعد أن تكلم بمرارة عن المأزق الذى وقعت فيه المدينة كنتيجة لغضب « إيفانا » يبدو أنه أصبح على استعداد للإذعان إلى « إينمركار » ولكنه مع ذلك تحدى « إينمركار » مرة أخرى . فقد طلب فى هذه المرة من « إينمركار » أن يختار واحداً من « رجاله المحاربين » كممثل له ليدخل مبارزة واحدة مع واحد من « رجاله المحاربين » وعندئذ سيعرف الأقوى . وكان هذا التحدى ، الذى جاء فى تعابير تشبه اللغز ، يشترط ألا يكون التابع المنتخب أسود ولا أبيض ولا أسمر أو أصفر ولا مرقطاً — وهى صفات تبدو كلها عديمة المعنى إذا كان المقصود بذلك إنساناً .

وعند وصول الرسول إلى « الوركاء » بهذا التحدى الجديد ، أمره « إينمركار » بالعودة إلى « أراتا » مع رسالة من ثلاثة أجزاء : (١) إنه (أى إينمركار) قبل تحدى سيد « أراتا » وإنه على استعداد لإرسال أحد أتباعه ليقاتل ممثله حتى الموت ، (٢) اطلب من سيد « أراتا » بأن يكس الذهب والفضة والأحجار الكريمة للإلهة « إيفانا » فى « الوركاء » ، (٣) وتهديد « أراتا » مرة أخرى بالتدمير الشامل مالم يجلب سيدها وأهلها « أحجار الجبل » لبناء معبد « أريدو » وتربيته له .

إن كلمات « إينمركار » فى الجزء الأول من الرسالة توضح على ما يبدو تعابير سيد « أراتا » الشبيهة باللغز حول لون التابع الذى سينتخب للمنازلة . ف « إينمركار » وضع كلمة « رداء » عوضاً عن كلمة « رجل محارب » وكان يقصد بالألوان على ما يفترض الإشارة إلى ألوان الملابس التى يرتديها المتحاربان وليس إلى ألوان أجسامهم . وتأتى بعد ذلك جملة جديدة بالملاحظة تخبرنا ، إذا صح تفسيرها ، بأن « إينمركار » كان ، فى رأى الشاعر ، أول من كتب على الألواح الطينية وأنه فعل ذلك لأن رسوله كان « ثقيل الكلام » عاجزاً عن ترديد الرسالة شفويّاً ، وذلك بسبب طولها على ما يحتمل . وسلم الرسول اللوح المكتوب إلى سيد « أراتا » وانتظر منه جواباً عن ذلك . ولكن العون على ما يبدو قد جاء إلى الحاكم من جهة غير متوقعة . فقد

جلب إله المطر والزوابع السومري « إشكور » لـ « أراتا » قحاً وفولاً برين ووضعها
أكداسا أمام الحاكم . وعند رؤية القمح تشجع الحاكم وأبلغ رسول « إينمركار »
بعد أن استعاد ثقته بنفسه ، بأن « اينانا » لم تتدخل عن مدينة « أراتا » أو عن
بيتها وخذعها هناك أبداً .

ويصبح الفصل من بعد هذه الجملة مهيئاً إلى درجة يصعب معها متابعة سياق
السلام ، باستثناء القول بأن أهل « أراتا » قد جلبوا الذهب والفضة وحجر الازورد
إلى « الوركاء » ووضعوها أكداسا في باحة معبد « أى — أنا » للإلهة « اينانا » .

وفي قصيدة ملحمية سومرية أخرى مؤلفة من حوالى ثلثمائة سطر ، لم تنشر حتى
هذا التاريخ إلا جزئياً ، نجد « اينمركار » سيد « الوركاء » مرة أخرى في نزاع مرير
مع حاكم في مدينة « أراتا » كان في هذه الحالة يحمل الاسم السومري الأصيل
« اينسو كوشسيرانا » . إن أحداث هذه القصة إذا ما وضعت باختصار تجرى على
الوجه التالى :

في الأيام التى كان فيها شخص باسم « ايناميراجا — أوتو » ماسكا على
إمبراطورية كانت تشمل على مايفترض بلاد سومر وأجزاء من إيران القديمة ، وجه
« اينسو كوشسيرانا » سيد « أراتا » تحدياً إلى « اينمركار » سيد « الوركاء »
يطالب فيه الاعتراف به كسيد له وجلب الإلهة « اينانا » إلى « أراتا » . ولكن
« اينمركار » قابل هذا التحدى بالازدراء وأعلن في خطاب مطول وصف فيه نفسه
بكونه هو المفضل عند الإلهة ، بأن « اينانا » ستبقى في « الوركاء » وطلب
« اينسو كوشسيرانا » أن يكون تابعاً له . وجمع « اينسو كوشسيرانا » أعضاء مجلس الشورى
وطلب إليهم إبداء النصيحة فأشاروا عليه بالخضوع لـ « اينمركار » ولكنه رفض
قبول هذه النصيحة بسخط . وعندئذ تقدم كاهن « المشاش » في « أراتا » لنصرتة
مدعياً بأنه سيخضع « الوركاء » — بل سيخضع في الواقع جميع الأقطار « العليا
والسفلى الممتدة من البحر إلى جبل الأرز » — بفعل قوته الساحرة ، فسر

« إينسوكوشسيرانا » بذلك ومنحه خمس «مانات» من الذهب وخمس «مانات» من الفضة بالإضافة إلى اللوازم الضرورية الأخرى ووصل «المشاش» إلى «الوركاء» في الوقت المناسب ، ولكنه غلب على أمره من قبل راعيين للإلهة «نيدابا» وعجزوا بحكمة تحمل اسم «إساجبورو» الذين تمكنوا من قتله أخيراً وإلقاء جثته في نهر الفرات . ولما سمع «إينسوكوشسيرانا» بما حل به «مشماشه» بعث على عجل برسول إلى «إينمركار» ليعلن عن استسلامه استسلاماً تاماً وعن اعترافه بذل على أن «إينمركار» كان أرفع منه مقاماً .

وتكشف لنا محتويات قصة ملحمة سوهريّة أخرى عن الاتصالات السياسية والدينية والحضارية الثابتة جداً بين «الوركاء» و «أراتا» ، وهي القصة التي يمكن أن نعنون بـ «لوجال بندا وإينمركار» . تتألف هذه القصة من أربعائة سطر تقريباً ونورد فيما يأتي تفاصيلها التي تتصل بالموضوع الذي نحن بصدده :

«لوجال بندا» ، واحد من أبطال «الوركاء» الملتزمين إلى حاشية «إينمركار» العسكرية قد عاد لتوّه إلى «الوركاء» من رحلة مخوفة بالمخاطر ليجد سيده ومولاه في محنة شديدة . فلامدة سنوات خلت كان الـ «مارتو» الساميون يقومون بنهب كل من سومر و «أوري» (التي تقابل تقريباً بلاد كد في الفرات المتأخرة) وكانوا يحاصرون وقتئذ «الوركاء» نفسها حتى أن «إينمركار» كان يرى بأنه ينبغي أن يبعث بنداء يطلب فيه المساعدة من أخته (التي لم تكن غير الإلهة إينانا في أراتا) بيد أنه لم يستطع الحصول على أحد ليقوم بهذه الرحلة الخطيرة إلى «أراتا» لتسليم الرسالة وعندئذ تقدم «لوجال بندا» نحو ملكه وتطوع لإنجاز هذه المهمة بشجاعة ، وبموجب إصرار «إينمركار» على سرية المهمة أقسم على أنه سيقوم بهذه الرحلة بمفرده دون مرافقة أصحابه له . وبعد أن تسلم من «إينمركار» كلمات رسالته إلى «إينانا» بدقة هرع «لوجال بندا» إلى أصدقائه وأتباعه وأخبرهم برحلته المرتقبة . فحاولوا إقناعه بالعدول عنها ولكنهم لم ينجحوا في ذلك . فتناول سلاحه واجتاز الجبال السبعة التي تمتد من طرف «أشنان» إلى طرفها الآخر — أو كما جاء على لسان الشاعر :

« من كتف أشنان » إلى « رأس أشنان » . ووصل أخيراً بخطى مليئة بالسعادة إلى مكانه المقصود .

وفي « أراتا » ، قوبل « لوجال بندا » بترحيب حار من قبل « إينانا » . ثم سأله عما جاء به وحيدا من « الوركاء » إلى « أراتا » فأعاد عليها رسالة « إينمركار » كلمة كلمة ، وطلبه للعون . وكان جواب « إينانا » غامضا ، فهو يتصل على ما يبدو بنهر وبسمكه غير الغريب الذي كان على « إينمركار » القيام بصيده . وكان يتعلق أيضاً بآنية ماء معينة كان عليه أن يصنعها . وفعل « إينمركار » ما أمر به واختتمت القصيدة بتسليحة حمد لـ « أراتا » التي يبدو بأنها قامت بتجهيز « إينمركار » بصناع المعادن والأحجار .

إن محتويات القصص الملحمية السومرية الثلاث التي لخصت في أعلاه ذات أهمية غير قليلة بالنسبة للضوء الذي تلقيه على دولة — مدينة « أراتا » الإيرانية القديمة التي لولا ذلك لبقيت غير معروفة تقريبا ، فهي تمدنا بعدد من التفاصيل التي توحى بأفكار كثيرة تتصل بالتنظيم السياسي في « أراتا » وباقتصادها وديانتها ، وكل هذه أمور جديدة تماما ولم تكن متوقعة . فمثلا نجد ، وفقا لقول شاعرنا السومري ، بأن رئيس « أراتا » السياسي كان ، كما في دولة — مدينة « الوركاء » تماما ، قائدا عسكريا ودينيا يعرف بـ « أن en » وأنه كان يحمل اسما سومريا . ونجد أيضا بأنه كان في « أراتا » موظفون سياسيون آخرون من ذوى الرتب العالية يحملون ألقاباً سومرية مثل « أنسى ensi » و « سوكال » و « شاتام » و « راجابا » و « أوجولا » ، وأنه كان لـ « أراتا » كما كان لدولة — المدينة السومرية مجلس استشاري ، كان بإمكان حاكم المدينة ، على كل حال ، أن يتجاهل رأيه إذا شعر بميل للقيام بذلك .

أما بالنسبة للديانة ، فذجن نكتشف بأن مجمع الآلهة السومري كان يُعبد في مدينة « أراتا » وكانت إلهتها الحامية الإلهة السومرية « إينانا » التي ، استناداً إلى أولى قصائدها الملحمية « إينمركار وسيد أراتا » لم تعان « ماسكة في معبد أي — أنا »

في « الوركاء » من قبل « اينمركار » إلا في وقت متأخر . وكان « دوموزى » إلهاً آخر محبوباً في « أراتا » . وقد عرف هذا الإله لفترة طويلة كحاكم « الوركاء » المؤله - الراعى الذى ، وفقاً لآراء كتاب الميثولوجيا السومرية ، أصبح زوج « اينانا » الحبيب المحكوم عليه بالموت . ومن الناحية الأخرى كان الإله « إنكى » ، الذى كان « اينمركار » على ما يبدو تابعاً مخلصاً له ، يقف بالأحرى موقفاً معادياً من « أراتا » وسيدها .

وكانت ثروة « أراتا » الاقتصادية ، استدلالاً من قصائدها ، تتألف بصورة رئيسة من الذهب والفضة وأصناف متنوعة من الحجر ، وكانت علاوة على ذلك مشهورة بصناعاتها الماهرة في صناعات المعادن والحجر وبينائيتها ونحاتيتها . ولهذا السبب ، دون ريب ، كان حكام « الوركاء » ، وهى منطقة تقتقر إلى الأحجار والمعادن ، تواقين لضم « أراتا » إلى دولتهم . . ومن الناحية الأخرى لم تكن « أراتا » غنية بالقمح الذى كانت « الوركاء » تمتلك كميات وفيرة منه ، وربما كان هذا هو سبب استعداد سكانها للإذعان إلى « الوركاء » على الرغم من معارضة حاكمهم لذلك .

ولم تنتقل الآن إلى الإشارات الجغرافية التى وردت في قصائدها ولمحاولة معرفة موقع « أراتا » المحتمل على الخارطة . قبل كل شئ ، إننا متأكدون إلى درجة معقولة بأن « أراتا » كانت تقع في إيران ، لأن قصائدها تصفها كمنطقة مفصولة عن « الوركاء » الواقعة في جنوب العراق بكل بلاد « أنشان » من « كتفها » إلى « رأسها » ، وتقع « أنشان » ، كما يتفق على ذلك أغلب الباحثين في جنوب غرب إيران . بيد أن مشكلة تبرز عند محاولة إيجاد موقع « أراتا » بالنسبة لـ « أنشان » . فهل يفتش عنها في شمال « أنشان » باتجاه بحيرة أورميا وبحر قزوين ، أو إلى الشرق منها باتجاه بلوخرستان والهند ، أو إلى الجنوب باتجاه لورستان والخليج العربى ؟ ومرة أخرى قد تعطينا قصيدة ملحمية سومرية الجواب عن هذه الأسئلة . إن هذه القصيدة ، التى من الجائز أن تعنون بـ « لوجال بندا وجبل حوروم » بقيت في غالبيتها غير قابلة لفهم حتى سنة ١٩٥٥ عندما أصبح لوح كبير ذو ستة حقول من مجموعة

«هلباشت» في جامعة «فردريش شيلر» في «بين» تحت تصرف الباحثين . إن هذا النص يسرد القصة التالية :

لقد عقد «إينمركار» سيد «الوركاء» العزم على القيام برحلة إلى «أراتا» بهدف أن يجعلها دولة تابعة له . ووصل إلى جبل «حوروم» تصحبه مجموعة كبيرة من رجال «الوركاء» تحت قيادة سبعة أبطال لم تذكر أسماءهم و «لوجال بندا» الذي، أقتباساً من القصيدة، «كان ثامهم» . ومريض «لوجال بندا» هناك وفعل إخوانه وأصدقائه كل ما يمكنهم فعله في سبيل شفائه ، إلا أن عملهم لم يجد نفعاً ، وقرروا ، بعد أن اعتبروه ميتاً ، ترك جثمانه على جبل «حوروم» ومواصلة رحلتهم إلى «أراتا» على أن يحملوه عند عودتهم ويعيدوه إلى «الوركاء» غير أن «لوجال بندا» لم يمت، وصلى بعد أن تخلى عنه وترك إلى آلهة الشمس والقمر ونجمة الزهرة (فينوس) فأعادوا إليه صحته . وبدأ يحجوب الأراضي في السهوية المرتفعة ، ولا بد أن تركه هنا في الوقت الحاضر . لأن نصوصنا المتيسرة تنقطع عند هذه النقطة .

ويتضح من تلك القصيدة أن جبل «حوروم» كان يقع في مكان ما بين «الوركاء» و «أراتا» ، ولما كان من المعقول الافتراض بأن جبل «حوروم» كان الموطن الأصلي للشعب «الحوري» الذي كان يستوطن مناطق مجاورة لبحيرة «وان» ، فإنه من الجائز أن نخلص إلى أن «أراتا» كانت تقع بجوار بحيرة «أورميا» ، أو ربما حتى في مكان أبعد من ذلك باتجاه الشرق . وفي الواقع من الممكن أن تقارن حملة «إينمركار» إلى «أراتا» إلى حد ما مع حملة «سرجون» الثاني التي تمت بعد أكثر من ألفي سنة (٧١٤ ق م) إلى بلاد «ماناي» التي تذكر روايتها بشكل مثير للاهتمام عبور نهر يسمى «أراتا» وهو اسم ربما يذكّرنا بمدينة «أراتا» .

من «أراتا» العالمية في الجبال بالقرب من بحر قزوين إلى قطرين غالبا ما يظهران سوياً في الكتابات وها «ماجان» و «ملوخا» . وها قطران ما زال موقعهما مشكوكا فيه ، على الرغم من أنه قد ثبت في النهاية بأنهما كانا مصر والحبشة .

وفى الواقع يتفق أغلب علماء الساماريات بأن « ماجان » و « ملوخا » كانا يقابلان تقريباً مصر والحبشة حوالى الألف الأول ق.م إلا أن هذا التحديد اعتبر بعيد الاحتمال بالنسبة للعهود القديمة مثل عهود « سرجون » العظيم و « جوديا » وسلالة « أور » الثالثة — لأنه يستلزم افتراضاً لا يبدو مقبولاً وهو أنه كان لشعوب تلك الأزمان المبكرة سفن بحرية كان باستطاعتها أن تصل إلى ساحل أفريقيا الشرقى . وقاد هذا إلى النظرية القائلة بأنه حدث خلال الألوف من السنين تحول فى التسميات الجغرافية ، أى إن الأسمين « ماجان » و « ملوخا » كانا فى الألف الثالث والثانى ق . م . يقابلان أقطاراً تحاذى السواحل العربية الشرقية والجنوبية الشرقية ، ولكن لسبب أو آخر حول هذان الإسمان فيما بعد إلى مصر والحبشة .

والآن عند البحث بشكل منهجى ، ينبغى أن يستند فى إثبات أى نظرية تتعلق بتحول أسماء فى الوثائق السامارية لأقطار ذات أهمية ظاهرة كتلك التى أشير إليها باسمى « ماجان » و « ملوخا » ، إلى دليل ثابت وقاطع إلى درجة معقولة . ولكن حتى هذا التاريخ لا يبدو لى بأن هناك دليلاً من هذا النوع ، إذ ما زالت هناك إمكانية قوية ، كما سيتضح مما يأتى ، بأنه لم يكن هناك تحول فى الأسماء الجغرافية وإن « ماجان » و « ملوخا » يقابلان تقريباً مصر والحبشة فى الألف الثالث ق . م . كما كانا فى الألف الأول ق . م .

لقد ذكرت « ماجان » و « ملوخا » فى كل من النصوص السومرية والآكدية من أيام « سرجون » العظيم على الأقل إلى منتصف الألف الأول ق . م . فـ « سرجون » العظيم يقول فى كتاباته الخاصة بأن سفن « ماجان » و « ملوخا » و « دلون » كانت ترسو فى عاصمته « أكيد » . وأسر حفيدُه « نرام — سين » ملك « ماجان » و « مانيو » وجلب الغنائم من « ماجان » ، وأمر بقلع الأحجار هناك . وعثر خلال التنقيبات على عدد من الأوانى المرمية التى كرسها « نرام — سين » وكتبت عليها عبارة « غفيمة ماجان » . وذكر « جوديا » بأنه كان يحصل على

الحجر البركاني لتأثيره من « ما جان » وعلى الأخشاب لبناء معبده «أينينو» من كل من « ماجان » و « ملوخا » . وتحدث « أور - نامو » في مقدمة شريعته عن إرجاع سفينة - « ماجان » الخاصة بـ « نانا » عند الحدود - وهذه عبارة مبهمة، ولكنها تشير، على ما يبدو، إلى الأهمية التي أعطيت إلى العلاقات التجارية بين « ماجان » وبلاد سومر . وذكرت الوثائق الاقتصادية من عصر سلالة « أور » الثالثة مواد مستوردة من « ما جان » و « ملوخا » مثل النحاس والعاج والعقيق والبصل، ونجد في الفترات التي أعقبت العهد السومري « ملوخا » وقد تردد ذكرها مرات كمسكان لـ « لرجال السود » وهو أمر يقودنا طبيعياً إلى تعريف « ملوخا » بالحبشة .

ويوجد كذلك عدد من الإشارات إلى « ماجان » و « ملوخا » في النصوص السومرية الأدبية المنشورة وغير المنشورة ، وهي إشارات ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى العلاقة الوثيقة بين « ما جان » ، و « ملوخا » وبين بلاد سومر ، تشير إلى تحديد « ماجان » و « ملوخا » بمصر والحبشة^(١) وتأتي هذه الإشارات على الوجه التالي :

١ - فقرة من ثلاثة أسطر في قصيدة « جاجامش وأرض الأحياء » التي تقرأ على الوجه التالي :

بعد أن غرقت ، بعد أن غرقت .

بعد أن غرقت السفينة « ماجان »

بعد أن غرقت السفينة « قوة ماجيلوم »

لقد كانت هذه الأسطر جزءاً من خطاب تحذير وجهه « جاجامش » إلى « أنكيدو » الذي كان متردداً في مصاحبة سيده في رحلته المحفوفة بالمخاطر ، لأنه

(١) إن النصوص السومرية وكذلك المصادر ستظهر في بحثي « ماجان وملوخا » وفقاً للنصوص السومرية الأدبية المهيأ «لؤتمر الآشوريات الثامن» .
(علي الرغم من كل ما أورده المؤلف من حجج للتأييد رأيه فإن المؤرخين ما زالوا مختلفين في موقع « ماجان » و « ملوخا ») . (المترجم)

كان يرتعب من فكرة مجابهة « هواوا » ، الوحش الذى كان يحرس « أرض الأرز المقطوع » . إن المعانى المتضمنة فى الفقرة ليست أكيدة ، ولكنها تبرهن على أن موضوع سفينة « ماجان » وغرقها كان من الحكايات الشائعة بين السومريين . أضف إلى ذلك إمكانية كون السطر الثالث ، الذى يذكر سفينة تسمى « قسوة ماجيلوم » تشير فى الواقع إلى « ملوخا » .

٢ - سطر فى نهاية أسطورة « أنكى » و « نينخور ساج » يقول : « ليكن ننتولا سيداً على ماجان » . لقد تفوه بهذه الكلمات الإله « إنكى » الذى كان يقدر مصائر ثمانية آلهة أنجبتهم الإلهة « نينخور ساج » لتجلب الشفاء إلى أعضاء جسمه الثمانية التى أصيبت بالمرض والتنوعك نتيجة لأكله النباتات الثمانية المحرمة . إن اسم « ننتولا » يحتوى على كل العلامات المميزة لمركب سومرى ويعنى « سيد تول » حيث يمثل المقطع « تول tul » كلمة لا يعرف معناها فى الوقت الحاضر . ونعرف من هذا السطر بأن إلهها فى « ماجان » كان يحمل أسما سومريا وأن الشعراء السومريين ورجال الأدب لم يجدوا صعوبة فى تكوين الفسكرة القائلة بأن إلههم الخاص « أنكى » قد عينه إلهال « ماجان » والقيام بالدعوة لهذه الفسكرة . ويعبر هذا عن علاقة متينة وحميمة بين قطارى سومر و « ماجان » وشعبيهما .

٣ - فقرة من ثمانية أسطر من قصيدة « لعنة أكد » تقرأ على الوجه التالى :

« مارتو » الأراضى الجبلية الذين لا يعرفون القمح ،

يجلبون له (أى لرام - سين) ثيرانا لا شائبة فيها وجديانا لا شائبة فيها ،

سكان « ملوخا » ، رجال الأرض السوداء ،

يجلبون له كل أنواع السلع الغريبة ،

ويحمل « العيلاميون » و « السوباريون » الأحمال له كأنهم حمير تحمل أثقالا ،

جميع « الأنسيين » (أى الحكام) وال « سانجا » .

محاسبو « جوادينا » ،

يأتون بهدايا (هم) مباشرة لـ « أكيد » في كل شهر وفي اليوم (الأول) من كل سنة جديدة .

نجد هنا إذن سكان « ملوفا » وقد ذكروا بأنهم كانوا يجلبون الغنائم إلى الملك « نرام — سين » في عاصمته « أكيد » إلى جانب « المارتو » و « العيلاميين » و « السوباريين » . حقاً إنه لشيء يثير العجب ألا تذكر « ماجان » هنا ، لأن « نرام — سين » ، وفقاً للكتابات النذرية المعاصرة التي عرفت منذ فترة طويلة ، فتح « ماجان » وجلب الغنائم منها ، وربما يبدو من المعقول أن نقول ، استناداً إلى أسس عامة ، « أينما ذهبت ماجان ذهبت ملوفا » ، وذلك بإجراء تغيير في صياغة المثل الانتخابي الأمريكي المعروف جيداً^(١) . وعلى كل حال ، فإن ما هو ذو أهمية غير قليلة في فقرة « لعنة أكيد » هو حقيقة أن سكان « ملوفا » أطلق عليهم اسم « رجال الأرض السوداء » ، وهي عبارة توازي إلى حد بعيد عبارة « سكان ملوفا السود » التي وجدت في كتابات الألف الأول التي سبق ذكرها ، لأن هذا التشابه يفضي إلى الإشارة إلى أن البلاد المعروفة باسم « ملوفا » لدى مؤلفي القصيدة ، الذين ربما عاشوا في وقت ما حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م . كانت مطابقة لتلك التي عرفت بـ « ملوفا » بالنسبة لكتابات الألف الأول ، وإنه لم يكن هناك تغير في الأسماء الجغرافية خلال هذه السنين .

٤ - فقرة ذات سطرين في ترنيمة « ننورتا » نشرت تحت رقم ٦١ في بحثي « نصوص أدبية سومرية من نقر » تقرأ على الوجه التالي : « لقد جلبت العقيق وحجر اللازورد (؟) من بلاد ملوفا » . إن هذا القول جزء من فقرة تعبد الإله « ننورتا » على أنه « جالب » المعادن والأحجار من الأقطار التي تتوافر فيها . وكان العقيق في

(١) يقول المثل الأمريكي الانتخابي المعروف « أينما توجه ولاية نيوهامشير في الانتخابات توجه البلاد » وذلك لأن نتائج الانتخابات في هذه الولاية تعلن قبل غيرها من الولايات وتوحي بالانتجاه العام للناخبين في تلك الانتخابات . (المترجم)

الواقع معروفاً معرفة جيدة ككادة تميز « ملوخا » ، ولكن مما يثير العجب هو أن نجد « ملوخا » مشهورة أيضاً بحجر اللازورد .

٥ — إن رواية مختلفة ما زالت غير منشورة لفقرة من أسطورة « أنسكى » ويندخورساج « تتألف على الأكثر من تسبيحة حمد ينطق بها دون شك الإله « أنسكى » لـ « دلون » ، تقرأ على الوجه التالي :

وعسى أن تنقل إليك بلاد « توكرينس » الذهب [من] (هارالى) ، وحجر اللازورد

وعسى أن [تجلب (؟)] إليك بلاد « ملوخا » العقيق الجذاب الثمين ، وخشب « ميسنجان » ، وخشب « بحر (؟) » جيد (و) سفناً كبيرة .
وعسى أن [تجلب (؟)] إليك بلاد « مرخاشى » حجراً « ثميناً » (و) حجراً شفافاً .

وعسى أن [تجلب (؟)] إليك بلاد « ماجان » الدجاس الجبار ، قوة
والحجر البركانى ، وحجر « أو » وحجر « شومان » .

وعسى أن تجلب إليك بلاد « زالاجار » الصوف (؟) ، الخام الجيد (؟) (و) ...
وعسى أن تجلب إليك بلاد « عيلام » الصوف (؟) . . . (و) أتاة ثقيلة (؟) .
وأكسية جيدة (و) سفناً كبيرة .

وعسى أن [تجلب (؟)] « أور » منصبة الماسكية ، القمح وزيت السمسم ، وحللاً نفحة ،

وعسى أن يجلب (؟) إليك البحر الواسع فيضه ،

المدينة — مساكنها جيدة ،

« دلون » — مساكنها مساكن جيدة ،

وشعيرها شعير صغير جداً ،

ومواسم الحصاد فيها تعطى ثلاثة ٠٠٠ ،

وأشجارها ٠٠٠٠

إن « ملوخا » إذن وصفت ههنا كبلاد مشهورة بالعقيق وبنوعين من الخشب بينما وصفت « ماجان » كبلاد مشهورة ببحاسها وثلاثة أصناف من الحجر . ولما كان عدد من هذه المواد معروفاً من الوثائق الاقتصادية كصفة مميزة لـ « ماجان » و « ملوخا » ، فإنه يبدو من المعقول الافتراض بأنه كان لرجال الأدب السومريين فكرة معقولة عن أهمية القطرين الاقتصادية وربما عن موقعهما أيضاً . أضف إلى ذلك أنه على حين لا تخبرنا هذه الفقرة عن « ماجان » و « ملوخا » إلا قليلاً فإن قيمتها لا تقدر بالنسبة إلى الصورة التي رسمها عن « دلون » ، بل وربما ستبرهن يوماً ما على أهميتها بالنسبة لتحديد موقع تلك البلاد .

٦ — فقرة من أسطورة « أنكي ونظام السكون » تقول :

بلاد « ماجان » و « دلون » .

نظرتا إلى « أنا » « أنكي » ،

أو ثقوا (؟) سفينة — « دلون » بالأرض (؟) ،

وحملوا سفينة — « ماجان » إلى علو السماء ،

سفينة — « ملوخا » الـ « ماجيلوم » ،

تحمل الفضة والذهب ،

وتأتى بهما إلى « نهر » اللال « إنليل » ، ملك الأقطار كلها .

وعلى الرغم من غموض معاني عدة كلمات وعبارات ، فإن معنى الفقرة ككل واضح تماماً : إن سكان « ماجان » و « ملوخا » وصفوا بأنهم كانوا ينقلون منتجاتهم بسفينة — ولاحظ أن سفينة « ماجيلوم » هنا نسبت بوضوح إلى « ملوخا » — إلى

معبد « أنليل » في « نسر » ، أى بالطبع ، إلى بلاد سومر . ومن الصعب أن يفترض بأن هذا الوصف « للعلاقات الدولية » في الألف الثالث ق . م . لم يكن أكثر من اختراع قدمه شعراء بلاد سومر ، إذ لا بد من وجود معرفة شائعة في ذلك الوقت من أن هذه الأقطار الثلاثة كانت تمد بلاد سومر بالعديد من احتياجاتها الاقتصادية إما بشكل أتاوة تفرض بالقوة أو من خلال التبادل التجارى أو بالطريقتين معاً .

٧ — إن فقرة ثانية ذات علاقة بالموضوع من نفس الأسطورة ، تتألف من ستة عشر سطراً ، تحتوى على بركة أنعم بها الإله « أنكى » على « ملوخا » . ومع أن كلمات وعبارات هذه الفقرة ما زالت غامضة ، فإن من الواضح بأن الشاعر كان يعرف « ملوخا » (التى وصفت هنا أيضاً بـ « الأرض السوداء ») كبلاد غنية وكثيفة السكان وغنية بأشجارها وأقصابها وثيرانها ، وطيور — « الدار » — ولاحظ أن طيور « الدار » في « ملوخا » معروفة من الوثائق الاقتصادية التى تقدم دليلاً آخر على أن الشاعر لم يخترع وصفه لهذه البلاد — وطيور « الهايا » ومعادن متنوعة .

إن هذه الأدلة كلها لا توصلنا إلى الحقيقة النهائية بالنسبة لموقع « ملوخا » وتحديد هويتها ، ولكن أينما كانت تقع ، فإن حقيقة ولع الشعراء والكتاب السومريين بها إلى هذه الدرجة تقضى إلى الإشارة إلى أنه كانت هناك فى الواقع علاقة وثيقة وحميمة بين « ملوخا » وبلاد سومر ، علاقة أمتن وأقوى مما كان يظن بصورة عامة حتى الآن .

أما بلاد « دلون » التى تنتقل إليها الآن ، فتبدو أنها كانت تتصل ببلاد سومر بعلاقة أقوى من علاقة « ملجان » و « ملوخا » بهذه البلاد . وتعرف « دلون » من قبل أغلب العلماء بجزيرة البحرين فى الخليج العربى ، وتقوم بالتنقيب فيها منذ أكثر من عشر سنوات بعثة دانماركية كبيرة ذات كمهارة عالية مدفوعة على الأكثر بسبب اعتقادها بهذا التعريف . بيد أن التحليل التالى للمادة الأدبية المتعلقة بهذا الموضوع ستظهر بأن هناك مجالا واسعا للشك فى هذا الرأى ، بل إن هناك فى الواقع احتمالاً بالحصول على أدلة تثبت فى النهاية بأن « دلون » كانت تشمل المنطقة

التي ازدهرت فيها حضارة مدنية مهذبة ورائعة حوالى نهاية الألف الثالث ق . م .
في الباكستان والهند . وهي ما تسمى بحضارة خرابة أو حضارة وادى نهر السند^(١) .

ويوجد مفتاح واضح وضوحاً لا بأس به بالنسبة إلى الاتجاه العام الذى يجب أن
نسير فيه فى البحث عن « دلون » فى الأسطر الأخيرة الباقية من أسطورة الطوفان
السومرية التى نعرف مما ورد فيها بأن « زيوسودرا » ، بطل الطوفان السومرى ، قد
وهب الحياة الخالدة ونقل من الإلهين العظميين « آن » و « أنليل » إلى « دلون » التى
وصفت بـ « المكان الذى تشرق الشمس فيه » . وبما أن هذا الوصف ، لا ينطبق
على جزيرة البحرين التى تعانق الساحل العربى وتقع إلى جنوب بلاد سومر تماماً ، فإنه
يشير على الأرجح إلى منطقة نهر السند ، أو ربما إلى بلوخستان^(٢) .

لقد تكررت فى نص « لوجال آنيمنندو » ، الذى ورد ذكره فى الفصل الثانى ،
أسماء ثمانية أقطار يدعى « لوجال آنيمنندو » السيطرة عليها فى نفس التسلسل التالى
« أرض الأرز » ، « عيلام » ، « مرخاشى » ، « جوتيوم » ، « سومير » ، « مارتو » ،
« سوتيوم » ، « أى — أنا » . وبموجب الافتراض المعقول بأن هذه القاعة وضعت
وفقاً للاتجاهات الجغرافية ، فإن « أرض الأرز » لا تطابق لبنان فى الغرب ، وإنما
تطابق بلاداً تقع إلى الشرق من « عيلام » . إن هذا رأى تؤيده حقيقة أن الإله —
الشمس « أوتو » كان يوصف فى الأدب السومرى بالإله الذى « يشرق من أرض
الطور والأرز » . ومن الجائز أن تكون هذه البلاد التى ينبغى البحث عنها بكل تأكيد
فى الناحية الشرقية ، هى نفس « بلاد الأرز » التى وردت فى نص « لوجال آنيمنندو » ،
ولما كانت « بلاد الأرز » وعلاوة على ذلك « دلون » المكان الذى تشرق منه
الشمس فإنه ليس من المستغرب أن نجد « بلاد الأرز » و « دلون » فيه « متطابقتين

(١) للاطلاع على بحث فى هذه الحضارة أنظر كتاب :

Sir Mortimer Wheeler : Early India an Pakistan (1959)

(٢) لقد كان موضوع « دلون » من المواضيع الرئيسية التى بحثت فى مؤتمر الآثار الآسيوى
الثالث الذى عقد فى البحرين فى شتاء سنة ١٩٧٠ وقد كان رأى السائد آنذاك هو أن « دلون »
لم تكن غير جزيرة البحرين . كما أن الأستاذ « جيفرى بى Geoffrey Bibby » رئيس البعثة
التنقيبية هناك وصل إلى درجة القناعة فى هذا الموضوع . (المترجم)

تقريباً . ذلك لأن الأرز قد ذكر في الواقع كشجرة محمية في « دلون » في فترة موجزة
إلا أنها ما زالت غامضة في مرتبة من مرتبات « دوموزي » التي تقرأ على الوجه التالي:

الأرز كتفي ، السرو صدرى ،

... الأرز المقدس ،

الأرز المقدس من « حاشور » .

ظل « دلون » .

وإذا ظهر تعريف « بلاد الأرز » ، المكان الذي تشرق فيه الشمس ، بـ
« دلون » بأنه تعريف صحيح ، عندئذ قد يظهر أيضاً بأن البلاد التي قام « جلجامش »
و « أنكي دو » برحلتها إليها ، تلك الرحلة الخطيرة والمليئة بالمجازفات في القصة
الملحمية « جلجامش وأرض الأحياء » هي « دلون » ، على الرغم من أنها لم تذكر
في القصيدة مطلقاً بصورة صريحة ، لأن هذه البلاد وصفت أيضاً بأنها بلد أرز ، ولم
يكن الإله الموكّل بها غير الإله — الشمس « أوتو » . أضف إلى ذلك نعت تلك
البلاد بـ « أرض الأحياء » ربما يشير إلى تعريفها بـ « دلون » ، لأن « دلون » وفقاً
لقصيدة أنكي و « نينخور ساج » أسطورة سومرية عن الجنة وصفت كأرض :

لا يقول المصاب بعينه « إنني مصاب بالعين » .

ولا يقول المصاب بالرأس « إنني مصاب بالرأس » .

إمرأتها (أى دلون) المسنة لا تقول « إنني امرأة عجوز » .

ورجلها المسن لا يقول « إنني رجل مسن » .

إن هذه الأساطير تقول على ما يبدو بشكل ملتوٍ غير مباشر بأن « دلون »
كانت أرض السلاموت والخلود ، وهذا إن صح ، يفسر لنا بالطبع سبب نقل « زيوسودرا »
إلى « دلمون » حالما منحتة الآلهة الخلود . وفي الواقع ، قد يظهر مع ذلك بأن

« جلجامش » قد رحل إلى « أرض الأحياء » سعياً وراء الخلود ، على الرغم من حقيقة أن النفقات الأولى من قصيدة « جلجامش وأرض الأحياء » تشير إلى أن الدافع للحصول على الشهرة كان هو المحرك الذي حمله على القيام بتلك الرحلة .

ولكن مهما كان موقع « دلون » . فإن من الواضح مما قيل قبل قليل بأنه كان ينظر إليها من قبل السومريين كأرض جنة مباركة ، ذات علاقة متينة مع سومر وخاصة على المستوى الديني والروحي . وتبدو ، حسب ما ورد في أسطورة « أنكي » و « نينخورساج » ، كما لو كانت موطن الإله « أنكي » الذي أنجب فيها عدداً كبيراً من الآلهة . وكانت بأن الإلهة العظيمة « نينخورساج » كما يبدو أيضاً في موطنها تماماً في « دلون » ، بل إن « دلون » تبدو في الواقع بأنها كانت المكان الذي يلتقي فيه جميع الآلهة . وكانت إلهتها الحامية تحمل الاسم السومري الأصل « نينسيكل » ، « السيدة الطاهرة » وكان زوجها ، الذي أنجبه « أنكي » ، « إينشاج » « السيد العادل » ونحصل من رواية الفقرة الثانية من قصيدة « أنكي و نينخورساج » المكتشفة في « أور » والتي اشتشهد بها أعلاه على الانطباع بأن « دلون » كانت واحدة من أغنى وأقوى البلدان في العالم القديم .

وعليه فإن « دلون » ليست خيالاً أو مجرد نتاج رواية أدبية خيالية ، أى أرضاً لم يكن لها وجود أبداً خلقها خيال الممثلين والشعراء السومريين الخصب . فقد كان لها ، إستنتاجاً من الوثائق النذرية والاقتصادية ، تاريخ طويل يبدأ من زمن الملك « أور - نانشه » ، الذي ذكر في سجلاته بأن « سفن دلون » كانت تجلب إليه الخشب كأناوة من أقطار أجنبية . وكانت سفن « دلون » تلقى مراسيها على أرصفة « أكد » إلى جانب سفن « ماجان » و « ملوخا » في عهد « سرجون » العظيم . وكانت واردات « دلون » تتألف ، وفقاً لما ورد في الوثائق الاقتصادية من عهد سلالة « أور الثالثة »

(١) يبدأ عهد سلالة أور الثالثة حوالي سنة ٢٠٥٠ ق.م. وينتهي في سنة ١٩٤٥ ق.م. عندما سقطت « أور » على يد العيلاميين ويبدأ عهد (إيسن - لارسا) بعد سقوط سلالة أور الثالثة وينتهي على يد حورابى الذى بدأ حكمه حوالي سنة ١٧٥٠ ق.م. وسمى العهد بهذا الاسم نسبة إلى مدينتي « إيسن » و « لارسا » اللتين قامت بهما سلالتان ساميتان بعد سقوط « أور » (الترجم)

الذى أعقبه ، من الذهب ، والنحاس ، والأواني النحاسية ، وحجر اللازورد والمناضد المطعمة بالعاج ، و « عيون السمك » ربما قصد بها اللؤلؤ ، و سلع مصنوعة من العاج (كالأمشاط والدروع الصدرية والصناديق إلى جانب الهياكل البشرية والحيوانية الصغيرة وأجزاء مختلفة من الأثاث) والحز المصنوعة من الأحجار الشبه كريمة ، والتمور والبصل . وذكرت « أبصال دلون » فى الواقع فى النصوص الاقتصادية التى يرجع تأريخها إلى عهد مبكر يعود إلى القرن الرابع والعشرين ق . م . وبعد أن انقرض السومريون بوقت طويل . ونجد خلال الألفين الثانى والأول ق . م . نجد أن « دلون » مذكورة فى الوثائق الأكديّة . فقد كان هناك رسل وقوافل من « دلون » يستخدم الملك الآشورى « توكلتى - ننورتا » فى ألقابه تعبير « ملك دلون وملوخا » ، وهذا يذكرنا بشكل ما بالصيغة التوراتية « من الهند إلى الحبشة » التى استعملها الملك « أحشوريش » فى سفر (إستير) ويوجد فى « دلون » ملك يحمل اسم « أوبرى » Uperi دفع الأتاوة لـ « سرجون » الثانى ملك بلاد آشور . وهناك ملك آخر كان يحمل اسم « خوندارو » الذى كانت الضريبة المأخوذة فى أيامه من « دلون » تتألف من البرونز والسلع المصنوعة من النحاس والبرونز ، والعصى المصنوعة من الخشب الثمين وكميات كبيرة من الكحل ، الذى يستخدم كصبغة للعين . وفى زمن « سفحاريب » أرسلت مجموعة من الجنود من « دلون » إلى بابل للمساعدة فى تدمير تلك المدينة ، وحملوا معهم بحارف ومسامير ضخمة وصفت بأنها من منتجات « دلون » الخاصة بها . أما كيف تفسر الدليل الأدبى السومرى الذى يجعل من « دلون » فردوساً سومرياً فى ضوء « دلون الحقيقية » التى ورد ذكرها فى الوثائق الاقتصادية والتاريخية ، فإن هذا سيقى دون شك لغزاً إلى أن يعثر فى « دلون » نفسها على وثائق مدونة يمكن قراءتها ، سواء أظهر بأنها كانت جزيرة البحرين أم منطقة جنوب إيران أم حوض نهر السند .

لقد امتد التأثير السومرى ، وعلى الأخص على المستوى الدينى والروحى ، كما هو واضح مما قيل أعلاه عن « أراتا » و « ماجان » و « ملوخا » و « دلون » ، إلى

آلاف الأميال وفي كل الجهات . ومن الواضح أيضاً أن السومريين قاموا عبر العصور بجمع معلومات غير قليلة عن أقطار أجنبية وشعوب غريبة . وكان التجار السومريون الذين كانوا يقطعون البر والبحر طولا وعرضا ، يجلبون معهم تقارير عن الأماكن الغريبة التي يزورها وعن الناس الذين كانوا يستوطنونها . وكان الجنود يفعلون دون شك مثل هذا بعد عودتهم من الحملات العسكرية الفاجحة . وكان يوجد في المدن السومرية نفسها عدد كبير من الأجانب ، كالجنود الذين كانوا يؤسرون في المعارك ويجلبون كعبيد بالإضافة إلى الأحرار الذين كانوا يأمون المدن للاستيطان فيها لسبب أو آخر . ومن كل ذلك إذن نستنتج بأنه كان لرجال الحاشية الملكية ، والإداريين والكهنة والعلماء السومريين معرفة كبيرة بالأقطار الأجنبية مثل مواقعها الجغرافية وخصائصها الطبيعية ومواردها الاقتصادية وتنظيماتها السياسية ومعتقداتها وممارساتها الدينية وعاداتها الاجتماعية ومعتقداتها الروحية . وفي الواقع لم يكن السومريون يعرفون كثيراً عن الأقطار والشعوب الأجنبية فقط ، بل كانوا يحكمون على ساوئك تلك الشعوب وطبائعها وقياسهم أساليب حياتها وفقاً لمقاييسهم وقيمهم السومرية .

ونعرف ، استنتاجاً من الأدلة الآثارية والأدبية المتيسرة ، بأن العالم المعروف عند السومريين لم يمتد إلى أبعد من الهند من ناحية الشرق ، وإلى أبعد من بلاد الأناضول ومنطقة القوقاز والأجزاء الغربية من أواسط آسيا من ناحية الشمال ، وإلى أبعد من البحر المتوسط من الغرب ، على الرغم من احتمال شمول قبرص وحتى جزيرة كريت ، وإلى أبعد من مصر والحبشة من ناحية الجنوب . ولا أعرف في الوقت الحاضر أى دليل على أنه كان للسومريين أى اتصال أو معرفة بالشعوب التي كانت تعيش في شمال آسيا والصين أو في أى بلد من البلدان في القارة الأوروبية . وقسم السومريون أنفسهم العالم إلى أربعة « أوبدا Ubdā » ، أى إلى أربعة أقاليم أو مناطق ، كانت على ما يبدو تقابل إلى حد ما الجهات الجغرافية الأربع . ويوجد أقدم تقسيم معروف من هذا النوع في فترة من العصر الذهبي في قصيدة « إنيمركار وسيد أراتا » التي يقرأ الجزء الذي يتصل بالموضوع منها على الوجه التالي :

فى يوم من الأيام ، كانت أقطار « شوبور » و ، « هامازى » ،
وسومر ذات الألسن المتعددة ، الأرض العظيمة ذات القوانين الأميرية
الإلهية ،

و « أورى » ، الأرض التى تمتلك كل ما هو لائق ،
وأرض « مارتو » المستقرة فى أمان ،
وجميع العالم ، والناس ، بنفحات منسجمة ،
وفى لسان واحد ، يقدمون الحمد لـ « إنليل » .

وإذا صحت ترجمة هذه الفقرة ، فهى تشير على ما يبدو إلى أن السومريين كانوا يعتقدون
بأن بلادهم سومر تكون الحدود الجنوبية للأرض ، وأن منطقة « أورى » ،
التي تظابق عادة بلاد « أكّد » ، ولو أنه ربما كان يعتقد فى ذلك الوقت بأنها تشمل
منطقة أوسع بكثير من ذلك ، كانت تكون الحد الشمالى للأرض ، وأن المنطقة
الشرقية كانت تضم « شوبور » و « هامازى » ، وأن المنطقة الغربية كانت تعرف
باسم بلاد « مارتو » ، وهو تعبير أصبح يعنى فى الواقع « غرب » فى اللغة السومرية .
وفى الأدب الأكدي الخاص بالآل العائد إلى فترة متأخرة والذي ربما يعود بالطبع إلى
نظيره فى الأدب السومري ، كانت المناطق الأربع تقدم عادة بشكل يجعل « أكّد »
(بدلا من بلاد سومر) فى الجنوب ، و « عيلام » أو « جوتيوم » فى الشرق
و « شوبور » فى الشمال (بدلا من الشرق كما تبدو فى فقرة العصر النحاسي) و « مارتو »
مرة أخرى فى الغرب . ولسوء الحظ لم يدخل الكتاب السومريون ولا الكتاب
الأكديون فى أى تفصيل بالنسبة لهذا الموضوع ، فهم لم يثيروا فى أى مكان من
نصوصهم إلى ما كانوا يعتقدون بأنه كان الامتداد الحقيقى لهذه المناطق الأربع التي
يبدو بأنها لم تضع فى الحسبان أقطاراً كالهند ومصر والحبشة مثلاً ، وهى أقطار
كانت بكل تأكيد معروفة عند كل من السومريين والأكديين . وعلى أية حال ،
كانت حدود هذه المناطق والبلدان الواقعة فيها تحدد ، وفقاً لرأى المفكرين السومريين ،
بالآلهة فى اللحظة التي خلق فيها الكون ، وعلى الأقل فى حدود سنة ٢٤٠٠ ق م

وكانت العقيدة القائلة بأن الإله — الريح « أنليل » كان ملك الأرض المستوطنة كلها ، أى « ملك الأفطار كلها » وليس مجرد بلاد سومر وحدها ، مقبولة فى أنحاء بلاد سومر .

وكان الـ « ناملولو » يستوطنون زوايا الأرض الأربع ، و« ناملولو » هذه عبارة سومرية مركبة تتألف على الأرجح من « لو » أى « رجل » التى جاءت مكررة والأداة « نم » ، التى تستعمل فى صياغة الأسماء المجردة — فهى لهذا تطابق فى الصياغة الكلمة (العربية) « بشر » . ولم يكن السومريون - « الرؤوس السود » كما كانوا يطلقون على أنفسهم ابتداء من سنة ٢٠٠٠ ق . م . على الأقل وفيما بعدها — سوى جزء من هذا الجنس البشرى الواسع ، ولكن لسنا بحاجة إلى القول بأنهم كانوا الجزء الهام جداً منه ، بل كانوا فى الواقع من الأهمية إلى درجة أن عبارة « الرؤوس السود » عُرِّفت على ما يبدو فى حالة واحدة على الأقل بالبشرية ككل . فمثلاً توجد فقرة فى القسم الأول من أسطورة الطوفان التى عرفت منذ وقت طويل تقرأ على الوجه التالى :

بعد أن خلق « آن » و « أنكى » و « نينخور ساج »

الناس ذوى الرؤوس السود ،

توالدت النباتات من الأرض ،

وخلقت حيوانات السهل ذات الأربعة قوائم ببراعة .

يبدو إذن هنا بأن ذوى « الرؤوس السود » وضعوا جنباً إلى جنب مع النباتات والحيوانات كما لو كانت العبارة تشير إلى الجنس البشرى كله . ونجد مرة أخرى وفقاً لما ورد فى أسطورة الطوفان تقسماً بأن الآلهة عندما قررت إزال « الملكية » على الأرض ، أسست جميع المدن الملكية الخمس الأولى فى بلاد سومر . وعندما حل الطوفان « لتدمير بذرة الجنس البشرى » ، كان الملك السومرى

« زيوسودرا » ملك مدينة « شوروياك » هو الذى أتقنته الآلهة « حافظ لأسم النبات وبذرة الجنس البشرى » .

وليس هناك أدنى شك بأن السومريين كانوا يعتبرون أنفسهم من صنف « الشعب المختار » وكما لو كانوا « ملح الأرض »^(١) . ففي أسطورة « أنكى ونظام العالم » التى تعالج موضوع خلق « أنكى » للذاتيات الطبيعية والحضارية والعمليات الضرورية للمجتمع المتمدن وتنظيمها نجده يبارك بلاد سومر بكلمات رفيعة تكشف عن أن السومريين كانوا يعتقدون بأنفسهم كمجتمع أو بالأحرى مجتمع مميز ومقدس متصل بالآلهة اتصالاً أقوى من اتصال بقية البشر بها بشكل عام - فهو مجتمع جدير بالاحترام لا بسبب ثروته وممتلكاته المادية فحسب ، ولا من أجل ملوكه الأقوياء فحسب ، ولكن من أجل زعمائه الروحانيين المحترمين أيضاً الذين كان كل منهم يعرف باسم « أن en » - هو مجتمع اختارته جميع آلهة السماء « الآتوناكي » ، التى كانت تقرر المصائر ، لتعيش بين أفراد .

وطبعي أن السومريين لم ينظروا أبداً إلى الأقطار والشعوب الأجنبية كلها نظرة إعجاب كتلك التى كانوا ينظرون بها إلى « ملوخوا » و « دلون » و « أراتا » . فقد كانت السخرية والازدراء والكره على أية حال تاقى بالدرجة الأولى على الأعداء الذين كانوا يقاسون على أيديهم العذاب . فكان « الجوتيون » مثلاً ، الذين جلبوا الهلاك والدمار لبلاد سومر وشعبها في عهد سلالة أكد ، يوصفون بمرارة بأنهم « شعب لا يتحمل النظام » و « أفعى لازعة من الجبال » و « أعداء الآلهة » . وكان يعبر عن « العيلاميين » و « السوباريين » بـ « رجال تخريب » فى المراثيات السومرية . أضف إلى ذلك أننا نجد فى حالة « العيلاميين » محاولة لوصف خصائص شخصيتهم بإيجاز فى قولين (من مجموعة أقوال سومرية مأثورة) قام بتبويبها « إدموند جوردون » للنشر . يُقرأ القول الأول حرفياً على الوجه التالى : « العيلامى لا يرضيه بيت واحد ليسكن فيه » أى ، إن العيلامى على ما يفترض ، لم يكتف ببيت واحد ، وإذا كان هذا

(١) إشارة إلى القول المشهور للسيد المسيح فى وصفه لذين آمنوا به بأنهم ملح الأرض ولا يستغنى عنهم . (المترجم)

التفسير صحيحاً . فن الواضح أن السومريين كانوا يفظرون ، على حق أو باطل ، إلى « العيلاميين » على أنهم كانوا شعباً طامعاً وطموحاً إلى درجة غير طبيعية . أما المثل الثاني فيقرأ حرفياً : « العيلامى مريض : أسنانه تصطك » . فإذا كان المعنى أن العيلامى لا يستطيع تحمل الألم — عندئذ يبدو واضحاً بأن السومريين كان يعتقدون بأن العيلاميين كانوا « أطفالاً كثيرى البكاء » ولا رجولة عندهم .

أما فى حالة الشعبين الآخرين — « الحوريين » و « المارتو » — فلربما نمتلك وصفاً لشخصيتهم فى كلمة واحدة مشحونة بالازدراء كأنها كبسولة . لقد كان « الحوريون » يعيشون فى الأصل ، كما هو معروف جيداً ، على جبل « حوروم » ، فى منطقة واقعة حول بحيرة « وان » . ونجد الآن كلمة فى الأدب السومرى تلفظ بـ « حوروم » وتعنى « جلف » أو « أحمق » وفى مقالة الـ « أيديوبا » (أى المدرسة) المعنونة « الجدل بين إنكيساسى وجيرينشاج » جمعت كلمة « حوروم » مع كلمة « جالام » التى تعنى « ماهر » لتصف أحسد الطلاب بأنه « أحمق — ماهر » أو طالب (السفومور) . فإذا كانت الكلمة « حوروم » ، أى « أحمق » مطابقة لكلمة « حوروم » فى عبارة « كور — حوروم ، البلاد حوروم » - فإن هذه الكلمة الواحدة تعادل ما تقوله صفحة كاملة بما كان السومريون يعتقدونه بالحوريين .

ومثل ذلك يقال فى حالة الشعب المعروف باسم « مارتو » ، فإن أصل الكلمة السومرية « آراد » أى « عبد » ربما سيبرهن على أنه تعبير يكشف عن المعنى الذى نبحت عنه ، ذلك لأنه اقترح ، وفى رأيى ليس بلاسبب ، بأن الكلمة « آراد » مشتقة من الكلمة (م) ، آرت ، (أو) (m) art (u) فإذا صح هذا رأى ، فإنه يشير إلى أن السومريين قد وصفوا « المارتو » بأنهم أصحاب مزاج ذليل يشبه مزاج العبيد .

ويوجد فى حالة « المارتو » كذلك مثل سومرى ذو أهمية حضارية ، يقرأ حرفياً على الوجه التالى : « القمح يطبخ (؟) مع حب « جورونوفوز » لعمل حلوى : المارتو يأكلونه ولكنهم لا يعرفون ما يحتوى عليه » . إن هذا القول يتفق تماماً مع

نعت آخر له «مارتو» معروف جيداً في الوثائق الأدبية يقرأ على الوجه التالي : «مارتو
الذى لا يعرف القمح» .

لقد كان « المارتيون » كما هو معروف جيداً شعباً سامياً ، ولكن إذا تكلم
السومريون عنهم بقصد القدح بهم ، فإن ذلك كان بالنسبة إلى حضارتهم فقط ،
ولا يتصل بأصلهم العرقى . وهذا يقودنا إلى مشكلة العلاقة بين الساميين — وعلى
الأخص أولئك الساميون الذين عرفوا بعد ذلك بالأكديين — وبين السومريين .
لقد كان ينظر قبل عهد قريب إلى تاريخ بلاد ما بين النهرين القديم على أنه كفاح
مريم وميت بين الجنسين (السومرى والسامى) . بيد أن الأستاذ « ثوركايلد
جاكسون » قام قبل بضع سنين بجمع أدلة مقنعة إلى درجة معقولة قادت إلى الاستنتاج
بأن الساميين والسومريين عاشوا « بسلام جنباً إلى جنب في بلاد ما بين النهرين » .
على أن هذا كان صحيحاً إلى درجة محدودة فقط ، لأنه عندما كان « سرجون »
العظيم مثلاً يكرس تماثيله ومسلاته في معبد من أكثر المعابد السومرية أصالة وهو
معبد « أيكور » في مدينة « نَفر » فإنه كان يأمر (وكذلك فعل خليفته « ريموش »
و « مانيشتوشو » بأن يكتب عليها باللغتين السومرية والأكدية ، ولكن مع
تأكيد خاص على اللغة الأخيرة ، وهذا يشير بطبيعة الحال إلى أن « سرجون »
وخلفاءه كانوا يشعرون شعوراً قوياً بأصلهم السامى وخلفيتهم السامية . وبأسلوب
مماثل كان « سرجون » وخلفاؤه يعينون من أجل الاحتفاظ بالمدن السومرية المغلوبة
تحت سيطرتهم أقرباءهم الأكديين في المناصب الإدارية ويحرسونها بحاميات جميع
جنودها من الأكديين إلى درجة أدت في الواقع إلى انتشار الوثائق الاقتصادية المدونة
باللغة الأكدية في بلاد سومر كافة — وكان كل هذا بالطبع لا يجبرهم إلى
السومريين . وعلى هذا ، يبدو بأنه كان هناك على الأكثر احتكاك شديد وشعور
غير حسن بين السومريين والأكديين الناطقين باللغة السامية الذين كانوا يشعرون
بأهمية الروابط العائلية والذين كانوا يجاهدون خلال عهد السلالة السرجونية ليصبحوا
حكاماً وسادة في بلاد سومر، وهى حالة في الواقع لم تكن محتملة (من قبل السومريين)

ولعلها تفسر لنا جزئياً سبب قيام الملك « نرام — سين » بتدنيس و تهديم الـ « إيكور » (معبد أنليل) في مدينة « نقر » كما وصف ذلك بمرارة وحزن شديد من قبل مؤلف « لعنة أكد » .

وعلى أية حال ، كان الشعب السامى — (العمورى) — هو الذى وضع نهاية لل سومريين كذاتية سياسية وعرقية ولغوية . حقاً ، لقد استطاع المغلوبون على أمرهم التقلب على المنتصرين فاقننيس العموريون — الذين يعرفون بشكل عام بالبابليين لأن مدينة « بابل » كانت عاصمة لهم — الحضارة والمدنية السومريتين بصورة كاملة ، وباستثناء اللغة ، كانت الطرق التعليمية والديانة والميثولوجيا والآداب البابلية تتطابق تقريباً مع ما يقابلها عند السومريين ، باستثناء ما ينتظر طبعاً من تغييرات واختلافات تفرضها التطورات السياسية ومرور الزمن . وبما أن هؤلاء البابليين من ناحيتهم قد تركوا أثراً غير قليل في جيرانهم الأقل تحضراً منهم ، وعلى الأخص في الآشوريين والحثيين والحواريين والكنعانيين ، فإنهم ساعدوا بقدر ما على زرع بذرة الحضارة السومرية في كل مكان من الشرق الأدنى القديم . ويقودنا هذا إلى تراث سومر الذى بقى خلال العصور المتتالية ، بما فى ذلك عصرنا الحاضر على الرغم من أن هذا التراث لم يعد فى عصرنا عاملاً مؤثراً ومصدر خلق فى النمو الحضارى ، ولكنه فى الواقع موضوع يثير الحزن إذا لم يكن مشيراً تماماً بالنسبة للتاريخ الأثارى .

لعل من الأفضل أن يبدأ بتتبع أثر تراث سومر من المؤسسة الاجتماعية - السياسية التى تعرف عامة باسم دولة — المدينة التى تطورت فى بلاد سومر من القرية والمدينة الصغيرة فى النصف الثانى من الألف الرابع ق . م . ، وأصبحت مؤسسة مزدهرة خلال الألف الثالث . إن المدينة — بمواطنيها الأحرار ومجلسها ، ونبلائها وكهانها ، بزبائنها وعبيدها ، بإلهها الحاكم ووكيله وممثله على الأرض الملك ، وبفلاحيه ، وصناعيه الماهرة ، بتجارها وبمعبدها وأسوارها وبواباتها — كانت موجودة فى العالم القديم كله من السند إلى غرب البحر المتوسط . وربما كانت تختلف فى أخص خصائصها من مكان إلى مكان ، ولكنها كانت بصورة عامة تحمل شبيهاً قوياً

لنموذجها السومري القديم ، ويبدو من المعقول الاستنتاج الذى يذهب إلى أن عدداً غير قليل من عناصرها والأجزاء المتماثلة فيها يعود إلى جذور سومرية . وربما كان بوسع المدينة بالطبع أن تظهر في العالم القديم سواء أظهرت سومر إلى الوجود أم لم تظهر ، ولكن هذا أمر غير مؤكد أبداً . ففي مصر مثلاً لم تثبت جذور دولة المدينة ، وكان من الجائز أن يحدث نفس الشيء في الأجزاء الأخرى من العالم القديم .

إن واحداً من أكثر الخصائص المميزة لدولة — المدينة السومرية خلال القسم الأكبر من الألف الثالث ق. م. هو القانون المدون ، إبتداءً من كتابة الوثائق القانونية كذلك التى تتعلق بالمبيعات والسندات ، وانتهاءً بإعلان الشرائع التى كانت تعد إعداداً خاصاً . إن الوثائق القانونية المدونة والشرائع وجدت في فترات متأخرة في كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم ، وليس هناك أدنى شك في أن جميعها ، على ما قد يكون فيها من اختلافات في التفاصيل ، ترجع إلى النماذج السومرية الأولى ، بل من الممكن حتى بالنسبة لليونان والرومان ألا تكون لدهما قوانينهما المدونة لولا نزوع السومريين إلى حفظ سجل معاملاتهم القانونية .

أما في موضوع الإنجازات العلمية ، فإن السومريين قدموا على الأرجح خدمتهم الرئيسية لأجيال المستقبل في حقل الرياضيات بإبتداعهم النظام الستيني الذى ربما كان سلف النظام العشرى العربى — الهندى المستعمل في الوقت الحاضر . وتوجد بقايا من النظام الستيني السومرى حتى في العصر الحاضر في قياس الدائرة والزوايا بالدرجات وفي بعض الأوزان والمقاييس التى كانت سائدة إلى عهد متأخر نسبياً .

وفي حقل التقنية ربما كان دولاب الفخار والعربات ذات العجلات والسفن الشراعية كلها اختراعات سومرية . ومع أن التعدين لم يكن بكل تأكيد من أصل سومرى ، فإن مصنوعات صنّاع المعسادن السومريين كانت منتشرة في كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم ، بل إن بعضها وصل إلى مناطق نائية مثل هنغاريا وأواسط أوروبا .

وكانت العمارة فن بلاد سومر الرئيسى من أقدم العصور ، وبصورة خاصة تشييد المعابد بأسسها الحجرية ومنصاتهما وغرفها المقدسة ذات المشاكي وجدرانها ومحاريبها المطلية وأعمدتها المغطاة بالفسيفاء وواجهاتها المثيرة للإعجاب . ويبدو من المحتمل أن بعض هذه الأساليب المعمارية على الأقل قد انتشرت فى العالم القديم . واستفاد المماريون السومريون كذلك من القبة والعقد والقوس . ومن المحتمل أن يكون القوس قد وصل لأول مرة إلى اليونان وروما عن طريق الاتصال مع بلاد بابل التى ورثته من بلاد سومر . وربما يعود النحت فى الشرق الأدنى أيضاً ، وعلى الأخص ممارسة نحت تماثيل الآلهة والبشر إلى أصول سومرية وذلك لأن رجال اللاهوت السومريين هم الذين ابتدعوا لأول مرة الفكرة القائلة بأن التمثال كان يمثل الحاكم ، أو حتى أى موظف آخر رفيع المكانة ، كما لو كان واقفاً أما إلهه يؤدى صلاة لا تنقطع ، من أجل حياته . وتدحرج الختم الإسطوانى السومرى فى طريقه إلى كافة أنحاء العالم القديم من الهند إلى قبرص وكريت ، وهناك العديد من كنائس هذا العصر فى أوروبا ذات أعمدة لها تيجان مزينة بأشكال تقليدية ترجع إلى مناظر تخيلها وحفر نقوشها الفنانون والصناع السومريون لأول مرة .

أما إنجازات السومريين فى ميادين الديانة والتعليم والأدب فقد تركت أثراً عميقاً فى جيرانهم فى المكان والزمان فحسب ، وإنما فى حضارة الإنسان الحديث أيضاً ، وبشكل خاص من خلال تأثيرهم ، وإن لم يكن بصورة غير مباشرة فى قداى العبرانيين والتوراة . إن مدى ما يدين به العبرانيون إلى سومر يتضح أكثر فأكثر من يوم لآخر كنتيجة لجمع الأعمال الأدبية السومرية وترجمتها تدريجياً ، لأن هذه الأعمال تحتوى ، كما يمكن أن يرى الآن ، على عدد كبير من الخصائص المشتركة مع كتب التوراة . وسنختتم هذا الفصل لذلك بعرض ملخص للمتماثلات التوراتية الموجودة فى الأدب السومرى عن طريق حصر وتحليل المعتقدات والمواضيع والحوافز والقيم المختلفة التى تبدو بأنها كانت شائعة عند العبرانيين القداى والسومريين الأقدم منهم .

لقد حُللت صيغ الأعمال الأدبية السومرية ومحتواها وبحُثت بتفصيل كبير من

الفصل السادس من هذا الكتاب ، ولسنا بحاجة إلى توسع أكثر في هذه النقطة . ومن البديهي أن يترك أدب مدون وبهذا القنوع والشمول والمنزلة كالأدب السومري أثرًا عميقًا في الإنتاج الأدبي للشرق الأدنى كله . وحدث هذا على الأخص لأنه بين وقت وآخر وجدت جميع شعوب آسيا تقريباً — كالأكديين والآشوريين والبابليين والحثيين والخوريين والكنعانيين والعميلاميين (مكتفين بتلك الشعوب التي تفتسر منها أدلة قاطعة ومباشرة في هذه اللحظة) ، أن من مصلحتها استعادة الخط المساري لغرض تدوين سجلاتهم وكتاباتهم الخاصة . إن تبنى وتكييف نظام الكتابة المقطعي واللوغوغرافي^(١) الذي طوره السومريون لكتابة لغتهم الماصقة^(٢) والتي تتعصف بصورة عامة بأن كلماتها مكونة من مقطع واحد فقط ، كانا يتطلبان تدريباً شاملاً في اللغة والأدب السومريين . ولتحقيق هذا الهدف كان المعلمون والكتاب من ذوى المعرفة يستوردون بلاشك إلى مدارس الأقطار المجاورة ، بينما كان الكتبة المحليون يشدون الرحال إلى بلاد سومر للحصول على تعليم خاص في مدارسها ذات الشهرة الكبيرة . وكانت النتيجة انتشاراً واسعاً لبذور الحضارة والأدب السومريين . إن أفكار السومريين ومثلهم — كأفكارهم في علم الكون ، واللاهوت والأخلاق ونظام التعليم تغلغلت إلى درجة كبيرة أو قليلة في أفكار وكتابات جميع شعوب الشرق القديم . وفعلت مثل هذا أيضاً الصيغ والمواضيع الأدبية السومرية — مثل أحداثها ومواضيعها وأساليبها وطرقها الفنية . ولا يستثنى من ذلك العبرانيون في فلسطين ، القطر الذي ألفت ونقحت وحورت فيه كتب التوراة .

حقاً ، حتى أقدم أجزاء التوراة ، كما هو متفق عليه بصورة عامة ، لم تكتب في صيغتها الحاضرة في وقت يسبق كثيراً عام ١٠٠٠ ق. م. بينما ألفت أغلب الوثائق

(١) عندما تمثل العلامة الواحدة كلمة كاملة تسمى لوغوغراف . المترجم .

(٢) للإطلاع على ما يقصد بتعبير «لغة ماصقة» أنظر ص ٧ ملاحظة رقم (١) . (المترجم)

(٣) اللغة الماصقة هي التي يصاغ فيها معنى جديد عن طريق جمع كلمتين مع بعضهما : مثلاً جمع كلمة (لو) (أى رجل) مع كلمة (جال) (أى عظيم) لصياغة كلمة جديدة (لوجال) (أى الرجل العظيم) وتعني « ملك » . (المترجم) .

الأدبية السومرية حوالى ٢٠٠٠ ق.م. أو بعد ذلك بـ عدة قصيرة . وعلى هذا لا يوجد شك بوجود أية استعارة معاصرة من المصادر الأدبية السومرية . إلا أن التأثير السومري تغلغل إلى التوراة عن طريق الآداب الكنعانية والحورية والحثية والآكدية ، وعلى الأخص من طريق الأخيرة . لأن اللغة الآكدية كانت تستخدم ، كما هو معروف جيداً ، فى كافة أنحاء فلسطين وما يحيط بها فى الألف الثانى قبل الميلاد كـ لغة مشتركة فى العالم الأدبى كله تقريباً . وعلى هذا كانت الأعمال الأدبية الآكدية بكل تأكيد معروفة معرفة جيدة عند الأدباء الفلسطينيين ، بما فى ذلك العبرانيون ، ويمكننا أن نتبع أثر جزء غير قليل من هذه الأعمال الأدبية الآكدية إلى نماذج سومرية أولى ، جدت صياغتها وتغيرت عبر القرون .

بيد أن هناك مصدراً ممكناً آخر للتأثيرات السومرية فى التوراة كانت مؤثراته ألصق وأقرب إليه من مؤثرات المصدر الذى وصف قبل قليل ، إن هذا المصدر ربما يعود فى الواقع إلى الأب إبراهيم نفسه . إن أغلب الباحثين يتفقون على أنه بينما تحتوى قصة إبراهيم كما وردت فى التوراة على الكثير مما هو أسطورى وخيالى ، فإنها تحتوى أيضاً على بذرة مهمة من الحقيقة بما فى ذلك ولادة إبراهيم فى مدينة «أور» الكلدانية ، التى ربما كانت حوالى ١٧٠٠ ق.م. ، وأخبار حياته مع عائلته هناك . وكانت «أور» إحدى أهم المدن السومرية القديمة . بل كانت فى الواقع عاصمة بلاد سومر فى ثلاثة عهود مختلفة فى تاريخ بلاد سومر . وكانت فيها «أيدوبا» (أى مدرسة) مشيرة للعجائب . وفى أثناء التنقيبات الانكليزية . الأميركية المشتركة التى أجريت هناك بين سنتى ١٩٣٢ و ١٩٣٤ كشف عن عدد كبير من الوثائق الأدبية . ومن الجائز جداً أن يكون لإبراهيم وآبائه صلة ما مع الإنتاج الأدبى السومرى الذى كان يستنسخ أو يبتدع فى مدرسة مدينتهم . وليس من المستحيل أبداً أن يكون هو وأفراد عائلته قد جلبوا معهم بعضاً من التقاليد والمعرفة السومرية إلى فلسطين ، حيث أصبحت تدريجياً جزءاً من التقاليد والمصادر التى استفاد الأدباء العبرانيون منها فى تأليف وتنقيح كتب التوراة .

ومهما يكن الأمر ، فإننا نقدم هنا عدداً من الأمثلة التوراتية المتطابقة مع ما هو موجود في الأدب السومري والتي تشير بلا شك إلى بقايا من التأثيرات السومرية :

١ - خلق الكون . لقد كان السومريون يعتقدون كيعتقد العبرانيون القدامى بأن البحر الأول كان موجوداً قبل الخليقة . وكان الكون بالنسبة للسومريين ، يتألف من سماء وأرض متحدين ولدتا بطريقة ما في هذا البحر الأول وإن الإله — الريح « أنليل » — الذى ربما لا يختلف عن روح ألوهيم — أى روح الله — فى سفر التكوين — هو الذى فصل السماء عن الأرض .

٢ — خلق الإنسان . لقد مُخِلق الإنسان ، وفقاً لتفكير كل من العبرانيين والسومريين ، من الطين وأشرب بـ « نفس الحياة » . أما النرض الذى خلق من أجله فهو خدمة الآلهة — أو يهوا لوحده عند العبرانيين — بالصلاة والابتهاال وتقديم القرابين .

٣ — أساليب الخلق . لقد تم الخلق وفقاً لكل من الكتاب التوراتيين والسومريين بصورة رئيسة بطريقتين : بأمر إلهى أو بـ « فعل » أو « تكوين » على . وفى كلا هاتين الحالتين كان التخطيط الإلهى يسبق الخلق الفعلى على الرغم من عدم التعبير عن هذه الحاجة إلى التخطيط على نحو واضح .

٤ - الجنة . لم يعثر حتى الآن على متطابقات سومرية لنصة جنة عدن وطررد الإنسان منها . بيد أنه توجد عدة مواضيع تتصل بالجنة لها أهمية بالنسبة لأغراض المقارنة ، بما فى ذلك موضوع واحد قد يساعد على توضيح قصة « الضلع » فى سفر التكوين : ٢ : ٢١ — ٢٣ . أضيف إلى ذلك وجود سبب وجيه للاعتقاد بأن فكرة جنة إلهية ، أو حديقة إلهية ذاتها من أصل سومرى (أنظر الفصل الرابع) .

٥ — الطوفان . تظهر الروايتان التوراتية والسومرية عن قصة الطوفان ، كما لوحظ منذ فترة طويلة ، عدداً كبيراً من الأفكار المتطابقة تطابقاً واضحاً والقوية

الصلة ببعضها البعض . ومما تجدر ملاحظته أيضاً حقيقة وجود عشرة ملوك حكموا قبل الطوفان ، وكانت أعمارهم طويلة إلى درجة غير طبيعية وفقاً لرواية عراقية واحدة على الأقل . ويذكرنا هذا ببعض الآباء التوراتيين في فترة ما قبل الطوفان .

٦ — موضوع قابيل وهابيل . إن موضوع المنافسة في قصة قابيل وهابيل الذي ورد في التوراة بلاشك بصورة مختصرة جداً كان موضوعاً محبوباً جداً عند الكتاب والشعراء السومريين (أنظر الفصل السابع) .

٧ — برج بابل وتشتت البشر . لقد بدأت قصة تشييد برج بابل بلا ريب في محاولة لتوضيح وجود الزقورات في بلاد ما بين النهرين . أما بالنسبة للبرانيين فإن هذه الأبنية الشاهقة ، التي غالباً ما يمكن رؤيتها في حالة من الخراب والدمار ، أصبحت رموزاً لشعور الإنسان بعدم الأمان ، وما يتصل به من لفة شديدة للحصول على السلطة ، تلك اللفة التي لا يعود عليه إلا بالذل والعذاب . ولذلك فإنه من المستبعد جداً العثور على مثل مطابق لهذه القصة عند السومريين ، الذين كانت الزقورة بالنسبة لهم تمثل رابطاً بين السماء والأرض ، أي بين الإله والإنسان ، غير أننا قد نجد من الناحية الأخرى نظيراً للفكرة القائلة بوجود عهد كانت فيه لشعوب الأرض كلها « لغة واحدة ونفس الكلمات » ، وأن نهاية هذه الحالة السعيدة جاءت على يد إله غضب في فقرة العصر الذهبي التي تكون جزءاً من القصة الملحمية السومرية « اينهر كر وسيد أراتا » (التي أشير إليها في بداية هذا الفصل) .

٨ — الأرض وتنظيمها . إن الأسطورة السومرية « أنكى ونظام العالم : تنظيم الأرض وعملياتها الحضارية » تقدم وصفاً مفصلاً لفعاليات « أنكى » ، إله الحكمة السومري ، في تنظيم الأرض وفي تأسيس ما يمكن التعبير عنه بالقانون والنظام فيها . إن لهذه القصيدة أصداء توراتية في سفر تثنية الاشتراع ٣٢ : ٧ — ١٤ ، على سبيل المثال (لاحظ بصورة خاصة المقطع ٨) وفي المزمور ١٠٧ .

٩ — الإله الشخصي . كان العبرانيون القدامى استنتاجاً من العهد بين الإله وإبراهيم — لاحظ أيضاً الإشارة إلى عبارة « إله ناحور Nahor » في سفر التكوين ٣١ : ٥٣ — على اطلاع على فكرة الإله الشخصي . لقد طور السومريون الاعتقاد بوجود إله شخصي في وقت مبكر يعود على الأقل إلى منتصف الألف الثالث ق . م . إذ كان لكل ذكر بالغ الرشد ورئيس عائلة وفقاً لرأى المعلمين والحكام السومريين « إلهه الشخصي » ، أو ما يشبه الملاك الخير الذي ينظر إليه كأب إلهي له . وكان هذا الإله الشخصي على ما يحتمل جداً يُتبنى من قبل رب الأسرة السومرية كنتيجة لوحى أو حلم أو رؤيا تتضمن تهماً متقابلاً أو اتفاقاً بين الطرفين لا يختلف عن العهد بين الآباء العبرانيين والإله يهوا .

في الواقع لم يكن هناك شيء قاطع بالنسبة للطرفين في العهد بين السومري وإلهه الحامي ، ولذلك كان في هذه الناحية يختلف اختلافاً كبيراً عن العهد بين إبراهيم وربّه . إن كل ما كان السومري ينتظره من إلهه الشخصي هو أن يتكلم لصالحه ويتدخل في مجمع الآلهة من أجله متى ما تتطلب الظروف ذلك وبهذا يحقق له حياة طويلة وصحة سائمة ، وكان الشخص مقابل ذلك يقوم بتمجيد إلهه بالأدعية والابتهالات وتقديم القرابين ، على الرغم من أنه كان يواصل في نفس الوقت عبادة آلهة المجمع الإلهي السومري الأخرى . ومع ذلك كانت هناك علاقة متمينة وودية وموثوق بها بل ورقيقة بين السومري وإلهه الشخصي ، علاقة تحمل في طياتها تشابهاً غير قليل من العلاقة بين يهوا والآباء العبرانيين وبين يهوا والعبرانيين كسكل في الأزمان المتأخرة ، كما تشير إلى ذلك الوثيقة الأدبية السومرية المعنونة « الإنسان وإلهه » .

١٠ — الشريعة . إن حقيقة كون كل من الشرائع التوراتية وشريعة حمورابي المعروفة منذ مدة طويلة تظهر العديد من التشابهات في المحتوى والصيغة ، بل حتى بالتنظيم ، قد لوحظت في الواقع من قبل دارسي العهد القديم جميعهم ، ولكن شريعة حمورابي نفسها ، كما ظهر في السدوات الأخيرة ، عبارة عن مؤلف أكدي استمد

بصورة عامة إلى النماذج السومرية الأولى (الفصل الرابع) وفي الواقع ، هناك سبب وجيه يدفعنا على الاستنتاج بأن نمو وتطور المفاهيم والممارسات والسوابق والتأليف القانونية الرائعين في الشرق الأدنى القديم يرجعان بصورة عامة إلى السومريين وإلى توكيدهم المبالغ به كثيراً على المنافسة والتفوق (انظر الفصل السابع .

١١ - الأخلاق والتعاليم الأخلاقية . إن المفاهيم الأخلاقية والمثل المعنوية التي طورها السومريون كانت متطابقة مع مفاهيم ومثل العبرانيين ، على الرغم من أنها كانت تفتقر إلى حساسيتها الخلقية وهماهما المعنوي الواضحين تقريباً وعلى الأخص في تلك السجاياء التي ضربت عليها أمثلة في الأدب التوراتي التنبؤي . لقد كان السومري من الناحية النفسية (السيكولوجية) أكثر تشاغلاً وتحفظاً من العبراني ، كان أكثر تحفظاً من الناحية العاطفية وأكثر تمسكاً بالشكليات وبالمنهجية . وكان ينزع إلى النظر إلى إخوانه من البشر بشيء من الشك والريبة بل وحتى بشيء من الخوف الذي كان يكبت إلى حد غير قليل الدفء والعطف والحنان البشري ، تلك الصفات الحيوية جداً بالنسبة إلى النمو الروحي والسعادة . وعلى الرغم من مكتسباته الخلقية الرفيعة فإن السومري لم يصل أبداً إلى الاعتقاد السامي بأن « قلباً نقياً » و « أيادي طاهرة » كانت تقدر عند الآلهة من أكثر الصاوات الطويلة والقرايين الوفيرة والطقوس المعقدة .

١٢ - الثواب والعقاب الإلهيان والكارثة القومية . إن غضب « يهوا » وإذلاله وتدميره للشعب الذي كان يجلب على نفسه ذلك تؤلف موضوعاً يتكرر دائماً في الكتب التوراتية . وكانت الكارثة القومية تحل عادة بهجوم عنيف يقوم به شعب مجاور يختار بصورة خاصة ليسكون عصا الإله « يهوا » وسوطه . وتقدم الوثيقة التاريخية « لعنة أكد » نظيراً مثيراً لهذا الموضوع : وهو أن « أنليل » الإله القائد في مجمع الآلهة السومري ، بعد أن أثار غضبه الشديد حاكم من حكام أكد أتصف

بالكفر رفع نظره إلى الجبال وجاء بالـ «جوتين» البرابرة القساة الذين لم يدمروا أكد فقط بل شرعوا أيضاً بتدمير كل بلاد سومر تقريباً .

١٤ — موضوع الوباء . تحتوى الأسطورة السومرية « إينانا وشوكاليتودا : خطيئة البستاني المميته » على موضوع حلول وباء في بلاد سومر يطابق إلى حد ما موضوع الوباء التوراتي في قصة سفر الخروج . ففي كلتا الحالتين أرسل إله أغضبته أفعال سيئة وأثم يقتطفه فرد من الأفراد سلسلة من الأوبئة على بلاد بكاملها وعلى سكانها .

١٥ — المعاناة والاستسلام : موضوع « أيوب » . لقد تيسرت قبل فترة قريبة جداً مقالة شعرية توراتية ذات أهمية غير قليلة بالنسبة للدراسات التوراتية المقارنة . إن موضوعها الرئيسى المعاناة والاستسلام البشرى ، متطابق مع الموضوع الذى عولج برقة متناهية وبشكل مثير للمشاعر في سفر « أيوب » في التوراة ، بل كانت حتى الأحداث التى ذكرت كمقدمة متشابهة : رجل من الناس — لم يذكر اسمه في القصيدة السومرية — كان غنياً وحكيماً وعادلاً . وكان يتمتع ببركة صفاء العيش مع الأصدقاء وذوى القربى ، أصيب في يوم من الأيام ، بلا سبب واضح بالسقم والعذاب والفقر وخيانة الأصدقاء وكره الناس له . على أننا نعتزف بأن هذه المقالة السومرية ، التى تتكون من أقل من مائة وخمسين سطراً لا تقارن بأية حال بالسفر التوراتي من حيث سعة المدى وعمق الفهم وجمال التعبير ، إلا أنها أقرب كثيراً من حيث المزاج والانفعال والمحتوى إلى الزامير التى وردت في « سفر الزامير » والتى تتصف بكثرة البكاء وشدة الحزن .

١٦ — الموت والعالم السفلى . إن عالم الموتى التوراتي ، ومثوى الأموات في الميثولوجيا الأغريقية بقدر ما يتعلق الأمر بهذا الموضوع لها ما يقابلها في الـ «كور» السومري . فقد كان الـ « كور » ، مثل عالم الموتى العبراني ، سكن الأموات المظلم الخيف . وكان أرضاً لا عودة منها ، ولو أنه قد يستدعى منها في حالات خاصة فقط

شبح شخصية كانت في يوم من الأيام بارزة لغرض الاستجواب . وتوجد في الوثائق الأدبية السومرية عدة متطابقات أخرى مثيرة مع الأفكار العبرانية التي تتصل بالعالم السفلى : مثل وصفه بأنه بيت الملوك والأمراء السابقين الحقير ، وصعود أشباح الموتى منه ، وسجن الإله « دوموزى » فيه ، وهو نفس « تموز » الذي ورد ذكره في العهد القديم ، والذي كانت نساء القدس يقمن المفاحات من أجله إلى زمن متأخر في أيام النبي « حزقيال »^(١) .

نكتفي بهذا القدر من المتطابقات التوراتية الواضحة والمهمة المأخوذة من الأدب السومري . ولا حاجة بنا للقول بأن هذه القائمة لا تمس إلا السطح فقط . فثلاً بينما كنت أفتح ترجمة تفويم الفلاح لإعدادها لهذا الكتاب فوجئت بمثلين لها طبيعة خلقية متطابقتين لما ورد في التوراة أغفلتهما الترجمة السابقة وهما : النصيحة المؤثرة المقدمة للفلاح ليظهر الشفقة على « المتقطين » في موسم الحصاد وعلى الثيران أثناء عملية الدراسة . وفي السنين القادمة ، وكما ترايد عدد الوثائق الأدبية السومرية المتيسرة للباحثين . سينمو عدد المتطابقات السومرية ويتضاعف ، وعلى الأخص مع ما في كتب المزامير والأمثال والمرثيات ونشيد الإنشاد . إن هذه الاعتبارات تقودنا إلى سؤال ربما خطر فعلاً في ذهن القارئ وهو : إذا كان السومريون شعباً ذا أهمية أدبية وحضارية بارزة بالنسبة لعالم الشرق الأدنى القديم كله حتى إنهم تركوا أثراً لا يمحى في أعمال الكتاب العبرانيين الأدبية ، فلماذا تبدو آثارهم ضئيلة في التوراة ؟ ففي سفر التكوين ، الفصلان ١٠ و ١١ مثلاً — نجد جداول تضم عدداً كبيراً من الأشخاص الذين يحتلون وظيفة « الأيثنيم » وأسماء الأقطار والمدن ولكن لا يوجد على ما يبدو أى ذكر للسومريين في التوراة كله ، باستثناء كلمة « شنعار » الغامضة ، التي يحددها الباحثون عادة بسومر ، ولكنها تمثل في الواقع المرادف

(١) لقد حرم النواح علي « تموز » في عهد النبي « حزقيال » الذي قال عنه بأنه من الأمور المكروهة البغيضة . (المترجم) .

السومرى لكلمة مركبة هى « سومر — أكد » ، وهذه الحقيقة (أى حقيقة عدم الإشارة بوضوح إلى السومريين فى التوراة) لا يمكن أن تتفق مع تفوقهم وأثرهم الواضحين .

... ومن المثير جداً أن أستاذى وزميلى « آرنو پوبل » اقترح قبل (أكثر) من ربع قرن حلاً لهذا اللغز المحير على شكل تعليق مختصر فى مقال نشره فى المجلة الأمريكية للغات السامية (العدد ٥٨ [١٩٤١] ، ٢٠ — ٢٦) . إلا أن اقتراح « پوبل » لم يجد استجابة من المستشرقين وأحيل إلى النسيان العلمى ، بيد أنى على ثقة تامة بأن هذا الاقتراح سيصمد أمام امتحان الزمن وسيعترف به فى الوقت المناسب كإسهام هام بالنسبة لمشكلة العلاقات السومرية — العبرانية .

على أنه قبل تقييم ملاحظة « پوبل » ينبغى على القارئ أن يضع فى ذهنه قاعدة (لغوية) صوتية سومرية غريبة فى الواقع ولكنها تستند إلى أسس صحيحة ومقبولة بصورة عامة ، وهى جوهرية فى معالجة ذكية للمشاكل المتصلة بهذا الموضوع . إن هذه القاعدة التى وضعت صياغتها حجر الأساس فى دراسة اللغة السومرية ، يمكن أن يعبر عنها بالشكل التالى : لقد كانت الحروف السومرية التى تأتى فى نهاية الكلمات قابلة للحذف ولم ت تلفظ فى الكلام ما لم تتبعها أداة قواعدية تبدأ بحرف علة أو تتألف من حرف علة واحد . وعلى هذا كانت الكلمة السومرية « آشاج » التى تعنى « حقل » ، مثلاً ، تلفظ « آشا » (بحذف الحرف الأخير ج) ، ولكن إذا جاءت هذه الكلمة نفسها فى التركيب السومرى « آشاج — آ » أى « فى الحقل » ، حيث تكون « آ » أداة قواعدية تقابل الكلمة العربية « فى » ، (الإنكليزية in) ، فإنها كانت تلفظ « آشاج » وليس « آشا » . ومثل ذلك الكلمة السومرية التى تعنى « إله » « دينجير » فقد كانت تلفظ فى الواقع « دينجى » حيث يكون الحرف الأخير « ر » صامتاً . ولكنها كانت تنطق « دينجير » وليس « دينجى » فى الكلمة المركبة « دينجير — أى » التى تعنى « من قبل الإله » حيث تمثل « أى » الكلمة العربية « من قبل » (الإنكليزية by) .

ولنعد الآن إلى مشكلتنا والبحث عن كلمة « سومر » أو بتعبير أدق « شومير » إذا استعملنا الصيغة التي وجدت في الوثائق السامرية . لقد فوجئ « يوبل » بتشابه هذه الكلمة مع الانم « شم » أكبر أولاد نوح ، والسلف القديم للأسماء التي ذكرت في جداول « الايونيم » مثل « آشور » و « عيلام » و « آرام » ، وقبل كل شيء « اير » (Eber) الذي شغل وظيفه « إيثونيم » عند العبرانيين . بيد إن مطابقة « شم » مع « سومر » تضع أمامنا مشكلتين هما : التبادل بين حرفي العلة « e و u » وحذف « er » في نهاية الكلمة . إن أولى المشكلتين لا تسبب في الوقت الحاضر أية صعوبة لنا . فالعوت « u » في الكتابة السامرية غالبا ما يصبح « e » في العبرانية — وكلمة « شومو » الأكديّة التي تعني « اسم » والعبرانية « شم » مثل يتصل بصورة خاصة بالموضوع الذي نبهت فيه . أما بالنسبة للمشكلة الثانية وهي حذف « er » من كلمة « شومير » في الكلمة التي تقابلها في العبرانية « شم » — فإن هذا يمكن الآن توضيحه بتطبيق القاعدة السومرية في حذف الحروف الصحيحة الأخيرة ، لأن الكلمة « شومير » كانت تنطق « شومي » ، وعلى احتمال أكبر « شوم » (لأن الحرف الأخير « ي » ، قصير جداً مثل حرف العلة في « شيوا » shewa ، وعلى هذا يكون العبرانيون قد أخذوها من السومريين — على صورة « شم » . هذا وإن « شم » ليست المثل الوحيد على اسم عبراني استعير من كلمة سومرية دون حرفه الصحيح الأخير . فإن اسم المدينة التي ولد فيها إبراهيم يكتب « أور » في التوراة . ولكن الاسم السومري ، كما أصبح معروفا منذ زمن طويل ، ليس « أور » وإنما « أوريم » ، وعبارة « في أور » ، على سبيل المثال ، هي « أوريم — آ » وليس « أور — آ » وعلى هذا فقد استعار التوراتيون الاسم في هذه الحالة أيضاً كما كان ينطق في اللغة السومرية عندما لا تأتي بعده أداة قواعدية تبدأ بحرف علة .

وإذا تبين أن نظرية « يوبل » صحيحة ، وأن « شم » مطابقة لـ « شومير » — سومر » ، فإنه يجب أن نفترض بأن مؤلفي التوراة العبرانيين ، أو بعضهم على

الأقل ، كانوا يعتبرون السومريين أسلاف الشعب العبراني الأصليين . ولكن إذا تكلمنا من الناحية اللغوية فإنهم كانوا على خطأ كبير في ذلك : فاللغة السومرية من اللغات الملصقة التي لا صلة لها بعائلة اللغات السامية القابلة للتصريف ، العائلة التي تعتبر العبرانية فرعاً منها . ولكن من الجائز جداً أن يكون هناك دم سومري جدير بالاعتبار في أسلاف إبراهيم الذين عاشوا لعدة أجيال في مدينة « أور » أو في بعض المدن السومرية الأخرى . أما بالنسبة للحضارة والمدنية السومريتين — فإنه لا يوجد سبب للشك بأن العبرانيين الأوائل قد تشربوا واستوعبوا الشيء الكثير من أساليب الحياة السومرية العبرانية ، وباختصار ربما كانت الاتصالات السومرية العبرانية أكثر ارتباطاً مما كان يظن حتى الآن ، وربما كان للقانون العبراني الوارد في (يوشع ٢٠٢) جذور غير قليلة تمتد تحت تربة بلاد سومر .

٢



الملاحق

لقد أعد الملاحظان (أ) و (ب) لإعطاء القارىء فكرة عن الكتابة واللغة السومريتين .

يشمل الملحق (ج) ترجمات خمسة وثلاثين نصاً نذرياً استندت بصورة عامة على نسخة خطية أعدها « آرنوبوبل » عند ما كان يعمل فى كتابه « أساس القواعد السومرية » . واستند الملاحظان (و - رقم ١) و (ز - رقم ١ - ٣) على هذه النسخة الخطية أيضاً . وللاطلاع على المراجع الخاصة بالنص الأصيل للكتابات النذرية . أنظر بصورة خاصة : النصوص الملكية السومرية الأكديّة للعلامة « ثيورو - داجن » ؛ والنصوص الملكية من سومر واکد ، للأستاذ « جورج بارتون » ؛ ونصوص « لجش » من فترة ما قبل العهد السرجونى ، للأستاذ « آدموند سوليبرجرز » .

ويشمل الملحق (د) نماذج من الصيغ - التأريخية^(١) أخذت من مصادر متعددة .

الملحق (هـ) عبارة عن ترجمة منقحة لقائمة الملوك السومرية مستندة إلى فائمة الملوك التى درسها ونشرها « ثوركايلد جاكبسون » وعلى بحث « أف . آر . كراوس » المعنون نحو قائمة بملوك بلاد بابل القدامى . وعلى استنساخات المؤلف لكسر الألواح التى تنصل بالموضوع والمنشورة فى نشرة متحف الجامعة . (أنظر القسم ١١ من المراجع) . وتستند الأقسام من ٢ - ٤ من الملحق (و) إلى دراسة أولية قام بها المؤلف لمادة الألواح المتصلة بالموضوع .

بالنسبة للملحق (ز) (أنظر ما قبل أعلاه عن ملحق ج) .

ويستند الملحق (ح) إلى كتاب : شريعة « لبت - عشتار » ، للأستاذ « فرانس آر . ستيل^(٢) » .

إن الملحق (ط) عبارة عن ترجمة لتقويم الفلاح ، أعدت بالتعاون مع « ثوركايلد جاكبسون » و « بينو لاندزبرجر » و « ميخائيل سيفيل » .

(الملحق أ) : أصل نظام الكتابة المسمارية وتطوره

من المرجح أن السومريين هم الذين بدأوا في الأصل نظام الكتابة المسمارية . وجاءت أقدم النصوص التي اكتشفت حتى الآن — وهي تزيد على ألف لوح وكسرة لوح من حوالى سنة ٣٠٠٠ ق م — مدونة على ما يرجح باللغة السومرية . وسواء أكان السومريون هم الذين اخترعوا الخط أم غيرهم فن المؤكد أنهم هم الذين طوروه في الألف الثالث ق م . إلى أداة نافعة في الكتابة . وقد أدركت الشعوب المجاورة قيمة هذه الأداة العملية تدريجاً فاستعارتها من السومريين وكيفتها كي تتلائم مع لغاتها الخاصة . وفي حدود الألف الثاني ق م . أصبحت هذه الكتابة شائعة الاستعمال في كافة أنحاء الشرق الأدنى .

— لقد بدأ الخط المسماري على شكل كتابة صورية، حيث كانت كل علامة عبارة عن صورة شيء مادي واحد أو أكثر، وتمثل كلمة كان معناها مطابقاً لذلك الشيء — الذى تمثله الصورة أوله علاقة قريبة به . إن عيوب نظام كهذا عيوب مضاعفة لسببين : إن أشكال العلامات المعقدة وما تتطلبه كتابة كهذه من أعداد كبيرة من هذه العلامات ، يجعل هذا الخط صعباً للغاية عند استخدامه عملياً . وتغلب الكتابة السومريون على الصعوبة الأولى بتبسيط أشكال العلامات ووضعها تدريجاً في أشكال محددة مصطلح عليها حتى لم تعد أصولها الصورية بعد ذلك ظاهرة للعيان . أما بالنسبة للصعوبة الثانية ، فإنهم اختزلوا عدد العلامات ووضعوها ضمن حدود معقولة بالجوء إلى أساليب مفيدة متنوعة . وكان أهم أساليب اتباعه هو التعويض عن

الكتابة التي تمثل فيها كل صورة كلمة (أى كتابة إيديوغرافية) بالكتابة الصوتية (حيث تمثل كل علامة صوتاً مقطعيّاً) . وقد أُعد (شكل ٦) لتوضيح هذا التطور . وفيما يلي تفسير العلامات التي وردت فيه .

رقم ١ — صورة نجمة ، وهي تمثل بالدرجة الأولى الكلمة السومرية « آب » التي تعنى « سماء » وتستخدم نفس العلامة للدلالة على كلمة « دينجر » وتعنى « إله » .

رقم ٢ — تمثل الكلمة « كى » وتعنى « أرض » ومن الواضح أنه أريد بها أن تكون صورة للأرض ، على الرغم من أن تفسير العلامة لا يزال غير مؤكد .

رقم ٣ — لعلها صورة مختصرة للجزء الأعلى من جسم الإنسان . وهي تمثل الكلمة « لو » أى « رجل » .

رقم ٤ — صورة الفرج . إنها تمثل الكلمة « شال » وتعنى « فرج » ، وتستخدم نفس العلامة لتمثل الكلمة « مونوس » أى « امرأة » .

رقم ٥ — صورة جبل . وهي تمثل الكلمة « كور » التي تعنى من حيث الأساس « جبل » .

رقم ٦ — توضح هذه الصورة الطريقة البارة التي طورها مخترعو نظام الكتابة السومري في وقت مبكر من تاريخ الكتابة حيث كانوا يستطيعون التعبير بواسطتها بأسلوب صوري عن كلمات يصعب التعبير عنها بطريقة الصور الاعتيادية . فالعلامة التي تمثل الكلمة « جيمة » ، أى « أمة » ، مركبة في الواقع من علامتين ، العلامة التي تمثل « مونوس » أى « امرأة » والعلامة « كور » أى « جبل » (العلامتان رقم ٤ و ٥ في الجدول) وعلى هذا تعبر العلامة المركبة حرفياً عن الفكرة التي تعنى « امرأة جبيلة » . ولكن لما كان السومريون يحصلون على إيمانهم بصورة عامة من المناطق الجبلية القريبة منهم ، فإن هذه العلامة المركبة أصبحت تمثل بصورة ملائمة الكلمة السومرية « جيمة » أى « أمة » .

رقم ٧ - صورة رأس . إنها تمثل الكلمة السومرية « ساج » أى « رأس » .
رقم ٨ - صورة رأس أيضا . تشير الخطوط العمودية فيها إلى الجزء الذى قصد
تحديده من الرأس - أى الفم . ولذلك فإن هذه العلامة تمثل الكلمة السومرية
« كا » أى « فم » . وتمثل العلامة نفسها الكلمة « دج » أى « تكلم » .

رقم ٩ - يرجح أن تكون صورة إناء كان يستعمل بصورة خاصة لحفظ الطعام .
إنها تمثل الكلمة « نيندا » أى « طعام » .

رقم ١٠ - علامة مركبة مؤلفة من العلامتين اللتين تمثلان الفم والطعام (رقم ٨
ورقم ٩ فى الثبت) . إنها تمثل الكلمة « كو » أى « الأكل » .

رقم ١١ - صورة لجرى نهر . إنها تمثل الكلمة (آ) أى « ماء » . وتمدنا
هذه العلامة بتوضيح ممتاز للطريقة التى فقد بها الخط السومرى تدريجياً صفته الصورية
المعقدة وأصبح نظاماً صوتياً للكتابة . فمع أن الكلمة السومرية « آ » ، المثلة
بالعلامة رقم ١١ ، كانت تستعمل بالدرجة الأولى للتعبير عن كلمة « ماء » إلا أنها
كانت تعنى أيضاً « فى » ، والكلمة « فى » تعبر عن علاقة لغوية وتمثل مفهوماً
يصعب التعبير عنه تعبيراً صورياً . فخطرت لمبتدعى الخط السومرى الفكرة البارة
وهى أنه بدلا من محاولة إيجاد علامة صورية معقدة لتمثل كلمة « فى » كان باستطاعتهم
أن يستعملوا نفس العلامة التى تمثل « آ » « ماء » لأن الكلمتين متطابقتان تماماً فى
اللفظ . إن الكتبة السومريين الأوائل بدأوا يدركون بأن من الممكن استخدام أى
علامة تمثل كلمة محددة عن كلمة أخرى لا علاقة بينهما بالمعنى إذا كان لفظ كل من
الكلمتين متطابقاً . وبانتشار هذه الممارسة تدريجياً فقد الخط السومرى صفته الصورية
وأخذ يتجه أ كثر فأ كثر نحو تحوله إلى مجرد خط صوتى .

رقم ١٢ - علامة مركبة من علامة الـ « فم » وعلامة الـ « ماء » (رقم ٨
و ١١) . إنها تمثل الكلمة « ناج » « الشرب » .

رقم ١٣ - صورة تمثل الجزء الأسفل من الساق والقدم فى وضع يشير إلى المشى .
إنها تمثل الكلمة « دو » أى « الذهاب » وكذلك الكلمة « جوب » أى « الوقوف » .

رقم ١٤ - صورة ظافر . إنها تمثل الكلمة « موشين » أى « طائر » .

	٥	٤	٣	٢	١
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					

شكل (٦) أصل نظام الكتابة المشائية وتطوره . لوح بين أشكال ثمانى عشرة علامة
من حوالى سنة ٣٠٠٠ ق . م . إلى حوالى ٦٠٠ ق . م .

	٥	٤	٣	٢	١
١٠					
١١					
١٢					
١٣					
١٤					
١٥					
١٦					
١٧					
١٨					

شكل (٦) تسعة

- رقم ١٥ — صورة سمكة . إنها تمثل « خا » أى « سمكة » . وتقدم لنا هذه العلامة مثلاً آخر على التطور الصوتى الذى طرأ على الخط السومرى . فالكلمة السومرية « خا » لا تعنى « سمكة » فقط بل تعنى أيضاً كلمة « لعل » — أى إنه كان عند السومريين كلمتان متطابقتان فى اللفظ ولكن لا علاقة بينهما فى المعنى مطلقاً . وهكذا بدأ الكتاب السومريون فى وقت مبكر من تطور الخط استخدام العلامة « خا » الدالة على « سمكة » للتعبير عن « خا » الدالة على معنى « لعل » التى تطابقها فى اللفظ .
- رقم ١٦ — صورة رأس وقرنى ثور . إنها تمثل الكلمة « جود » أى « ثور » .
- رقم ١٧ — صورة رأس بقرة . إنها تمثل الكلمة « آب » أى « بقرة » .
- رقم ١٨ — صورة سنبله شعير . إنها تمثل الكلمة « شى » أى « شعير » .

إن العلامات الواردة فى الحقل الأول تعود إلى أقدم عهد معروف فى تطور الكتابة السومرية . ولم يمض وقت طويل بعد اختراع الخط الصورى حتى وجد الكتبة السومريون أن من الأسهل تدوير اللوح بطريقة بحيث أصبحت الصور مقابلة على ظهورها . وأثناء تطور الكتابة أصبح هذا الأسلوب فى وضع اللوح هو الأسلوب الشائع وانحرفت العلامات بانتظام بزاوية قدرها ٩٠ درجة . ويقدم الحقل الثانى من الثبت العلامات الصورية وهى فى تلك الهيئات المائلة ، ويمثل الحقل الثالث الخط « القديم » الذى كان سائداً حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . ، ويمثل الحقل الرابع أشكال العلامات حوالى سنة ١٨٠٠ ق . م . التى كانت تكتب بها أغلب الوثائق الأدبية . أما العلامات المبسطة أكثر من ذلك المرسومة فى الحقل الأخير من الثبت فكانت هى العلامات التى استعملها الكتّاب الذين كانوا فى خدمة الملوك فى بلاد « آشور » فى الألف الأول قبل الميلاد .

الملحق (ب) اللغة السومرية :

اللغة السومرية لغة ماصقة^(١) غير قابلة للتصريف كما تتصرف اللغات الهندية — أوربية أو السامية ، وجذورها بصورة عامة لا تتغير . أما وحدتها القواعدية الأساسية فهي المركب اللفظي وليس الكلمة المفردة . وتميل أدواتها القواعدية نحو الاحتفاظ بينيتها المستقلة ، أكثر مما تميل نحو الإتصال بجذور الكلمات إتصالاً وثيقاً . وعلى ذلك تشبه اللغة السومرية إلى درجة غير قليلة اللغات الماصقة الأخرى مثل اللغة التركية والهنغارية وبعض اللغات القوقازية . بيد أن اللغة السومرية مازالت تقف بمفردها من حيث المفردات والقواعد والتركيب ولا علاقة لها ، على ما يبدو ، بأي لغة أخرى حية أو منقرضة . وتوجد في اللغة السومرية ستة أصوات (حروف) علة : ثلاثة منها حروف علة مفتوحة (أو طويلة) وهي (a , e , o) وثلاثة حروف علة مقابلة لها مغلقة (مرتفعة) وهي (u , ē , ā) . وكانت حروف العلة لا تلفظ بوضوح ، وكثيراً ما كانت تحور وفقاً لقانون خاص في تناسق أصوات العلة . وكان هذا يصح بصورة خاصة بالنسبة لحروف العلة في الأدوات القواعدية التي كانت قصيرة ولا يشدد عليها في النطق . وغالباً ما كانت هذه تحذف في نهاية الكلمة أو بين حرفين صحيحين .

ويوجد في اللغة السومرية خمسة عشر حرفاً صحيحاً : ب ، پ ، (؟) ، ت ، د ، ج (تلفظ الجيم كفا فارسية أو كما تلفظ في اللهجة المصرية الدارجة) ، ك ، ز ، س ، ش ، خ ، ر ، ل ، م ، ن ، ج (تلفظ كما تلفظ ug في كلمة lung الانكليزية) . وكانت الحروف الصحيحة قابلة للحذف ، فكانت لا تلفظ في نهاية أى كلمة ما لم تتبعها أداة قواعدية تبدأ بحرف علة .

وتتكون أغلب الجذور السومرية من مقطع واحد على الرغم من وجود عدد

(١) انظر ص ٧ ، ملاحظة (١) للاطلاع على تعريف اللغة الماصقة . (المترجم)

كبير من الكلمات ذات المقاطع المتعددة . ويستخدم تضعيف الجذر للإشارة إلى جمع الأسماء أو الأفعال ، وكثيراً ما تتألف الأسماء من كلمات مركبة مثل : « لو — جال » أى « ملك » ، (رجل — كبير) ، و « دوب — سار » أى « كاتب » ، (« كاتب — اللوح ») ، و « دى — كو » أى « قاض » (« مقرر — الحكم ») . وتصاغ الكلمات المجردة بإضافه « نام nam » التى تشبه « ship » الانكليزية فيقال « لو — جال » ، أى « ملك » ، و « نام - لو — جال » أى « ملكية » ، ولا يوجد للأسماء جنس (أى لا يوجد مذكر ومؤنث) ، وهى تقسم بدلا من ذلك إلى صنفين ، حى ، ولا حى . وتعود الحيوانات إلى صنف اللا حى ، إذا تكلمنا من الناحية القواعدية .

١

تتألف الجمل السومرية من : (١) سلسلة من مركبات إسمية تتعلق بالسند إما كفاعل ، أو كفعول به ثانٍ أو كفعول به يدل على زمان أو مكان (ظرف) أو مفعول به ، (٢) الأدوات القواعدية التى تعبر عن هذه العلاقات (٣) السند المؤلف من الجذر الفعلى المسبوق بأداة جذرية وسلسلة من الإضافات التى تعيد باختصار توضيح العلاقة بين الجذر والمركبات الإسمية . ويجوز أن يتألف المركب الإسمى من إسم بمفرده أو من إسم وجميع مقيداته القواعدية ، مثل الصفات والمضاف إليه والفقرات الموصولة وضمائر التملك . وتأتى أدوات الصلة دائماً فى نهاية المركب الأسمى كله ولذلك تعرف بالألفاظ المؤخرة .

— إن اللغة السومرية فقيرة فى الواقع بالصفات وغالباً ما تستعمل تعابير فى حالة المضاف إليه بدلاً عنها . ولا تستعمل الصلات وأدوات العطف إلا نادراً (*)

وترتب الكلمات والمركبات والفقرات ذات الصلة بالموضوع عادة بلا روابط .

(*) ولهذا السبب وضع حرف العطف فى الملاحق بين قوسين (للدلالة على عدم وجوده فى النص) ، بيد أن الترجمات التى وردت فى الكتاب لم تكن ثابتة من هذه الناحية . (لم يتقيد المترجم بوضع حرف العطف بين قوسين) .

ولا يوجد اسم موصول في اللغة السومرية ، وتستعمل بدلا عن ذاك أداة إسمية في نهاية الفقرات . أضف إلى ذلك أن الفقرات الموصولة لا تستعمل إلا بدرجة محدودة فقط ، وغالبا ما يحل محلها اسم فاعل يطابق المصدر في الصيغة .

وكانت توجد ، بالإضافة إلى اللهجة السومرية الرئيسية التي ربما كانت تعرف بـ « أيميجر » « اللغة الأميرية » عدة لهجات أخرى أقل أهمية منها . وكانت واحدة منها ، وهي الـ « إيميسال » تستخدم بصورة رئيسة في الخطب التي تلقى من قبل إلهات أو نساء أو خصية .

————— ٢١ —————

الملحق (ج) الكتابات النثرية :

١ — « أنبيادا » ملك « أور » ، (لوح) .

« أنبيادا » ، ملك « أور » ، ابن « ميس أنبيادا » ، ملك « أور » ،
شيد بيتاً لـ « نينخورساج » .

٢ — « لوجال كيچينيدودو » ملك « الوركاء » و « أور » ، (إناء) .

عندما وجه « أنليل » ، ملك الأقطار كلها ، نداء قاطعاً إلى « لوجال كيچينيدودو »
ووجهه الإمارة إلى جانب الملكية في « الوركاء » والملكية في « أور » ، عندئذ كرس
« لوجال كيچينيدودو » من أجل حياته (هذا الإناء) لـ « أنليل » ، ملكه المحبوب
بغبطة شديدة .

٣ — « لوجال كيچينيدودو » (لقد جمع هذا النص من ثلاث كتل كبيرة
من حجر الجرانيت الأحمر غير المنحوت وحجر المرمر الأبيض) .

٤ — « أينشا كوشانا » . (نص جمع من إناءين) .

« أينشا كوشانا » — حاكم سومر ، ملك البلاد ، عندما أمرته الآلهة

وأعلن الحرب على « كيش » وأسر « أينبي — عشتار » ، ملك « كيش » .
 (عندئذ) [توسل إليه] سكان « أكشاك » وسكان « كيش » بألا يدمر المدن
 أيضاً ، [ولكنه ينبغي أن يأخذ] ممتلكاتهم (بدلا عن ذلك) لقد أعاد لهم
 مدينتيهم (كما أرادوا) ، (ولكن) كرس في « نسر » تماثيلهما (أي تماثيل أكشاك
 وكيش) — ومعدنهما الثمين ، وأحجارها السكرية ، وممتلكاتهما المصنوعة من
 الخشب لـ « أنليل » ملك الأقطار .

٥ — « اينشا كوشانا » ، (إناء) .

« اينشا كوشانا » كرس لـ « أنليل » ممتلكات « كيش » التي شن
 الحرب عليها .

٦ — « أور — نانشه » ملك « لجش » ، (مزلاج باب) .

« أور — نانشه » ، ملك « لجش » ، ابن « جونيدو » بن « جورمو » ،
 شيد بيت « نينجرسو » ، وشيد بيت « نانشه » وشيد بيت « جاتو مدوج » ، وشيد
 جناح الحرم ، وشيد بيت « نينبار » . وجلبت له سفن « دلون » خشباً كأثاوة من أقطار
 أجنبية . وشيد الـ « ابجال » وشيد الـ « كينير » وشيد بيت — الصولجان (؟) .

٧ — (أور — نانشه » ملك « لجش » ، (لوح) .

« أور — نانشه » ، ملك « لجش » ، ابن « جونيدو » بن « جورمو » ،
 شيد بيت « نانشه » ، ونحت (تمثال) « نانشه » ، الملكة والسيدة وأقام سياج معبد
 « جيرسو » ، ونحت (تمثال) « شولشاجا » ، وشيد الـ « ابجال » ، ونحت (تمثال)
 « لوجالورو » . . . ؟ ونحت (تمثال) « لوجالورو » ، وشيد الـ « كينير » ، ونحت
 (تمثال) « نيناب » ونحت (تمثال) « نينجيردي » وشيد بيت « جاتو مدوج »
 ونحت (تمثال) « جاتو مدوج » ، وشيد الـ « بجارا » . وشيد جناح الحرم ، وأقام
 « آزو » القنوات ، وشيد الـ « تيراش » .

٨ - « أور - نانشه » ملك « لجش » (مزلاج باب) .

عندما شيد « أور - نانشه » ، ملك « لجش » ، ابن « جونيدو » « جيرسو » مسكن « نينجرسو » ، كرس (له مزلاج الباب هذا) ، وبني (كذلك) بيت « نانشه » وشيد ال « ابجال » ، وشيد ال « بجارا » ، وشيد جناح الحرم ، وشيد بيت « جاتومدوج » ، وشيد ال « تيراش » .

٩ - « أياناتم » ملك « لجش » ، (آجرة) .

« أياناتم » ، أنسى « لجش » ، الذى مُنح القوة من قبل « أنليل » ، والذى يغذى على الدوام من قبل « نينخورساج » بلبند (لها) ، والذى أعلن اسمه « نينجرسو » ، والذى اختير من قبل « نانشه » فى قلب (لها) ، ابن « أكورجال » ، أنسى « لجش » ، فتح بلاد « عيلام » وفتح « أوروآ » ، وفتح « أوما » ، وفتح « أور » . فى ذلك الوقت حفر بئراً وشيد (جدرانها) بأجر مفخور لـ « نينجرسو » فى باحة معبده الواسعة . إن إلهه (أى إله أياناتم) هو « شولوتولا » . عندئذ أحب « نينجرسو » « أياناتم » .

(وينتهى النص هنا ، إلا أنه من المرجح أن يكون هذا مقتطفاً من نص طويل يتحدث عما فعله الإله « نينجرسو » من أجل « أياناتم » بسبب حبه له) .

١٠ - « أياناتم » ملك « لجش » . (كتلة من الحجر)

لـ « نينجرسو » - « أياناتم » ، أنسى « لجش » ، الذى أعلن اسمه الإله « أنليل » ، والذى وهبه الإله « نينجرسو » القوة ، ومن اختارته الإلهة « نانشه » فى قلب (لها) ، الذى كانت تغذيه الإلهة « نينخورساج » دائماً بلبند (لها) والذى سمته الإلهة « إينانا » بإسم حسن ، والذى وهبه الإله « أنكى » الفهم ، حبيب « دوموزى - آبزو » الذى يثق به « هنددورساج » ، صديق « لوجال لورو » المحبوب ، ابن « أكورجال » أنسى « لجش » - جده (أى جد أياناتم) كان

« أور — نانشه » ، أنسى « لجش » — أعاد بناء « جيرسو » لـ « نينجرسو » ،
وشيد له سور الـ « مدينه المقدسة » ، وشيد « نينا » لـ « نانشه » .

« أياناتم » فتح « عيلام » ، الجبل الشامخ وملاً تلّول مدافهم (أى ملاً
مدافن العميلامين) بالقتل . لقد قهر حاكم « أوروا » الذى وضع شعار مدينة « أوروا »
على رؤوسهم (أى رؤوس سكان مدينة أوروا) وملاً تلّول مدافهم . لقد فتح « أوما »
وملاً تلّول مدافهم العشرين ، وأعاد إلى « نينجرسو » حقله المحبوب « جوايدينا »^(١) .
وفتح « الوركاء » ، وفتح « أور » ، وفتح « كى أوتو » وأحال « أوروا » إلى أرض
خرية (و) قتل حاكمها . وأزل الدمار فى « ميشيمه » ، وهدم « آروآ » .

مع « أياناتم » ، الذى أعلن اسمه « نينجرسو » تحاربت الأقطار الأجنبية .
وفى السنة التى هب فيها ملك « أكشاك » (للحرب) ، سدّد « أياناتم » ، الذى
أعلن اسمه « نينجرسو » ضربة لـ « زوزو » ملك « أكشاك » (فى المنطقة الممتدة)
من « أتناسورا » التابعة لـ « نينجرسو » إلى « أكشاك » وقضى عليه . فى ذلك
الوقت حفر « أياناتم » قناة جديدة لـ « نينجرسو » وأطلق عليها اسم « لوماجيمدوج » ،
على اسمه الـ « تيدنو »^(٢) ، وهو « لوما » أما « أياناتم » فقد كان اسمه السومرى .

لـ « أياناتم » ، أنسى « لجش » الذى أنجبه « نينجرسو » (فى فكره) أعطت
« إينانا » ، لأنها أحبته ، ملكية « كيش » بالإضافة إلى حاكمية « لجش » .

لقد حارب (سكان) « عيلام » « أياناتم » ، وأرجع « أياناتم » (سكان)
« عيلام » إلى بلادهم . وتحاربت معه « كيش » ، وأرجع ملك « أكشاك »
إلى بلاده .

(١) مقاطعة بين « لجش » و « أوما » ، وكانت كل مدينة تحاول الاستيلاء عليها مما جعلها
مصدراً للمشاكل بين المدينتين . (المترجم) .

(٢) يفترض بأنه اسم أطلقه عليه الشعب السامى « مارتو » الذى كان فى مقاطعة « تيدنو »
الواقعة إلى الغرب من بلاد سومر . (المترجم) .

أ) «أياناتم» ، أنسى «لجش» ، الذى جعل الأططار الأجنبية تخضع لـ «نينجورسو» ،
ضرب بلاد «عيلام» ، و «شوبور» ، و «أوروآ» على حدود (قناة)
«أسوخور» . وضرب «كيش» و «أكشاك» و «مارى» فى «أنتاسورا»
التابعة لـ «نينجورسو» .

لقد قوى (جانبى القناة) «لوما جيمدوج» لـ «نينجورسو» وقدمه هدية له .
(عندئذ) أقام «أياناتم» ، الذى وهبه «نينجورسو» القسوة ، خزاناً لقناة
«لوما جيمدوج» (يحتوى ؟) على ٣٦٠٠ «جور» سعة كل منها «أول»
(ربما حوالى ٧٥٦٠٠ غالونا) .

«أياناتم» ، الذى تصوره «نينجورسو» (فى فكره) ، والذى شيد له إلهه
(الشخصى) «شولوتولا» القصر «تيراش» للإله «نينجورسو» .

١١ - «أياناتم» أنسى «لجش» ، (مقتطفات من نص مدون على
مسلة النسر) .

(١) الأفضال، الإلهية التى أنعم بها على «أياناتم» .

بـ «أياناتم» ، ، ، «إينانا» ابتهجت ، «إينانا» أمسكت بساعديه
ودعته بالإسم «أى أنا — إينانا — أبجال كاتوم» (أى هو — الذى جدير
بـ أى — أنا — إينانا — الإبجال) . (عندئذ) أجلسه على ركبة «نينخورساج»
اليمنى (فقدمت) «نينخورساج» نديها الأيمن له .

بـ «أياناتم» ، البذرة التى زرعت فى الرحم من قبل «نينجورسو» ، ابتهج
«نينجورسو» . وحدد (له) «نينجورسو» باعا (إضافياً) ، وحدد (له) من
الأذرة إلى حد خمس أذرع . (جاعلاً أياها بذلك) خمس أذرع وباعاً واحداً .
إن «نينجورسو» بمهجة شديدة .

(ب) قسم العهد :

« أيانا تم » وضع شبكة — « شوشكال » العائدة للإله « أنليل » فوق رجل « أوما » وأقسم (رجل أوما) له (أى لأيانا تم) . (وهذا هو) قسم رجل « أوما » لـ « أيانا تم » : « بحياة « أنليل » ، ملك السماء والأرض سأكل من حقول « نينجرسو » إلى حد « كارو » واحداً (فقط) ، وسأدعى (كحق لي) بالمنطقة الممتدة إلى السدة القديمة (فقط) . ولكن سوف لا أنتهك إلى أبد الآبدين حرمة حدود « نينجرسو » قط ، كما لا أتجاوز على سدوده وقنواته (التي تكون الحدود) كما لن أقتلع مسلاته . (وعلى كل حال) إذا اعتديت (على الحدود) ، عسى عندئذ أن تلقى على « أوما » من السماء شبكة « شوشكال » العائدة لـ « أنليل » ، الذى أقسمت به » .

أضف إلى ذلك أن « أيانا تم » تصرف بفطنة . فقد وضع على عين حمامتين بهاراً وثر على رأسيهما أرزاً (؟) ثم جعلهما يؤكلان من أجل « أنليل » فى مدينة « نقر » (مع ترديد العهد التالى) : « ما بقيت الأيام وما دام يُنطق بالكلمات ، لو فكث رجل « أوما » ، لا فرق بأمر من أو بطلب من عهد ، (هـ) للملكى « أنليل » ، ملك السماء والأرض ، (عندئذ) عسى أن تلتقى على « أوما » من السماء الشبكة « شوشكال » شبكة « أنليل » الذى أقسم (بحياته) فى اليوم الذى ينقض فيه ذلك العهد » .

(بعدئذ) وضع « أيانا تم » شبكة الـ « شوشكال » العائدة لـ « نينخور ساج » فوق رجل « أوما » وأقسم (رجل أوما) له (أى لأيانا تم) . (وهذا هو) ما أقسم به رجل « أوما » لـ « أيانا تم » : « بحياة نينخور ساج ، سأكل من حقول « نينجرسو » إلى حد « كارو » واحداً (فقط) ، وإلى حد السد القديم ، فقط سأدعى (به كحق من حقوق) : ولكن سوف لا أنتهك إلى أبد الآبدين حرمة حدود « نينجرسو » ولا أتجاوز على سدوده وقنواته (التي تكون الحدود) ، كما ولن أقتلع

مسلاته . (بيد أنه) لو اعتديت (على الحدود) ، عندئذ عسى أن تلقى على «أوما» من السماء الشبكة «شوشكال» العائدة لـ «نينخور ساج» .

أضف إلى ذلك أن «أيانا تم» تصرف بفطنة . فقد وضع على أعين حمايتين بهاراً ونثر على رأسيهما أرزاً (؟) وجعلهما يؤكلان من أجل «نينخور ساج» في مدينة «كش Kesh» (مع ترديد العهد) التالي ، «ما بقيت الأيام وما دام ينطق بالكلمات إذا نكث رجل «أوما» ، كان من كان من يأمره بذلك ، أو يطلب إليه ذلك ، عهده لامي «نينخور ساج» ، (عندئذ) في اليوم الذي ينتهك فيه رجل «أوما» حرمة ذلك العهد ، عسى أن تلقى على «أوما» من السماء الشبكة «شوشكال» العائدة لـ «نينخور ساج» الذي أقسم بها «رجل أوما» .

(بعدئذ) وضع «أيانا تم» شبكة «شوشكال» العائدة للإله (أنكي) ، ملك «آزو» فوق رجل «أوما» وأقسم (رجل أوما) له (أى لأيانا تم) . (وهذا هو) قسم رجل «أوما» لـ «أيانا تم» : «بحياة «أنكي» ملك الـ «آزو» سأكل من حقول (نينجرسو) إلى حد كارو واحداً (فقط) . وإلى حد السد القديم فقط سأدعى به (كحق لي) ، ولكن سوف لا أنتهك قط حرمة حدود «نينجرسو» إلى أبد الآبدين ، كما لن اعتدى على سدوده وقنواته (التي تسكوّن الحدود) ولن اقتلع مسلاته . (بيد أنه) لو انتهكت حرمة (الحدود) عسى أن تلقى على «أوما» من السماء شبكة — «شوشكال» العائدة لـ «أنكي» ملك الـ «آزو» الذي أقسمت به .

أضف إلى ذلك أن (أيانا تم) تصرف بفطنة . فقد أطلق سراج . . . في . . . العائد لـ «نينجرسو» وقطع سمك «سوحور» من الـ «آزو» بأسنانه (مع ترديد الرجاء التالي) : «ما بقيت الأيام وما دام ينطق بالكلمات ، لو نكث رجل «أوما» كان من كان من يأمره بذلك أو يطلب إليه ذلك ، عهد ، () للمليكي «أنكي» ، (عندئذ) في اليوم الذي ينتهك فيه حرمة ذلك العهد ، عسى أن تلقى على «أوما» من السماء شبكة — «شوشكال» العائدة لـ «أنكي» .

(بعدئذ) وضع « أيانا تم » شبكة الـ « شوشكال » العائدة للإله « سين » ثور « أنليل » الشاب الجرىء ، فوق رجل « أوما » وأقسم رجل « أوما » له (أى لأيانا تم) . (وهذا هو) قسم رجل « أوما » لـ « أيانا تم » : « بحياة سين ثور أنليل » الشاب الجرىء سأكل كل من حقول « نينجرسو » إلى حد كارو واحداً (فقط) وإلى حد السد القديم فقط سأدعى به (كحق لى) : ولكن لن أعتدى إلى أبد الآبدين على حدود « نينجرسو » ولا أتجاوز على سدود وقنوات (الحدود) ، كما لن اقتلع مسلاته . (بيد أنه) لو انتهكت حرمة (الحدود) عسى أن تلقى على « أوما » من السماء شبكة الـ « شوشكال » العائدة للإله سين ثور « أنليل » الشاب الجرىء الذى أقسمت به .

أضف إلى ذلك أن « أيانا تم » تصرف بفطنة . (فن الحلمات الأربع التى وضع على أعينها بهاراً ، ونثر على رؤسها أرزاً ؟) ، [جعل] اثنتين [تؤكلان] فى « أور » [من أجل نانا] ؟) ، واثنتين تؤكلان فى جايش ؟) من أجل « سين » (مع ترديد العهد التالى) : « ما بقيت الأيام وما دام ينطق بالكلمات ، إذا نكث رجل « أوما » ، كان من كان من يأمره بذلك او يطلب إليه ذلك ، عهدمليكي « سين » ، ثور أنليل الشاب الجرىء ، (عندئذ) عسى ان تلقى على « أوما » من السماء الشبكة « شوشكال » العائدة لـ « سين » ثور « أنليل » الشاب الجرىء الذى أقسم به فى اليوم الذى ينسكت فيه ذلك العهد .

(بعدئذ) وضع « أيانا تم » شبكة الـ « شوشكال » العائدة للإله « أوتو » ملك الـ فوق رجل « أوما » له (أى لأيانا تم) . (وهذا هو) قسم رجل « أوما » لـ « أيانا تم » : « بحياة « أوتو » ملك الـ . . . ! سأكل كل من حقول « نينجرسو » إلى حد « كارو » واحداً (فقط) ، وإلى حد السد القديم (فقط) سأدعى به (كحد لى) ، ولكننى لن أعتدى إلى أبد الآبدين على حدود « نينجرسو » ، كما لن أنتهك حرمة سدوده وقنواته (التى تكون الحدود) ، ولن اقتلع مسلاته (غير أنه) لو اعتديت (على الحدود) عندئذ عسى أن تلقى على

«أوما» من السماء الشبكة الـ «شوشكال» العائدة لـ «أوتو» ملك الـ ...
الذى أقسمت بحياته .

أضف إلى ذلك أن «أياناتم» تصرف ببطانة . فقد وضع على أعين حمامتين بهاراً ونثر على رأسيهما أرزاً (؟) وجعلها تؤكلان من أجل «أوتو» ملك الـ ... ، في «لارسا» ، عند الـ ... «أى بابار» (مع ترديد العهد التالى) : «ما بقيت الأيام وما دام يُنطق بالكلمات لو نكث رجل «أوما» ، كان من كان من يامر به بذلك أو يطالب إليه ذلك ، عهد (هـ) لـ «أوتو» (عندئذ) ، فى اليوم الذى ينكث فيه ذلك العهد ، عسى أن تلقى على «أوما» من السماء الشبكة «شوشكال» العائدة لـ «أوتو» ، ملك الـ ... الذى أقسم بحياته .

(بعدئذ) [وضع (؟)] «أياناتم» حية «نينكى» [أمام (؟)] رجل «أوما» ، ونطق (رجل أوما) باسم «نينكى» (أى أقسم بها) ، (وهذا هو) قسم رجل «أوما» لـ «أياناتم» : «بجياة «نينكى» سأكل من حقول «نينجرسو» إلى حد «كارو» واحداً (فقط) ، وإلى حد السد القديم فقط سأدعى به (كحق لى) ولكننى إلى أبد الأبد لن انتهك حرمة الحدود ، كما لن أعتدى على سدود (هـ) وقنواته (التي تكون الحدود) . (غير أنه) لو اعتديت عليها (أى على الحدود) ، (عندئذ) عسى أن تخرج «نينكى» الحية التى نطقت باسمها ، من الأرض لتفرز أنيابها فى قدم «أوما» ، وفى اللحظة التى تعبر فيه مدينة «أوما» ذلك السد ، عسى أن تقتلع «نينكى» قدمه (أى قدم رجل أوما من الأرض) .

أضف إلى ذلك أن «أياناتم» تصرف ببطانة ... (*) (مع ترديد العهد التالى) :
ما بقيت الأيام ، وما دام يُنطق بالكلمات ، إذا نكث رجل «أوما» ، كان من كان من

(*) تتوقع وجود وصف فى هـ هذه الفقرة لعمل طقوسى يقوم به «أياناتم» مماثل ، مثلاً ، لإرساله الحمام الذى وود فى بعض الفقرات المتطابقة السابقة .

بأمره بذلك أو يطلب إليه ذلك ، عهد (،) لأمى « نينكى » ، (عندئذ) فى اليوم الذى ينتهك حرمة ذلك العهد ، عسى أن تخرج « نينكى » الحية ، التى أقسم بخيائها ، من الأرض لتغرس أنيابها فى قدم « أوما » ، (وفى اللحظة) التى تعبر فيها مدينة « أوما » ذلك السد القديم ، عسى أن تقتلع « نينكى » قدمه (أى قدم رجل الوما) من الأرض .

(ج) سم المسلة :

إن اسم المسلة هو : « نينجرسو » ، سيد التاج الثمر ، حياة — القناة —
« أوجيدينا » . وهذا ليس اسم رجل . إنه فى الواقع اسم (المسلة) (أى) اسم
مسلة « جوايدينا » ، حقل « نينجرسو » المحبوب ، الذى أعاده « إياناتم »
لـ (نينجرسو) .

« إياناتم » ، الذى (يستخدمه) « نينجرسو » لقمهر أقطار أعداء .

١٢ — « إياناتم » الأول ملك « لجش » ، (هاون من حجر الديورايت) .
لـ « نينجرسو » فارس « إنليل » الأول — « إياناتم » أنسى « لجش » ،
الذى (يستخدمه) « نينجرسو » لقمهر أقطار الأعداء ، ابن « اكورجال » أنسى ،
« لجش » ، أمر بصنع هاون لسحن البصل وكرسه من أجل (إطالة) حياته
لـ « نينجرسو » فى الـ « انينوم » .

١٣ — « إياناتم » الأول ملك « لجش » ، (رأس هراوة من الحجر) .
(برا كيسومون) (؟) ، خادم « إياناتم » ، أنسى « لجش » ، الـ « سوكال »
كرسه (أى رأس الهراوة) لـ « نينجرسو » فى « إنينو » من أجل حياة ملكه
« إياناتم » .

١٤ — « إينتسينا » ملك « لجش » . (مخاريط)

« إنليل » ملك الأقطار جميعها ، والد الآلهة كلها ، حدد حدود « نينجرسو »
و « شارا » بكلمته الثابتة ، وقام « ميسيام » ملك « كيش » بتحديد أبعادها وفقاً

لكلمة «ساتران» وأقام مسألة هناك . (ولكن «أوش» ، إنسى «أوما» انتهك حرمة (كل من) قرار (الآلهة) والعهد (الذى تعهد به كرجل لرجل) واقتلع مسلتها (أى مسألة الحدود) ودخل سهل «لجش» .

(عندئذ) دخل «نينجرسو» ، فارس «إنليل» الأول ، معركة مع (رجال) «أوما» وفقاً لكلمته (أى كلمة إنليل) الصريحة ، وبكلمة «إنليل» ألقى عليهم الشبكة العظيمة وكدس السهل بأكوام هياكلهم العظيمة (؟) فى أماكنهم (المتعددة) . (وكنتيجة لذلك) حدد «إياناتم» إنسى «لجش» ، عم «إينتمينا» . إنسى «لجش» بالاشتراك مع «إينا كالى» ، إنسى «أوما» الحدود ، فجعل خندقها (الذى يمثل الحدود) يمتد من قناة «إدنون» إلى «جوايدينا» ، وكتب على (عدة) مسلات ووضعها على طول ذلك الخندق ، وأعاد مسألة «ميسيليم» إلى مكانها (السابق) ، (ولكنه) لم يدخل سهل «أوما» . (عندئذ) بنى هناك الـ «أمدويا» العائدة لـ «نينجرسو» والـ «نامنونا» — كيجيرا — بالإضافة إلى مزار «إنليل» ومزار «نينجروساج» ومزار «نينجرسو» ومزار «أوتو» :

(أضف إلى ذلك ، إنه بعد أن تمت تسوية الحدود) ، أصبح بإمكان سكان «أوما» أن يأكلوا شعير (الآلهة) «نانشه» وشعير (الإله) «نينجرسو» بمقدار «كارو» واحد (لكل فرد من سكان أوما) بصفة (فقط) . وفرض «إياناتم» (أيضاً) ضريبة عليهم (وبذلك) حقق لنفسه ١٤٤٠٠٠ «كارو» كبير» (كدخل له) .

ولأن هذا الشعير لم يدفع - (من جانب أن) «أور - لوما» أنسى «لجش» حرم قناة حدود «نينجرسو» وقناة حدود «نانشه» من الماء واقتلع من الماء مسلات (قناة الحدود) وأحرقها ، وهدم مزارات الآلهة المكرسة (؟) التى شيدت فى «نامنونا» — كيجارا ، وحصل على (عون من) الأقطار الأجنبية ، (وأخيراً) عبر قناة حدود «نينجرسو» ، - (بسبب كل تلك الأعمال) دخل «إياناتم» فى حرب

معه في الـ « جانا — أوجيجا » ، (حيث تقع) حقول ومزارع « نينجرسو » وأوقع به « إينتيמיينا » بن « أينانتم » المحبوب الهزيمة . (عندئذ) هرب « أور — لوما » (على حين) قام « إينتيميينا » بذبح (جنود أوما) (بعد أن لاحقهم) إلى داخل « أوما » (نفسها) ، (أضف إلى ذلك) أنه قام بالقضاء (؟) على قوته (أى قوات أور — لوما) المختارة (المؤلفة من) ستين جندياً على ضفة قناة « لوما جيرنوتتا » . (أما بالنسبة) لرجالها (أى رجال أوما المحاربين) فإنه (أى إينتيميينا) ترك جثثهم في السهل (لتلتهمها الطيور والوحوش) (ومن ثم) كدس هياكلهم العظيمة (؟) في خمسة أَمَا كن (متفرقة) .

« بيد أنه » في ذلك الوقت قام « إيل » ، رئيس معبد « زابالام » بتدمير (؟) (البلاد) من « جيرسو » إلى « أوما » . واستولى « إيل » على أنسية « أوما » وقطع الماء عن قناة حدود « نينجرسو » وقناة حدود « نانشة » وعن « أمدوبا » « نينجرسو » وعن تلك القطعة (من الأرض الصالحة للزراعة) من قطع « جيرسو » التي تقع باتجاه نهر دجلة ، وعن « ناموندا — كيجارا » « نينخورساج » ولم يدفع (أكثر من) ٣٦٠٠ « كارو » من الشعير (المستحق عليه لمدينة) لجش . وعندما كان « إينتيميينا » أنسى « لجش » يبعث باستمرار رجاله إلى « إيل » بسبب تلك القناة (التي تكون الحدود) كان « إيل » إنسى « أوما » ، ناهب الحقول والمزارع ، الناطق بالشر ، يقول : « أن قناة حدود « نينجرسو » وقناة نانشة التي تكون الحدود تعودان لى » . (بل بلغ به الأمر) أن قال : « إننى سأمارس السلطة من أنتاسورا إلى معبد ديمجال — آزو » ، غير أن « إنليل » و « نينخورساج » لم يمنحاه هذا الحق .

« إينتيميينا » أنسى « لجش » الذى أعلن اسمه « نينجرسو » ، حفر هذه القناة (التي تحدد الحدود) من نهر دجلة إلى « أدنون » وفقاً لأمر « إنليل » الصريح ، ووفقاً لأمر « نينجرسو » الصريح ووفقاً لكلمة « نانشة » الصريحة ، وأعادها للملكة المحبوبة « نانشة » بعد أن شيد أساس الـ « ناموندا — كيجارا » بالآجر . عسى « شولوتولا »

إله «إينتيמיينا» أنسى «لجش» ، الذى وهبه «أنليل» الصولجان ، والذى وهبه «أنكى»
 اللهم ، والذى اختارته «نانشه» فى قلبه (سها) ، أنسى «نينجرسو» العظيم ، الرجل
 الذى تسلم أوامر الآلهة ، أن يقف (أى الآله شولوتولا) إلى الأبد حرفياً «إلى الأيام
 البعيدة» فى حضرة «نينجرسو» و «نانشه» (ويتضرع إليهما) من أجل حياة
 «إينتيميينا» .

إن رجل «أوما» الذى سيعبر (فى أى وقت فى المستقبل) قناة حدود «نينجرسو»
 وقناة حدود «نانشه» ليستولى على الحقول والمزارع بالقوة — سواء أكلن هو (حقاً)
 من «أوما» أو كان أجنبياً — عسى أن يدمره «أنليل» — وعسى أن ينزل عليه
 «نينجرسو» ، بعد أن يرمى شبكته العظيمة عليه ، بيده العظيمة وبقدمه الرفيعة ،
 وعسى أن يضربه سكان مدينته بعد أن يشورا عليه ، فى وسط مدينته .

١٥— «إينتيميينا» ملك «لجش» (آجرة)

من أجل «نينجرسو» فارس «أنليل» الأول ، «إينتيميينا» أنسى
 «لجش» ، الذى الذى اختارته «نانشه» فى قلبها ، أنسى «نينجرسو» العظيم ،
 عمل «إيماخ» الحدود الذى أقيم من قبل «أنليل» لـ «نينجرسو» ، «أنتيميينا»
 لـ «نينجرسو» ، مايكه الذى يحبه ، جعله (أى الإيماخ) يمتد من الـ «أودنون»
 إلى «موبيكور» (؟) ، (و) أقام له (هناك) مسلات الحقول والمزارع (الواقعة
 على) حدود «نينجرسو» . إن إله «إينتيميينا» (الشخصى) الذى شيد «إيماخ»
 «نينجرسو» ، هو «شولوتولا» .

١٦— «إينتيميينا» ملك «لجش» (مزلاج باب)

لـ «نينجرسو» ، فارس «أنليل» الأول ، شيد «إينتيميينا» بيت العربية .
 إن إله «إينتيميينا» ، الذى شيد بيت العربية ، هو «شولوتولا» .

١٧- « إينتيهينا » ملك « لجش » (آجرة)

عسى أن يقف « شولوتولا » ، إله « إينتيهينا » ، أنسى « لجش » ، الذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، ابن « إينانتم » ، أنسى « لجش » ، الرجل الذى شيد الـ « ايشجى » لـ « نينجرسو » ، إلى الأبد (حرفياً : « إلى الأيام البعيدة ») فى حضرة « نينجرسو » - « نينجرسو » فارس « أنليل » الأول - فى الـ « إينيتو » (ويتضرع إليه) من أجل حياته (أى حياة إينتيهينا) .

١٨- « إينتيهينا » ملك « لجش » (مسمار طيني)

لـ « نانشة » إلهة (معبد) « أى - إينجورا » ، شيد « إينتيهينا » ، أنسى « لجش » الذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، ابن « إينانتم » ، أنسى « لجش » الـ « أى - إينجورا » (بيت العمق) ، وزين لها « بستان » النخيل بالذهب والفضة . لقد جلبه (أى المسمار الطيني) إلى الـ « أى - إينجورا » وأودعه (هناك) من أجلها (أى نانشه) .

١٩- « إينتيهينا » ملك « لجش » (حجير)

لـ « نينجرسو » فارس « أنليل » الأول - لقد شيد « إينتيهينا » أنسى « لجش » ابن « إينانتم » ، أنسى « لجش » قصر « إيناسورا » لـ « نينجرسو » وزينه بالذهب والفضة . لقد أقام له حديقة الـ وحفر آباراً (شيد جدرانها) بالآجر المفخور . فى ذلك الوقت ، شيد عبده « دودو »^(١) ، « سانجا »^(٢) « نينجرسو » ، الـ « داسيلا »

(١) كان « دودو » كاتباً سومرياً عاش حوالى عام ٢٣٨٠ (المترجم) .

(٢) « سانجا » هو السكان الذى يقوم على إدارة المعبد ، ويكون الكهان الذين يتولون المنصب طبقة قائمة بذاتها . (المترجم) .

جدار « جوايدينا » وسماه « أى — إيجى — إيل — أيدينا » (أى « بيت السهل الذى يفتح العين ») . وشيد جدران أُرصفة عبارات « جيرسو » النهرية وسماها « اينريشجال » (« السيد — الذى — يعطى — نفسى — الحياة ») . عسى أن يسجد إلهه (الشخصى) « شولولوتا » (مصلياً) أمام « نينجرسو » فى الـ « إينينو » من أجل حياته (أى حياة اينتيمينا) .

٢٠— اينتيمينا « ملك » لجش » (إناء فضى)

لـ « نينجرسو » فارس « ألبيل » الأول — « أتيمينا » أنسى « لجش » الذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، ابن « ايناناتم » أنسى « لجش » ، صنع لـ « نينجرسو » الملك الذى يحبه ، إناء من فضة ثقبة ومن حجر (?) ليشرب فيه « نينجرسو » ، وجلبه إلى « نينجرسو » فى الـ « إينينو » من أجل حياته .

فى ذلك الوقت كان « دودو » هو الـ « سانجا » لـ « نينجرسو » .

٢١— « دودو » (كتلة حجر صغيرة مربعة الشكل)

لـ « نينجرسو » (فى معبد) « إينينو » ، جلب « سانجا » « نينجرسو » جلبه (هذا الحجر) من « إوروا » وصنع منه رأس هراوته .

« دودو » « سانجا » « نينجرسو » الأول . (كتابه بالقرب من صورة رجل محفورة) .

٢٢— « ايناناتم » الثانى ملك « لجش » (مزلاج باب) .

لـ « نينجرسو » ، فارس « ألبيل » الأول — لقد جدد « ايناناتم » ، أنسى « لجش » ، الذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، ابن

« إينتيميننا » ، أنسى « لجش » ، لـ « نينجرسو » معصرة خمرة . إن إله « إينانتم »
(الشخصي) ، الرجل الذي جدد معصرة خمر « نينجرسو » ، هو « شولوتولا » .

٢٣- «أوروكا جينا»^(١) ملك «لجش» (رقعة من الطين على شكل زيتونة).

إن اسم (هذه الرقعة الطينية) هو - « نينجرسو » تكلم (بعطف) مع «باو»
في معبد (الوركاء) بشأن خير «أوروكا جينا» .

٢٤- «أوروكا جينا» ملك «لجش» (مخاريط)

لـ « نينجرسو » ، فارس « أنليل » الأول ، شيد «أوروكا جينا» ملك «لجش»
القصر « تيراش » وشيد له الـ «أتاسورا» ، وشيد بيت «باو» لها (أى لباو) ،
وشيد الـ «بورساج» ، بيته الـ «سادوج» له (أى لينجرسو) ، وشيد سقيفة جز
صوف الغنم في « المدينة المقدسة » لها (أى لباو) ، وحفر لـ «نانشه» الـ «ايدناندو»
« القناة — الذاهبة — إلى — نينا » ، قناتها المحبوبة ، وجعل مستودع مائها كأنه في
وسط المحيط ، وشيد سور «جيرسو» له (أى لينجرسو) .

منذ القدم في سالف الدهور ، من (اليوم) الذي خرجت فيه بذرة (الإنسان) كان
الرجل الموكل بالملاحين يستحوذ على السفن ، وكان رئيس الرعاة يستحوذ على الحمير ،
وكان رئيس الرعاة يستولى على الأغنام ، وكان الرجل الموكل بمصائد الأسماك يستولى
على مصائد الأسماك ، وكانت جرايات شعير كهنة الـ «جودا» توزن (لغير صالحهم) في
الـ «آشتي» (الذي يفترض بأنه كان مخزن الحماكم) . وكان على رعاة الأغنام التي
تحمل الصوف أن يدفعوا فضة (إلى الأنسى) من أجل (جز صوف) الشاة البيضاء .
وكان على الموكل بمساحي الحقل ، ورئيس الـ «جالا» والـ «آجريج» والرجل الموكل
عن التخمين وجميع الـ «أوجولا» أن يدفعوا الفضة من أجل جز صوف غنم

(١) آخر ملوك «لجش» في عصر فجر السلالات ، اشتهر بأصلاحات الاجتماعية التي قدم
المؤلف لها الصفحات التالية (المترجم) لا

ال « جابا » وكانت ثيران الآلهة تحرث قطع أرض الأنسى المخصصة لزراع البصل ، وكانت حقول الأنسى المخصصة لزراعة البصل والخيار تقع في أحسن حقول الإله . وكانت حمير ال « بيرا » وأحسن ثيران ال « سانجا » ترسل (كضرائب على ما يفترض إلى الأنسى) . وكانت حاشية الأنسى تقسم شعير ال « سانجا » (لغير صالح السانجا) ، وكانت أردية ال « سانجا » ، (تأتي هنا قائمة تحتوي على خمس عشرة مادة ، بالدرجة الأولى من الملابس ، لا يمكن معرفة أغلبها) تؤخذ كضريبة (إلى قصر الأنسى) . وكان ال « سانجا » الموكل (بتجهيزات) الطعام يقطع أشجار حديقة الأم الساخطة ويأخذ الفاكة .

لقد كانت جعة الذى يأتى بالميت إلى المقبرة (لدفنه) -- (أى الجعة التى يتقاضاها كأجر له عن ذلك) ٧ أباريق وكان (عدد أرغفة) خبزه ٤٢٠ . وكان ال (موظف لا يمكن تحديد هويته) يستلم ٢ « أول » من شعير ال « حازى » ، ورداء واحداً ، ومسند رأس واحداً ، وسريراً واحداً . وكان ال « لودىما » يستلم « أول » من الشعير .

وكانت جعة من يأتى بمواطن ليستريح بين قصب « أنكى » - ٧ أباريق ، وكان (عدد أرغفة) خبزه ٤٢٠ ، وكان ال . . . (موظف غير محدد الهوية) يتسلم ٢ « أول » من الشعير وسريراً واحداً وكرسياً واحداً . وكان ال « لودىما » يتسلم « أول » من الشعير .

لقد كان على الصنّاع ان يتسولوا من أجل الحصول على خبزهم (حرفياً : كانوا يأخذون خبز التوسل) ، وكان على أصحاب المهن أن يلتقطوا فضلات الطعام (؟) عند البوابة العظيمة .

وكانت بيوت الأنسى وحقول الأنسى ، وبيوت وحرَم (القصر) وحقول حرم (القصر) وبيوت أطفال (القصر) وحقول أطفال (القصر) تراحم بعضها البعض . وكان جبابة الضريبة منتشرين (في كل مكان) من حدود « نيجرسو » إلى البحر .

وإذا حفر تابع (من اتباع) الملك بئراً في أعلى جزء من حقله ، كان يقبض على رجل أعمى (ليستخرج الماء وكان لا يمهده على ما يفترض بما يكفيه من الطعام والشراب) وإنه (أى تابع الملك) كان يقبض على رجل أعمى من أجل سحب ماء الـ «موشدو» الذى (يغمر) الحقل (لتخفيف الحقل على ما يفترض إذا كان ذلك ضرورياً ولا يمهده بما يكفيه من الطعام والشراب) .

هذه كانت ممارسات الأيام السابقة (الاجتماعية) .

(ولكن) عندما وهب « نينجرسو » فارس « أنليل » الأول ، ملكية إلى « أورو كاجينا » وأمسكت به يده (أى يد نينجرسو) من بين المجموع (حرفياً : « ٣٦٠٠٠ رجل ») عندئذ فرض « نينجرسو » عليه (حرفياً « وضع له » قرارات الأيام السالفة (الإلهية) .

وتمسك « أورو كاجينا » بشدة بالكلمة التى قالها له مليكه « نينجرسو » ومنع (حرفياً : « ألقى بعيداً ») الرجل الموكل بالملاحين من « الاستحواذ » على السفن . ومنع رئيس الرعاة من (الاستحواذ) على الحمير والأغنام . ومنع ناظر مصائد الأسماك من (الاستحواذ على) مصائد الأسماك . ومنع الرجل الموكل بالاستودع من (وزن) مؤنة كهنة — الـ « جودا » من الشعير . ومنع مأمور التنفيذ (رئيس الشرطة) من (تسلم) الفضة (المدفوعة عن جز صوف) الأغنام البيضاء . وخراف الـ « جودا » . ومنع المأمورين من أخذ الضريبة من مديرى المعابد (من طبقة السانجا) التى (كانت) تؤخذ (عادة إلى القصر) .

لقد جعل « نينجرسو » ملكاً على بيوت الأنسى وحقول الأنسى . وجعل « باو » ملكة على بيوت حرم (القصر) وحقول (القصر) . وجعل « شولشاجانا » ملكاً على بيوت أطفال (القصر) وحقول أطفال (القصر) . ولم يعد هناك حياة للضرائب من حدود « نينجرسو » إلى البحر .

وكانت جعة من يأتى بالميت إلى القبرة (للدفن) ثلاثة أباريق (فقط) ، وكان

٤ (عدد أرغفة) خبزه ٨٠ (فقط) . وكان الـ ٠٠٠ (موظف هويته غير معروفة) يتسلم سريراً واحداً (فقط) . ومسند رأس واحداً . وكان الـ « لوديجا » يستلم ٣ « بان » (١ أول) من الشعير (فقط) وكانت جعة من يأخذ مواطناً (ليستريح) بين قصب « أنكي » — أربعة أباريق (فقط) وكان (عدد أرغفة) خبزه ٢٤٠ (فقط) وكان الـ ٠٠٠ (موظف هويته محدودة) . يتسلم « أول » واحداً (فقط) من الشعير . وكان الـ « لوديجا » يتسلم ٣ « بان من الشعير (فقط) . وكانت الـ « نيندنجير » تتسلم عصابة رأس امرأة واحدة . و « سيلا^(١) » واحدة من الزبدة .

١ (ويسجل النص عند هذه النقطة إصلاحاً يبدو بأنه كان أمراً جديداً وليس معالجة إصلاحية لممارسة من الممارسات السيئة التي كانت موجودة في السابق ، وهو : كميات وأنواع متعددة من الخبز والجمعة كانت تعطى كمؤنة ثابتة إلى أفراد معينين مثل كهان « جيرسو » من طبقة كهان الـ « جالا » وكهان « لجش » من طبقة الـ « جالا » وكذلك إلى كهان آخرين من طبقة الـ « جالا » وإلى رابطة أصحاب الحرف وإلى موظفين لا يمكن تحديد هوياتهم من مدينة « نينا » ، وعمال معينين ممن فقدوا بصرهم ، وعمال آخرين . وبعد هذا يواصل النص بتعداد إصلاحات المساوىء السابقة) .

إنه (أى أوروكا جينا) قضى على (ضرورة قيام) أصحاب الحرف (بالتقاط) فضلات طعام (؟) البوابة . وقضى على (اضطرار) الصنائع على الاستجداء من أجل الحصول على خبزهم ، ولم يعد الـ « سانجا » (المسؤول) عن (إمدادات) الطعام (يجراً) على الدخول إلى حديقة الأم الساخطة (بى) يقطع الأشجار ويأخذ الفاكهة) .

إنه (أى أوروكا جينا) أعلن (كذلك هذين الأمرين) : (١) عندما يولد حمار لتابع من أنباع ملك ويقول له رئيسه « أريد أن أبتاعه منك » . ولكن عندما يكون هو (أى الرئيس) على وشك ابتياعه منه ويقول له (تابع الملك) « ادفع لى بقدر ما أراه مناسباً » (حرفياً : « زن لى من الفضة التي تسعد قلبي ») ، ثم إذا رفض

(١) تعادل الـ « سيلا » ٨٥٠ / من اللتر . (المترجم)

بيعه (حرفيا : « لا يسمح له بأن يشتري منه ») فعلى الرئيس ألا يضطره إلى فعل ذلك (حرفيا : « يجب ألا يضربه » من أجل أن يضطره على القبول) . (٢) عندما يكون بيت تابع ملك إلى جوار بيت « رجل كبير » ويقول له ذلك « الرجل الكبير » « أريد أن أبتاعه منك » وعندما يكون (« الرجل الكبير ») على وشك أن يشتريه منه، ولكن (تابع الملك) يقول له « أدفع لي بقدر ما أراه مناسباً » أو « أدفع لي شعيراي عادل بيتي » ثم إذا رفض بيعه يجب على ذلك « الرجل الكبير » ألا يكرهه على فعل ذلك .

إنه (أى أورو كا جينا) عفى عن « مواطني » (حرفيا « أبناء ») « لجش » الذين (كانوا في السجون بسبب) الديون (التي وقعت عليهم) ، (أو بسبب) كميات (القمح التي يدعيها القصر) كحق (له) ، (أو بسبب) الشعير (الذي يدعى القصر بأنه يعود) لخازنه ، (أو بسبب) سرقة أو قتل ، وأطلق سراحهم .

(وأخيراً) أخذ « أورو كا جينا » عهداً على نفسه في حضرة « نينجرسو » بأن على أى رجل سلطة ألا يقترب (إنما) ضد يتيم أو أرملة قط .

لقد حفر « أورو كا جينا » خلال هذه السنة لـ « نينجرسو » القناة الصغيرة العائدة لـ « جرسو » (ربما حرفيا : « التي تمتلكها جرسو ») وسماه بأسمه القديم (أو ربما بالعكس ، ألغى اسمه القديم) ، مسماها إياه « نينجرسو — الذى — هو — قوى — خارجاً من — نفس » . . . لقد أوصله بقناة « نيناندو » (قائلًا) : « عسى أن تجلب القناة الصافية التي « قلبها مشع ماءً نقياً لمائش » .

٣٥ — « أورو كا جينا » ملك « لجش » (مخروط) :

(تبدأ هذه الكتابة بمجدول يحتوى على الأعمال البنائية التي أنجزها « أورو كا جينا » في « لجش » لآلئها المتعددة . وبعد الجدول مباشرة يشرع النص بتعداد الإصلاحات العديدة للمساوىء التي كانت سائدة في بلاد سومر قبل عهده) :

في تلك الأيام ، عندما وهب « نينجرسو » فارس « أنليل » الأول ، ملكية

«جيرسو» إلى «أورو كما جينا»، وأمسكت به يده (أى يد نينجرسو) من بين الجموع ،
(حرفياً: «٣٦٠٠٠ رجل عندئذ (حرر) «أورو كما جينا» سكان «لجش» (من المظالم التالية):

كان الرجل الموكل بالملاحين معتاداً على اغتصاب السفن . وكان رئيس الرعاة
معتاداً على الاستحواذ على الحمير والغنم . وكان الرجل الموكل بمصائد الأسماك معتاداً
على الاستيلاء على مصائد الأسماك . وكانت مؤن كهنة الـ «جودا» من الشعير توزن
عادة (لغير صالحهم) فى الـ «آشتى» . وكان رعاة الغنم التى تحمل الصوف معتادين
على دفع الفضة من أجل (جز صوف) الشياه البيضاء . وكان (جميع) (الموظفين) ،
كالرجل المسؤول عن مساحى الحقل ، ورئيس الـ «جالا» ، والموكل بأعمال التخمير ،
والـ «اجريج» والـ «أوجولا» معتادين على دفع الفضة من أجل (جز صوف)
خراف الـ «جابا» .

(وبعد ثغرة صغيرة ، يستمر النص على الوجه التالى) :

إن الـ «سانجا» (المسؤول) عن (إمدادات) الطعام لم (يجراً على) حقيقة
الأم الساخطة ولم يقطع الأشجار ولم يأخذ الفاكهة .

إن من كان يأتى بالبيت إلى المقبرة (للدفن — كانت جعته ٣ أباريق) فقط) وكان
(عدد أرغفة) خبزه ٨٠ فقط) . وكان الـ ٠٠٠ (موظف غير محدد الهوية) يأخذ سريراً
واحداً ومسند رأس واحداً فقط) . وكان الـ «لوديما» يتسلم «بان» واحداً فقط)
من الشعير . ومن يأتى بمواطن (ليستريح) بين قصب «أنكى» كانت جعته ٤ أباريق
(فقط) . وكان (عدد أرغفة) خبزه ٤٠ فقط) . وكان الـ ٠٠ (موظف غير محدد الهوية)
يتسلم «أول» واحداً فقط) من الشعير . وكان الـ «لوديما» يتسلم «بان» من الشعير فقط) .

أما بالنسبة لبيوت الأنسى ، وحقول الأنسى وممتلكات الأنسى — فإن الإله
«نينجرسو» أصبح هو الملك (عليها) وأما بالنسبة لبيوت حرم (القصر) وحقول
حرم (القصر) وممتلكات حرم (القصر) فإن الإلهة «باو» أصبحت (الآن) هى الملكة

(عليها) . وأما بالنسبة لبيوت أطفال (القصر) وحقول أطفال (القصر) فإن (شولشا جينا « أصبح (الآن) هو الملك (عليها) » .

(وهنا يأتي الأمر الجديد الذى وصف فى الوثيقة السابقة . وبعد هذا يواصل النص تعداد إصلاحات المظالم السابقة) :

لقد قضى (على ضرورة التقاط) أصحاب الحرف فضلات طعام (؟) (البوابة) . وقضى على (ضرورة) تسول الصناعات للحصول على خبزهم .

أما بالنسبة إلى « مواطنى » (حرفياً : « أبناء ») « لجش » الذين (كانوا فى السجنون بسبب) الديون التى تحققت عليهم — (أو بسبب) كفيات (القمح الذى يدعى القصر بعائديته له) أو بسبب الشعير (الذى يدعى القصر بعائديته لـ) مخازنه (أو بسبب) سرقة أو قتل — فإن « أورو كاجينا » الذى تسلم ملكية « جيرسو » أطلق سراحهم .

٢٦ — « أورو كاجينا » ملك « لجش » (لوحة بيضوية الشكل) :

(بعد ثغرة صغيرة ، يبدأ النص بوصف مظلمة غامضة المعنى فى الواقع . وتقرأ على الوجه التالى) .

إذا ابتيعت أغنام ، فإن الرجل (المتنفذ) كان معتاداً على أخذ أحسن هذه الأغنام لنفسه .

(ثم يواصل النص) : كانت مؤن الكهنة من طبقة الـ « جودا » من الشعير توزن فى الـ « آشتى » (لغير صالحهم) . (وفى الواقع) كانت مخازن مؤوتهم من الشعير تبنى فى الـ « آشتى » وكانت . . .

إذا جلب الـ « أجريج » والـ « أوجولا » والـ « جالا » والحراث ، والموكون بالتخمير أغناماً تحمل الصوف إلى القصر وجز صوفها هناك فإذا كانت الأغنام بيضاء

اللون ، كان عليهم أن يدفعوا ٥ « شيقلات »^(١) من الفضة عن صوف الغنم (حرفياً : « صوفها ») التي جلبت إلى القصر .

وكانت ثيران الآلهة تحرث أراضي الأنسى المخصصة لزراعة البصل وكانت حقول البصل والخيار العائدة للأنسى تقع في أحسن حقول الآلهة .

إذا قبض تابع ملك على رجل أعمى من أجل (سحب) ماء الـ « موشدو » الذي (يملأ) الحقل ، كان لا يعطيه (شيئاً) لئلا يكله (غمير) فضلات الطعام (؟) ، كما لا يقدم له ماء للشرب ، ولا يعطى الحمار (المستخدم من قبل الرجل الأعمى) ماء شرب .

وإذا حفر ابن رجل فقير حوض سمك ، كان بمقدور الرجل (المتنفذ) أن يأخذ سمكه . وكان ذلك الرجل ينجو من العقاب .

إذا طلق رجل زوجته ، كان الأنسى يتقاضى ٥ « شيقلات » من الفضة وكان الـ « سوكال ماخ » يتقاضى « شيقلا » واحداً من الفضة . وإذا هيا صانع عطور (؟) زيتاً للـ « رأس » كان الأنسى يتقاضى ٥ « شيقلات » من الفضة ، وكان الـ « سوكال ماخ » يتقاضى « شيقلا » واحداً من الفضة وكان الـ « أيجال » يتقاضى « شيقلا » واحداً من الفضة .

(ثم يعقب هذا وصف حالة من حالات الظلم الغامضة بسبب حالة النص السيئة ثم يستمر النص بعد فراغ كبير بتعداد الإصلاحات التي يمكن إعادة كتابتها جزئياً بالشكل التالي :

إذا طلق رجل زوجته ، فلا الأنسى ولا الـ « سوكال ماخ » كانا يتقاضيان أى فضة (كأجر لهما) . وإذا هيا صانع عطور (؟) مستحضر زيت « رأس » ، فلا

(١) الـ « شيقل » وزن يعادل ١/٢ من الـ « منا » ، ويعادل الـ « منا » نصف كيلوغرام . وكان الـ « شيقل » من الفضة يستخدم في تقدير أثمان ما يباع ويشتري من السلع . (المترجم)

الأنسى ولا الـ « سو كمال ماخ » ولا الـ « بجال » كانوا يتقاضون أى فضة
(كأجر لهم) .

وإذا حفر ابن رجل فقير حوض سبك ، فإن الرجل (المتنفذ) لم (يعد يجرأ)
على أخذ سبك الحوض .

وكان السارق يرجم بأحجار (دون عليها) قصده (الشرير) . وكانت
المتسلكات الضائعة (حيثما وجدت ، أو إذا استرجعت من لص) تعلق فى البوابة
العظيمة (حيث كان بإمكان مالكها الشرعى أن يستعيدها .

إذا قالت امرأة لرجل « . . . » (لسوء الحظ لا يمكن قراءة النص فى هذه
النقطة الحساسة) ، كانت أسنانها تهشم بأجر محروق ، وكان هذا الأجر (الذى
يكتب عليه ذنبها) يعلق فى البوابة العظيمة (ليراه جميع الناس) . واعتادت نساء
الأيام السالفة على الزواج بزوجين ، (ولكن) نساء اليوم (إذا حاولن هذا) يرجعن
بالأحجار ، (التى كان يكتب عليها) قصدهن (الشرير) . وتأتى ثغرة كبيرة بعد
إصلاح يتصل بأصناف متعددة من العرافين والمتنبئين لا يمكن قراءته لأنه فى حالة مهشمة
ويعود النص إلى الموضوع فى منتصف خلاصة أخبار النضال بين « أوما » و « لجش »
كما ذكر فى مخروط « اينتيمينا » وينتهى بخلاصة عن أعمال « أورو كاجينا » (؟)
البنائية .

٢٧- « أوركاجينا » ملك « لجش » (لوح)

لقد أشعل رجل « أوما » النار فى « إيكيسورا » . وأشعل النار فى « أوتاسورا »
ونهب معدنه الثمين ، وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على قصر « تيراش »
ووضع يديه على الـ « أبروبندا » . لقد استولى على مزار (أوريا « عرش ») (« أناميل »
وعلى مزار (أوريا « عرش ») (« أوتو » . لقد استولى على الـ « آحوش » ، ونهب
معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد وضع يديه على الـ « ايبابار » نهب معدنه
الثمين وحجره اللازوردى الثمين . واستولى على « جيجونا » (الإلهة) « نيفناخ »

البستان المقدس وأخذ معدنه وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على « باجارا »
وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . وأشعل النار فى « دو كورو » وأخذ
معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على « آيزو » القنوات . وأشعل
النار فى بيت « جاتومدوج » وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين ، وحطم
تمائله . وأشعل النار فى « إيجال - أى أنا » العائد لـ « إينانا » وأخذ معدنه الثمين
وحجره اللازوردى الثمين . لقد قلب فى الـ « هيندا » الـ لقد استولى على
« كى آب » وبيت « نيندار » وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد أشعل
النار فى « كينونير » وبيت « دوموزى - آيزو » وأخذ معدنه الثمين وحجره
اللازوردى الثمين . وأشعل النار فى بيت « لوجالورو » وأخذ معادنه الثمينة وحجره
اللازوردى الثمين . لقد استولى على « آى - إينجورا » العائد لـ « نانشة » وأخذ
معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على . . . وبيت « أماجيشتين » -
وأخذ من (تمثال الإلهة) « أماجيشتين » معدنها (أى معدن الإلهة) وحجرها
اللازوردى الثمين ، وألقى به (أى بالتمثال) فى بئر (أى بئر بيت أماجيشتين) وأتلف
شعير حقل « نينجرسو » ، كل ما كان قد حرث منه .

لأن رجل « أوما » دمر آجر « لجش » ، فإنه قد ارتكب إثماً بحق الإله « نينجرسو »
إنه (أى نينجرسو) سيقطع اليدين اللتين تطاولتا (؟) عاينه . إنه ليس ذنب « اوروكا »
حينما « ملك « جيرسو » . عسى أن يجعله « نيدابا » إلهة « لوجال زاجيرى »
(الشخصية) أنسى « أوما » يتحمل مسئولية (هذه) الآثام جميعها .

٢٨ - « لوجال زاجيرى (إناء) »

« أنليل » ملك الأقطار جميعها ، (الملكية) لـ « لوجال زاجيرى » ملك
« الوركاء » ، ملك البلاد (أى بلاد سومر) ، « إيشيب » الإله « آن » ، « لوماخ »
« نيدابا » ابن « أوتو » ، أنسى « أوما » ، و « لوماخ » الإلهة « نيدابا » ، الذى
نظر إليه « آن » ملك جميع البلدان بعين ثابتة ، أنسى « أنليل » العظيم ، الذى وهبه

« انكى » الفهم ، والذي أعلن « أوتو » اسمه ، « سوكال » الإله « سين » العظيم ،
« شكاناك » الإله « اوتو » ، سند الإلهة « اينانا » ، الابن الذى ولدته الإلهية
« نيدابا » ومن ينفذ على الدوام من الإلهة « نينخورساج » (بلبنها) ، « رجل »
(الإله) « ميسانجا » أونوجا ، ريب (الإلهة) « نينابوهاو » ، ماسكة
« الوركاء » « أجريج » الإلهة السامية .

عندما « أنليل » ، ملك الأقطار جميعها ، أعطى ملكية البلاد لـ « لوجال
زاجيرى » ، ووجه إليه أعين (سكان) البلاد من الشرق إلى الغرب (حرفيا :
« من شروق الشمس إلى غروب الشمس » ، وأخضع (جميع الناس) له —
عندئذ توجه (جميع الناس من البحر الأسفل ، على طول نهري دجلة والفرات إلى
البحر الأعلى نحوه ؛ ومن الشرق إلى الغرب ، لم يبق « أنليل » أى منافس له ،
وإستلقى (سكان) جميع الأقطار فى المروج (بسلام) تحت حكمه (حرفيا :
« تحته ») ، لقد أبتهجت البلاد تحت حكمه ، وانحنى جميع رؤساء سومر وحكام
الأقطار الألفية كلها أمامه فى « الوركاء » وفقا لـ « مى » (أى ناموس) الامارة .

فى تلك الأيام كانت « الوركاء » تقضى أيامها فى فرح عظيم ، ورفعت « أور » ؛
كأنها ثور ، رأسها نحو السماء . وأطلقت « لارسا » ، مدينة « أوتو » المحبوبة
صيحجات الفرح . و « رفعت » « أوما » مدينه « شارا » المحبوبة « ساعداً عظيماً » ،
وجعل « زابلان » الجدران تردد أصداً (صيحجات الفرح) كأنها شاة أعيد (إليها)
حملها ، و « رفعت » مدينة « دير » « عنقها إلى السماء » .

« لوجال زاجيرى » ، ملك « الوركاء » ، ملك البلاد ، كرّس من أجل
حياته ، آنية متعددة لـ « أنليل » ملكه المحبب ، وكان يجلب فى تلك الآنية قرايين
كثيرة من العلام لـ « أنليل » ملكه فى « نهر » ، وكان يسكب منها سكائب من
الماء العذب — وبـ (هذا) النص ، « عسى أنليل » ملك الأقطار جميعها ، أن
يصلى من أجل أمام « آن » ، أيها المحبوب وعسى أن يضيف « حياة إلى حياتى » .

وعسى أن تنام البلاد تحت حكمى (حرفيا « تحتى ») بسلام فى المروج ، وعسى أن يزدهر البشر كله كما تزدهر النباتات والحشائش ، وعسى أن تزداد حظائر أغنام « آن » ، وعسى أن يفطر (سكان) البلاد على « أرض جميلة » ، أن الحظ السعيد الذى قررته لى (الإلهة) عسى ألا تغيره (أى الإلهة) وإلى الأبد عسى أن أكون الراعى الأول (؟) .

٢٩ - « سرجون » (لوح)^(١) :

« سرجون » ملك « أكّد » ، « مشكيم » « اينانا » ، ملك « كيش » .
 كاهن الـ « جود » لئله « آن » ، ملك البلاد ، أنسى « أنليل » العظيم ، هدم مدينة « الوركاء » وأطاح بسورها ، لقد حارب رجال « الوركاء » وأنزل بهم الهزيمة ، وحارب « لوجال زاجيزى » ملك « الوركاء » وأسره وجاء به مطوق العنق إلى بوابة « أنليل » .

« سرجون » ، ملك « أكّد » ، حارب رجال « أور » ، وأنزل بهم الهزيمة ، وخرّب مدينتهم وهدم أسوارها ، وضرب « أى - نينار » وهدم أسوارها ، وأنزل الدمار بأرضها الممتدة من « لجش » إلى البحر ، وغسل أسلحته بالبحر . لقد حارب رجال « أوما » وأنزل بهم الهزيمة ، وخرّب مدينتهم وهدم أسوارها .

لـ « سرجون » ملك البلاد ، لم يجعل « أنليل » منافساً ، (حقاً) لقد أعطاه « أنليل » كافة المنطقة الممتدة من البحر العالى إلى البحر الأسفل . وسيطر الأكديون (حرفيا : « أبناء أكّد ») على الأنسية (أى الحكم) (فى كل مكان) من البحر

(١) « سرجون » العظيم ، مؤسس السلالة الأكديّة التى امتدّ حكمها من سواحل البحر المتوسط إلى بلاد « عيلام » ، وكان قيام هذه الدولة العظيمة سبباً فى أنتشار الحضارة السابيّة وسيادتها فى العراق . (المترجم)

الأسفل إلى البحر الأعلى . وكان رجال « ماري » رجال « غيلام » يقومون بخدمة
« سرجون » ملك البلاد (كسيد لهم) .

« سرجون » ، ملك البلاد ، أعاد بناء « كيش » وقدم لهم (أى لرجال كيش)
تلك المدينة كما كان للسكن .

إن كل من يدمر هذه الكتابة — عسى أن يقتل « أوتو » أساسه (من تحته) :
وعسى أن يحرمه من بذرتة (أى ذريته) .

كتابة قاعدته (أى قاعدة التمثال)

٣٠ - « سرجون » (لوح)

لقد انتصر « سرجون » ملك « كيش » في أربع وثلاثين معركة (على المدن
المتنعة) إلى حافة البحر وهدم أسوارها . وجعل سفن « ماوخوا » وسفن « ماجان »
وسفن « دلون » تلقى مراسيها على طول رصيف مدينة « أكد » النهرى .

« سرجون » ، الملك ، تذلل أمام (الإله) « داجان » وتضرع إليه فأعطاه
(أى داجان) البلاد المرتفعة (وهى) « ماري » ، و « يرموتى » و « أبلا » إلى غابة
الأرز وإلى جبل الفضة^(١) .

« سرجون » ، الملك ، الذى لم يسمح « أنليل » بقيام أى منافس له — كان ٥٤٠٠
محارب يأكلون الخبز يومياً أمامه .

إن من يخرب هذه الكتابة — عسى أن يخرب الإله « آن » اسمه وعسى أن
يفنى « أنليل » بذرتة (أى ذريته) . وعسى الإلهة « إيفانا »

(١) جبل آمانوس (المترجم) .

٢٢- « ريموش »^(١) (لوح)

(من الأيام النابرة) لم يفتح أحد تمثالا من الرصاص ، (ولكن) (ريموش) ملك « كيش » ، كان له تمثال من الرصاص . لقد كان يقف في حضرة (أنليل) ، ويردد فضائله (أى ريموش) في (إيدو) الآلهة .

إن من يخرب هذه الكتابة — عسى أن يقتلع « أنليل » و « أوتو » أسسه (من تحته) ، وعسى أن يحرمه من بذرتة (أى ذريته) .

كتابة ال

٣٢- « نالحنى » حاكم « أوما » (مسهر من الطين)

في تلك الأيام عندما كان « يارلجان » ملكا للـ « جوتين » ، بنى « نالحنى » أنسى « أوما » (للآلهة) « نينورا » ، أم مدينة « أوما » . بيتها القديم وأعاده إلى ما كان عليه .

٣٣- « أوتوحيجال »^(٢) (لوح)

« أنليل » - (أنليل) ملك الأقطار كلها ، كلف (أوتوحيجال) الرجل القوى ، ملك « انوركاء » ، ملك مناطق (العالم) الأربع ، الملك الذى ليس بوسع أحد أن يخالف أمره ، بتخطيط اسم (ملك ؟) « جوتى » ، شعبان وعقرب الجبل ، الذى حمل سلاحه ضد الآلهة ، والذى نقل ملكية بلاد سومر إلى بلاد (أجنبية) ، والذى ملا

(١) ابن الملك سرجون وخليفته على العرش الأكدي . (المترجم)

(٢) الملك السومرى الذى قضى على حكم الجوتين ، القبائل المبررة الجبلية التى قضت على الدولة الأكديّة وحكمت حوالى قرن واحد ، وكان العهد الجوتى من العهود المظلمة من الناحية الحضارية فى تاريخ العراق القديم . (المترجم)

سومر بالعداوة ، والذي فصل الزوجة ممن كان له زوجة ، الذى سلب الطفل ممن كان له طفل ، وأوجد العداوة والعصيان فى البلاد .

(بعدئذ) توجه (أى أوتو حيجال) إلى « أينانا » ملكته وابتهل إليها : يا مليكتى ، أينها اللبوة فى المعركة — يا من تهاجم الأفيار (الأجنبية) كلها لقد كلفنى أنليل بإعادة ملكية بلاد سومر فكونى حليفتى (فى هذا العمل) إن « تيريجان » ملك الجوتينى — عين (؟) الـ ١٠٠٠ من . . . (وعلى الرغم من أن) أحدًا لم يتقدم ضده ، استولى على دجلة وساحل البحر . لقد أغلق فى بلاد سومر الحقول السفلى ، وسد الطرقات العليا . وجعل الأعشاب الضارة تنمو عاليًا فى طرقات البلاد .

« أوتو حيجال » الملك الذى منحه « أنليل » القوة ، الذى اختارته « أينانا » فى قلبها . الرجل القوى ، تقدم نحو المعركة من « الوركاء » ضده (أى ضد تيريجان) وفى بيت (الإله) « أشكور » ، قدم قربانًا (؟) وخاطب مدينته : إن أنليل أعطانى بلاد جوتى . ووضعت أينانا مليكتى ، خليفة لى ، مصيرى برعاية دوموزى ، ووهبتنى أما — أوشو بحال السماء — جلجامش ، ابن (الإلهة) « نينسون » ليكون مشكياً لى .

لقد امتلأت نفوس مواطنى « ألوركاء » ومواطنى « كولاب » (منطقة من مناطق الوركاء) بالفرح . وكرجل واحد سار (سكان) مدينته وراءه . وقاد هو القوات المختارة (؟) (من بينهم) .

وبعد مغادرة بيت « أشكور » — قدم قربانًا (؟) فى اليوم الرابع فى « ناجسو » (نهر) « إيتورنجال » ، وفى اليوم الخامس قدم قربانًا (؟) فى مزار الإلهة « إيلى تابا » لقد أسر « أور — نينازو » و « نابى » « أنليل » « شكاناك » « تيريجان » اللذين أرسلهما سفيرين إلى بلاد سومر وطوق أيديهما بـ « أطواق من الخشب » .

وبعد أن غادر « أوتو حيجال » مزار « إيلى تابا » ، قدم فى اليوم السادس قربانًا (؟) فى « مورو » ، وذهب أمام « أشكور » وتضرع « إليه : « يا أشكور ،

لقد أعطاني أنليل أسلحة ، فكن أنت حليفاً لي (في هذا) .

في تلك الليلة نفسها ، وذهب إلى « أوتو » وتضرع إليه : يا « أوتو » ، إن أنليل قد أعطاني جوتي . كن أنت حليفاً لي (في هذا) .

في (؟) ذلك المكان جمعت (بلاد) « جوتي » قواتها (؟) وأرسلت الجيوش ضده . إلا أن « أوتوحيجال » ، الرجل القوي ، أوقع بهم الهزيمة وأسر « سكاناك » هم (أى قائدهم) .

ثم هرب « تيريحان » ، ملك « جوتي » وحده وعاد (إلى بلاد جوتي) . وفي « دوبروم » ، حيث لجأ ، عومل برفق (؟) (ولكن) لما كان رجال « دوبروم » يعرفون بأن « أوتوحيجال » كان هو الملك الذي وهبه « أنليل » القوة ولم يطلقوا سراح « تيريحان » . وأسر رسول « أوتوحيجال تيريحان » (مع) عائلته في « دوبروم » وقيد يديه بـ « أطواق » من الخشب . ووضع عصابة على عينيه (؟) . ثم جاب « تيريحان » (بعد ذلك) إلى حضرة « أوتوحيجال » وألقى بنفسه على قدميه ، فداس « أوتوحيجال » بقدمه على رقبته . ثم تضرع (؟) . . . الـ « جوتي » عقرب وشعبان الجبل ونقل (؟) الـ . . . من (؟) منطقتها ، (وهكذا) عادت الملكية إلى بلاد سومر .

٣٤ — « اور — باو » أنسى « لجش » (تمثال)

١ـ « نينجرسو » ، فارس « إنليل » الأول ، « أور » — باو « أنسى « لجش » الابن الذي أنجبته « نينجال » ، والذي اختارته « نانشه » في قلبها ، الذي منحه « نينجرسو » القوة ، من سمته « باو » باسم حسن والذي وهبه « أنكي » الفهم ، ومن تخيلته « إينانا » (بفكرها) . خادم « لوجال لورو » المحبوب ، محبوب « دوموزي — آيزو » —

أنا «أورباو» ، حفرت لـ « نينجرسو » ، مليكي ، الـ ٠٠٠ من الأرض إلى عمق ٠٠٠ « إيل » ، وسحقت (؟) ربوته (أى الربوة التى تكونت من التراب الناتج عن الحفر) كما يسحق الحجر وأحرقتها (؟) كما يحرق المعدن ، ونشرتها (؟) (حرفيا «حولتها إلى الأرض واسعة») كأنه « نيندا » ، وأعدت ذلك التراب (المستخرج من الحفر) إلى وسطه (أى إلى المنطقة التى حفرت) ، وملأت أساس الأرض ، وبنيت على هذا (الأساس) دكة يبلغ ارتفاعها عشرة « إيل » ، وعلى المنصة شيدت له (أى نينجرسو) الـ « إينينو - نيجييارير » (إلى ارتفاع) ١٢ « إيل » .

لـ « نينخورساج » ، أم الإلهة ، شيدت « بيتها » جيسو » . لـ « باو » ، السيدة المكرمة ، بنت « ، أن شيدت بيتها » أورو كوجال » . لـ « إينانا » ، الملكة المقدسة ، المخمة ، شيدت بيتها « اورو » . لـ « إنكى » ، ملك « أريدو » ، شيدت بيته « جيسو » لـ « نيندارا » ، الملك والحاكم ، بنيت بيته ، لـ « نينجال » إلهته ، شيدت بيتها ، لـ « نينار » ، السيدة المكرمة ، ابنة « نانشه » الأولى ، شيدت « ايشجوتور » ، البيت الذى اختارته فى قلبها . لـ « اينسيجونون » ، حمار « نينجرسو » شيدت بيت « حمارة الممتاز » . لـ « جيشتينانا » القوية جداً (؟) (ربما حرفيا «أعظم الجميع») شيدت بيتها « جيسو » . لـ « دوموزى - آزو » - سيد « كينونير » ، شيدت بيته « جرسو » .

٣٥ - « سينجا شيد » ملك « الوركا » (مسمار من الطين)

لـ « لوجال بندا » إلهة ولـ « نينسون » ، أمه ، سينجاشير » ، ملك « الوركا » ، ملك « أمنانوم » ، عون « أى - أنا » ، فى الوقت الذى شيد فيه « أى - أنا » - شيد (أيضا) الـ « إيكيكال » بيت سكنها ، الذى اتجهج به قلبها .

خلال حكمه - كانت سنواته سنوات رخاء عظيم - فقد كانت ٣ « جور » من الشعير و ١٢ « مينا » من الصوف ، و ١٠ « مينا » من النحاس و ١/١٠ « جور »

من الزيت ، تباع كل منها ب « شَيْقِل » من الفضة وفقاً لسعر السوق (الذى كان منخفضاً إلى درجة غير اعادية) السائد في بلاده .

(الملحق د) أمثلة من الصيغ التاريخية : (١)

« السنة (التي) هدم (فيها) سرجون أدا ب (؟) ، سرجون رقم السنة غير معروف . »

« السنة (التي) دمر (فيها) نرام — سن ، سابوم ، نرام — سن ، رقم السنة غير معروف . »

« السنة (التي) رقيت (فيها) بيريج — ميداشو ، ابنة الملك إلى حكم مرخاشي .
(شولجي) السنة ١٧ . »

« السنة (التي) انتظم (فيها) مواطنو «أور» « كحاملين للرماح «شولجي» ،
السنة ١٩ . »

« السنة (التي) دُمرت (فيها) جانحار «شولجي» ، السنة ٢٥ . »

« السنة (التي) دمرت (فيها) سيموروم «شولجي» ، السنة ٢٦ . »

« السنة (التي) دمرت (فيها) سيموروم الثانية «شولجي» السنة ٢٧ . »

« السنة (التي) دمرت (فيها) سيموروم و لولوبوم للمرة التاسعة «شولجي»
السنة ٤٥ . »

« السنة (التي) دمرت (فيها) كياش و حومورتو والبلاد المجاورة في يوم واحد . «شولجي» ، السنة ٤٧ . »

(١) كانت كل سنة من سنوات حكم الملك تسمى بمحادثة هامة ، فيقال مثلاً « السنة التي هدم فيها «سرجون» مدينة «أدب» ، وأطلق المؤرخون على هذه الصيغ عبارة date - formulas التي ترجمت في هذا الكتاب إلى « صيغ التاريخية » ، (المترجم)

« السنة (التي) بنى (فيها) شو — سين ، ملك أور الجدار الغربي (المسمى موريق - تيدنم) » . شو — سين . السنة ٤ .

« السنة (التي) ضرب (فيها) أبي — سين ملك أور سوسة أدامدون وبلاد أوان كأنه عاصفة » وأخضعها في يوم واحد وأسر حكامها « أبي — سين ، السنة ١٧ . »

(الملحق هـ) قائمة الملوك السومرية :

بعد أن هبطت الملكية من السماء ، أصبحت « أريدو » (مقر) الملكية . في « أريدو » حكم (آلوليم) ٢٨٨٠٠ سنة كملك : وحكم « لجار » ٣٦٠٠٠ سنة — ملكان حكما ٦٤٨٠٠ سنة . ثم هجرت « أريدو » ونقلت ملكيتها إلى « بادتيبيرا » .

في « بادتيبيرا » ، حكم « اينمشلوانا » ٤٣٢٠٠ سنة ، وحكم « اينمجلالانا » ٢٨٨٠٠ سنة ، وحكم « دوموزي » الراعي ٣٦٠٠٠ سنة — ثلاثة ملوك حكموا ١٠٨٠٠٠ سنة ، ثم هجرت « بادتيبيرا » ونقلت ملكيتها إلى « لاراك » .

في « لاراك » حكم « اينسينيازي أنا » ٢٨٨٠٠ سنة — ملك واحد حكم ٢٨٨٠٠ سنة . و هجرت « لاراك » ونقلت ملكيتها إلى « سيبار » .

في « سيبار » حكم « اينميدورانا » ٢١٠٠٠ سنة كملك — ملك واحد حكم ٢١٠٠٠ سنة . ثم هجرت « سيبار » ونقلت ملكيتها إلى « شوروباك » .

في « شوروباك » حكم « أوبارتوتو » ١٨٦٠٠ سنة كملك — ملك واحد حكم ١٨٦٠٠ سنة .

(المجموع) خمس مدن ، ثمانية ملوك حكموا ٢٤١٢٠٠ سنة .

ثم أغرق الطوفان (البلاد) ، وبعد أن أغرق الطوفان (البلاد) وهبطت الملكية من السماء (مرة ثانية) ، أصبحت « كيش » (مقر) الملكية . في « كيش » حكم

« جا أور » ١٢٠٠ سنة كملك ، وحكم « جولا - نيدابا أنا ياد » ٩٦٠ سنة ، وحكم « بالا كينانيم » ٩٠٠ سنة ، وحكم « نائجيشلشما » ٠٠٠ سنة ، وحكم « باحينا » ٠٠٠ سنة ، وحكم « بوآنون » ٨٤٠ سنة ، وحكم « كالييوم » ٩٦٠ سنة ، وحكم « جالوموم » ٨٤٠ سنة ، وحكم « زوكا كيب » ٩٠٠ سنة ، وحكم « آتاب » ٦٠٠ سنة ، وحكم « ماشدا » بن « آتاب » ٨٤٠ سنة . وحكم « أروريم » بن « ماشدا » ٧٢٠ سنة ، وحكم « إيتانا » الراعى ، ذلك الذى صعد إلى السماء ، والذى ثبت كل الأقطار ، ١٥٦٠ سنة كملك ، وحكم « بالبع » بن « إيتانا » ٤٠٠ سنة ، وحكم « إينمينونا » ٦٦٠ سنة ، وحكم « ميلام كيش » بن « إينمينونا » ٩٠٠ سنة ، وحكم « بارسالفونا » بن « إينمينونا » ١٢٠٠ سنة ، وحكم « ميسزاموج » بن « بارسالفونا » ١٤٠ سنة ، وحكم « تيزكار » بن « ميسزاموج » ٣٠٥ سنين ، ولحقهم « ألكو » ٠٠ سنة ، وحكم « إيلتاسادوم » ١٢٠٠ سنة ، وحكم « إينهيارا جيس » ، ذلك الذى ضرب بأسلحته بلاد « عيلام » ٩٠٠ سنة كملك ، وحكم « أجا » ، بن إينهيارا جيس ٦٢٥ سنة . (المجموع) ثلاثة وعشرون ملكا حكموا ٢٤٥١٠ سنة و ٣ أشهر و ٣ أيام و ١/٢ اليوم . ودمرت « كيش » (فى المعركة) ونقلت ملكيتها إلى « أى - أنا » .

فى « أى - أنا » حكم « ميسكيا جاشر » بن (الإله - الشمس) « أوتو » ك « آن » وملك ٣٢٤ سنة - ودخل « ميسكيا جاشر » إلى البحر وتسلق الجبال ، وحكم « إينمر كار » بن « ميسكيا جاشر » ملك « الوركاء » ، الذى شيد « الوركاء » ٤٢٠ سنة كملك ؛ وحكم « لوجال بندا » الراعى ١٢٠٠ سنة ، وحكم « دوموزى » صياد السمك ، الذى كانت « كوا » مدينته ١٠٠ سنة . وحكم « جليجامش » الذى كان والده بدوياً (؟) ١٢٦ سنة ، وحكم « أورنجال » بن « جليجامش » ٣٠ سنة ، وحكم « أودول كلاما » بن « أورفونجال » ١٥ سنة ، وحكم « لاباشر » ٩ سنوات ، وحكم « إينوندا رانا » ٨ سنوات ، وحكم « ميشيده » ٣٦ سنة ، وحكم « ميلامانا » ٦ سنوات ، وحكم « لوجال كيدول » ٣٦ . (المجموع) اثنا عشر ملكا حكموا

٢٣٤٠ سنوات . وقهرت « الوركاء » (في المعركة) ، ونقلت ملكيتها إلى « أور »

في « أور » حكم « ميسا نيبادا » ٨٠ سنة كملك . وحكم « ميسكي آجنونا » بن « مسانيبادا » ٣٦ سنة كملك ، وحكم « إياولو » ٢٥ سنة ، وحكم « بالولو » ٣٦ سنة . (المجموع) أربعة ملوك حكموا ١٧٧ سنة ثم قهرت « أور » (في المعركة) ونقلت ملكيتها إلى « أوان » (١) .

(أوان) ثلاثة ملوك حكموا ٣٥٦ سنة ، ولكن التلف أصاب أجزاء كثيرة من من أسمائهم ، ثم يواصل النص (أوان) قهرت (في المعركة) ، ونقلت ملكيتها إلى « كيش » .

في « كيش » ... حكم (أكثر من) ٢٠١ سنة كملك ، وحكم « دادا سنج » ... سنة وحكم « ماما جال » ٤٢٠ سنة ، وحكم « كالبوم » بن « ماما جال » ١٣٢ سنة ، وحكم « توجي » ٣٦٠ سنة . وحكم « مينومنا » ١٨٠ سنة وحكم « لوجالو » ٤٢٠ سنة ، وحكم « أبي - يا » ٢٩٠ سنة (؟) . (المجموع) ثمانية ملوك حكموا ٣١٩٥ سنة . وقهرت « كيش » (في المعركة) ونقلت ملكيتها إلى « هازي » (٢) .

في « هازي » حكم « حاد أنيش » ٣٦٠ سنة . (المجموع) ملك واحد حكم ٣٦٠ سنة . وقهرت « هازي » (في المعركة) ونقلت ملكيتها إلى « ألوركا » .

في « الوركاء » ... حكم ٦٠ سنة كملك ، وحكم « لوجالوري » ١٢٠ سنة وحكم « أرجانديا » ٧ سنوات . (المجموع) ثلاثة ملوك ١٨٧ سنة . وقهرت « ألوركاء » ونقلت ملكيتها إلى « أور » .

(١) دولة — مدينة عيلامية لا تبعد كثيراً عن العاصمة « سوسة » (المترجم) .

(٢) دولة — مدينة هيلاسية أخرى ، (المترجم) .

(٣) لقد جاء في النص « كملك » وليس « كملكه » (المترجم) .

في «أور» (أسماء ملوك سلالة أور الثانية الذين كان عددهم أربعة وربما حكموا ١١٦ سنة أصابها التلف) . وقهرت «أور» ونقلت ملكيتها إلى «أدب» .

في «أدب» حكم «لوجال أنيمود» ٩٠ سنة كملك . (المجموع) ملك واحد حكم ٩٠ سنة . وقهرت «أدب» ونقلت ملكيتها إلى «مارى» .

في «مارى» حكم «ايلشو» ٣٠ سنة كملك وحكم ١٠ ابن (ايلشو) ١٧ سنة . وحكم ٠٠ ، ٣٠ سنة ، وحكم ٠٠٠ ، ٢٠ سنة و ... و ٣٠٠٠ سنة حكم ٩ سنوات . (المجموع) ستة ملوك حكموا ١٣٦ سنة ، وقهرت (مارى) ونقلت ملكيتها إلى «كيش» . في «كيش» ، «كو-باو» صاحبة الخازنة ، التي ثبتت أسس «كيش» ، وحكمت ١٠٠ سنة كملك (المجموع) ملك واحد حكم ١٠٠ سنة . وقهرت «كيش» ونقلت ملكيتها إلى «أكشاك» .

في «أكشاك» حكم «أوزى» ٣٠ سنة كملك ، وحكم «أوندا لولو» ١٢ سنة وحكم «أورو» (وربما تقراً : زوزو) ٦ سنوات ، وحكم «بوزور - نبراج» ٢٠ سنة وحكم «ايشو - ايل» ٢٤ سنة ، وحكم «شو - سين» بن «ايشو - ايل» ٧ سنوات . (المجموع) ستة ملوك حكموا ٩٩ سنة . وقهرت (أكشاك) ونقلت ملكيتها إلى (كيش) .

في «كيش» ، حكم «بوزو - سن ين» «كو-باو» ٢٥ سنة كملك ، وحكم «أور - زبابا» بن «بوزور - سين» ٤٠٠ سنة وحكم «سيمودارا» ٣٠ سنة ، وحكم «أوسيو اتار» بن «سيمو وارا» ٧ سنوات ، وحكم «عشتار - موتى» ١١ سنة ، وحكم «أشنى - شمس» ١١ سنة ، وحكم «نانيا» عامل الحجر ، سبع سنوات . (المجموع) سبعة ملوك حكموا ٤٩١ سنة ، وقهرت «كيش» ونقلت ملكيتها إلى «الوركاء» .

في «الوركاء» ، حكم «لوجال زاجيرى» ٢٥ سنة كملك . (المجموع) ملك

واحد حكم ٢٥ سنة . وقهرت « الوركاء » ونقلت ملكيتها إلى « أككد » .

في « أككد » سرجون « الذي كان والده (؟) بستانياً ، ساق « أور—زبابا » ، ملك « أككد » الذي شيد مدينة « أككد » ٥٦ سنة كملك ، وحكم « ريموش » بن « سرجون » ٩ سنوات ، وحكم « مائشتوسو » ، أخ « ريموش » الأكبر ، ابن « سرجون » ١٥ سنة ، وحكم « نرام—سين » بن « مائشتوسو » ٥٦ سنة ، وحكم « شاركاليشاري » بن « نرام—سين » ٢٥ سنة . من كان ملكاً (؟) ومن لم يكن ملكاً (؟) (أى : فترة حلت فيها الفوضى) . « أجيحي » ، الملك ، و « نانوم » الملك ، و « أس » الملك ، و « أيلولو » الملك كانوا أربعتهم ملوكاً (ولكنهم) حكموا ٣ سنوات (فقط) . وحكم « دودو » ٢١ سنة ؛ وحكم « شودورول » بن « دودو » ١٥ سنة . (المجموع) أحد عشر ملكاً حكموا ١٩٧ سنة وقهرت « أككد » ونقلت ملكيتها إلى « الوركاء » .

في « الوركاء » حكم « أورنيجين » ٧ سنوات كملك ، وحكم « أوجيجير » بن « أورنيجين » ٦ سنوات ، وحكم « كودا » ٦ سنوات ، وحكم « بوزور — إيل » ٥ سنوات وحكم « أور—أويو » ٦ سنوات . (المجموع) خمسة ملوك حكموا ٣٠ سنة وضربت « الوركاء » بالأسلحة ، ونقلت ملكيتها إلى المجموع « الجوتية » .

بين المجموع « الجوتية » (حكم أولاً) ملك بلا اسم ، (ثم) حكم « أمتا » ٣ سنوات كملك ؛ وحكم « أنكيشوش » ٦ سنوات ، وحكم « سارلجاب » ٦ سنوات ، وحكم « شولى » ٦ سنوات ، وحكم « أيلولوميش » ٦ سنوات ، وحكم « أنيمياش » ٥ سنوات وحكم « إيجشا أوش » ٦ سنوات وحكم « يارلجاب » ١٥ سنة ، وحكم « أباتى » ٣ سنوات و ... حكم ٣ سنوات ، وحكم « كوروم » سنة حكم ٣ سنوات ، ... حكم سنتين ، وحكم « إيراروم » سنتين ، وحكم « ايترانوم » سنة واحدة ، وحكم « هابلوم » سنتين ، وحكم « بوز — سين » بن « هابلوم » ٧ سنوات وحكم « يارلجاندا » ٧ سنوات ، و ... حكم ٧ سنوات و ... حكم ٤ يوماً . (المجموع) واحد وعشرون ملكاً حكموا ٩١ سنة و ٤ يوماً .

ودحرت المجموع الـ « جوئیہ » ونقلت ملكيتهم إلى « الوركاء » .

في « الوركاء » ، حكم « حيجال » ٧ سنوات ، و ٦ أشهر و ١٥ يوماً كملك ،
(المجموع) ملك واحد حكم ٧ سنوات و ٦ أشهر و ١٥ يوماً . وضربت « الوركاء »
بالأسلحة ونقلت ملكيتها إلى « أور » .

في « أور » حكم « أور - نامو » ١٨ سنة كملك ، وحكم « شولجي » بن « أور -
نامو » ٤٨ سنة ، وحكم « آمار - سين » بن « شولجي » ٩ سنوات ، وحكم « شو -
سين » بن « آمار - سن » ، (هذا خطأ والصحيح « ابن شولجي ») ، حكم ٩ سنوات ،
وحكم « أبي - سين » بن « شو - سين » ٢٤ سنة . (المجموع) خمسة ملوك حكموا ١٠٨
سنوات . وقهرت « أور » ونقلت ملكيتها إلى « أيسن » .

في « أيسن » حكم « أشبي - أرا » ٣٣ سنة كملك ، وحكم « شواليشو » بن « أشبي -
أرا » ١٠ سنوات ، وحكم « أيدين - داجان » بن « شواليشو » ٢١ سنة ، وحكم
« أشبي - داجان » بن « أيدين - داجان » ٢٠ سنة ، وحكم « لبث - عشتار » بن
« أشبي - داجان » ١١ سنة ، وحكم « أور - نينورنا » ٢٨ سنة ، وحكم « بور - سين »
بن « أور - نينورتا » ٢١ سنة ، وحكم « لبث - أنليل » بن « بور - سين » ٥ سنوات
وحكم « ايرايقتي » ٨ سنوات ، وحكم « أنليل - باني » ٢٤ سنة ، وحكم « زامبينا »
٣ سنوات ، وحكم « ايتريشا » ٤ سنوات ، وحكم « «أوردو كوجا» ٤ سنوات ،
وحكم « سناجر » ١١ سنة (المجموع) أربعة عشر ملكاً حكموا ٢٠٣ سنوات .

(ملحق و) الرسائل :

١ - رسالة من «لواينا» إلى «أنتارزي» :

إلى «أنتارزي» . «سانجا» «نينجرسو» ، قل : هذا ما يقوله «لواينا» «سانجا»
(الإلهة) «نيبارا» .

: أن «لواينا» «السانجا» قاتل ٦٠٠ عيلامى كانوا يقومون بنقل أتاوة (حرفياً :
« بضائع منقولة ») من «لجش» إلى « عيلام » . لقد دحر العيلاميين و (وأسر ٥٢٠
عيلامياً . كان من بينهم « أور — باو » الرجل الموكل بعبيد الـ « شومور » (؟) .
و « نيجلوفوتوم » «أوجولا» صناع المعادن . وأنهما موجودان في الـ «أى نيدر» .
لقد [استرجع (؟) «لواينا» (؟) منهم] ٥ أوانى (؟) من الفضة الخالصة ، و ٢٠
... ، وخمس محلل ملكية ، و ١٥ جلدًا من جلود الأغنام المخصصة للطعام (أى الأغنام
التي تربي لتأكل ولا تربي لغرض صوفها) .

ما بقى ... أنسى «لجش» حياً وما بقى «أينا ناتوم — سيباد — زى» الـ «أجريج»
حياً فإن ... ستجلب إلى « نينار » .

٢ - رسالة من «أرادمو» إلى «شوسلى»

إلى ملىكى قل ، هذا ما يقوله خادمك «أرادمو» .

لقد كلفتني بحفظ طارق الحملة إلى بلاد «سومر» في حالة صالحة ، وترسيخ جندود
بلادك ، ويجعل طرق البلاد معروفة ، وبإبداء المشورة إلى عقلاء المجمع ضد (؟) البذرة
(؟) الحقاء (؟) وبدفع الجميع إلى الطاعة ، حتى توضع كلمة اليوم (أى الكلمة الطيبة)
في أفواههم . عندما وصلت إلى بوابة القصر ، لم يطلب أحد «السلام» . من ملىكى . ولم
ينهض أولئك الذين كانوا جالسين ، ولم يتذللوا . وعندما اقتربت وجدت . . . أنه
. . . « بيت الحملة » الذى كان مزيناً بالـ « أمشاط » و بـ « رؤوس مباضع » ذهبية
وفضية ، وعقيق ، وحجر اللازورد يغطى (؟) . . . ، أنه دائماً « يجد » الفضة
والذهب ، ويتربع على عرش رفيع عالياً على منصة . وكان يضع قدمه على مسند من
الذهب ولم يرفع قدمه من فوقه . وكان المأمورون الموكلون (؟) بعبدة (؟) . كل منهم
موكل بـ ٥٠٠ (رجل) - يقفون عن يمينه وشماله . لقد ؟ أمر بأن يقدم له طعام
من ؟ ؟ ؟ . . . كوجبة وحصل . . . ثم أدخلت إلى . . . (وعندما دخلت جاب لي

كرسى ذهبي مع سفد أقدام . وأمرت بالجلوس فقلت وفقاً لأمر مليكي ، « سأظل واقفاً ، إنني لن أجلس » وجلب إلى ثور واحد مسمم ، ٦ شياه مسممه ، و ١٠٠٠ وعندما ال ٣٠٠ وكلاء مليكي قلبوا مائدتي ، تملكني الخوف وارتعبت . ومرة اليوم الخامس من شهر « إيزن » - « نينازو » ، وأرسلت إليك رجل ال ١٠٠ (والآن) مرة اليوم الأول من شهر « أوسيكو » . يا مليكي ، أنت كلمتني (ولكن) في نصف شهر (؟) . قد اقترب . يا مليكي « شولجي » ، عماك أن تعرف (هذا) .

٣ - رسالة من « شولجي » إلى « أرامو » .

إلى « أرامو » قال ، هكذا يقول ملكك « شولجي » :

إن الرجل الذي أرسلته لا فائدة لك فيه ، إنه لا يلتزم بالتعليمات التي (يستلمها) من يدك . أما بالنسبة لي ، فإنني أحتك (؟) كما لو كنت أنت في محلي على حفظ استقرار البلاد ، وعلى توجيه الناس ، وحشهم على الطاعة ، وأن تسيطر (بقوة) على مدن البلاد . أما بالنسبة لـ « رجالهم الكبار » فاستطلع عن كلمتهم . دع الرعب مني يغطي الأقطار الأجنبية كلها . دع سلاطتي الجبارة ، « سلطة البطولة » تقع على الأقطار الأجنبية . دع ريحي الجفوية تغطي البلاد . إجعل كل المشرفين لي في السهل وجميع نظار الحقول يهربون ، مادامت تلك البذرة (؟) الفاسدة (؟) لا . . . رجالهم الحكيم في المجلس . أحضره أمامك (؟) ودعه يدخل إلى حضرتك . لو لم يبق رجل المجلس الحكيم - مثلي - ساكتاً (؟) لما وضع (« البذرة (؟) الفاسدة (؟) ») نفسه على عرش رفع عالياً على منصة ، ولما كان يقدر على وضع قدمه على مسند ذهبي ولما أربع الحاكم والحكم معاً ، والمشراف الماسكي مع المشراف الماسكي ، وما كان ليقدّر على دفعهم إلى خدمته) ، ولما كان بإمكانه أن يضرب ويؤذي أحداً ، ولما كان الرجل الذي ينظر إليه (بود) يزداد قوة . أهذا هو الطريق لتجعل البلاد مستقرة ! إذا كنت تحبني لا تلتحق به . إنك قد انتفخت ، إنك لا تعرف وكلائي) ، تذكر إنسانيتهم (أي الوكلاء) وبطولتي . إذا كنت أبي وأمي فعليك أن تتكلم أمام آبائك . . .

أدفعهم (أى سكان سوبير) إلى الطاعة وثبت أسس البلاد . إن (هذا أمر) ملح .

٤ — رسالة من « أشبى — إيرّا » إلى « أبى — سين »

إلى « أبى — سين » مليكى ، قل ، هذا ما يقوله خادمك « أشبى — إيرّا » :

لقد وليتني مسؤولية حملة إلى « إيسن » و « كزالو » لايتباع القمح . لقد وصل القمح إلى سعر « كور » واحد لكل « شيتل » ، ... (وحتى هذا التاريخ) أنفقت ٢٠ « تالنت » من الفضة لشراء القمح ، ولكن الآن بعد أن سمعت الخبر بأن ال « مارتو » المعادين قد دخلوا إلى بلادك ، جلبت إلى « إيسن » ال ٧٢٠٠٠ « كور » من القمح - (جلبتها) كلها . و الآن دخل ال « مارتو » — جميعهم - إلى وسط البلاد « سومر » ، واستولوا على الحصون العظيمة الواحد بعد الآخر . وبسبب ال « مارتو » ، إننى غير قادر على نقل (؟) القمح ، إنهم أقوى بكثير مما أقدر عليه وأننى مشاغل الحركة . ليكن لدى مليكى ٦٠٠ سفينة مجلفطة (سعة) كل منها ١٢٠ « كور » ، دعه (؟) ... سفينة (من (؟) ٧٢ ، ودعه (؟) ٥٠٠٠٠ . وباب أو ٥٠٠٠٠ سفينة ، ودعه (يجمع (؟) كل (هذه) السفن . (ثم) دعهّا تجلب إلى الضيق (؟) عن (طريق) النهر ، « نهر الجبل » ، والقنوات المحفورة ، وإننى سوف ٥٠٠٠ أمامه . واجعلنى مسؤولاً عن المواقع التى سترسو السفن فيها ، أو ٥٠٠٠ كل القمح سيخزن فى حالة جيدة . وإذا احتجت إلى القمح ، فإننى سأجلب القمح لك ، يا مليكى . إن العيلاميين قد ضعفوا فى المعركة ، فتحجمهم ٥٠٠٠ فد انتهى . فلا تضعف ، ولا توافق على أن تكون عبداً لهم ولا تمش وراءهم . إن لدى من القمح (ما يكفى) مدة ١٥ عاماً (ليسد) جوع قصرك ومدنه . يا مليكى ضعنى مسؤولاً عن الإشراف على « إيسن » و « نسر » .

٥ — رسالة من « بوزور — نوموشدا » إلى « أبى — سين »

إلى « أبى — سين » مليكى قل ، هذا ما يقوله خادمك « بوزور — نوموشدا » :

إن رسول «أشبي - إيرّا» وضع عينه على (فائلا) ؟ إن ملكي «أشبي - إيرّا» أرسل الرسالة (التالية) : -

إن «أنليل» ملكي ، أعطاني بأمره رعاية البلاد وأمرني «أنليل» بأن أجب إلى حضرة الإلهة «نينسينا» المدن ، والآلهة ، ومعسكرات ضفاف نهري دجلة والفرات ، وضاف قناة «نوسى» وضاف قناة «مى - أنليل» ، من بلاد «حمازى» إلى بحر «ماجان» ، وإقامة «أيسن» كعقر (الحكم) «أنليل» ، ولجعلها تسمى بإسم (عظيم) ، ولجعل ... ، ولجعل مدينتها (أى مدن سومر) مستوطنة بالناس . فلماذا أنت الآن تقاومنى ؟ إننى أقسم بإسم «داجان» إلهى ، بأنه ليس لى إلا النوايا السليمة نحو «كزالو» . (أما بالنسبة للمدن والبلاد التى أمرنى «أنليل» (بتولى شؤونها) ، فى وسط «أيسن» سأبنى ... بها ، سأجعلها تحتفل بأعيادها ، وسأقيم فى «جيمار» ها تمثالى ، وشعارى ، وكهنى العظيم ، وكاهنتى العظيمة . وفى حضرة «أنليل» فى (معبد) «إيكور» وفى حضرة «نانا» فى «ايكيشموجال» ، أبناء ... سيراتون أدعيتهم . فلماذا أنت ... الذى تثق به من بلاده ؟ سأشيد سور «أيسن» وسأسميه «أديليا شونو» .

لقد وقع ما قاله تماماً : فقد شيد جدار «أيسن» وسماه «إديلياشونو» ، واستولى على «نقّر» ، ووضع الحراس عليها ، وأعلن (؟) عن جميع الأوامر (؟) - لقد استولى على «نقّر» . لقد أسر «زينوم» أنسى «سويبر» ، ونهب «حمازى» ، وأعاد «ناراحى» أنسى «أشنونا» و «شو - أنليل» أنسى «كيش» و «بوزور - توتو» أنسى «بادزى - أبا» [كلا منهم] إلى مكانه . ووقف «أشبي - إيرّا» على رأس قواته واستولى على ضفاف دجلة والفرات ، وعلى فتاتى «نومى» و «مى - أنليل» ، ودخل إلى «أيديل - مالجى» ... [وعندما] قاوم «جيربوبو» ، أنسى «جيركال» ، قطع «أشبي - إيرّا» ... وقبض عليه . إن الرعب منه يسيطر على بشدة ، لقد ركز عينيه على ليعرف ملكي بأنه لا حليف لى ، ولا يسير أحد بجانبى ، وأنه منذ إن أدركنى ... أسير وحيداً .

رسالة من « أبي - سين » إلى « بوزور - نوموشدا »

إلى « بوزور - نوموشدا » ، حاكم « كزالو » قل هذا ما يقوله مليكك
« أبي - سين » :

منذ أن اخترت لك قوات . . . ووضعتها تحت تصرفك كحماكم « كزالو » ،
أليست قواتك ، كما في حالتي ، هي شهرة لك ؟ لماذا ترسل إلى بمثل هذا (القول) :
إن « أشبى - إيرّا » ركز عينه على ، سوف لن آتى إلا بعد أن يكون قد تركنى .
كيف حصل أنك لم تعرف متى سيعود « أشبى - إيرّا » إلى (هذه) البلاد ؟ لم لا
ترسل بالاتفاق مع « جبر بوبو » ، حاكم « جيركال » ، القوات التي وضعت بيدك
قبل (أن يعود) ؟ كيف حصل أنك تؤخر إعادة ال . . . ؟ لقد أرسل « أنليل »
الشر على بلاد سومر . إن عدوها هابط من بلاد ال . . . ورفع إلى رعاية البلاد .
والآن أعطى « أنليل » الملكية لرجل لا قيمة له ، إلى « أشبى - إيرّا » الذى هو
ليس من بذرة سومرية . أنظر ، لقد أذلت سومر في مجمع الإله ، الأب « أنليل »
الذى أوامره . . . ، أمر بكل تأكيد بما يأتى : « ما دام فاعلو الشر موجودين في
« أور » فإن « أشبى - إيرّا » ، رجل « مارى » ، سيهدم أسسها وسيقسم بلاد
سومر . » و (هكذا) عند ما عينت حاكماً للمدن العديدة ، إنحازت (هذه المدن)
إلى « أشبى - إيرّا » وفقاً لأمر « أنليل » . حتى بعد أن تسلم أنت ، مثل . . .
المدينة إلى العدو وبعد أن تصبح خادماً (له) ، فإن « أشبى - إيرّا » لا يعرف .
أما الآن فاجلب إلى هنا (العون) من أجل إحياء الكلمة الطيبة . ولوضع حد للتضليل :
ولينجزوا . . . بين سكانها . لا تنصرف ، ولا تكن ضدى . إن يده لن تفال المدينة ،
ولن يمارس رجل « مارى » السيادة وفقاً لخطته العدائية . (لأن) « أنليل » قد
أثار الآن ال « مارتو » من بلادهم ، إنهم سيضربون العيلاميين ويأسرون « أشبى -
إيرّا » . وبإعادة البلاد إلى مكانتها (السابقة) ، ستصبح قوتها معروفة في كافة أنحاء
الأقطار ، إن هذا أمر ملح ، فلا . . .

(الملحق ز) « ديتيلاهات »^(١) (أحكام قضائية)

(١)

« شيشكالا » بن « أور - لاما » أدعى بما يأتي : « إننى لست عبد » أور - ساحار - باو . « ولكن الحقيقة هى أن » « أور - لاما » والد « شيشكالا » قد وهب كعبد من « ألا » الكاتب الى بيت « أور - ساحار - باو » بن « نامو » فى (صفقة مقايضة مع) منحة (؟) من الشعير والصوف . أضيف إلى ذلك ، إن « لود وجا » و « رودىما » أقسما بأن « أور - لاما » قد أنجب « شيشكالا » العبد فى بيت « أور - ساحار - باو » . لذلك قد ثبت بأن العبد (ملك) لورثة « أور - ساحار - باو » .

« تيما حتا » - « الشكيم »

« لو - شارا » - القاضى

(وتعقب هذا صيغة تاريخية)

(٢)

« أكالا » بن « لونينشوبور » ، (و) « أور شوانا » كانا شاهدين (على حقيقة أن) « كاكو » بن « نيشوبور » ، قد اشترى اثنتى عشر فسيلة كبيرة من « لونانا » والده « أورابو » بثلاثة « شياقل » من الفضة كتمن كامل لها . (إلا أن) « أورابو » كذب الشاهدين . (بعدئذ) أقسم « كاكو » بأنه كان فى الواقع قد اشترى الفسائل من أب « أورابو » « لونانا » . (لذلك) ثبت بأن الحديقة (كانت ملك) « كاكو » . . .

(١) « ديتيلا » تعبير سومرى يطلق على القرار الذى تصدره المحكمة بعد انتهاء المحاكمة وجمعت فى الترجمة بـ « ديتيلاهات » . (الترجمة) .

« تيمما حتا » - « المشكيم »
« لورشارا » (و) « أور - ساتران » - القاضيان
(وتعقب هذا صيغة تاريخية) .

(٣)

« إينا شاجا » زوجة « دودو » ، بن « تيتي » ، أشرت بيت . . . الذي تبلغ مساحته ٢٩ « سار » بمالها الخاص . وما دام « دودو » حياً ، كان « أور - إينينو » بن « دودو » يمتلك البيت . ولأن « إينا شاجا » أشرت البيت ، فإن « أور - إينينو » جعل اللوح (الذي سجل عليه) ثراء البيت يحول له من قبل « أنا شاجا » . إن « إينا شاجا » أقسمت على أنها قد أشرت البيت بمالها الخاص وليس بمال « دودو » (زوجها) .

إن « دودو » قد أعطى « نينانا » بن « نيزا » الصائغ كعبد إلى « إينا شاجا » زوجته ، وبعد وفاة « دودو » طالب ورثة « دودو » ، عن طريق « أراد - نانا » الإنسى وال « سو كال ماخ » ، باستعادة ملكية (العبد) منها ، وشهد « أور جالا » بن « سانجا » « نيشوبور » ، ال « ناماخ » ، « جوزالا » « جيزى » ، و « آلول » المغنى على أن « دودو » قد وهب العبد لـ « إينا شاجا » ، وأيد ورثة « دودو » هذه الشهادة . وبما أن (أقوالهم) تأيدت بأقوال الورثة — فإن الشهود لم يجبروا على أداء اليمين .

(لذلك) ثبت بأن « نينانا » بن « نيزا » والبيت كانا (ملك) « إينا شاجا » زوجة « دودو » .

أما « جيمى — تيراش » و « ماجينا » ، و « ساج — باوتو كو » بنات « نينانا » (العبد بن « نيزا » فقد أعتقتهن « إينا شاجا » أمام القضاة . وأقسم ورثة « دودو » باسم الملك على أنهم سوف لن يغيروا كلمة أمهم .
« أور باجارا بن أور المشكيم »

« لو - شارا - ولود ينجيرا ، وأور - ساتران » قضاتها
(أى القضاة الذين أصدروا الأحكام المسجلة فى هذا اللوح)
(ثم تعقب هذا صيغة تاريخية) .

(الملحق ح) شريعة « لبت - عشتار » :

المقدمة :

عندما « آن » العظيم ، والد الآلهة ، و « أنليل » ملك الأقطار كلها ، السيد
الذى يقرر القوانين (الإلهية) ، قد . . . « نينسيئا » (١) إبنة « آن » . . .
ال . . . و . . . الفرح لجيئها الوضاح ، عندما أعطاها ملكية سومر وأكد وحكاماً
لائقاً فى مدينتها « إيسن » ، ال . . . الذى أسسه « آن » ، وعندما « آن »
و « أنليل » دعيا « لبت - عشتار » - « لبت - عشتار » الراعى الحكيم ، الذى
أعلن اسمه « نونا منير » (٢) لإمارة البلاد لكى يثبت العدل فى البلاد ولإزالة
الشكوى والقضاء على البغضاء والعصيان بقوة السلاح ، ولجلب الخير إلى السومريين
والأكديين - عندئذ أنا ، « لبت - عشتار » ، راعى « نقر » المتواضع ، فلاح
« أور » الراسخ الإيمان ، الذى لم يتخل عن « أريدو » ، سيد « الوركاء » اللائق
ملك « إيسن » ملك سومر وأكد ، أنا من هو لائق لقلب « إينانا » ، أقت العدالة
فى سومر وأكد وفقاً لأمر « أنليل » . حقاً ، لقد أنجزت فى تلك الأيام . . . حرية
أبناء وبنات « نقر » وأبناء وبنات « أور » ، وأبناء وبنات « إيسن » وأبناء وبنات
سومر وأكد ، الذين . . . فرضت عليهم العبودية . حقاً ، وفقاً ل . . . جعلت الأب
يقوم باعالة أبنائه وجعلت الأبناء يقومون باعالة أبيهم ، وجعلت الأب يقف إلى جانب
أبنائه وجعلت الأبناء يقفون إلى جانب أبيهم ، وفى بيت الأب وفى بيت الأخ ، أنا . . .
حقاً ، أنا ، « لبت - عشتار » بن « أنليل » ، جلبت سبعين (٣) إلى بيت الأب وإلى

(١) « نينسيئا » إلهة مدينة « إيسن » الحالية . ويعنى اسمها « سيدة إيسن » (المترجم)

(٢) اسم آخر للإله « أنليل » . (المترجم)

(٣) جاء هكذا فى الأصل والمقصود بذلك غير واضح . (المترجم)

بيت الأخ ، وإلى بيت الأعزب ، جلبت ... لمدة عشرة أشهر ... زوجة رجل ...
وابن رجل ...

المواد القانونية :

- ١ — ... التي أقيمت ...
- ٢ — ... ملك بيت الوالد من ...
- ٣ — ... ابن موظف الدولة ، وابن موظف القصر ، وابن المشرف ...
- ٤ — ... قارب ... سوف ... قارب .
- ٥ — إذا استأجر رجل قارباً وبدأ به ... رحلة له ...
- ٦ — ... الهدية ... سوف ...
- ٧ — إذا أعطى بستانه لبستاني ليزرع ... والبستاني ... للمالك البستان ...
- ٨ — إذا أعطى رجل أرضاً خالية لرجل (آخر) لإقامة بستان (فيها) ولم ينجز (الأخير) تحويل الأرض الخالية إلى بستان ، فإنه (أى صاحب الأرض) سيعطى الرجل الذى شرع فى إقامة البستان الأرض الخالية التى أهملها كجزء من حصته .
- ٩ — إذا دخل رجل إلى بستان رجل (آخر) وقبض عليه هناك بسبب (قيامه) بالسرقة ، فإنه سيدفع ١٠ « شياقل » من الفضة .
- ١٠ — إذا قطع رجل شجرة فى حديقة رجل (آخر) ، فإنه له (ميناً) من الفضة .
- ١١ — إذا أهملت أرض خالية لرجل بجوار بيت رجل (آخر) وسبق أن قال صاحب البيت لصاحب الأرض الخالية «لأن أرضك قد أهملت فإن شخصاً ما قد يدخل إلى بيتي ، حصن بيتك » ، وإن هذا الاتفاق قد تأيد من قبله ، فإن صاحب الأرض الخالية سيعيد إلى صاحب البيت كل ما يفقده من ممتلكاته .

١٢ - إذا هرب عبد أو أمة إلى وسط المدينة (ثم) تأيد بأنه (أو بأنها سكن) في بيت رجل (آخر) لمدة شهر واحد ، فإنه سيعوض عبداً بعبد .

١٣ - فإذا لم يكن عنده عبد ، فإنه سيدفع ١٥ « شيقلا » من الفضة .

١٤ - إذا عوض عبد رجل سيده عن عبوديته وتأيد (بأنه قد عوض) سيده بشكل مضاعف . فإن ذلك العبد سيعتق .

١٥ - إذا كان «ميتقوم»^(١) هبة من الملك ، فإنه سوف لن يؤخذ (إلى مكان آخر) .

١٦ - إذا ذهب «ميتقوم» إلى رجل بإرادته الحرة ، فإن ذلك الرجل لن يحتفظ به وأن له (أى الميتقوم) أن يذهب إلى حيث ما يشاء .

١٧ - إذا ربط رجل دون تخويل رجلاً (آخر) بقضية لا علم له (أى للأخير) بها ، وأن ذلك الرجل لم يؤيد إدعاءه بالحجج ، فإنه (أى الرجل الأول) سيتحمل العقوبة المتصلة بالقضية التى ربط بها .

١٨ - إذا تخلف صاحب مقاطعة أو صاحبة مقاطعة عن دفع ضريبة المقاطعة وتحملها شخص غريب ، فلا يطارد المالك من المقاطعة لمدة ثلاث سنوات . (وبعد ذلك) سيمتلك الشخص الذى تحمل ضريبة تلك المقاطعة ، ولا يحق لصاحب المقاطعة (السابق) أن يدعى (بملكية المقاطعة) .

١٩ - إذا صاحب مقاطعة ...

٢٠ - إذا استولى رجل من الورثة ...

٢١ - (إذا) ... بيت الوالد ... قد تزوج ، فإنه سيأخذ هدية بيت والدها التى قدمت كأرث لها .

(١) كلمة سامية وليست سومرية وما زال معناها غير معروف . (المترجم)

٢٢ - إذا كان الوالد حياً ، فإن ابنته سواء أكانت « نيند ينجير » (١) أو « لوكو » رأو خادمة معبد ، متسكن في البيت كوارثة .

٢٣ - إذا الإبنة في بيت والد(ها) الحى ...

٢٤ - إذا أنجبت المرأة الثانية التى تزوجها أبناء له ، فإن الصداق الذى جاءت به من بيت والدها يعود إلى أبنائها ، ولكن أبناء زوجته (الأولى وأبناء زوجته الثانية سيقسمون بالتساوى ممتلكات أبيهم .

٢٥ - إذا تزوج رجل امرأة وأنجبت له أبناء (وكان) هؤلاء أحياء (عند وفاة أبيهم) ، وأنجبت أمة أبناء لسيدها أيضاً (ولكن) الأب أعتق الأمة وأبناءها فإن أبناء الأمة سوف لا يقسمون المقاطعة مع أبناء سيدهم (السابق) .

٢٦ - إذا توفيت زوجته الأولى وتزوج بعد (وفاتها) ، فإن أبناء من زوجته الأولى يكونون ورثة له ، وسيكون الأبناء الذين أنجبتهم الأمة لسيدها مثل ... ، وإيهم سوف ... ييته .

٢٧ - إذا لم تنجب زوجة رجل أبناء له (ولكن) مومساً (من) الميدان العام أنجبت له أبناء ، فإنه سيمد تلك المومس بالقهح والزيت والكساء ، وسيكون الأطفال الذين أنجبتهم المومس ورثة له ، وما دامت زوجته على قيد الحياة لا تسكن المومس في البيت مع زوجته .

٢٨ - إذا أشاح رجل بوجهه عن زوجته الأولى ... (ألّا) إنها لم تخرج من البيت ، فإن إمرأته التى تزوجها تفضيلاً لها (على زوجته الأولى) تكون زوجة ثانية ، ويواصل إعالة زوجته الأولى .

٢٩ - إذا دخل (من كان يؤمل أن يكون) صهرأ بيت (من سيكون) والد زوجته ، وإذا أنجز (مراسيم) خطوبته (ولكنهم) طردوه بعد ذلك (من البيت) وزوجوا (من كانت من المؤمل أن تكون) زوجته من

(١) طبقة من الكاهنات . (المبرمج)

رفيقه ، فإنهم سيعيدون إليه هدايا الخطوبة التي قدمها ولا يحق لتلك
الزوجة (في الواقع الخطيبة) أن تتزوج رفيقه .

٣٠ — إذا تزوج شاب موسماً (من) الميدان العام وأمره القضاة بعدم زيارتها
(ولكنه) طلق بعد ذلك زوجته ٠٠٠ نقوداً .

٣١ — (إذا) أعطى . . . (منحة) ، سيتم الورثة بعد وفاة والدهم مقاطعة
أبيهم . (ولكنهم) سوف لن يقتسموا ما منح من المقاطعة ، إنهم لن
« يطبخوا كلمة أبيهم في الماء »^(١) .

٣٢ — إذا خصص أب أثناء حياته هدية خطوبة لابنه الأكبر ، و (تزوج)
(الابن) بحضور الأب الذي مازال على قيد الحياة ، فإن الوريث بعد
(وفاة) الأب ...

٣٣ — إذا تأيد بأن ال . . . لم يقسم المقاطعة ، فإنه سيدفع ١٠ « شياقل » من
الفضة .

٣٤ — إذا استأجر رجل ثوراً وسبب أذى في اللحم عند المنخر ، فإنه سيدفع
ثلث ثمنه .

٣٥ — إذا استأجر رجل ثوراً وأصاب عينه بالأذى ، فإنه سيدفع نصف
ثمنه .

٣٦ — إذا استأجر ثوراً وكسر قرنه فإنه سيدفع ربع ثمنه .

٣٧ — إذا استأجر رجل ثوراً وأصاب ذيله بالأذى فإنه سيدفع ربع ثمنه .

٣٨ — (إذا) . . . فإنه سيدفع ٠٠٠

(١) يقصد بهذا على ما يبدو بأنهم ان يخالفوا ما أمر به والدهم . (المترجم) .

الخلاصة :

حقاً ، وفقاً لكلمة « أوتو » الحققة ، جعلت سومر وأكد تتمسكان بالعدالة الحققة .
حقاً ، وفقاً لقرار « أنليل » ، أنا « لبت - عشتار » بن « أنليل » قضيت على البنضاء
والعصيان - وحرمت النجيب والمكاء والضراخ وأثقت العدالة والحققة ،
وجلبت الخير للسومريين والأكديين

حقاً ، عندما رسخت رخاء سومر وأكدت ، أقت هذه المسلة . عسى أن تهدي
لن لا يقترب أي عمل شرير تجاهها ، ولن لا يدمر إنجازي ولن لن يزيل كتابتها ،
ولن لا يكتب اسمه عليها - (عسى أن تهدي) حياة ونفساً لأيام طويلة ، وعسى أن
يرتفع عالياً في « أيكور » ، وعسى أن إليه جبين « أنليل » المشرق . (ومن الناحية
الأخرى) فإن من سيقترف عملاً شريراً بالنسبة لها ، ومن سيدمر إنجازي ، ومن
سيدخل المستودع ويغير قاعدتها (أي المسلة) ومن سيزيل كتابتها ومن سيكتب اسمه
عليها ، ومن ، بسبب هذه اللعنة ، سيفيق عنه شخصاً آخر (ليقوم بعمل من هذه
الأعمال) فإن ذلك الشخص سواء أكان ... ، أو كان ... عسى أن يسلب منه ... ويجلبه
إلى ... في ... كان من كان ، عسى أن يسلب منه « أشنان »^(١) و « سوموجان »^(٢) سيد
الوفرة ، ... وعسى أن يسلب منه « أوتو » قاضي السماء والأرض ... أساسها ... كل ...
عسى أن يحسب ؛ وعسى ألا تسكون بلاده مستقرة ، ومالكها ، كان من كان ،
عسى « نينورتا » البطل الجبار وابن « أنليل » أن ...

(١) « أشنان » إلهة الغة و « سوموجان » إله السهل الذي عينه الإله « أنكي » ناظراً على
النباتات والأعشاب التي عملاً السهل . (المترجم)

(٢) إن هذا النص وجد على عدة ألواح وكسر ويتألف من (١٠٧) سطراً . وقد أشار
المؤلف إلى صعوبة ترجمته بسبب ما فيه من تغيرات وعبارات غير واضحة . أما الترجمة الأولية
المقدمة هنا فقد توصل إليها بعض تعاون عدد من العلماء . وقدمت للقراء على ما فيها من نقص وعدم
وضوح وذلك لأهمية هذه الوثيقة التي تنشر أقدم وثيقة من نوعها في تاريخ الإنسان . (المترجم) .

(ملحق ط) تقويم الفلاح :

في الأزمان القديمة أوصى فلاح ابنه [بما يأتي] :

عندما تكون على وشك أن تتولى الإشراف على حقلك [لزراعته] ؛ راقب بعين يقظة فتحة السدود والقنوات ؛ والتلول [حتى] إذا أغرقت الحقل لا يرتفع الماء فيه ارتفاعاً كبيراً . وعندما تنتهي من بزله من الماء ، لاحظ أرض الحقل المشبعة بالماء كي تبقى لك أرضاً نشطة . دع ثيراناً منعلة [أي ثيران ذات أظلاف محمية بطريقة أخرى] تدوسها لك ؛ وبعد أن تقتلع أعشابها الضارة وتحول الحقل إلى أرض مستوية ، أعزقها على مستوى واحد بفؤس حادة ؛ لا ين كل واحد منها (أكثر) من ثلثي الرطل . [وبعد ذلك] دع حامل المعول يعمل في إزالة [آثار] أظلاف الثور ويمهدا [أي الأرض] لك . ولتساو الشقوق بجرافة ؛ واجعله [أي حامل المعول] يطوف مع المعول مع على زوايا الحقل الأربع [السطور من ١ - ١٢]

وفي الوقت الذي يأخذ فيه الحقل بالجفاف — دع [أسرته] المطيعة تعد لك أدواتك ؛ وثبت عارضة النير وعلق سياطك الجديدة على المسامير ؛ ودع الصنّاع يصلحون لك مقابض سياطك القديمة ^(١) . ودع ... البرونزي ... أدواتك « تأتفت إلى سلاحك » دع « ربطة الرأس » الجلدية والمهز ؛ و « فاتح الفم » والسوط تدعمك [في حالات تحتاج فيها إلى الضبط والسيطرة] ؛ ودع سلتك من صنف الـ « باندو » تطلق ؛ [إن كل هذا] سيحقق لك وارداً كبيراً [الأسطر ١٣ - ٢١] .

فإذا جهز حقلك بما يحتاج إليه ، راقب بعين يقظة عملك . وبعد إضافة ثور آخر إلى ثور الحراثة — عندما يشد ثور إلى ثور آخر ، فإن محراثهما يكون أكبر حجماً من المحراث (العادي) — أجعلهما ... « بور » واحداً ، سيحققان لك ... مثل عاطفة ، حتى إن ثلاثة « جوارات » من الشعير ستزرع في ذلك

(١) كانت السياط تستعمل لدفع العاملين والحيوانات على مواصلة العمل . (المترجم)

ال « بور » الواحد . إن الرزق في المحراث ! (وهكذا) بعد أن تنتهي من احراثة الحقل بمحراث (من نوع) « بارايل » — نعم محراث بارديل — (ومن ثم) بعد أن تنتهي حراثته بمحراث (من نوع) ال « شوكين » — كرر (هذه العملية . وبعد أن تنتهي من تسايف تربته (أى الحقل) ، وتقلب تربته ثلاثة مرات وتنعيمها جيدا بمعارقة ، ودع مقبض سوطك يقف إلى جانبك ، لا تهاون بأى تسكع في العمل . قف على رؤوسهم (أى على عمال الحقل) خلال عملهم ، ولا تهاون مع أى معوقات (للعمل) ، لا (تله) عمال حقلك . وبما أنه يجب عليهم مواصلة العمل خلال النهار (وخلال) نجوم السماء لمدة ١٠ (أيام) فإنه يجب أن توجه قواهم إلى الحقل ، وألا يرقصوا احتفاء بك (السطور ٣٢ — ٤٠) .

عندما توشك على القيام بحراثة حقلك ، دع المحراث يقتلع لك بقايا النباتات . . أترك « غطاء قم » المحراث العائد لك . . . ، وأترك . . . على مسمار رفيع ، ودع دجرك^(١) يمتد إلى الجانبين وهيء أخاديدك . . واحذر في كل « جاروش » واحد ثمانية أخاديد . . . إن الأخاديد التى تحفر بعمق ، سينمو شعيرها طويلا (أسطر ٤ — ٤٧) .

عندما توشك على حراثة حقلك ، راقب الرجل الذى يذر بذور الشعير . دعه ينثر الحب بصورة منتظمة إلى أصبعين واستخدم « شيتلا » واحدا من الشعير لكل « جاروش » . وإذا لم تدفن بذرة الشعير على الوجه الصحيح ، غير سكة محراثك ، (أو كما ورد في النص « لسان المحراث » . إذا ال . . .) (عندئذ) احث أخاديد مائلة في المكان الذى حرثت فيه أخاديد مستقيمة وأحرت لإخاديد مستقيمة حيث حفر أخاديد مائلة . ودع أخاديدك المستقيمة تحول حدودك إلى حدود « تولو » ودع أخاديد ال « لو » تجعل حدودك مستقيمة . واحذر أخاديد « آب » حيث . . . (ثم) دع كل كتلة الطينية الصلبة تزال من الحقل ولنحول جميع أماكن الارتفاع إلى إخاديد ، وتحول كل منخفضاته إلى أخاديد منخفضة . (كل هذا) سيكون أمرا حسنا بالنسبة للبراعم الأولى (من النبات) (أسطر ٤٨ — ٦٣) .

(١) الدجر : قطعة ممدية . قفاء في المحراث ترفع التربة وتقلبها . . (المترجم) .

بعد أن تخترق البرعمة (سطح الأرض) أقم الصلاة للالهة « ن كيايم »^(١)
 واطرد الطيور الطائرة . وعندما يملأ الشعير قيعان الاخاديد الضيقة ، إسق البذور
 العليا ، وعندما يصل الشعير إلى ارتفاع (قشة) حصير في وسط سفينة ، اسقه
 (مرة ثانية) واسق (مرة ثالثة) شعيره الملكي . وإذا احمر الشعير المسقى ، فإن
 ما تقوله هو أنه مصاب بمرض الـ « سمانا »^(٢) ولكنه إذا نجح في إعطاء سنابل
 غنية بالحلب اسقه (مرة رابعة) وسينتج لك مكيالا اضافيا من الشعير في كل عشر
 مكابيل (أى زيادة ١٠٪) . (السطور ٦٤ — ٣) وإذا أوشكت على حصاد
 حقلك ، لاتدع الشعير ينحني على نفسه (بل) احصده في اللحظة التي يكون فيها
 (ابكامل) قوته . إن حاصداً ، رجلا يقول بوضوح السنابل المحصودة في حزم ، رجلا
 ايشد الحزم (امامه — هؤلاء الثلاثة سيقومون (كفرقة واحدة) بالحصاد لك . وعلى
 الملتقطين الا يسيبوا حدوث تلف ؛ يجب الا يفكوا الحزم . ودع الأرض أثناء أعمال الحصد
 اليومية ، تعطى ، كما في « أيام الحاجة » طعاما للصغار وللملتقطين حسب عددهم (أى يجب
 عليه على مايفترض أن يترك الحب المتساقط على الأرض للاطفال وللملتقطين المحتاجين
 لياتقطوه) ودعهم ينامون (في حقلك) كما (ينامون) في الأرض ذات الالهوار (المكشوفة) ،
 (فإذا) فعلت هذا فإن إلهك سيظهر لك مودة دأمة . وبعد أن تحصل على
 لا (ولكن) حصص (بعض) الشعير المحصود (كى) تقرأ من
 اجلك في كل يوم « صلاة الشعير المحصود » . (السطور ٧٣ — ٨٦) .

وإذا اشكت على القيام بتذرية الشعير ، دع اولئك الذين يزنون شعيرك
 (يهيمئون) لك (صناديق بسعة) ثلاثين « جورا » . ومر بتسوية أرض الدراسة
 ووضع (صناديق) الـ « جور » بحيث (تكون معدة) للطريق . وإذا انتهى
 (إعماد) ادواتك لك ، وهيئت عرباتك ، ردع العربات تتسلق أكداس (شعير)
 — (وتستغرق) « دراسة الاكداس » خمسة أيام . وإذا أوشكت على « فح التل » ،

(١) إلهة خاصة بالجرذان والعشرات والديدان ، ويصل لهذه الإلهة لتسع هذه الحيوانات

من إيتاع الضرر بالنبات . (المترجم) .

(٢) من الآفات الزراعية الخيفة . (المترجم) .

أخبز خبز « أرا » وعندما « تفتح » الشعير ، اطلب (من عمالك) شد أسنان
زلاجتك بالجلد واجعل القير يغطى

وإذا أوشكت على ربط الثيران إلى (الزلاجة) ، ودع رجالك الذين « يفتحون »
الشعير يقفون إلى جانبها مع طعامها — (أى طعام الثيران) (السطور ٨٧ — ٩٠) .

وعندما تنتهى من تكديس الشعير أقم الصلاة « صلاة الشعير غير المنظف » .
وعندما تقوم بتذرية الشعير وجه انتباهك إلى الرجال الذين يحملون الشعير من
الأرض ويجب على اثنين من « حاملي الشعير » أن يحمله لك . فى اليوم الذى ،
يقرر فيه تنظيف الشعير ، مر بوضعه على عيذان (مضافه من تراب الأرض) وصل^٣
فى المساء والليل . (ثم) اطلب « تفريط » الشعير (من العصافه) كما لو كان (يعمل)
بريح قاهرة ، وسيخزن الشعير « المفرط » لك (أسطر ١٠٠ — ١٠٨) .

(هذه هى) إرشادات « نينورتا » بن « أنليل » . فيه « نينورتا » ، يافلاح
« أنليل » الموثوق به أن الحمد لك حسن (السطور ١٠٩ — ١١١ !)

SELECTED BIBLIOGRAPHY

GENERAL

Braidwood, Robert J. *The Near East and the Foundations of Civilization*. Eugene, Ore., 1952.

Chiera, Edward. *They Wrote on Clay*. 2d ed. Chicago : University of Chicago Press, 1955.

Childe, Vere Gordon. *New Light on the Most Ancient Near East*. 4th Edn. New York : Frederick, 1958.

Gadd, Cyril J. "The Cities of Babylonia", in *The Cambridge Ancient History* (rev. ed. ; Cambridge : University Press, 1932), I, Chap. xiii, 1-60.

Jacobsen, Thorkild. "Mesopotamia", in *The Intellectual Adventure of the Ancient Man*. By H. Frankfort et al. Chicago : University of Chicago Press, 1946.

Kramer, Samuel N. *From the Tablets of Sumer*. Indian Hills, Colo. : The Falcon's Wing Press, 1956. (Reprinted in 1959 as *History Begins at Sumer*. New York : Doubleday & Co., Inc.)

Pallis, S. A. *The Antiquity of Iraq*. Copenhagen : Einar Munksgaard, 1956. A rather capricious but not un - useful book which contains a comprehensive bibliography of the more important Sumerological publications up to 1954.

Pritchard, James B. (ed.). Ancient Near Eastern Texts . 2d .
Princeton, N. J. : Princeton University Press , 1955.

Rowton , M. B. " Chronology : Ancient Western Asia " , in
The Cambridge Ancient History (rev. ed. ; Cambridge : University
Press, 1962), I, chap. vi, 23 - 69.

Saggs, H. W. F. The Greatness That Was Babylon. New York:
Hawthorn Books , 1962.

I ARCHEOLOGY AND DECIPHERMENT

Fossey , Charles . Manuel d' Assyriologie. Vol . I . Paris :
Leroux, 1904.

Parrot, André . Archéologie mésopotamienne , Vols , I (1946)
and II (1953). Paris : Albin Michel.

Tello . Ving' campagnes de fouilles (1877 - 1933). Paris :
Albin Michel, 1948.

II HISTORY

Edzard, Dietz Otto. Die " Zweite Zwischenzeit " Babylonien .
Wiesbaden : Otto Harrassowitz, 1957.

" Enmebaragesi von Kis " , in Weitschrift fur Assyriologie ,
LIII (1959), 9 - 26.

Jacobsen , Thorkild . The Sumerian King List . Chicago :
University of Chicago Press , 1939 .

" Early Political Development in Mesopotamia " , in Zeitschrift
fur Assyriologie, L'I (1957), 91 - 140 .

Kramer , Samuel N . " A ' Fulbright ' in Turkey " , University
Museum Bulletin, XVII/2 (1952).

Kraus, F. R. "Zur Liste der aelteren Koenige von Babylonien" in *Zeitschrift fur Assyriologie*, L (1952), 29 - 60.

" Nippur und Isin nach althabylonischen Rechtsurkunden " in *Journal for Cuneiform Studies*, III (1951).

Lambert, Maurice. " La période préargonique. Essai d'une histoire Sumérienne ". in *Sumer*. VIII (1952), 57 - 77, 198 - 216.

Landsberger, Benno. " Die Anfänge der Zivilisation in Mesopotamien ", in *Journal of the Faculty of Languages, History, and Geography of the University of Ankara*, II (1944), 431 - 37.

Sollberger, Edmond. " Sur la chronologie des rois d'Ur, " in *Archiv fur Orientforschung*, XVII (1955), 10 - 48.

Speiser, E. A. *Mesopotamian Origins*. Philadelphia : University of Pennsylvania Press, 1930.

Woolley, C. Leonard. *Excavations at Ur*. London : Ernest Benn, Ltd., 1954.

The Sumerians. Oxford : Clarendon Press, 1929.

Diakonoff, N. M. *Sumer : Society and State in Ancient Mesopotamia*. Moscow : Academy of Sciences, U. S. S. R., 1959. In Russian with English résumé.

Falkenstein, Adam. *Die neusumerische Gerichtsurkunden*. Vols. I - III. Munich : Verlag der Bayerischen Akademie der 1956 - 57.

" La cité - temple sumérienne, " in *Journal of World History*, I (1945), 781 - 814.

Forbes, R. J. *Metallurgy in Antiquity*. Leiden : Brill, 1950.

Studies in Ancient Technology. 6 vols. Leiden : Brill, 1955 - 58.

Frankfort , Henri . The Art and Architecture in the Ancient Orient. Baltimore : Penguin Books, Inc . , 1955.

Hallo , William W. Early Mesopotamian Royal Titles . New Haven : American Oriental Society, 1957.

Lensen, H. Die Sumerer. Berlin : Gebr. Mann, 1948.

Llyd , Seton . The Art of the Ancient Near East. New York : Frederick Praeger , 1961.

Neugebauer . O. The Exact Sciences in Antiquity. 2d ed. Providence, R. I. : Brown University Press, 1957.

Nenehauer. I., and Sachs, A. Mathematical Cuneiform Texts. New Haven, Conn. : American Oriental Society and the American Schools for Oriental Research, 1957.

Oppenheim , A. L. , and Hartman , Louis F. On Beer and Brewing Techniques in Ancient Mesopotamia . (Supplement No. 10 to the Journal of American Oriental Society , December , 1950.)

Parrot, André. Sumer. New York : Golden Press, 1961 .

Steele , Francis R. The Code of Lipit - ishtar . Philadelphia : University Museum, 1919.

Woolly, C. Leonard. The Art of the Middle East. New York : Crown Publishers, 1911.

IV RELIGION

Dhorne , E. Les religions de Babylonie et Assyrie. Paris : Presses Universitaires de France. 1945.

Falkenstein , Adam . and Soden , W. von . Sumerische und akkadische Hymnen und Gebete. Zurich ; Artemis Verlag, 1953.

Gadd, Cyril J. Ideas of Divine Rule in the Ancient Near East. London : Oxford University Press, 1948.

Jean , Ch . — F. La religion sumérienne . Paris : Paul Geuthner, 1931.

Labat, René. Le caractère religieux de la royauté assyro-babylonienne. Paris : Librairie d'Amérique et d'Orient, 1939.

Moortgat, A. Tammuz. Berlin : W. de Gruyter, 1949.

Sjoberg, Ake. Der Mondgott Nanna-Suen. Vol I. Stockholm : Almqvist and Wiksell, 1960.

V LITERATURE

Falkenstein, Adam. Sumerische Götterlieder. Vol. I. Heidelberg: Carl Winter, 1959.

Gordon , Edmund I. Sumerian Proverbs . Philadelphia : University Museum, 1960.

Kramer , Samuel N. Sumerian Mythology. New York : Harper & Bros., 1931.

Van Dijk . J. J. A. La Sagesse Suméro - accadienne . Leiden : Brill, 1953.

VI EDUCATION

Falkenstein , Adam . " Der Sohn des " Tafelhauses," in Die Welt des Orients , III (1948), 172 - 86.

Gadd, Cyril J. Teachers and Students in the Oldest Schools . London : School of Oriental and African Studies , University of London. 1956.

Karmer, Samuel N. Schooldays. Philadelphia : University Museum, 1949.

Landsberger, B. Die Fauna des alten Mesopotamiens. Leipzig : S. Hirgel, 1934.

VII CHARACTER

Karmer, Samuel N. " Love, Hate and Fear : Psychological Aspects of Sumerian Culture, " in Eretz - Israel, V (1958), 6 - 4.

" Rivalry and Superiority : Two Dominant Features of the Sumerian Cultural Pattern, " in Selected Papers of the Proceedings of the Fifth International Congress of Anthropological and Ethnological Sciences (1956), 28 - 91.

VIII LEGACY OF SUMER

Baltrushaitis, M. Art Sumérien, art roman. 1934.

Kramer, Samuel N. " Sumérien Literature and the Bible, " in Analecta Biblica, XII (1959), 185-204.

فهرست الأعلام

— ١ —

ابراهيم : ٤١٩

آبزو : ٢٤١

آجا ، ملك : ٦٦ ، ٦٥ ، ٦١ ، ٥٠

أجادة : ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠

أخامينس : ٧٢

اثيوبيا : ٨١ ، ٨٠

أدب ، مدينة : ٩٠ ، ٨١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٥٤ ، ٣٤

أراتا (مدينة) : ٥٩ ، ٥٧ ، ٥٠

أرادمو : ٩١

أرام — أرمن : ١٢

أرمينيا : ٩١

أرك ، مدينة : ٣٧ ، ٣٧ ، ٢٥

أريدو ، مدينة : ٣٧٣ ، ٢٩١ ، ٢١٩ ، ١٨١ ، ٥٤ ، ٤٠

اسبانيا : ١٢ ، ١

أسد بابل : ٩

أسمر ، تل : ٣٨

أيسموند : ٢١٧

آسيا : ٦٠ ، ٣٠ ، ١١ ، ٧ ، ٤

اشي ، ايرا : ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٦٣

أشجاب ، جال : ٦٣

آجا : ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١

آسور ، مدينة : ٢٥ ، ٢٧ ، ٩٠ ، ٩٢
آشور بانزيبال : ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩

آشوريون : ٢٢

آشور (بلاد) : ١١ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٢٧

أغريقيون : ٥

الفرات : ٢٧ ، ٣٩ ، ٥٢

أفريقيا : ١٢

أقليدس : ٧

أكتاب ، مدينة :

أكد : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٥

أكديون : ٣٥ ، ٨١

أكشاك ، مدينة : ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤

أكلامدوج : ٦٧

البرتغال : ١٠ ، ١٢

ألمانيا : ٢٤

ألمانيا الشرقية : ٦٤

الولايات المتحدة : ٥٤

أماط — سين ، ملك : ٦٣ ، ٧٢

أمافوس ، جبال : ٨٠ ، ٨٨

أمدو جود — ٢٧٨ ، ٢١٨

أميود ، آرثر ، عالم : ٢٧

آن ، إله : ٥٩ ، ١١٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٠

أناضول : ٨٨

انتاسورا : ٧٣ ، ٧٤

أنجواتيل - دوبروو ، أي . أج : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦

افشان ، دولة : ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٥

انسکلترا : ۲۴

انسکیدو : ۲۶۷ ، ۲۷۰ ، ۲۷۳ ، ۲۸۸

انسکی ، إله : ۴۰ ، ۸۵ ، ۸۶ ، ۱۰۹ ، ۱۸۱ ، ۱۹۷ ، ۲۳۷ ، ۲۴۱

انسکیاسی : ۲۴۷

أنلیل إله : ۲۸ ، ۴۰ ، ۴۹ ، ۶۲ ، ۶۳ ، ۶۴ ، ۶۵ ، ۶۶ ، ۷۸ ، ۷۹ ، ۸۲ ، ۸۳

۱۸۸ ، ۱۸۶ ، ۱۶۱ ، ۱۵۸ ، ۱۵۷ ، ۱۵۶ ، ۱۱۲ ، ۹۴ ، ۸۷ ، ۸۵ ، ۸۴

، ۲۳۵ ، ۲۳۳ ، ۲۳۲ ، ۲۲۹ ، ۲۲۸ ، ۱۹۶ ، ۱۹۵ ، ۱۹۴ ، ۱۹۳

، ۲۷۶ ، ۲۶۶ ، ۲۵۲ ، ۲۴۵ ، ۲۴۳ ، ۲۴۲ ، ۲۴۰ ، ۲۳۷ ، ۲۳۶

، ۳۱۳ ، ۳۱۲ ، ۲۹۳ ، ۲۹۲ ، ۲۸۴ ، ۲۸۱ ، ۲۷۶ ، ۲۷۸ ، ۲۷۷

۴۰۳ ، ۳۷۶

أنوتاکی : ۱۶۱ ، ۱۶۳ ، ۱۶۵

أوبرت ، یولیس ، عالم : ۱۹ ، ۳۰ ، ۳۳ ، ۳۴ ، ۳۶ ، ۳۷ ، ۳۸ ، ۳۹

أتو ، إله : ۵۹ ، ۸۵

أوبنایم (یو) : ۴۵

أوثو حیجال ، ملک : ۵۰ ، ۵۱ ، ۸۹ ، ۹۰

إیرشیجال : ۲۸۰

أور ، (مدینة) : ۸ ، ۵۱ ، ۵۴ ، ۵۵ ، ۶۶ ، ۶۷ ، ۷۰ ، ۷۱ ، ۷۳ ، ۸۰ ، ۸۱ ، ۸۸

، ۸۹ ، ۹۰ ، ۹۲ ، ۹۳ ، ۹۴ ، ۹۵ ، ۱۱۲ ، ۱۶۵ ، ۱۷۳ ، ۱۷۲

۱۸۲ ، ۱۸۴ ، ۱۸۸ ، ۳۳۶ ، ۳۳۸ ، ۳۴۴ ، ۳۷۹

أور - ناشة (شخص) : ۳۹

أور — نامو : ۶۳ ، ۹۵ ، ۹۲ ، ۱۱۲ ، ۲۲۸ ، ۳۱۱ ، ۳۶۹

أورکاجینا : ۲۲۹

أوروک — مدینة : ۳۵ ، ۵۹

أوروکاجینا — ملک : ۴۷ ، ۷۶ ، ۷۷ ، ۸۸ ، ۱۵۲ ، ۱۰۶ ، ۱۰۷ ، ۱۰۸ ،

۱۱۰ ، ۱۱۱

أوریتتالا ، بحلة : ۳۷

أوریم ، (أور) : ۳۷

أوش ، أمیر : ۷۲ ، ۷۵

أوغسطاین : ۱۲۰

اوما ، ٤٧ ، ٥١ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٨

٨٩ ، ١٠٧

أى — أنا ، (الوركاء) : ٥٩ ، ٦١

أى — أنا ، (معبد) :

آيانا تم ، ملك ، ٤٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٧

آيتانا : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩

ايدزارد ، دى . أو . (عالم) : ٥٩

آيدوبا ، مدرسة : ٤٩ ، ٩١ ، ١١١ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ٢٢٩

آيد يجلات (نهر دجلة) : ٥٣

آيسن : ٥٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٢٩٣

آيسوب :

آيكور ، معبد : ٦٣ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧

آيكورد أجيچالا : ٦٣

آيكشنو جال :

آينا كالا : ٧٢ ، ٧٤

آيتانا ، إلهة : ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥

آيتانا تم : ٧٤ ، ١٠٢

آيتمينا ، ملك : ٤٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٧

آينسورت ، ولیم ، أف ، عالم : ١١٩

آيشا كوشانا : ٧٣

آينهبراجيس : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦

آينهركار : ٥٠ ، ٥٧ ، ٥٩

أور — لوما : ٧٤ ، ٧٥

أيل ، حاكم : ٧٥ ، ٧٦

آيتانا تم (الثانى) : ٧٦

آيتانزى : ٧٦

أور — زبايا : ٧٩ ، ٨٠

أیلا ، بلاد : ٨٠

منطقة ، يفي لجش والخليج العربي : ٨٠

أولماش : ٨٤

أشكور : ٨٥

أور — باو : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠

أور جار : ٨٨ ، ٨٩

أينينو : ٨٨

إنامزو ، معبد : ٦٨ ، ٦٩

الآرز ، جبال : ٦٩

أكور جال : ٧١

أور ننجرسو : ٨٩

أوجي

أربيل : ٩٠

أبي سين : ٦٢ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤

أشمي داجان : ٩٥

أشنونا : ٩٥

أنحيجال : ١٠٢

أبران : ٧ ، ١١ ، ٥٠

أيوب : ٧ ، ٤٢٥

أوروبا : ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٣٠

أشوريو في : ٧

أنترب : ١٢

أفستا : ١٥

الامبراطورية الحكدانية : ١٠

الآشورية : ١٠

إنانا (الهة) : ٤٠

أرشكيجال : ١٧٩

أيوب : ٤ ، ٤٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨

(ب)

بابل : ١ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، (مدينة ، وبلاه ولغة)

بنيامين بن يونس : ٦ ، ٨

بند (لاجال) ٢٥٧

بندل (لوجال) ٣٩٤

بوابة عشتار : ٩

برلين (الشرقية) : ٨ ، ٩

البندقية ، مدينة : ١٠ ، ١٢

بلاد العرب : ١٠ ، ١٢

بين النهرين : ١ ، ٣ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠

بريوليس : ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١٨

بحر قزوين : ٢ ، ٥ ، ٥٧ ، ٥٩

بستون : ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠

بسنلفانيا : ٢٨ ، ٣٤

بسمايا : ٢٤ ، ١٣

بورانون : نهر : ٥٣

بحر الابيض المتوسط : ٢

بوتا ، يودامل : ٨٠ ، ٩ ، ١٠ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٣١

باور ، أندري : ٢٦ ، ٣٧ ، ٢٨ ، ٣٩

باه كس ، أي . جي : ١٣ ، ٢٤

بوروز ، أي : ٣٥ ، ٢٧

باريس ٩

برونو ، آز . أي . : ٣١ ، ٣٣ ، ٣٠

بويل ، آرنو : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٢ ، ٢٩ ، ٣٠

بيترز ، جون بي : ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٧

برنهادت ، آينز : ٦٥

بورتر ، روبرت كير : ٩ ، ١٠

برباروس ، جېوسوفات : ۱۰ ، ۱۲

برنس ، جی . دی . : ۳۰ ، ۲۱

بيلينو ، طارل : ۱۰

بوشام ، آب : ۹ ، ۱۰

بابليون

باد — تيبيرا

بلوختان :

۱۰ براختی

باو

بيليلي

بيرچن ، يوجين :

برخوتوري

بويل ، دی لياجر

بورشوشوا ، بناد في منطقة معبد اقليل

بورتر ، روبرت کير : ۱۰

برتغال : ۱۳

(ت)

تالوت ، ديليو ، اف فوکس : ۲۳ ، ۲۴

تانی

تيسر الاول ، ملت : ۲۳

تلو (تل) : ۲۷ ، ۲۸

تموز (انظر دوموزی)

التوراة : ۶ ، ۳۵ ، ۳۷

توکلتي ينورنا :

تومال : ۴۹ ، ۶۰ ، ۶۲ ، ۶۳ ، ۶۴ / ۶۵

تيريچان ۵۰

تيودلا : ۸

تیشسن ، اولوف جيرهارد : ۱۵ ، ۱۶

(ج)

جانومدوج

جاد، س، جی : ۲۲۸، ۲۷، ۳۵، ۳۳

جاتمدوج

جاكسون، ثورطايلد : ۲۲ / ۲۷، ۳۸، ۴۰، ۲۲۸

جامعة اوکسفورد ۲۵۰ جامعة السکویت ۵۳ جامعة انقره ۵۴

جامعة بغداد :

جامعة پنمليفانيا : ۳۴، ۳۳، ۲۷

جامعة شيكاغو : ۳۴، ۳۴، ۲۴

جامعة فردريك شيلر : ۶۴

جبل الارز . بلاد

جبل الوفد : ۱۷

جروتفد، جورج فردريش : ۱۸، ۱۷، ۱۶، ۱۰

جستن، آر. : ۳۴

جک، معزر، امنية متحف :

جلجا مش : ۵۰، ۶۰، ۶۱، ۶۲، ۱۷۳، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۸، ۱۷۷، ۳۷۲

، ۲۷۶، ۲۷۵، ۲۷۱، ۲۷۰، ۲۶۵، ۲۶۴، ۲۶۰، ۱۵۷، ۲۵۶

، ۲۷۷، ۲۸۵، ۲۷۴، ۳۶۷، ۳۰۵، ۲۸۷، ۲۷۵، ۲۸۰، ۲۷۸

۳۷۷، ۲۷۵، ۳۷۴

جمدة نصر، موقع اثرى : ۳۵

الجمعية الفرنسية للمسكوفات والآثار : ۲۶

الجمعية المكسيكية الآسيوية : ۱۹۰، ۲۳، ۲۴، ۲۶

الجمعية للملكية الدانماركية : ۱۶۰

جوتنجن، مدرسة : ۱۶

جونيون : ۵۱، ۵۰

جوديا : ۲۸، ۱۳۳، ۱۸۳، ۱۸۶، ۲۹۰

جينويلا، هنرى دى : ۳۵، ۲۸

جويكا، انتوفيو دى : ۱۲

جنائن معلقة : ١٠
 الجمعية الماسكية الدانماركية : ١٤ ، ١٦
 جوتنجن ، مدرسة : ١٤ ، ١٦
 الجمعية الماسكية الآسيوية : ١٧ ، ٢٢ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦
 جاد - سي - جي : ٣٥ ، ٣١ ، ٢٣ ، ٣٧
 جاكسون ، ثور كابلد : ٣٧ ، ٣٩ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٤٠
 جامعة شيكاغو : ٣٧ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٢٤ ، ٣٤
 جورج : ٨ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٠ ، ١٧ ، ١٨
 الجمعية الفرنسية للمسكركات : ٢٥ ، ٢١
 جوديا : ٢٨
 جامعه بنسلفانيا : ٢٧ ، ٣٣ ، ٢٨
 جستن . آر : ٣٣ ، ٣٤
 جويكا ، انطوني دي : ١٠ ، ١٢
 جامعة بغداد : ٤٠
 جامعة فردريش شيلر : ٤٠
 جبل الوند : ١٦ ، ١٧
 جمدة نصر ، موقع أثرى : ٢٣ ، ٣٥
 جامعة اوكسفورد : ٢٣ ، ٣٥

(ح)

حرمل ، تل : ٤٠
 حزقيال ، نبي : ٦٠
 حضارة وادي السند
 حماني : ٩٤
 حموري ابي : ٤٢
 حوروم ، جبل ، ٣٧٢ ، ٣٧٤
 حررو (جلام) : ٢٤٥
 حوريون

(خ)

الخليج العربي ، ١ ، ٣ ، ٥٣
 خور صاباد : ١٧ ، ١٨ ، ١٩
 خفاجه ، تل : ٣٦ ، ٣٨
 خسرو آباد : ١٨ ، ١٩

(د)

دور شروکین : ۱۷ .

جله ، نر : ۳۶ ، ۵۲

دیلو جز ، بنجاس : ۳۷ ، ۳۸

دوسین ، جورج : ۳۷ . ۲۹

دانجی ، فرانونیورو : ۲۶ ، ۲۹ ، ۳۰ ، ۳۱ ، ۳۲

دبلیج ، فریدریش : ۳۰ ، ۳۲

دیودورس الصقلی : ۱۲ ، ۱۰

دایمل ، اتون : ۳۱ ، ۳۳ ، ۳۴

داریوس : ۱۲ ، ۱۰

داکوتا : ۵۴

دوموزی : ۶۰

دیسلندی ، اندری دولیر : ۱۱ ، ۱۲

دیر ، مدینه :

دیاکنوف ، ای ، أم

دیار بکر

دلون : ۱۶۳ ، ۴۰۵ ، ۴۰۶

دیمیمیکوج ، من سكان العالم الاسفل

داریوس : ۱۲۰ ،

داکوتا ، ولایة آمریکية : ۵۴

دانجن ، فرانواتیورد : ۲۸ ، ۳۱ ، ۳۲

دانجن (نیورو) ۲۲۸

دایمل ، اتون : ۳۳ ، ۳۴

دجله ، فهر : ۳ ، ۲۸ ، ۵۲ ، ۵۴ ، ۵۳ ، ۲۴۴

دلون : ۲۴۴ ، ۴۰۸ ، ۴۱۲

دور شرکین ، مدینه : ۱۹

دوسین ، جورج : ۳۹

دوموزی : ۶۰ ، ۱۷۶ ، ۱۷۷ ، ۲۱۱ ، ۲۱۴ ، ۲۱۵ ، ۲۳۷ ، ۲۹۵ ، ۳۶۰ ،
۳۶۱ ، ۳۶۲ ، ۳۶۴

دیلیج : ۲۲۸

دیسلمندی ، اندری دولیر : ۱۲

دیلیج ، فردریش : ۳۲

دیلوجز ، بنحاس ، عالم : ۳۸

دیودوروس الصقلی : ۱۲

دار الوثائق الفرنسية ۹

(س)

سرجون (العظیم) ۴۰۷

(ش)

شورباك — نوح السومری : ۳۲۹

شنايدر : ۲۳۲

(ر)

راسك ، راسموس : ۱۵ ، ۱۶ ، ۱۷

رولنص ، هنری : ۱۵ ، ۱۶ ، ۱۸ ، ۱۱ ، ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۲ ، ۲۳ ، ۲۳ ، ۲۴ ،

۲۵ ، ۲۶ ، ۲۸ ، ۲۹ ، ۲۷

روما : ۶ ، ۸ ، ۳۲ ، ۲۳

ریج ، کلاوریوس جیمس : ۱۰ ، ۱۶

(ز)

زیوسودارا : ۳۴ ، ۵۸ ، ۲۲۰ ، ۳۲۱

(ط)

طه باقر : ۴۰

طیسفون : ۹

طوفان : ۲۳ ، ۳۴ ، ۳۵ ، ۲۷ ، ۴۸ ، ۵۶ ، ۵۸

(ع)

عبرانية : ۵

عقرب ، تل : ٣٨
 عصر العبيد : ٤٠
 العائلة الطورانية : ٢٦
 العراق : ٣ ، ٧ ، ١١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٤٠
 القعير ، تل : ٣٩ ، ١٨١
 العبيد ، تل : ٣٧ ، ٥٥
 العبيديون : ٣٧ ، ٥٥ ، ٥٦
 العموريون
 عيلام ، بلاد : ٤٠٥
 عرب : ١٢
 علم الآشوريات : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦
 عراقيون (قدماء) : ٢٤
 عصر فجر السلالات : ٢٨
 العام السفلي : ٥٨

(ف)

فان ديك : ٣٨٠
 الفرس : ٥
 فرنسا : ١٧ ، ٢٢ ، ١٩ ، ٢٤
 فرانكفورت ، هنري : ٢٦ ، ٣٧ ، ٣٨
 فؤاد سفر : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠
 فارة : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤
 فريز ، جي . بيل : ٩ ، ١١
 فيجوروايون جارشيا سلفا : ١٠ ، ١٢
 فاس : ١٠ ، ١١ ، ١٢
 فلاور ، صوئيل : ١١ ، ١٢ ، ١٣
 فلسطين : ١٠
 فاكشتاين ، آدم : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٤ ، ٢٥ ، ١١٤

فالكون : ٥٣

قالى ، بيترو ديلا : ١١ ، ٦

فارة ، مدينة : ٣٣ ، ٣٤

فارس (بلاد) : ١٢ ، ١٢ ، ٢٧

فالكون ، ٥٣

قالى ، بيترو ديلا : ٨ ، ١٢ فرانكفورت ، فنرم : ٣٨

الفرس : ١٢ ، ١٣

فرنسا : ١٩ ، ٢٤

فرير ، جى . بيلي : ١١

فلاور ، صموئيل : ١٣

فلسطين : ١٠

فؤاد سنفر : ٣٩ ، ٤٠

فيجوروا ، دون جارشيا سلفا : ١٢

فرس : ٧

الفرات : ٣ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤

القدس : ٦ ، ٦٠

قيصر : ١٢

قوينجى ، تل : ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠

قائمة الملوك السومرية : ٤١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١

(ك)

كرما نشاه : ١٦

كالديا : ٢٨

كيش : ٣٥ ، ٣٣ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٢٥٧

كوبنهاجن : ١٦

كارون ، نهر : ٥٢

كولاب ، مدينة : ٥٤

كنيتك ، ولاية امريكية : ٥٤

كروس ، جاستون : ٢٦ ، ٢٨

كولدفى ، روبرت : ٣٢ ، ٣٣

كارون ، نهر : ٥٢

كالدليا : ٢٨

كروس ، جاستون : ٢٨

كش ، مدينة : ٥٥ .

كنعانيون .

كنيتكت ، ولاية أمريكية : ٥٤ ، ٥٧٠ ، ٥٩

كوينهاجن : ١٦

كولاب زمنية : ٥٤

كولديتي ، روبرت : ٣٣

(ل)

لاجرين ، ليون : ٣٧

لارسا : ٥٤

لاسين ، كرستن : ١٧ ، ١٩

لانجدين ، استيفان ، ٣٥

لانديز برجر : يينو ، ٢٣ ، ٥٥٥٤

لبروم ، كارميل : ١٤

لجش : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ .

٢٩ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٤

لجش (سلالة) : ٢٨

لشبوقة : ١٢

لكنيل ، ذي - ده - : ٢٤

لندن : ١٠ ، ٢٣

لزن ، ا ج . : ٢٦

لو - اينانا : ٦٣

لوجال انمونا : ٣٦

لوجال بندا : ٥٠ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠

لوجال دالو : ٣٤٠

لوجال زاجيني : ٤٧

لوما :

لوتور :

لوما جيمدوج :

لويد ، سين : ٣٨

ليارد ، اوستق هنرى : ٢٠

لين : ٥٣

ليس :

ليليث :

لينورما : فرانوا : ٣١

لغة سومرية ٧ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٠

لغة اكدية ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧

لغة فارسية قديمة ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩

لغة تيلامية ٧

لغة تركية ٧ ، ٢٧

لغة مجرية ٧ ، ٢٧

لغة قلندية ٧ ، ٢٧

لغة إغريقية ١٦

لغة انجليزية ٩ ، ٢٤ ، ٥٤

لغة ألمانية ٩ ، ٢٤

لغة آسيوية ٢٠٤

لين وفاليسكو ٥٣

(٢)

مارتو :

مارى : ٣٩

ماقبل الفراتين : ٥٦ ، ٥٥

المانشو : ٢٦

مانيا :

مانيوم :

- متحف برلين (الشرقية) : ٩
 المتحف البريطاني : ١٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧
 متحف بوشكن ٥٨٢
 المتحف العراقي : ٤٠
 متحف فيلد : ٣٦
 متحف اللوفر : ٣٧ ، ٣٩
 مديرية الآثار العراقية : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠
 مرخاش :
 مصجوست ، ولاية أمريكية : ٣ ، ٥٤
 مسألة النور : ٢٨ ، ٤٧
 مسيلم : ٤٢
 مصر : ١٢
 المعهد البابوي للكتاب المقدس : ٣٣
 معهد الدراسات الشرقية : ٢٤ ، ٢٤ ، ٣٨
 المغولي : ٢٦
 مارتو : ٢٢١
 المقير ، تل : ٨
 ملوفا : ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤
 ملوخيون :
 منس :
 منيشتوسوا :
 موسكو : ٥٨
 موسى : ٦
 موشداما :
 الموصل : ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ١٩
 مونتر ، فرويش : ١٤ ، ١٦
 مي (نوايس إلهية) : ٢١٥
 الميديون : ٥
 ميسآنيادا : ٦١

ميكيا جاشر : ٥٩
 ميكلادوج :
 ميكيا آجنونا : ٦٢
 ميشو ، أى : ٩
 مينان ، روبرت : ١٠
 ميديون : ٧
 مكتبة آشور بانفيلال ٢٣ ، ٢٩
 مقابر أور الماسكية : ٣٧
 مجمع الالهة الصورى : ٥٦ ، ٥٩
 ميلسيلي : ٥٤
 ميسكى آج - نانا : ٦٢
 ملحمة جلجامش : ٥٨

(ن)

نبوخذ نصر : ١٠
 نفارا : ٨ ، ٦
 نليل ، لاهة : ٤٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥
 نقر ، مدينة : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٥ ، ٢٩٧
 نينكليم (لاهة) : ١٤٠
 نينوى : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٩

(ن)

بزجال : ٢٨٩
 نوح : ٣٤ ، ٣٢٩
 نيبور : ٢٨ ، ٥٤
 نينخورساج : ٣٨
 نوو نبورا : ٦٢ ، ٦٤
 نينخورساج ، لاهة : ٤٦
 الوركام : ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
 ووى (ليونارد) : ١٣٨ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤

نیدنخورساج ، امله : ۳۶

الوركا۔ ۱۸۱، ۱۸۲، ۱۸۳، ۱۸۴

الوركا. ١٨١، ١٨٢، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٩، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧

۳۶۵ ، ۱۷۴ ، ۱۷۳ ، ۱۵۳ ، ۱۸۳ (لیونادر)

(2)

هيڊو ۶ :

شومر : ٦

ہمیں، آج .

همدان: ۲۷

ہنکس، ادوارڈ ۲۹، ۳۰، ۳۱، ۳۲، ۳۳، ۳۴، ۳۵، ۳۶، ۳۷، ۳۸، ۳۹، ۴۰، ۴۱، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۴۵، ۴۶، ۴۷، ۴۸، ۴۹، ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۳، ۵۴، ۵۵، ۵۶، ۵۷، ۵۸، ۵۹، ۶۰، ۶۱، ۶۲، ۶۳، ۶۴، ۶۵، ۶۶، ۶۷، ۶۸، ۶۹، ۷۰، ۷۱، ۷۲، ۷۳، ۷۴، ۷۵، ۷۶، ۷۷، ۷۸، ۷۹، ۸۰، ۸۱، ۸۲، ۸۳، ۸۴، ۸۵، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۹۲، ۹۳، ۹۴، ۹۵، ۹۶، ۹۷، ۹۸، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴، ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۲، ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۵۹، ۱۶۰، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۵، ۱۶۶، ۱۶۷، ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۷۰، ۱۷۱، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۴، ۱۷۵، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۷۹، ۱۸۰، ۱۸۱، ۱۸۲، ۱۸۳، ۱۸۴، ۱۸۵، ۱۸۶، ۱۸۷، ۱۸۸، ۱۸۹، ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۴، ۱۹۵، ۱۹۶، ۱۹۷، ۱۹۸، ۱۹۹، ۲۰۰، ۲۰۱، ۲۰۲، ۲۰۳، ۲۰۴، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۰۸، ۲۰۹، ۲۱۰، ۲۱۱، ۲۱۲، ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۱۵، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۲۱، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۴، ۲۲۵، ۲۲۶، ۲۲۷، ۲۲۸، ۲۲۹، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۳۵، ۲۳۶، ۲۳۷، ۲۳۸، ۲۳۹، ۲۴۰، ۲۴۱، ۲۴۲، ۲۴۳، ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۴۸، ۲۴۹، ۲۵۰، ۲۵۱، ۲۵۲، ۲۵۳، ۲۵۴، ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۶۸، ۲۶۹، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۲، ۲۷۳، ۲۷۴، ۲۷۵، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۸۱، ۲۸۲، ۲۸۳، ۲۸۴، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۸۷، ۲۸۸، ۲۸۹، ۲۹۰، ۲۹۱، ۲۹۲، ۲۹۳، ۲۹۴، ۲۹۵، ۲۹۶، ۲۹۷، ۲۹۸، ۲۹۹، ۳۰۰، ۳۰۱، ۳۰۲، ۳۰۳، ۳۰۴، ۳۰۵، ۳۰۶، ۳۰۷، ۳۰۸، ۳۰۹، ۳۱۰، ۳۱۱، ۳۱۲، ۳۱۳، ۳۱۴، ۳۱۵، ۳۱۶، ۳۱۷، ۳۱۸، ۳۱۹، ۳۲۰، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۲۳، ۳۲۴، ۳۲۵، ۳۲۶، ۳۲۷، ۳۲۸، ۳۲۹، ۳۳۰، ۳۳۱، ۳۳۲، ۳۳۳، ۳۳۴، ۳۳۵، ۳۳۶، ۳۳۷، ۳۳۸، ۳۳۹، ۳۴۰، ۳۴۱، ۳۴۲، ۳۴۳، ۳۴۴، ۳۴۵، ۳۴۶، ۳۴۷، ۳۴۸، ۳۴۹، ۳۵۰، ۳۵۱، ۳۵۲، ۳۵۳، ۳۵۴، ۳۵۵، ۳۵۶، ۳۵۷، ۳۵۸، ۳۵۹، ۳۶۰، ۳۶۱، ۳۶۲، ۳۶۳، ۳۶۴، ۳۶۵، ۳۶۶، ۳۶۷، ۳۶۸، ۳۶۹، ۳۷۰، ۳۷۱، ۳۷۲، ۳۷۳، ۳۷۴، ۳۷۵، ۳۷۶، ۳۷۷، ۳۷۸، ۳۷۹، ۳۸۰، ۳۸۱، ۳۸۲، ۳۸۳، ۳۸۴، ۳۸۵، ۳۸۶، ۳۸۷، ۳۸۸، ۳۸۹، ۳۹۰، ۳۹۱، ۳۹۲، ۳۹۳، ۳۹۴، ۳۹۵، ۳۹۶، ۳۹۷، ۳۹۸، ۳۹۹، ۴۰۰، ۴۰۱، ۴۰۲، ۴۰۳، ۴۰۴، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۰۹، ۴۱۰، ۴۱۱، ۴۱۲، ۴۱۳، ۴۱۴، ۴۱۵، ۴۱۶، ۴۱۷، ۴۱۸، ۴۱۹، ۴۲۰، ۴۲۱، ۴۲۲، ۴۲۳، ۴۲۴، ۴۲۵، ۴۲۶، ۴۲۷، ۴۲۸، ۴۲۹، ۴۳۰، ۴۳۱، ۴۳۲، ۴۳۳، ۴۳۴، ۴۳۵، ۴۳۶، ۴۳۷، ۴۳۸، ۴۳۹، ۴۴۰، ۴۴۱، ۴۴۲، ۴۴۳، ۴۴۴، ۴۴۵، ۴۴۶، ۴۴۷، ۴۴۸، ۴۴۹، ۴۵۰، ۴۵۱، ۴۵۲، ۴۵۳، ۴۵۴، ۴۵۵، ۴۵۶، ۴۵۷، ۴۵۸، ۴۵۹، ۴۶۰، ۴۶۱، ۴۶۲، ۴۶۳، ۴۶۴، ۴۶۵، ۴۶۶، ۴۶۷، ۴۶۸، ۴۶۹، ۴۷۰، ۴۷۱، ۴۷۲، ۴۷۳، ۴۷۴، ۴۷۵، ۴۷۶، ۴۷۷، ۴۷۸، ۴۷۹، ۴۸۰، ۴۸۱، ۴۸۲، ۴۸۳، ۴۸۴، ۴۸۵، ۴۸۶، ۴۸۷، ۴۸۸، ۴۸۹، ۴۹۰، ۴۹۱، ۴۹۲، ۴۹۳، ۴۹۴، ۴۹۵، ۴۹۶، ۴۹۷، ۴۹۸، ۴۹۹، ۵۰۰، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۳، ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۰۶، ۵۰۷، ۵۰۸، ۵۰۹، ۵۱۰، ۵۱۱، ۵۱۲، ۵۱۳، ۵۱۴، ۵۱۵، ۵۱۶، ۵۱۷، ۵۱۸، ۵۱۹، ۵۲۰، ۵۲۱، ۵۲۲، ۵۲۳، ۵۲۴، ۵۲۵، ۵۲۶، ۵۲۷، ۵۲۸، ۵۲۹، ۵۳۰، ۵۳۱، ۵۳۲، ۵۳۳، ۵۳۴، ۵۳۵، ۵۳۶، ۵۳۷، ۵۳۸، ۵۳۹، ۵۴۰، ۵۴۱، ۵۴۲، ۵۴۳، ۵۴۴، ۵۴۵، ۵۴۶، ۵۴۷، ۵۴۸، ۵۴۹، ۵۵۰، ۵۵۱، ۵۵۲، ۵۵۳، ۵۵۴، ۵۵۵، ۵۵۶، ۵

ماویت، یول: ۱۱۷

هربرت ، تو ماسون ! ۱۳

هائیل ، توماس : ۱۳

هاليفى ، جوزيف ، ٢٧

هيوڙي ، ليون : ۲۸ ، (ورد اسمہ مرة واحدة) ،

الهند : ١٢ : ١٥

هول، أ. ج. آر. ۳۷،

هواوا : ٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥

ہکتور : ۲۹۸

(۵)

وولی، لیونارد : ۳۷

الوركا (مدنية) ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،

Y09, Y0A, Y0V, YAI, YIV, YI7

(5)

یوردان ، یولیوس : ۳۵ ،

۶۴ مینا

يونس ، تل النبي : ١٩

رقم الإيداع ٣١٥٠